

مارکس انجیلس

مختارات

١٨٨٣-١٨١٨

ماركس انجلز مختارات

٧ ٢

في اربعة اجزاء

الجزء الثاني



دار التقدم

موسكو

HX39

.5

A212

1975

Vol 2

Orien

Arab

К. МАРКС и Ф. ЭНГЕЛЬС
ИЗБРАННЫЕ ПРОИЗВЕДЕНИЯ

Часть II

На арабском языке

	L
2 - AUG - 7	
Сору	1975

/ x

ماركس

مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي (١)

المقدمة

اني ابحث نظام الاقتصاد البرجوازي حسب الترتيب التالي
الراسمال ، ملكية الارض ، العمل المأجور ، الدولة ، التجارة
الخارجية ، السوق العالمية في الابواب الثلاثة الاولى ادرس
الظروف الاقتصادية لحياة الطبقات الكبيرة الثلاث التي ينقسم
اليها المجتمع البرجوازي المعاصر ؛ والصلة المتبادلة بين الابواب
الاخرى الثلاثة جلية للعيان القسم الاول من الكتاب الاول
الذي يتناول الراسمال يتألف من الفصول التالية ١ - البضاعة ،
٢ - النقد ، او التداول البسيط ، ٣ - الراسمال على العموم
الفصلان الاولان يشكلان مضمون هذه الطبعة . المادة كلها موجودة
بين يدي بصورة مباحث خاصة كتبت في حقبات مختلفة مع
انقطاعات كبيرة ، لا من اجل النشر ، بل من اجل توضيح المسائل
بنفسي لنفسي ؛ ان تحرير هذه المباحث لاحقا حسب الترتيب
المشار اليه آنفا سيكون رهنا بالظروف الخارجية

واني لأحذف المقدمة العامة (٢) التي سبق ووضعت
خطوطها الكبرى ، لاني قررت ، بعد المزيد من امعان الفكر ، ان
اي استباق للاستنتاجات التي لا يزال يترتب اثباتها قد يعيق ،

وان القارى الذي يريد على العموم ان يتتبعني يجب عليه ان يعقد النية على الصعود من الخاص الى العام ولكنه يبدو لي من المناسب ان اعرض هنا بعض الملاحظات بصدد سير دراساتي الخاصة في الاقتصاد السياسي

كان علم القانون موضع اختصاصي ، ولكني لم ادرسه الا كمادة ثانوية الى جانب الفلسفة والتاريخ ففي عامي ١٨٤٢ و ١٨٤٣ ، تاتي لي بوصفي محرراً في « Rheinische Zeitung » (٣) ان ابدى رأيي للمرة الاولى فيما يسمى بالمصالح المادية ، الامر الذي اثار في وجهي المتاعب ان المناقشة التي جرت في لاندتاغ (جمعية) الراين حول المسائل المتعلقة بسرقة الغابات وبتجزئة ملكية الارض ، والمناظرة الرسمية التي شرع بها السيد فون شابر ، -الذي كان آنذاك الرئيس الاول لاقليم الراين ، - ضد « Rheinische Zeitung » ، بصدد اوضاع فلاحي منطقة الموزيل ، واخيراً المناقشات بشأن حرية التجارة ورسوم الحماية الجمركية ، كانت اولى الدوافع لانصرائي الى دراسة القضايا الاقتصادية ومن جهة اخرى ، عندما كانت الرغبة الطيبة «في السير الى الامام» تربو في ذلك الوقت مراراً عديدة على معرفة الموضوع ، بدأت تتردد في « Rheinische Zeitung » اصدااء الاشتراكية الفرنسية والشيوعية الفرنسية مرفوقة بطلاء فلسفي خفيف . وقد هارضت هذا الولع المبتدل ، ولكني اعترفت صراحة ، مع ذلك ، في المناظرة ضد « Allgemeine Zeitung » ، (٤) الصادرة في اوغسبورغ ، بان ما كنت املكه من المعارف آنذاك لم يتح لي الاقدام على ابداء اي حكم بشأن فحوى الاتجاهين الفرنسيين ذاته . ولذا عمدت بمزيد من الرغبة الى الاستفادة من وهم قادة « Rheinische Zeitung » الذين كانوا ياملون ان يتوصلوا بموقف اكثر اعتدالاً الى الغاء

حكم الادماء الصادر بحقها لكي انسحب من المسرح الاجتماعي الى قاعة الدراسة .

واول عمل شرعت به لاجل تبديد الشكوك التي كانت تراودني ، كان تحليل فلسفة الحق عند هيغل تحليلا انتقاديا * ، وقد صدرت مقدمة هذا العمل ** في عام ١٨٤٤ في Deutsch- , Französische Jahrbücher (*) التي كانت تصدر في باريس وساقني ابحائي الى النتيجة التالية وهي ان العلاقات الحقوقية ، شأنها بالاضبط شأن اشكال الدولة ، لا يمكن فهمها لا بحكم ذاتها ، ولا بحكم ما يسمى التطور العام للروح البشرية ، وانها ، على العكس ، تمد جلورها في العلاقات الحياتية المادية التي يسمي هيغل مجموعها « بالمجتمع المدني » ، على غرار ما فعل الكتاب الانجليز والفرنسيون من القرن الثامن عشر ، وانه ينبغي البحث عن تفسير المجتمع المدني في الاقتصاد السياسي . وقد بدأت دراسة الاقتصاد السياسي في باريس وواصلتها في بروكسل التي انتقلت اليها اثر امر السيد غيزو بابعادي من باريس . ان النتيجة العامة التي توصلت اليها والتي اصبحت فيما بعد بمثابة خيط هاد في ابحائي اللاحقة ، انما يمكن صياغتها بايجاز على النحو التالي

ان الناس ، اثناء الانتاج الاجتماعي لحياتهم ، يقيمون فيما بينهم علاقات معينة ضرورية ، مستقلة عن ارادتهم وتطابق علاقات الانتاج هذه درجة معينة من تطور قواهم المنتجة المادية

* كاول ماوكس . «مساهمة في نقد فلسفة الحق عند هيغل»

للتأثير .

** كاول ماوكس . «مساهمة في نقد فلسفة الحق عند هيغل» .

المقدمة ، . للتأثير .

ومجموع علاقات الانتاج هذه يؤلف البناء الاقتصادي للمجتمع اي الاساس الواقعي الذي يقوم عليه بناء فوقه حقوقي وسياسي وتطابقه اشكال معينة من الوعي الاجتماعي ان اسلوب انتاج الحياة المادية يشترط تفاعل الحياة الاجتماعي والسياسي والفكري ، بصورة عامة فليس ادراك الناس هو الذي يعين معيشتهم ، بل على العكس من ذلك ، معيشتهم الاجتماعية هي التي تعين ادراكهم وعندما تبلغ قوى المجتمع المنتجة المادية درجة معينة من طورها ، تدخل في تناقض مع علاقات الانتاج الموجودة او مع علاقات الملكية - وليست هذه سوى التعبير الحقوقي لتلك - التي كانت الى ذلك الحين تتطور ضمنها فبعد ما كانت هذه العلاقات اشكالا لتطور القوى المنتجة ، تصبح قيودا لهذه القوى وعندئذ ينفتح عهد الثورة الاجتماعية ومع تغير الاساس الاقتصادي يحدث انقلاب في كل البناء الفوقي الهائل ، بهذا الحد او ذاك من السرعة وعند دراسة هذه الانقلابات ، ينبغي دائما التمييز بين الانقلاب المادي لشروط الانتاج الاقتصادية - هذا الانقلاب الذي يُحدّد بدقة العلوم الطبيعية - وبين الاشكال الحقوقية والسياسية والدينية والفنية والفلسفية ، او بكلمة مختصرة ، الاشكال الفكرية التي يدرك فيها الناس هذا النزاع ويكافحون لاجل حله فكما انه لا يمكن الحكم على فرد وفقا للفكرة التي لديه من نفسه ، كذلك لا يمكن الحكم على عهد انقلاب كهذا ، وفقا لوعييه بل بالعكس ينبغي تفسير هذا الوعي بتناقضات الحياة المادية ، وبالنزاع القائم بين قوى المجتمع المنتجة وعلاقات الانتاج ان اي تشكيلة اجتماعية لا تموت قبل ان تتطور جميع القوى المنتجة التي تفسح لها ما يكفي من المجال ؛ ولا تظهر ابدأ علاقات انتاج جديدة ارقى قبل ان تنضج شروط وجودها المادية في

قلب المجتمع القديم بالذات ولهذا لا تضع الانسانية ابدأ امامها الا المسائل التي تستطيع حلها اذ انه يتضح دائماً ، عند البحث عن كسب ، ان المسألة نفسها لا تبرز الا عندما تكون الشروط المادية لحلها موجودة ، او ، على الاقل ، آخذة في التكون ان اساليب الانتاج ، الاسلوب الآسيوي ، والقديم ، والاقطاعي ، والبرجوازي الحديث ، مرسومة بخطوطها الكبرى ، يمكن اعتبارها بمثابة عهود متصاعدة من التشكيلة الاجتماعية الاقتصادية ان علاقات الانتاج البرجوازية هي الشكل التناحري الاخير لعملية الانتاج الاجتماعية ، التناحري لا بمعنى التناحر الفردي ، بل بمعنى التناحر الذي ينمو من الشروط الاجتماعية لحياة الافراد ؛ ولكن القوى المنتجة المتنامية في قلب المجتمع البرجوازي تخلف في الوقت نفسه الشروط المادية لاجل حل هذا التناحر . ولهذا ينتهي ما قبل تاريخ البشرية بالتشكيلة الاجتماعية البرجوازية

ان فريدريك انجلس الذي اخذت ابداءه معه الآراء باستمرار عن طريق الرسائل منذ ظهور ملاحظاته العبقريّة في نقد المقولات الاقتصادية • (في Deutsch-Französische Jahrbücher) قد توصل بسبيل آخر الى نفس النتيجة التي توصلت انا اليها (قارن كتابه وحالة الطبقة العاملة في انجلترا) ؛ وعندما اقام كذلك في بروكسل في ربيع ١٨٤٥ ، قررنا ان نصوغ نظراتنا معا خلافا للنظرات الايديولوجية للفلسفة الالمانية ،

• فريدريك انجلس . «ملاحظات في نقد الاقتصاد السياسي» .
الناشر .

وان نحاسب ، من حيث جوهر الامر ، وجدانا الفلسفي السابق وقد حققنا هذه النية بشكل انتقاد للفلسفة التي ظهرت بعد فلسفة هيغل . وكانت المخطوطة - وهي عبارة عن مجلدين ضخمين بحجم ثمن ملزمة - قد وصلت من زمان الى مكان الطبع في وستفاليا عندما ابلغونا ان الظروف المتغيرة قد جعلت من المستحيل طبعا وبما اننا كنا قد بلغنا هدفنا الرئيسي ، - وهو توضيح الامور لانفسنا - فقد قدمنا المخطوطة بمزيد من الارتياح لنقد الفئران القارض ومن الابحاث المختلفة التي عرضنا فيها نظراتنا على الجمهور في ذلك الوقت من هذا الجانب او ذاك ، اكتفي بالتذكير « ببيان الحزب الشيوعي » الذي كتبناه معا انجلس وانا ، و « الخطاب حول حرية التجارة » الذي نشرته انا للمرة الاولى عرضنا بطريقة علمية النقاط الفاصلة في آرائنا ، وان بشكل المناظرة فقط ، وذلك في مؤلفي « بؤس الفلسفة » الصادر في عام ١٨٤٧ والموجه ضد برودون وان ثورة شباط (٦) وابعادي بالعنف من بلجيكا من بعدها وبسببها قد قطعنا طبع مؤلفي عن « العمل المأجور » . . . الذي كتبته باللغة الالمانية والذي جمعت فيه محاضرات القيتها في رابطة العمال الالمان (٧) بيروكسل .

ان اصدار « Neue Rheinische Zeitung » ، (٨) (والجريدة الرينانية الجديدة) في ١٨٤٨ و ١٨٤٩ والاحداث اللاحقة قد

• كلول ماركس وفريدريك إنجلس . والايديولوجيا الالمانية

انتاشر .

• • راجع الجزء الاول من هذه الطبعة ، ص ٤١-٩٦ انتاشر .

• • • راجع الجزء الاول من هذه الطبعة ، ص ٩٧-١٤٧ انتاشر .

قطعت دروسي الاقتصادية ، فلم استطع استثنائها الا في عام ١٨٥٠ في لندن . وان المادة الضخمة في تاريخ الاقتصاد السياسي التي جمعت في المتحف البريطاني ، وكون لندن مركز مراقبة ملائم لاجل دراسة المجتمع البرجوازي ، واخيراً مرحلة التطور الجديدة التي دخل فيها هذا المجتمع ، على ما يبدو ، منذ اكتشاف الذهب في كاليفورنيا واستراليا ، كل هذا دفعني الى الشروع من جديد بالعمل من البدء بالذات والى معالجة المادة الجديدة بعين نقادة وقد قادني هذه المساعي ، وجزئياً بصورة عفوية ، الى مسائل لا تمت اطلاقاً من النظرة الاولى الى الموضوع ، ولكني كنت مضطراً للتوقف عندها فترات طويلة الى هذا الحد او ذاك بيد ان الوقت المتوفر لي قل بخاصة من جراء الضرورة الملحة القاضية بالعمل من اجل الخبز اليومي ثم ان تعاوني - الذي مضى عليه الان ثماني سنوات - في « New-York Daily Tribune » ، و (نيويورك دايلي تريبيون) (٩) - وهي اول جريدة انجلو - اميركية (وانا لا اكتب المراسلات الصحفية الصرف الا بصورة استثنائية) فرض في دراساتي العلمية القطاعات متكررة فوق الحد غير ان المقالات حول الاحداث الاقتصادية البارزة في انجلترا وفي القارة شغلت من عملي لاجل الجريدة قسماً كبيراً الى حد اني كنت مضطراً الى الاطلاع على التفاصيل العملية القائمة ما وراء حدود علم الاقتصاد السياسي الصرف .

والمقصود من هذه الملاحظات عن سير دراساتي في ميدان الاقتصاد السياسي ان تبين وحسب ان نظراتي ، مهما كانت الآراء بصدها ومهما قل تطابقها مع الاوهام الانانية لدى الطبقات

المائدة ، هي نتيجة ابحاث جدية ، طويلة الأمد ، والحال ، عند باب العلم ، كما عند باب جهنم ، يجب ان يوضع المطلب التالي

« Qui si convien lasciare ogni sospetto ;
Ogni viltà convien che qui sia morta ».*

كارل ماركس

لندن كانون الثاني (يناير) ١٨٥٩ تصدر حسب نص الكتاب
تمت الترجمة نقلاً عن
الالمانية

صدرت للمرة الاولى في كتاب :
« Zur Kritik der politischen
Oekonomie von Karl Marx ».
Erstes Heft, Berlin, 1859

* وهنا يجب ان تكون الروح قوية ؛
هنا يجب ألا يكون الخوف هو الناصح ،
(دالته . والكوميديا الالهية ،) . القاهر .

ماركس

الاجور والاسعار والارباح (١٠)

ملاحظات تمهيدية

ايها المواطنون !
اسمحوا لي ، قبل تناول الموضوع من حيث الجوهر ، ان
اقدم بضع ملاحظات تمهيدية
يسود القارة في الوقت الحاضر وباء حقيقي من الاضرابات ،
وقد اصبحت المطالبة بزيادة الاجور عامة شاملة . وهذه المسألة
ستعالج في مؤتمرنا فلا بد ان يكون لديكم ، وانتم على رأس
الجمعية العالمية ، (١١) نظرات راسخة حول هذه المسألة البالغة
الاهمية ولهذا اني ارى من واجبي معالجة الموضوع معالجة
مستقصية ، ولو غامرت بامتحان صبركم امتحانا عسيراً
ولا بد لي من تقديم ملاحظة تمهيدية ثانية فيما يتعلق
بالمواطن ويسطن . فاعتقاداً منه انه يعمل لمصلحة الطبقة العاملة ،
لم يقتصر على ان يعرض امامكم مفاهيم يعرف انها غير شعبية
للفاية لدى العمال ، بل لقد دافع عنها على رؤوس الاشهاد
وليس يمكن لكل منا الا ان يقدر عالي التقدير مثل هذه الامثلة
على الشجاعة المعنوية واني لامل بان المواطن ويسطن ، على
الرغم من عنف لهجة تقريره ، سيري في ختامه اني موافق على
الفكرة التي يبدو لي انها كانت المنطلق لصياغة موضوعاته ، وان

اكن اعتقد انها في شكلها الحالي خاطئة نظريا وخطرة عمليا
والآن انتقل مباشرة الى الموضوع الذي هو موضع اهتمامنا

١ الإنتاج والاجور

ان تدليل المواطن ويسطن يستند في الواقع على مقدمتين
النتين

(١) ان مجموع الإنتاج الوطني هو شيء لا يتغير ، هو كمية
ثابتة ، او كما يقول الرياضيون ، مقدار ثابت ؛

(٢) ان مبلغ الاجور الفعلية ، اي الاجور المحسوبة بكمية
السلع التي يمكن شراؤها بها ، هو مبلغ لا يتغير ، هو مقدار ثابت .
ان تأكيده الاول واضح الخطأ فانتم تعلمون ان قيمة
الإنتاج ومجموعه يرتفعان من عام لآخر ، وان قوة العمل الوطني
الإنتاجية تنمو ، اما كمية النقود اللازمة لتداول هذا الإنتاج
المتزايد فانها تتغير باستمرار فما هو صحيح بالنسبة للسنة
كلها وبالنسبة لمختلف السنوات لدى المقارنة فيما بينها ،
صحيح ايضا بالنسبة لكل يوم على حدة من ايام السنة ان
مجموع او مقدار الإنتاج الوطني يتغير باستمرار . فليس بمقدار
ثابت ، بل مقدار متغير ، ولا بد - حتى بصرف النظر عن تغير
عدد السكان - ان يكون مقدارا متغيرا تبعا للتغيرات المستمرة
في تراكم رأس المال وفي قوة العمل الإنتاجية وصحيح تماما
انه اذا ما حدث ذات يوم ارتفاع في المستوى العام للاجور ،
فان هذا الارتفاع بعد ذاته ، مهما تكن نتائجه اللاحقة ، ليس
من شأنه ان يحدث مباشرة تغيرا في مجموع الإنتاج . فمن شأنه
بادئ الامر ان يجري على اساس وضع الامور القائم . ولكن

اذا كان الانتاج الوطني مقداراً متغيراً ، لا ثابتاً ، قبل ارتفاع الاجور ، فانه سيكون متغيراً ، لا ثابتاً ، بعد هذا الارتفاع ايضا . ولكن ، لنفترض ان مجموع الانتاج الوطني هو مقدار غير متغير ، بل ثابت فحتى في هذه الحال يظل ما يعتبره صديقنا ويسطن استنتاجاً منطقياً مجرد تأكيد باطل فاذا كان لدينا عدد محدد ، لنقل ثمانية ، فان الحدود المطلقة لهذا العدد لا تمنع اجزاءه من تغيير حدودها النسبية فاذا كانت الارباح ستة والاجور اثنين ، فان الاجور يمكن ان ترتفع الى ستة ، والارباح يمكن ان تهبط الى اثنين ، بيد ان مجموع المبلغ يظل ثمانية وبالتالي فان ثبات مجموع الانتاج لا يبرهن البتة ان مبلغ الاجور يجب ان يظل ثابتاً ايضا فكيف يقيم اذن صديقنا ويسطن البرهان على ثبات مبلغ الاجور ؟ انه يؤكد مجرد تأكيد ولكن حتى اذا نحن قبلنا بتأكيد ، فانه ينبغي ان يكون صحيحاً بالنسبة للاتجاهين ، في حين ان المواطن ويسطن يقصره على العمل في اتجاه واحد فقط فاذا كان مبلغ الاجور مقداراً ثابتاً ، فليس يمكن رفعه ولا خفضه اي انه اذا كان مسلك العمال في نضالهم من اجل زيادة موقته في الاجور ، يتسم بحماقة ، فان هذه الحماقة لا تقل عنها الحماقة التي يقترفها الرأسماليون ، اذ يسعون وراء تخفيض موقت للاجور وصديقنا ويسطن لا ينكر ان العمال في ظروف معينة يستطيعون اجبار الرأسماليين على رفع الاجور ؛ الا انه لما كان مبلغ الاجور يمثل في نظره مقداراً ثابتاً بطبيعته ، فلا بد ، في رأيه ، ان يعقب هذا رد فعل . وهو ، من جهة اخرى ، يعلم ايضا ان الرأسماليين يستطيعون بالقوة اجراء تخفيضات للاجور ، وهم بالفعل يحاولون القيام بذلك بدون انقطاع . وبموجب مبدأ ثبات الاجور ، لا بد في هذه

الحال ان يعقب ذلك رد فعل لا يقل عما في الحالة السابقة فالعمال اذن على حق في الوقوف في وجه محاولات تخفيض الاجور او في وجه تخفيضها فعلا وهم بالتالي على حق في السعي وراء **زيادة في الاجور** ، اذ ان كل رد فعل ضد تخفيض الاجور هو فعل لصالح زيادتها اذن ، لا بد للعمال في ظروف معينة وبناء على المبدأ نفسه الذي يقول به المواطن ويسطن بشأن **ثبات الاجور** ، ان يتحدوا ويناضلوا في سبيل زيادة الاجور

واذا كان المواطن ويسطن يرفض هذا الاستنتاج ، فلزام عليه ان يتخلى ايضا عن المقدمة التي يصدر عنها هذا الاستنتاج وعليه في هذه الحال ان يتحدث لا عن كون مبلغ الاجور **مقدارا ثابتا** بل عن كونه ، مع انه لا يمكن ولا يجب ان **يرتفع** ، يمكن ويجب ان **ينخفض** كلما طاب للرأسمال تنزيله فاذا طاب للرأسمالي ان يطعمكم بدل اللحم البطاطا ، وبدل الخبز الابيض خبز الشوفان ، فلزام عليكم ان تأخذوا بارادته كقانون في الاقتصاد السياسي وان تخضعوا لها . واذا كان مستوى الاجور في بلد اعلى منه في بلد آخر ، في الولايات المتحدة ، مثلاً ، اعلى منه في انجلترا ، فلزام عليكم ان تفسروا هذا الاختلاف في مستويات الاجور باختلاف الرغبات لدى الرأسماليين الاميركيين والانجليز ، -وهي طريقة من شأنها ، بلا شك ، ان تبسط الى درجة خارقة لا دراسة الظواهر الاقتصادية وحسب ، بل جميع الظواهر الاخرى ايضا

بيد ان في وسعنا ، حتى في هذه الحال ، ان نسأل : **ما السبب** في ان رغبة الرأسمالي الاميركي تختلف عن رغبة الرأسمالي الانجليزي ؟ وللإجابة عن هذا السؤال ، ينبغي لنا ان نخرج من **ميدان الرغبات** . قد يقول كاهن ان الله يريد في فرنسا شيئا وفي

انجلترا شيئاً اخر واذا ما طلبت منه ان يفسر لي هذه الثنائية في الرغبات ، فقد تكفيه الوقاحة لاجابتي بان الله يروق له ان تكون لديه رغبة في فرنسا ، واخرى في انجلترا ولكن ما من شك في ان صديقنا ويسطن لن يلجأ الى مثل هذه الحجة القائمة على النفي الكامل لكل تفكير سليم

اكيد ان الرأسمالي يوجب في اخذ اكثر ما يمكن بيد ان مهمتنا ليست التحدث عن رغباته ، بل دراسة قدرته ، وحدود هذه القدرة ، وطابع هذه الحدود .

٢ . الانتاج والاجور والارباح

لقد كان يمكن لفحوى التقرير الذي تلاه علينا المواطن ويسطن ان يحشر في قشرة جوزة .

فان كل حججه قد انتهت الى ما يلي اذا ما ارغمت الطبقة العاملة الطبقة الرأسمالية على ان تدفع لها بشكل اجور نقدية خمسة شلنات ، بدلا من اربعة ، فان الرأسمالي سيرد للعامل بشكل بضائع ما قيمته اربعة شلنات بدلا مما قيمته خمسة . واذا ذاك يكون على الطبقة العاملة ان تدفع خمسة شلنات ثمنها لما كانت تشتريه باربعة شلنات قبل زيادة الاجور ولكن لماذا يجب ان يحدث ذلك ؟ لماذا لا يعطي الرأسمالي مقابل خمسة شلنات غير ما قيمته اربعة شلنات ؟ لأن مبلغ الاجور ثابت ثباتا راسخا . ولكن ما السبب في انه محدد ببضائع قيمتها اربعة شلنات ؟ وما السبب في انه غير محدد ببضائع قيمتها ثلاثة شلنات او اثنان ، او مبلغ ما آخر ؟ واذا كانت حدود مبلغ الاجور مقررة بقانون اقتصادي ما ، غير تابع لا لارادة الرأسمالي ولا لارادة العامل ، فقد كان على

المواطن ويسطن ان يعمد قبل كل شيء الى عرض هذا القانون والبرهنة عليه وكان عليه ، من بعد ، ان يبرهن على ان مبلغ الاجور المدفوع فعليا في كل مرحلة زمنية معينة متفق دائما تمام الاتفاق والمبلغ الضروري للاجور ولا يحيد عنه ابداً ومن جهة اخرى ، اذا كانت الحدود المعينة لمبلغ الاجور متعلقة **بارادة** الرأسمالي **وحدها فقط** او بحدود طمعه ، فان هذه حدود كيفية ، لا تنطوي على اي شيء ضروري ، وقد تتغير حسب ارادة الرأسمالي ، وبالتالي يمكن ان تتغير ونغم ارادته ايضا

وقد ارفق المواطن ويسطن نظريته بالمثال التالي اذا كان ثمة قصعة تحتوي على كمية معينة من الحساء مخصصة لعدد معين من الاشخاص ، فليس من شان الزيادة في مقياس الملاقح ان تزيد هذه الكمية فليسمح لي بان اشير الى ان هذا المثال سخيف بما فيه الكفاية انه يذكرني بعض الشيء بالمقارنة التي استعملها مانينيوس اغريبا فحين اضرب السوق في روما ضد الوجهاء ، قال لهم الوجيه اغريبا ان البطن الوجيه يغذي الاعضاء السوق لجسد الدولة بيد ان اغريبا لم ينجح في البرهنة على ان في الوسع تغذية اعضاء انسان بملء معدة آخر والمواطن ويسطن قد نسي ، من جهته ، ان القصعة التي ياكل منها العمال تحتوي على كل منتوج العمل الوطني ، وان ما يمنهم من اخذ المزيد ليس صفر حجم القصعة ولا ضالة محتواها ، بل صفر مقياس ملاعقهم فقط

فباية حيلة يتمكن الرأسمالي من اعطاء ما قيمته اربعة شلنات مقابل خمسة ؟ برفع اسعار البضائع التي يبيعها . ولكن هل رفع الاسعار او ، بعبارة اهم ، تبدل اسعار البضائع ، متعلق ، وهل اسعار البضائع نفسها متعلقة بارادة الرأسمالي وحدها فقط ؟

ام انه لا بد ، بالعكس ، من ظروف معينة لكي تتحقق هذه الارادة ؟ واذا لم تكن ثمة حاجة لهذه الظروف ، فان رفع او خفض اسعار السوق ، تبدلها المستمر يغدو لغوا لا حل له وما دمنا نفترض انه لم يحدث اي تبدل لا في قوة العمل الانتاجية ولا في كمية رأس المال والعمل المبذولين ، ولا في قيمة النقود التي بها تقدر قيمة الانتاج بل حدث تبدل في مستوى الاجور فقط ، فكيف يمكن لارتفاع الاجور هذا ان يؤثر على اسعار البضائع ؟ ان السبب في تأثيره عليها هو فقط لانه يؤثر على النسبة الفعلية بين الطلب على هذه البضائع وبين عرضها صحيح تماما ان الطبقة العاملة ، اجمالا ، تنفق دخلها ولا بد ان تنفقه على الحاجات ذات الضرورة الاولى ولهذا يؤدي الارتفاع العام في مستوى الاجور الى ازدياد الطلب على الحاجات ذات الضرورة الاولى ، وبالتالي الى ارتفاع اسعارها في السوق فالراسماليون ، المنتجون لهذه الحاجات ، يعرضون عن زيادة الاجور التي يدفعونها بارتفاع اسعار بضائعهم في السوق . ولكن كيف يجري الامر بالنسبة للراسماليين الآخرين ، الذين لا يصنعون الحاجات ذات الضرورة الاولى ؟ ليس ينبغي الظن بان امثال هؤلاء الراسماليين قليلون . واذا ما اخذتم بعين الاعتبار ان ثلثي النتاج الوطني يستهلكهما خمس السكان - وقد أكد مؤخرا احد اعضاء مجلس العموم انهما يستهلكان من قبل سبع السكان فقط - فانكم تدركون اي قسم ضخم من النتاج الوطني يجب ان ينتج بشكل حوائج الترف او ان يستعاض عنها واية كمية ضخمة من الحاجات ذات الضرورة الاولى لا بد ان تكون مبددة على الخدم ، والخيول ، والقطط ، وهلم جرا . وهذا التهديد ، كما

نعرف بالتجربة ، يتعرض على الدوام ، لدى ارتفاع اسعار الحاجات ذات الضرورة الاولى ، لتضييق هام فكيف ستكون حال الرأسماليين الذين لا ينتجون الحاجات ذات الضرورة الاولى ؟ انهم لن يستطيعوا ، وقد ادى الارتفاع العام للاجور الى هبوط معدل الربح ، ان يعتاضوا برفع اسعار بضائعهم ، ما دام الطلب على هذه البضائع لم يرتفع ان دخلهم ينقص ، ناهيك بان عليهم ان يدفعوا بهذا الدخل الناقص ثمنًا اكبر للكمية نفسها من الحاجات ذات الضرورة الاولى التي غلت اسعارها وليس هذا بكل شيء فما دام دخلهم قد نقص ، فسيكون عليهم ايضا ان يخفضوا نفقاتهم على حوائج الترف ، وهكذا يقل طلبهم بالمقابل على بضائعهم هم ومن شأن هذا النقص في الطلب ان يخفض اسعار بضائعهم اذن ، ان معدل الربح ، في هذه الفروع من الصناعة ، يهبط ليس فقط من جراء الارتفاع العام ذاته في مستوى الاجور ، بل كذلك تحت تأثير المفعول المشترك للارتفاع العام في الاجور وازدياد اسعار الحاجات ذات الضرورة الاولى وهبوط اسعار حوائج الترف

فماذا ستكون عاقبة هذا الاختلاف في معدلات الارباح على الرأسمال الموظفة في مختلف فروع الصناعة ؟ انها العاقبة نفسها ، بالطبع ، كما في جميع الحالات ، حين تحدث لسبب ما فروق في المعدلات الوسطية للارباح في مختلف قطاعات الانتاج فان رأس المال والعمل ينقلان من الفروع الاقل ربحية الى الفروع الاكثر ربحية ، وتستمر عملية النقل هذه الى ان يزداد العرض في فرع من فروع الصناعة وفقا للطلب المتزايد ، وينخفض في الفروع الاخرى من الصناعة وفقا للطلب المتناقص وبمجرد حدوث هذا التبدل يتعادل معدل الربح من جديد في مختلف فروع الصناعة .

ولما كان هذا التبدل كله قد نجم في الاصل من مجرد تبدل في النسب بين العرض والطلب لمختلف البضائع ، فبعد زوال العلة يتوقف معلولها ايضا ، وتعود الاسعار الى مستواها وتوازنها السابقين . ان هبوط معدل الربح ، الناجم من ارتفاع الاجور ، لا ينحصر في بضعة فروع من الصناعة ، بل يصبح شاملا وبموجب فرضيتنا ، لا يحدث اي تغير لاني قوة العمل الانتاجية ولا في المجموع العام للانتاج ، بل يتغير شكل هذا المجموع المعين من الانتاج ويكون القسم الاكبر من الانتاج مجسداً الآن بشكل حاجات ذات ضرورة اولية ، والقسم الاصغر بشكل حوائج ترف ، او ، وهو نفس الشيء ، يستبدل القسم الاصغر بحوائج ترف واردة من الخارج ويستهلك بالتالي اكثر بشكله البدائي ، او ، بتعبير آخر ، يستبدل القسم الاكبر من انتاج البلاد بحاجات ذات ضرورة اولية واردة من الخارج بدلا من حوائج الترف وعلى هذا فان الارتفاع العام لمستوى الاجور ليس من شأنه ان يؤدي ، بعد تقلبات موقته في اسعار السوق ، الا الى هبوط عام في معدل الربح ، الا انه لا يؤدي الى تبدل دائم ما في اسعار البضائع

واذا قيل لي اني ، في التدليل السابق ، انطلق من الفرضية القائلة بان كل زيادة الاجور تنفق على الحاجات ذات الضرورة الاولى ، اجيب باني قد افترضت اكثر الفرضيات ملائمة لآراء المواطن ويسطن فاذا كانت زيادة الاجور قد انفقت على حاجات لم تكن في السابق داخلة في استهلاك العمال ، فلا يكون ثمة من داع للبرهنة على الازدياد الفعلي في قدرة العمال الشرائية بيد انه لما لم تكن هذه الريادة في القدرة الشرائية لدى العمال الا نتيجة لارتفاع اجورهم ، فلا بد ان تكون متطابقة تماما مع تدني القدرة الشرائية لدى الرأسماليين . ولهذا لا تكون ثمة زيادة في الطلب الاجمالي

على البضائع ، بل يكون ثمة تغير في الاجزاء التي يتألف منها هذا الطلب . والطلب الزائد على جهة يتعوض بالطلب الناقص على الجهة الاخرى . ولما كان المجموع العام للطلب يظل ، على هذا النحو ثابتاً ، فليس يمكن ان يحدث اي تغير ايضا في اسعار البضائع في السوق

وهكذا نواجه الامر التالي ذا الحدين اما ان تكون زيادة الاجور منفقة بالتساوي على جميع الحاجات الاستهلاكية - وفي هذه الحال يجب ان يتعوض ازدياد الطلب من قبل الطبقة العاملة بانخفاض الطلب من قبل طبقة الرأسماليين ، - واما ان يكون اتفاق زيادة الاجور مقتصرًا على بعض الحاجات التي ترتفع اسعارها في السوق مؤقتًا واذ ذاك يؤدي ارتفاع معدل الربح الناجم عن ذلك في بضعة فروع من الصناعة والهبوط المتطابق معه لمعدل الربح في فروع اخرى الى تبدل في توزيع رأس المال والعمل تبدلاً سيظل مستمراً الى ان يزداد العرض في بعض فروع الصناعة وفقاً للطلب المتزايد ، وينخفض في الفروع الاخرى من الصناعة وفقاً للطلب المتناقص في الفرضية الاولى لن يحدث اي تبدل في اسعار البضائع ؛ وفي الثانية ، ستعود قيم تبادل البضائع ، بعد بضعة تقلبات في اسعار السوق ، الى الاستقرار في مستواها السابق وفي كلتا الفرضيتين لن يؤدي الارتفاع العام في مستوى الاجور ، آخر الامر ، الى اية نتيجة سوى الهبوط العام في معدل الربح

ورغبة في التأثير على خيالكم ، دعاكم المواطن ويسطن الى التفكير في الصعوبات التي تنجم عن الارتفاع العام في اجور العمال الزراعيين الانجليز من ٩ الى ١٨ شلنًا فقد صاح قائلاً فكروا فقط بالارتفاع الهائل في الطلب على الحاجات ذات الضرورة

الاولية وبما ينجم من ذلك من صعود ضخم في الاسعار ! وانتم جميعا تعلمون ان متوسط اجور العمال الزراعيين الاميركيين يزيد اكثر من مئة بالمئة عن متوسط اجور العمال الزراعيين الانجليز ، مع ان اسعار المنتجات الزراعية ادنى في الولايات المتحدة منها في المملكة المتحدة ، ومع ان العلاقات العامة بين رأس المال والعمل في الولايات المتحدة مثلما هي في انجلترا ، ومع ان مجموع المنتجات السنوية في الولايات المتحدة اقل كثيراً منه في انجلترا . فلماذا يقرع صديقنا جرس الانذار ؟ لمجرد التهرب من المسألة الفعلية الموضوعة امامنا . ان زيادة فجائية للاجور من ٩ الى ١٨ شلناً من شأنها ان تعني زيادة فجائية لها بمقدار ١٠٠ بالمئة بيد اننا لا نناقش البتة مسألة ما اذا كان المستوى العام للاجور يمكن ان يرتفع في انجلترا فجأة بنسبة ١٠٠ بالمئة فليس علينا على العموم ان نهتم بمقابلة هذه الزيادة التي لا بد ان تكون ، في كل حالة محددة ، متعلقة بظروف معينة ومتطابقة معها والامر الوحيد الذي ينبغي لنا ان نستوضحه انما هو المفعول الذي سيحدثه الارتفاع العام لمستوى الاجور ، ولو كان هذا الارتفاع لا يتجاوز واحداً بالمئة

وهكذا فاني ، اذ اطرح جانباً الارتفاع الخيالي للاجور بنسبة ١٠٠ بالمئة الذي اخترعه صديقنا ويسطن ، الفت انتباهكم الى الارتفاع الفعلي للاجور الذي جرى في بريطانيا العظمى في المرحلة ما بين عامي ١٨٤٩ و ١٨٥٩

انكم جميعاً على علم بقانون العشر ساعات ، او بالاصح العشر ساعات والنصف ليوم العمل (١٢) ، الذي صدر في عام ١٨٤٨ انه واحد من اكبر التبدلات الاقتصادية التي عشناها وقد كان معنى هذا للقانون زيادة فجائية وقهرية للاجور ، لا

في بضعة من الحرف المحلية ، بل في الفروع الصناعية الرئيسية التي تعتمد عليها إنجلترا في السيطرة على السوق العالمية وكانت تلك زيادة للاجور في ظروف غير مواتية الى درجة خارقة وقد برهن الدكتور يور ، والبروفسور سينيور والاقتصاديون الآخرون جميعاً ، المعبرون الرسميون عن مصالح البرجوازية ، - ولا بد لي من القول بانهم قد برهنوا بحجج اقوى كثيراً من حجج صديقنا ويسطن - على ان هذا القانون نعي للصناعة الانجليزية وقد برهنوا ان الامر هنا ليس مجرد زيادة للاجور بل زيادة لها ناجمة عن نقصان في كمية العمل المبدول وقائمة على اساس هذا النقصان وزعموا ان الساعة الثانية عشرة التي يراد اقتطاعها من الرأسماليين هي بالضبط الساعة الوحيدة التي كانوا يستدرون منها ارباحهم وهولوا بتناقض تراكم الرأسمال ، وبارتفاع الاسعار ، وفقدان الاسواق ، وانخفاض الانتاج ، وبما سينجم عن ذلك من هبوط في الاجور ومن الخراب التام . بل لقد صرحوا بان قوانين ماكسيميليان روبسبير عن الحد الاقصى (١٣) نافذة بالنسبة لهذا القانون ، وكانوا الى حد ما على حق فماذا كانت نتيجة الامر ؟ كانت ارتفاعاً في الاجور النقدية لعمال المعامل برغم انخفاض يوم العمل ؛ وزيادة هامة في عدد العمال المشتغلين في المعامل ؛ وانخفاضاً مستمراً في اسعار منتجاتها ؛ وتطوراً رائعاً في القوة الانتاجية لعمال المعامل ؛ وتوسعاً رائعاً منقطع النظير يستمر على الدوام لسوق بضائع المعامل وفي عام ١٨٦١ ، سمعت السيد نيومان يعترف في اجتماع جمعية المساعدة على تقدم العلم ، في مانشستر بانه هو ، والدكتور يور ، وسينيور ، وجميع الممثلين الرسميين الآخرين للعلم الاقتصادي قد اخطاوا بينما ظهرت غريزة الشعب على صواب ، ولست اتكلم

عن البروفسور فرانسيس نيومان ، بل عن السيد وليام نيومان (١٤) الذي يشغل في علم الاقتصاد مكانا رفيعا كشرىك في التأليف وناشر **«تاريخ الاسعار»** للسيد **توماس توك** ، هذا الكتاب الرائع الذي يتتبع تاريخ الاسعار من عام ١٧٩٣ الى عام ١٨٥١ ولو ان الفكرة الثابتة لدى صديقنا ويسطن عن مبلغ ثابت للاجور ، ومجموع ثابت للانتاج ، ومستوى ثابت لقوة العمل الانتاجية ، واردة ثابتة لدى الرأسماليين ، وجميع ما لديه من ثابت ونهائي ، كانت صحيحة لكنت صحيحة التنبؤات المشؤومة لدى البروفسور سينيور ، ولكن على الخطا روبرت اوين الذي كان اعلن في عام ١٨١٥ ان التحديد العام ليوم العمل هو الخطوة التمهيدية الاولى لتحرير الطبقة العاملة (١٥) ، والذي اقدم ، على مسؤوليته ، وبرغم سبق الظن الشائع ، على تطبيق هذا التحديد عمليا في معمله للغزل في نيو-لانارك

وفي الوقت الذي كان ينفذ فيه قانون العشر ساعات وحين كانت تجري زيادة الاجور الناجمة عنه ، حدث في بريطانيا العظمى ايضا ، لاسباب لا مجال لتعدادها هنا ، ارتفاع عام لاجور **العمال الزراعيين** .

ومع ان هذا لا يستدعيه غرضي المباشر ، فاني اود هنا تقديم بضع ملاحظات تمهيدية لكي لا تكون لديكم فكرة خاطئة

لو ان رجلا كان يتناول اجرة اسبوعية قدرها شلنان ، ثم ارتفعت اجرته الى اربعة شلنات ، فان **مستوى الاجرة** يكون قد ارتفع بنسبة ١٠٠ بالمئة فاذا ما نظر الى هذا الارتفاع في الاجرة من وجهة نظر ارتفاع **مستواها** ، لامكن ان يبدو ضخما ، الا ان **المقدار الفعلي للاجرة** ، وهو ٤ شلنات في الاسبوع ، يظل زهيدا تافها ، لا يضمن ولا يغني من جوع . ولذلك ليس ينبغي

ان يبهركم طنين النسبة المئوية لارتفاع مستوى الاجرة ان علينا دائماً ان نسال ماذا كان مقدارها **الاولي**

ثم انه ليس يصعب على المرء ان يدرك انه اذا كان ثمة عشرة عمال يتناول كل منهم شلنين في الاسبوع ، وخمسة عمال يتناول كل منهم خمسة شلنات ، وخمسة آخرون يتناول كل منهم ١١ شلناً ، فان هؤلاء العشرين شخصاً يتناولون معاً ١٠٠ شلن في الاسبوع ، او خمس ليرات سترلينية . واذا ما ارتفع المبلغ **الاجمالي** لاجرتهم الاسبوعية بعد ذلك بنسبة ٢٠ بالمئة ، مثلاً ، فانه ينتقل من خمس الى ست ليرات سترلينية . واذا ما اخذ الوسطي ففي الوسع القول ان **المستوى العام** للاجرة قد ارتفع بنسبة ٢٠ بالمئة ، وان تكن الاجرة الفعلية لعشرة عمال قد بقيت على حالها ، واجرة المجموعة المؤلفة من خمسة عمال لم ترتفع الا من ٥ الى ٦ شلنات لكل منهم ، ومبلغ اجرة المجموعة الاخرى المؤلفة من خمسة عمال ارتفع من ٥٥ الى ٧٠ شلناً فلا يكون قد طرأ اي تحسن على وضع سف العمال ، ويكون وضع ربهم قد تحسن تحسناً بالغ التفاهة ، ولا يكون قد طرأ تحسن فعلي الا على وضع الربع الباقي . بيد اننا اذا اخذنا **المقادير الوسطية** ، يكون المبلغ الاجمالي لاجرة هؤلاء العمال العشرين قد ارتفع بنسبة ٢٠ بالمئة ، وبمقدار ما يتعلق الامر بكل الراسمال الذي يستخدم هؤلاء العمال واسعار البضائع التي ينتجونها ، فان الامر يبدو هنا تماماً كما لو ان متوسط زيادة الاجرة يخص جميع العمال بمقدار متساو . وفي المثال المشار اليه بشأن العمال الزراعيين ، اللذين تختلف مستويات اجورهم كل الاختلاف في مختلف مقاطعات انجلترا واسكتلنده ، تجلى ارتفاعها بالنسبة للعمال على نحو جد متباين .

واخيراً ، ان جملة من الوقائع ، كالضرائب الجديدة التي استدعتها الحرب ضد روسيا (١٦) ، وهدم مساكن العمال الزراعيين بالجملة (١٧) ، وهلم جراً ، كان لها تأثيرات معاكسة في الوقت الذي جرت فيه هذه الزيادة للاجور

وبعد هذه الملاحظات التمهيدية الكثيرة اشير الى ان المستوى الوسطي لاجور العمال الزراعيين في بريطانيا العظمى ارتفع قرابة ٤٠ بالمائة فيما بين عامي ١٨٤٩ و ١٨٥٩ . وقد كان في وسعي ان اقدم مواد واسعة ومسهبه تأييداً لهذا ، الا اني اعتقد انه يكفي ، من اجل الغاية التي استهدفها ، ان احيلكم الى الدراسة الانتقادية الرصينة التي قدمها في عام ١٨٥٩ المرحوم السيد جون تشالهرس مورتون الى جمعية الفنون والحرف (١٨) بلندن في موضوع «**القوى المستغنىة في الزراعة**» فالسيد مورتون يقدم فيها معطيات مستخلصة من الفواتير وغيرها من الوثائق الحقيقية التي جمعها من قرابة مئة مزارع من ١٢ مقاطعة من مقاطعات اسكتلنده و ٣٥ مقاطعة انجليزية

وبناء على وجهة نظر صديقنا ويسطن ، وبخاصة اذا ما اخذت بعين الاعتبار الزيادة التي طرات في الوقت نفسه على اجور عمال المعامل ، كان ينبغي ان تكون قد حدثت فيما بين عامي ١٨٤٩ و ١٨٥٩ زيادة ضخمة في اسعار المنتجات الزراعية . فما الذي حدث بالفعل ؟ برغم الحرب ضد روسيا والمواسم السيئة المتعاقبة في سنوات ١٨٥٤-١٨٥٦ ، هبط متوسط سعر القمح ، المنتج الزراعي الرئيسي في انجلترا ، من قرابة ثلاث ليرات سترلينية للمكيال . في سنوات ١٨٢٨-١٨٤٨ الى

* المقصود الكارتر الانجليزي ، ٢٩٠ ليتراً . انظر .

قراية ليرتين و ١٠ شلنات للمكيال في سنوات ١٨٤٩-١٨٥٩ ويعني هذا ان سعر القمح قد هبط بنسبة تزيد عن ١٦ بالمئة الى جانب ارتفاع في الوقت نفسه لمتوسط اجور العمال الزراعيين بنسبة ٤٠ بالمئة وفي هذه المدة نفسها ، اذا ما قارنا بين نهايتها وبدايتها ، اي بين عامي ١٨٥٩ و ١٨٤٩ هبط عدد المعدمين المسجلين رسميا من ٩٣٤٤١٩ شخصا الى ٨٦٠٤٧٠ شخصا ، اي مقدار ٧٣٩٤٩ شخصا وانا اوافق على ان هذا النقصان تافه جداً ، وقد تلاشى في السنوات اللاحقة ، ومع ذلك فهو نقصان

وفي الوسع القول انه على اثر الغاء قوانين الحبوب (١٩) ، ازداد استيراد الحبوب من الخارج اكثر من مئة بالمئة في المرحلة ما بين عامي ١٨٤٩ و ١٨٥٩ بالمقارنة مع مرحلة ١٨٣٨-١٨٤٨ ولكن ماذا يستخلص من هذا ؟ من وجهة نظر المواطن ويسطن ، كان ينبغي توقع ان يؤدي هذا الطلب المفاجي الهائل والمتزايد ابدأ في الاسواق الخارجية الى ارتفاع اسعار المنتجات الزراعية الى درجة هائلة ، ما دام مفعول الطلب المتزايد يظل على حاله ، بصرف النظر عما اذا كان هذا الطلب من خارج البلاد ام من داخلها . فما الذي حدث بالفعل ؟ ان الهبوط المدمر لاسعار الحبوب كان خلال كل هذه المدة ، فيما عدا بضع سنوات سيئة المحصول ، موضع شكوى مستمرة في فرنسا ، واضطر الاميريكيون مراراً لحرق الفائض من منتجاتهم ، اما روسيا فانها ، اذا صدقنا السيد اوركارت ، قد شجعت الحرب الاهلية في الولايات المتحدة (٢٠) لأن المزارحة من جانب اليانكي كانت تقوض تصدير منتجاتها الزراعية الى الاسواق الأوروبية .

ان تحليل المواطن ويسطن اذا ما اوصل الى شكله التجريبي من شأنه ان يؤول الى ما يلي : كل ازدياد في الطلب يحدث دائما على اساس مجموع معين من الانتاج . ولذلك فليس يمكن ابدا ان يزيد من عرض البضائع المطلوبة ، بل يمكن فقط ان يزيد من اسعارها النقدية . بيد ان ابسط ملاحظة تبين ان الطلب المتزايد لا يغير البتة على العموم ، في بعض الحالات ، اسعار البضائع في السوق ، اما في حالات اخرى فانه يؤدي فقط الى ارتفاع اسعار السوق ارتفاعا عابرا ، يعقبه ازدياد في العرض وهذا الازدياد في العرض يؤدي الى هبوط الاسعار الى مستواها السابق ، وفي بعض الحالات الى ادنى من مستواها السابق وليس يغير من ظروف المسألة اي تغيير ان تكون زيادة الطلب بفعل ارتفاع الاجور او اي سبب آخر . ومن وجهة نظر المواطن ويسطن كانت هذه الظاهرة العامة صعبة التفسير كتلك الظاهرة الناشئة عن الظروف الاستثنائية ، عند ارتفاع الاجور ولذلك فان تحليله لا يبرهن على شيء البتة في المسألة التي هي موضع بحثنا انه يعبر فقط عن هجر المواطن ويسطن عن تلمس القوانين التي بموجبها يؤدي ازدياد الطلب الى ازدياد العرض ، الا انه لا يؤدي البتة الى ارتفاع حتمي لاسعار السوق .

٢ . الاجور والنقود

في اليوم الثاني من المناقشات البس صديقنا ويسطن تأكيداته القديمة امكالا جديدة . فقد قال : امر الارتفاع العام في الاجور النقدية سيحتاج الامر الى مزيد من النقود لدفع هذه الاجور ولما كانت كمية النقد ثابتة ، فكيف يمكن بهذا المبلغ الثابت من

النقود دفع مبلغ نقدي اكبر للاجور ؛ في السابق كانت الصعوبة ناشئة من كون الكمية العائدة للعمال من البضائع ثابتة برغم ارتفاع اجورهم النقدية ؛ والآن تنشأ الصعوبة من ازدياد الاجور النقدية برغم ثبات كمية البضائع وطبيعي انكم اذا ما طرحتم المبدأ الاول للمواطن ويسطن ، فان الصعوبات الثانوية الناجمة منه تزول هي ايضا

واني لأبين لكم مع ذلك ان مسألة النقود هذه ليست لها اية علاقة البتة بالموضوع قيد البحث

ان نظام المدفوعات في بلادكم اكثر اتقاناً لدرجة كبيرة منه في اي بلد آخر من بلدان اوروبا فبفضل اتساع وتركز نظامكم المصرفي ، يحتاج الامر الى عملة اقل كثيراً من اجل تداول المقدار نفسه من القيم ، ومن اجل القيام بالكمية نفسها من الصفقات او باكثر منها ففيما يتعلق بالاجور ، مثلاً ، تجري الامور هكذا يعطي عامل المعمل الانجليزي اجره كل اسبوع لصاحب الدكان ، فيسلمها هذا الى صاحب البنك كل اسبوع ، ويعيدها الاخير كل اسبوع الى صاحب المعمل الذي يدفعها من جديد لعماله ، وهكذا دواليك وبفضل هذا النظام يمكن لاجرة العامل السنوية ، ولنقل انها ٥٢ ليرة سترلينية ، ان تدفع بليرة سترلينية واحدة وحيدة تدور اسبوعياً في الحلقة ذاتها بيد ان هذا النظام اقل كمالات في انجلترا نفسها مما هو في اسكتلنده ؛ وهو لم يبلغ في كل مكان الاتقان نفسه ، ولذلك فاننا نلاحظ ، مثلاً ، ان الامر في بعض المناطق الزراعية ، بالمقارنة مع المناطق الصناعية المحض ، يتطلب عملة اكثر كثيراً لتداول كمية من القيم اقل كثيراً .

واذا ما اجتزمت المانش ، فسيتمين لكم ان الاجور النقدية في القارة ادنى كثيراً مما هي في انجلترا ، بيد ان دفعها في المانيا ، وايطاليا ، وسويسرا ، وفرنسا ، يجري بواسطة مبلغ من النقود اكبر كثيراً . وهناك لا يتلقف صاحب البنك الليرة ذاتها بالسرعة نفسها ولا يردّها الى الراسمالي الصناعي بالسرعة نفسها ، ولذلك فان دفع اجرة نقدية سنوية في القارة قدرها ٢٥ ليرة سترلينية قد يحتاج الى ثلاث ليرات بدلا من الليرة التي يحتاج اليها في انجلترا من اجل تداول ٥٢ ليرة سترلينية سنويا . واذا ما قارنتم من هذه الناحية بين بلدان القارة وبين انجلترا لتبين لكم على الفور ان اجورا نقدية منخفضة قد تتطلب احيانا لتدولها نقودا اكثر كثيراً مما تتطلب اجور نقدية عالية ، وان هذه عمليا مسألة فنية محض لا علاقة لها البتة بموضوعنا

وبناء على احسن الحسابات ، التي اعرفها ، يمكن تقدير الدخل السنوي للطبقة العاملة في انجلترا بـ ٢٥٠ مليون ليرة سترلينية . وهذا المبلغ الضخم يجري دفعه بواسطة حوالي ثلاثة ملايين ليرة . فلنفترض حدوث ارتفاع في الاجور بنسبة ٥٠ بالمئة . واذا ذلك يقتضي الامر ، بدلا من هذه الثلاثة ملايين ليرة اربعة ملايين ونصف المليون . ولما كان قسم هام من نفقات العامل اليومية يدفع بقطع فضية ونحاسية - اي بمجرد رموز نقدية تحدد قيمتها بالنسبة للذهب تحديداً كفيلاً بموجب القانون ، كما تحدد قيمة العملة الورقية غير القابلة للفك - فان زيادة بنسبة ٥٠ بالمئة على الاجور النقدية من شأنها ان تتطلب في اسوأ حال زيادة تداول قطع الليرات الذهبية ، مثلاً ، بمقدار مليون ليرة . فيدخل في التداول مليون وهو الآن بشكل سبائك او عملة في اقبية بنك انجلترا او البنوك الخاصة . بيد ان في الوسخ

تفادي حتى تلك النفقات الزهيدة المتصلة بسك هذا المليون او التلف اثناء التداول لهذا المليون الاضافي وانه ليتم تفاديها فعلا في حال ما اذا كانت ستنتج صعوبة ما عن استكمال العملة المتداولة . وتعلمون جميعا ان العملة المتداولة في إنجلترا تتكون من نوعين كبيرين احدهما مؤلف من شتى انواع النقود الورقية ويستخدم في الصفقات بين التجار وكذلك في المدفوعات الكبيرة بين المستهلكين والتجار ؛ في حين ان النوع الآخر من النقود المتداولة ، وهو العملة المعدنية ، يجري تداوله في تجارة المفرق وهذان النوعان من النقود يتمازجان على الرغم من اختلافهما فحتى في المدفوعات الهامة تستخدم العملة الذهبية بنسبة كبيرة في دفع المبالغ المجزأة التي تقل عن خمس ليرات سترلينية واذا ما صدرت غداً نقود ورقية بربع ليرات او ثلاث او اثنتين ، فان الذهب الذي يملأ الآن اقنية التداول هذه سيبعد عنها في الحال ويتجه نحو الاقنية التي تدعو فيها الحاجة اليه نتيجة لزيادة الاجور النقدية وعلى هذه الصورة سيتم الحصول على المليون الاضافي الذي تتطلبه زيادة الاجور بنسبة ٥٠ بالمئة دون اضافة ليرة ذهبية واحدة ويمكن الحصول على المفعول نفسه دون زيادة كمية النقود الورقية وذلك عن طريق زيادة الحوالات المصرفية ، كما جرى ذلك في لانكشير خلال مدة طويلة جداً

واذا كان الارتفاع العام لمستوى الاجور - بنسبة ١٠٠ بالمئة مثلاً ، كما يفترض المواطن ويسطن لاجور العمال الزراعيين - يحدث ارتفاعاً شديداً في اسعار الحاجات ذات الضرورة الاولى واذا كان يتطلب ، بناء على رأي ويسطن ، كمية اضافة من النقد لا يمكن الحصول عليها ، فان انخفاضاً عاماً للاجور لا

بد ان يكون له المفعول نفسه وبالدرجة نفسها ، ولكن باتجاه معاكس طيب ! وانتم جميعاً تعلمون ان السنوات ١٨٥٨ - ١٨٦٠ كانت اكثر السنوات ازدهاراً لصناعة المنسوجات القطنية ، وان سنة ١٨٦٠ على وجه الخصوص لم يكن لها مثيل من هذه الناحية في حويلات التجارة ، والى جانب ذلك بلغت جميع الفروع الصناعية الاخرى في تلك المرحلة نفسها الازدهار الاكبر واجور عمال صناعة المنسوجات القطنية وعمال جميع الفروع الاخرى ذات الصلة بها كانت في عام ١٨٦٠ اعلى منها في اي وقت مضى ثم حدثت الازمة الاميركية ، واذا باجور هؤلاء العمال جميعاً تعود دفعة واحدة الى الربع تقريباً من مقدارها السابق وكان من شأن هذا ان يعني ، في الحال المعاكسة ، ارتفاعاً بنسبة ٣٠٠ بالمئة فاذا ما ارتفعت الاجور من ٥ الى ٢٠ نقول انها ارتفعت بنسبة ٣٠٠ بالمئة واذا ما انخفضت من ٢٠ الى ٥ نقول انها هبطت بنسبة ٧٥ بالمئة ولكن مقدار الارتفاع في احدى الحالتين ومقدار الانخفاض في الحالة الاخرى يكونان هما ، اي ١٥ شلناً . واذن فقد كان ذلك تغيراً مفاجئاً لم يسبق له مثيل في مستوى الاجور وقد شمل في الوقت نفسه عدداً من العمال يتجاوز ٥٠ بالمئة عدد العمال الزراعيين ، اذا نحن حسبنا لا العمال المشتغلين في صناعة المنسوجات القطنية وحسب ، بل كذلك العمال التابعين لها بصورة غير مباشرة . ولكن هل هبط سعر القمح ؟ كلا ، لقد ارتفع من مستواه الوسطي السنوي ومقداره ٤٧ شلناً و٨ بنسات للمكيال ، في السنوات الثلاث ١٨٥٨-١٨٦٠ ، الى المستوى الوسطي السنوي ومقداره ٥٥ شلناً و١٠ بنسات للمكيال ، اثناء السنوات الثلاث ١٨٦١-١٨٦٣ . اما فيما يتعلق بالنقد ، فان دار سلك العملة قد

اصدرت في عام ١٨٦١ عملة مقدارها ٨٦٧٢٢٢٢ ليرة سترلينية مقابل ٢٢٧٨١٠٢ ليرة سترلينية في عام ١٨٦٠ . وبتعبير آخر لقد اصدرت دار سك العملة ٥٢٩٥١٣٠ ليرة سترلينية في عام ١٨٦١ زيادة على عام ١٨٦٠ صحيح ان النقود الورقية المتداولة في عام ١٨٦١ كانت اقل بـ ١٢١٩٠٠٠ ليرة سترلينية مما في عام ١٨٦٠ فاذا طرحنا هذا المبلغ ، يظل مع ذلك فائض من النقد في عام ١٨٦١ ، بالمقارنة مع سنة ١٨٦٠ المزدهرة ، يساوي ٢٩٧٦١٢٠ ليرة سترلينية ، او قرابة اربعة ملايين ليرة سترلينية اما الاحتياطي من الذهب لدى بنك انجلترا ، فقد هبط في هذه المدة ، ان لم يكن بالنسبة نفسها ، فبنسبة تكاد تكون مساوية

ولنقارن بين عام ١٨٦٢ وعام ١٨٤٢ فيما عدا الزيادة الضخمة في قيمة وكمية البضائع المتداولة ، ارتفع ، في عام ١٨٦٢ ، الرأسمال المدفوع بصورة دائبة مستمرة مقابل الاسهم ، والسندات ، وغيرها ، ومقابل اسهم السكك الحديدية في انجلترا وويلز الى ٢٢٠ مليون ليرة سترلينية ، وهو مبلغ كان يمكن ان يبدو اسطوريا في عام ١٨٤٢ . ومع ذلك فان المبلغ الاجمالي للنقود المتداولة كان في عام ١٨٦٢ المبلغ نفسه تقريبا الذي كان في عام ١٨٤٢ وعلى العموم يلاحظ اتجاه نحو نقصان النقود الموجودة قيد التداول نقصانا مطردا ، برغم النمو الضخم لا في القيمة العامة للبضائع وحسب ، بل كذلك في ارقام جميع الصفقات النقدية وهذا ، من وجهة نظر صديقنا ويسطن ، لغز لا حل له

ولو انه بحث الامر بمزيد من العمق بعض الشيء لتبين له ان قيمة ومجموع البضائع المتداولة وكمية الصفقات النقدية

المعقودة هي ، على العموم ، في تغير كل يوم - حتى بصرف النظر تماما عن الاجور وحتى مع افتراض انها ثابتة ؛ وان كمية النقود الورقية المصدرة تتغير كل يوم ، وانه يتغير كل يوم مبلغ المدفوعات التي تجري بدون نقود ، عن طريق السندات ، والكمبيالات ، والحسابات الجارية ، وغرف المحاسبة ؛ وانه بمقدار ما تكون ثمة حاجة حقيقية الى العملة المعدنية تتغير كل يوم النسبة بين كمية النقود المتداولة ، من جهة ، واحتياطي العملات والسبائك الموجودة في اقبية البنوك من جهة اخرى ؛ وان مقدار الذهب الضروري للتداول الوطني ومقدار ما يصدر منه الى الخارج من اجل التداول الدولي يتغيران كل يوم ؛ ولكان ادرك ان عقيدته بشأن ثبات كمية النقود هي خطيئة نكراء متعارضة مع وقائع حياتنا اليومية . ولكن على المواطن ويسطن ان ينكب على دراسة القوانين التي تتيح للتداول النقدي ان يتكيف مع ظروف مستمرة التغير ، بدلا من ان يحول جهله قوانين التداول النقدي الى حجة ضد زيادة الاجور

٤ . العرض والطلب

ان صديقنا ويسطن يتبنى المثل اللاتيني *repetitio est mater studiorum* اي التكرار ابو التعلم ، ولذلك فهو يستأنف عقيدته الاولى بشكل جديد ، مؤكدا ان تناقص النقد الناجم عن زيادة الاجور لا بد ان يؤدي الى تناقص رأس المال ، الخ .. ولما كنا قد تكلمنا من تخيلاته بشأن النقود ، فاني ارى مما لا جدوى منه البتة ان اتناول بالتفصيل هذه المواقف المتخيلة التي تتفرع ، في رايه ، من هزات التداول النقدي التي اختلقها .

فأحرى ان احاول بصورة مباشرة الوصول بعقيدته - التي تظل دائما هي هي ، وان يكن يكررها بكل هذه الاشكال المتنوعة - الى صيافتها النظرية البسيطة

ان اسلوبه غير الانتقادي في معالجة موضوعه يتجلى للعيان من ملاحظة واحدة فقط انه معارض لزيادة الاجور ، او ضد الاجور العالية ، كنتيجة لزيادتها ولكني اساله ما هي الاجور العالية ، وما هي الاجور المنخفضة ؟ ولماذا ، مثلا ، تؤلف الخمسة ثلثات في الاسبوع اجرة منخفضة ، والعشرون ثلثا في الاسبوع اجرة عالية ؟ فاذا كانت الخمسة منخفضة بالنسبة للعفريين ، فالعشرون اشد انخفاضاً بالنسبة للمنتجين واذا ما القى احد محاضرة عن ميزان الحرارة ، فانه لا يعلمنا شيئا اذا ما راح يهرج الكلام عن الدرجات المنخفضة والدرجات العالية فعليه قبل كل شيء ان يقول كيف تحدد نقطة التجمد ونقطة الغليان ، وان يبين ان نقطتي الانطلاق هاتين تحددهما قوانين الطبيعة لا اهواء من يبيع ميازين الحرارة او من يصنعها اما المواطن ويسطن فقد عجز وهو يتناول الاجور والارباح عن استخلاص نقاط الانطلاق هذه من القوانين الاقتصادية ، بل هو لم يشعر حتى بضرورة البحث عنها انه يكتفي بتبني التعبيرين الشائعين في اوساط التافهين الضيقين الافق ، تعبيرى العالي والمنخفض كما لو ان لهما معنى محدداً بصورة دقيقة ، مع ان من الجلي تماما ان من غير الممكن وصف الاجور بانها عالية او منخفضة الا بموجب معيار ما يقاس به مقدارها

انه لا يستطيع ان يقول لي لماذا يدفع مقدار معين من النقود لقاء كمية معينة من العمل فاذا ما اجابني ان هذا يجري بموجب قانون العرض والطلب ، فاني لاساله على الفور :

وبموجب اي قانون ينتظم العرض والطلب هما بالذات ؟ ان جوابا من هذا القبيل من شأنه ان يضعه على الفور في مأزق فالنسب بين عرض العمل وطلبه خاضعة لتغيرات دائمة ، ومعها تتغير اسعار العمل في السوق فاذا ما تجاوز الطلب العرض ترتفع الاجور واذا ما تجاوز العرض الطلب تنخفض الاجور ، مع انه قد يكون من الضروري في ظروف من هذا القبيل تلمس الحالة الفعلية للطلب والعرض ، مثلا ، عن طريق اضراب او اية وسيلة اخرى ولكن اذا ما نظرت الى العرض والطلب كقانون ينظم الاجور ، فانه يكون من السخف والتفاهة مناهضة زيادة الاجور ، ذلك لأن الزيادة الدورية للاجور هي ، بموجب القانون الاعلى الذي تستشهد به ، حتمية ومبررة شأنها شأن تخفيضها الدوري ولكن اذا كنت لا تعتبر العرض والطلب قانونا منظما للاجور ، فاني اعود الى تكرار سؤالي لماذا يدفع مبلغ معين من النقود مقابل كمية معينة من العمل ؟

ولكن لنبحث الامر من وجهة نظر اوسع انكم تخطئون كل الخطا اذا ما خيل اليكم ان قيمة العمل او اية بضاعة اخرى يحددها ، في حاصل الامر ، العرض والطلب . ان العرض والطلب لا ينظمان غير التقلبات الموقته في اسعار السوق ان في وسعهما ايضاح السبب في ان اسعار البضاعة في السوق تزيد عن قيمتها او تنخفض عن قيمتها ، الا انهما لا يستطيعان البتة تفسير هذه القيمة ذاتها فلنفترض ان العرض والطلب متوازنان احدهما مع الآخر ، او ، كما يقول الاقتصاديون ، يغطي احدهما الآخر بيد انه في الوقت الذي تكون فيه هاتان القوتان المتنازعتان متعادلتا القدرة فان احدهما تثل الاخرى وتكفان من العمل في اتجاه او في آخر . وفي الوقت الذي يتوازن فيه العرض والطلب ،

ويكفان بالتالي عن العمل ، فان اسعار السوق للبضاعة تكون مطابقة لقيمتها الحقيقية ، مطابقة للسعر الطبيعي الذي تتأرجح حوله اسعارها في السوق ولذلك فليس لنا ، عند بحث طبيعة هذه القيمة ، ان نهتم اي اهتمام بما للعرض والطلب من تأثيرات مؤقتة على اسعار السوق وهذا يتعلق بالاجور كما يتعلق باسعار جميع البضائع الاخرى

• الاجور والاسعار

ان جميع حجج صديقنا ، اذا ما احيلت الى صياغتها النظرية البسيطة ، تؤول الى العقيدة الوحيدة التالية «ان اسعار البضائع تحدد او تنظم بالاجور» .

بوسعي الاستشهاد بالتجربة العملية من اجل دحض هذا الخطأ الذي مر عليه الزمن وبات مدحوضا وبوسعي ان الفت نظركم الى ان الانتاج الذي هو من فعل سواعد عمال المعامل الانجليز ، وعمال المناجم ، والورشات البحرية ، وغيرها ، الذين ينالون اجورا عالية نسبيا على عملهم ، يباع بارخص من الانتاج المماثل للامم الاخرى ، في حين ان منتجات عمل العمال الزراعيين الانجليز ، مثلا ، الذين ينالون اجورا منخفضة نسبيا على عملهم ، اغلى من هذه المنتجات لدى جميع الامم الاخرى تقريبا . وبوسعي ، عن طريق المقارنة بين المنتجات المختلفة لبلد بذاته او بين بضائع مختلف البلدان ، ان ابين لكم ان العمل ذا الاجرة العالية ، خلا بعض استثناءات ظاهرة اكثر منها حقيقية ، ينتج بصورة وسطية البضائع الرخيصة ، والعمل الضئيل الاجرة هو الذي ينتج البضائع الغالية . وطبيعي ان هذا لا يبرهن على ان السعر العالي

للعمل في احدى الحالتين وسعره المنخفض في الحالة الاخرى هما السببان لكل من هذين المفعولين المتعارضين ، ولكن هذا يبرهن على كل حال ان اسعار البضائع لا تحددها اسعار العمل . ولكننا لسنا في حاجة قط للجوء الى هذه الطريقة التجريبية

ولكن قد ينكر احدهم ان المواطن ويسطن قد قدم العقيدة القائلة : « ان اسعار البضائع تحددها او تنظم بالاجور » . انه بالفعل لم يقدم قط مثل هذه الصيغة . بل لقد قال ، بالعكس ، ان الربح والربح يؤلفان ايضا جزءاً لا يتجزأ من اسعار البضائع ؛ فمن اسعار البضائع تدفع لا اجور العمال وحسب ، بل كذلك ارباح الرأسماليين وريح ملاكي الاراضي ولكن من اي شيء تتكون الاسعار في رايه ؟ من الاجور بالدرجة الاولى ثم تضاف نسبة مئوية اضافية لمصلحة الرأسمالي ونسبة مئوية اضافية اخرى لمصلحة مالك الأرض ولنفترض ان اجرة العمل المستخدم في انتاج البضاعة هي عشرة فاذا كان معدل الربح يساوي ١٠٠ بالمئة من الاجور المدفوعة ، فان الرأسمالي يضيف ١٠ ، واذا كان معدل الربح يساوي ايضا ١٠٠ بالمئة ، فتضاف عشرة اخرى . واذا كان يساوي السعر الاجمالي للبضاعة ٣٠ بيد ان مثل هذا التحديد للاسعار انما يعني ببساطة ان السعر تحدده الاجرة . واذا كانت الاجور ، في الحالة آنفة الذكر ، ترتفع الى ٢٠ ، فان سعر البضاعة يرتفع الى ٦٠ ، وهلم جرا . وعلى هذا فان جميع المؤلفين القدامى في شؤون الاقتصاد السياسي ، القائلين بالعقيدة الزاعمة ان الاجور تنظم الاسعار ، قد حاولوا البرهنة على هذه الفكرة معتبرين الربح والربح مجرد نسبة مئوية مضافة الى الاجرة . وطبيعي ان احداً منهم لم يكن يقدر على الرجوع بحدود النسب المئوية هذه الى قانون اقتصادي ما . بل لقد بدا ، بالعكس ،

انهم يعتقدون ان الربح يقرر وفقاً للتقاليد والعادات ولارادة الراسماليين ، او لاية طريقة اخرى كيفية وغير قابلة للتفسير وهم اذ يؤكدون ان الربح تحدده المواجهة بين الراسماليين ، فان هذا لا يعني شيئاً البتة . صحيح ان هذه المواجهة تسوّى بالتاكيد بين مختلف معدلات الارباح في مختلف فروع الانتاج ، اي تعيدها الى مستوى وسطي واحد ، الا انه لا يمكن لها البتة ان تحدد هذا المستوى نفسه ، او المعدل العام للربح .

وماذا نعني حين نقول ان اسعار البضائع تحددها الاجور ؟ لما كانت الاجور هي تسمية سعر العمل ، فاننا نعني ان اسعار البضائع ينظمها سعر العمل . ولما كان «السعر» هو القيمة التبادلية - وحين اتكلم من القيمة فالما اعني بذلك دائماً القيمة التبادلية - القيمة التبادلية المعبر عنها بالنقد ، فان الامر يؤول الى القول بان «قيمة البضاعة تحددها قيمة العمل» ، او ان «قيمة العمل هي المقياس العام للقيمة» .

ولكن كيف تحدد «قيمة العمل» نفسها في هذه الحال ؟ هنا نصل الى مازق . اننا ، بالتاكيد ، نقع في مازق ، اذا كنا نحاول التفكير على نحو منطقي بيد ان المدافعين عن هذا المذهب لا يهتمون كثيراً بالمنطق خذوا ، مثلاً ، صديقنا ويسطن لقد قال لنا ، اولاً ، ان الاجور تحدد اسعار البضائع ، وان الاسعار ، بالتالي ، لا بد ان ترتفع هي ايضاً حين ترتفع الاجور ثم راح يبرهن لنا ان ارتفاع الاجور ، على الضد من ذلك ، لا ياتي باية فائدة ، اذ ان اسعار البضائع سترتفع ، والاجور اما تقاس بالفعل باسعار البضائع التي تنفق عليها . وهكذا بدأ بالتصريح بان قيمة العمل تحدد قيمة البضاعة ، ولنتهي بالتصريح بان قيمة البضاعة

تحدد قيمة العمل . وهكذا ندور في حلقة مفرغة ، ولا نصل الى اي استنتاج .

وبديهي في النهاية اننا اذا كنا نجعل من قيمه بضاعة ما ، كالعسل ، مثلاً ، او القمح او اية بضاعة اخرى المعيار العام والمنظم للقيمة ، فلسنا نفعل غير تنحية الصعوبة ، اذ اننا نحدد قيمة بقيمة اخرى هي ، بدورها ، في حاجة الى تحديد

ان العقيدة التي بموجبها «تحدد الاجور اسعار البضائع» تقول في صياغتها الاكثر تجريدًا الى ان «القيمة تحدد القيمة» ، وهذا القول المكرور اما يعني بالفعل اننا لا نعلم شيئاً من القيمة . واذا ما سلمنا بهذه المقدمة ، فان كل مناقشة بشأن القوانين العامة للاقتصاد السياسي تتحول الى ثرثرة فارغة . ولذلك فقد كانت المأثرة الكبرى لريكاردو هي انه ، في مؤلفه «مبادئ الاقتصاد السياسي» ، الصادر عام ١٨١٧ ، قد دحض الفكرة الشائعة القديمة والخطئة التي اكل الدهر عليها وفرب ، الزائفة ان «الاجور تحدد الاسعار» ، الفكرة التي كان آدام سميث واسلافه الفرنسيون قد بلبوها في الاقسام العلمية حقاً من بحوثهم ، الا انهم مع ذلك كرروها في فصول اكثر سطحية وابتدالا

٦ القيمة والعمل

وصلت الآن ، ايها المواطنون ، الى النقطة التي ينبغي علي فيها ان اباهر الايضاح الحقيقي للمسألة موضع البحث . لست استطيع الوعد بان اقوم بهذا على نحو مرضٍ تماماً ، اذ ان ذلك يقتضي تناول حقل الاقتصاد السياسي بكامله . فليس لي وسعي ،

كما يقول الفرنسيون ، « effleurer la question » ، أي إلا تلمس النقاط الأساسية .

السؤال الاول الذي ينبغي ان نطرحه هو أي شيء هي قيمة البضاعة وبماذا تحدد ؟

قد يبدو للوهلة الاولى ان قيمة البضاعة شيء نفسي تماما ، لا يمكن تحديده اذا لم ينظر الى البضاعة في علاقاتها مع جميع البضائع فنحن ، بالفعل ، حين نتحدث عن القيمة ، عن القيمة التبادلية لبضاعة ، انما تكون في ذهننا الكميات النسبية التي يمكن بها تبادل هذه البضاعة مقابل جميع البضائع الاخرى . ولكن يرد هنا هذا السؤال : كيف تحدد النسب التي يجري بها تبادل البضائع بعضها ببعض ؟

اننا نعلم ، بالتجربة ، ان هذه النسب متنوعة تنوعا لا نهاية له فاذا اخذنا بضاعة ما ، كالقمح مثلا ، نجد ان مكيا لا من القمح يبادل بمختلف البضائع الاخرى بنسب مختلفة لا تكاد تكون لها نهاية بيد انه ، لها كانت قيمته تظل هي في جميع هذه الحالات ، بصرف النظر عما اذا كان التعبير عنها بالحرير ، ام بالذهب ، ام باية بضاعة اخرى ، فان هذه القيمة لا بد ان تكون شيئا متميزا عن تلك النسب المختلفة التي بموجبها يجري تبادلها مقابل بضائع اخرى ، وشيئا مستقلا عنها لا بد ان تكون ثمة امكانية للتعبير عنها بشكل متميز عن هذه المعادلات المختلفة بين مختلف البضائع

وبعد : حين اقول ان مكيا لا من القمح يبادل مقابل الحديد بنسبة معينة ، او ان قيمة مكيا لا واحد من القمح يعبر عنها بكمية معينة من الحديد ، فانما اقول بذلك ان قيمة القمح ومعادله من الحديد مساويان لشيء ثالث ما ليس قمحا ولا حديدا ، ما دمت

انطلق من انهما يعبران عن مقدار واحد بعينه بشكليين مختلفين ولذلك فان كلا من هاتين البضاعتين ، سواء القمح ام الحديد ، لا بد ان تكون ، بصورة مستقلة عن الاخرى ، آتلة الى ذلك الشيء الثالث الذي يولف مقياسهما المشترك .

وبغية ايضاح هذه الفكرة ، سآتي بمثال من الهندسة في منتهى البساطة . كيف نعمل حين نقارن بين مساحة المثلثات لشقي الاشكال والمقادير ، او حين نقارن ، من حيث المساحة بين المثلثات وبين المستطيلات او بينها وبين اي شكل متعدد الاضلاع ؟ اننا نحيل مساحة مثلث ما الى تعبير مختلف تماما عن شكله المرئي . ولما كنا نعلم بان مساحة المثلث تساوي نصف حاصل ضرب قاعدته بارتفاعه ، فاننا نستطيع المقارنة بين المساحات المختلفة لجميع انواع المثلثات وجميع الاشكال المتعددة الاضلاع بعضها مع بعض ، ما دام كل شكل من هذه الاشكال يمكن ان يقسم الى عدد ما من المثلثات .

وهذه الطريقة نفسها ينبغي استخدامها فيما يتعلق بقيم البضائع ايضا . ينبغي ان نتمكن من احالتها جميعا الى تعبير واحد مشترك بينها جميعا ، فنتميزها فقط حسب النسب التي تحتويها من هذا المقياس المشترك

ولما كانت القيم التبادلية للبضائع ليست سوى الوظائف الاجتماعية لهذه الاشياء ، ولا يجمعها اي جامع بخصائصها الطبيعية ، فينبغي لنا قبل كل شيء ان نتساءل : ما هو الجوهر الاجتماعي المشترك لجميع البضائع ؟ انه العمل . فمن اجل انتاج بضاعة لا بد ان ينفق فيها او يدخل فيها مقدار معين من العمل . ولست اتكلم من العمل وحسب ، بل من العمل الاجتماعي . فالانسان الذي ينتج شيئا لحاجته الخاصة مباخرة ، من اجل ان يستهلكه هو

نفسه ، يصنع **منتوجاً** ، لا بضاعة . وهو بوصفه منتوجاً ، مشتغلاً لنفسه بالذات ، لا يجمعه بالمجتمع اي جامع . ولكن من اجل انتاج بضاعة ينبغي لهذا الانسان ان ينتج ليس فقط شيئاً يلبي حاجة اجتماعية ما ، بل ينبغي ايضاً ان يكون عمله بالذات جزءاً لا يتجزأ من المجموع الكلي للعمل المبدول من قبل المجتمع . ينبغي ان يكون عمله خاضعاً لتقسيم العمل القائم داخل المجتمع . انه لا شيء بدون شعب العمل الاخرى ، وهو بدوره ضروري لتكاملها

وحين ننظر الى **البضائع كقيم** ، انما ننظر اليها حصراً بوصفها عملاً اجتماعياً متجسداً محدداً او ، اذا شئتم ، متبلوراً . وهي من وجهة النظر هذه لا يمكن ان يتميز بعضها عن بعض الا من حيث انها تمثل كمية من العمل اكبر او اصغر فمثلاً ، تستخدم في انتاج منديل من الحرير كمية من العمل اكبر من الكمية المبدولة في انتاج اجرة . ولكن كيف تقاس كمية العمل ؟ بالزمن الذي يستغرقه العمل ، - بالساعات ، بالايام ، الخ . ولاستخدام هذا المقياس للعمل ، ينبغي ان نحال جميع انواع العمل الى عمل وسطي ، او بسيط كوحدة لها

وبالتالي نصل الى الاستنتاج الآتي ان للبضاعة قيمة لانها تمثل **بلورة للعمل الاجتماعي** . ومقدار قيمتها ، او قيمتها النسبية يتعلق بكمية الجوهر الاجتماعي الاكبر او الاصغر التي تنطوي عليها ، اي انه يتعلق بالكمية النسبية للعمل الضروري لانتاج البضاعة . وعلى هذا فان **القيم النسبية للبضائع** تحددها كميات او مقادير العمل المناسبة المبدولة والمتجسدة والمحددة في كل من هذه البضائع . والكميات المناسبة من البضائع ، التي تتطلب لانتاجها البدة نفسها من العمل ، متساوية . او ان قيمة بضاعة ما تتناسب

وقيمة بضاعة اخرى تناسب كمية العمل المحدد في احدهما وكمية العمل المحدد في الاخرى .

ويخيل لي ان كثيرين منكم سيسالوني : هل ثمة حقا فرق كبير او بصورة عامة فرق ما بين التاكيد بان قيم البضائع تحدد بالاجرة والتاكيد بانها تحدد بالكمية النسبية للعمل الضروري لانتاج البضائع ؟ بيد انه ينبغي ان تعلموا ان اجرة العمل وكمية العمل شيان متمايزان تماما . فلنفترض ، مثلا ، ان في مكيا ل من القمح وأوقية من الذهب قيمتين من العمل متساويتين . وانا اتناول هذا المثال لأن بنجامين فرانكلين قد استخدمه في دراسته الاولى ، المنشورة عام ١٧٢٩ ، تحت عنوان «تحقيق متواضع عن طبيعة وفروءة النقود الورقية» ، التي كان فيها من الاوائل الذين لمسوا الطبيعة الحقيقية للقيمة فنحن نفترض اذن لمكيا ل من القمح وأوقية من الذهب قيمتين متساويتين ، اي انهما متعادلان لان فيهما بلووت قيمتان متساويتان من العمل الوسطي ، اي كذا من ايام او كذا من اسابيع العمل المحدد المتناسب في كل من هاتين البضاعتين . ونحن اذ نحدد القيمتين النسبيتين للذهب والقمح على هذا النحو ، هل نهتم اي اهتمام باجرة العامل الزراعي او عامل المنجم ؟ كلا ابدأ . فنحن ندع يكون تحديد على الاطلاق المسألة المتعلقة بالكيفية التي جرى بها دفع اجرة العمل اليومي او الاسبوعي ، او حق مسألة معرفة ما اذا كان قد جرى استخدام العمل المأجور بصورة عامة وما دام الامر كذلك فان اجرة العاملين يمكن ان تكون جد متفاوتة فالعامل الذي جسد عمله في مكيا ل من القمح ربما لا يكون قد حصل مقابل ذلك الا على ربع المكيا ل ، وبالمقابل قد يكون العامل الذي اشتغل في المنجم قد حصل على نصف أوقية من الذهب . او اذا افترضنا ان اجرتهما

واحدة ، فانها يمكن ان تبتعد بشق النسب المختلفة من قيم البضائع التي انتجها . يمكن ان تعادل نصف ، او ثلث ، او ربع ، او خمس ، او اي جزء آخر من مكيال القمح او اوقية الذهب وبالطبع لا يمكن ان تتجاوز اجرتها قيم البضائع التي انتجها ، لا يمكن ان تكون اكثر منها ، بل يمكن ان تكون اقل منها ، وبشق الدرجات المختلفة لن اجرتها ستكون محددة بقيم المنتجات ، ولكن قيم منتجاتها لن تكون قط محددة بالاجرة . والشئ الاهم هو ان القيم ، القيم النسبية للقمح والذهب ، مثلا ، تحدد بصورة مستقلة تماما من قيمة العمل المنفق ، اي عن الاجرة . ولهذا فان تحديد قيم البضائع بالكمية النسبية للعمل المحدد فيها مختلف كل الاختلاف عن الطريقة المكررة لتحديد قيم البضائع بقيمه العمل او بالاجرة . على ان هذه النقطة ستزداد وضوحا اثناء بحثنا

عند حساب القيمة التبادلية لبضاعة ، يجب ان نضيف الى كمية العمل المنفق في المرحلة الأخيرة من الانتاج كمية العمل المنفقة سابقا في المادة الاولى للبضاعة ، وكذلك كمية العمل المنفقة في التجهيزات ، والادوات ، والالات ، والابنية الضرورية لانجاز العمل . فمثلا ، ان قيمة كمية ما من غزل القطن هي كمية من العمل المتبلور مضافة الى القطن اثناء الغزل وكمية العمل المبدولة سابقا في القطن نفسه ، وكمية العمل المتجسدة في الفحم والزيت وغير ذلك من المواد الثانوية المستعملة وكمية العمل المبدولة في الآلة البخارية ، وفي المغازل وفي ابنية المعمل ، وهلم جرا . ان ادوات الانتاج بالمعنى الدقيق للكلمة كالادوات ، والالات ، والابنية تستخدم باستمرار مدة طويلة كثيراً او قليلا اثناء عمليات الانتاج المتكررة . ولو انها كانت تستهلك دفعة واحدة ، كالمواد الاولى ، لكانت كل قيمتها قد انتقلت فوراً الى البضائع التي

استخدمت في انتاجها . ولكن لما كان المفزل ، مثلا ، لا يستهلك الا شيئا فشيئا ، فانه يجري حساب وسطي يكون اساسه المدة الوسطية لبقاء المفزل ، واستهلاكه للوسطي ، اثناء مدة محددة ، لنقل خلال يوم واحد . بهذه الطريقة نحسب كم ينتقل من قيمة المفزل الى الغزل المنتج في يوم واحد ، وبالتالي اي جزء من الكمية الكلية للعمل الداخل ، مثلا ، في رطل من الغزل يعود الى العمل المبذول سابقا في المفزل . وما من حاجة ، من اجل الموضوع القائم امامنا ، للتوقف بمزيد من الاسهاب عند هذه المسألة .

قد يبدو انه اذا كانت قيمة البضاعة تحدد بكمية العمل المنفق لانتاجها ، ينتج من ذلك انه كلما كان العامل كسولا وغير حاذق ازدادت قيمة البضاعة المصنوعة من قبله ، ما دام الوقت اللازم لصنع هذه البضاعة اطول . بيد ان استنتاجا من هذا القبيل يكون خطأ كئيبا . وانكم لتذكرون اني استخدمت عبارة «العمل الاجتماعي» ، وان صفة «الاجتماعي» هذه تعني الكثير جداً . فنحن حين نقول ان قيمة البضاعة تحددها كمية العمل الداخل او المتبلور فيها ، فانما نعني بذلك كمية العمل الضرورية لانتاجها في حالة اجتماعية معينة ، في ظروف اجتماعية وسطية معينة للنتاج ، ولدى وجود مستوى اجتماعي وسطي معين لشدة ومهارة العمل المستخدم . فحين زاحم النول البخاري في الجلترا النول اليدوي لم يعتج الامر الا الى نصف مدة العمل السابقة لتحويل كمية معينة من الغزل الى يردة من النسيج القطني او الجوج . صحيح ان الحائك اليدوي المسكين اضطر اذ ذاك لأن يشتغل ١٧ او ١٨ ساعة في اليوم بدلا من ٩ او ١٠ ساعات كما في السابق . ولكن نتاج هذه الساعات العشرين من عمله لم يعد يمثل غير عشر ساعات من وقت العمل الاجتماعي ، اي الساعات العشر من العمل الضروري اجتماعيا

لتحويل كمية معينة من الغزل الى قماس منسوج . ولذلك لم يكن لنتاج ساعات عمله العشرين هذه قيمة اكثر من قيمة نتاجه المصنوع سابقا في عشر ساعات .

وهكذا ، اذا كانت كمية العمل الضروري اجتماعيا المتجسد في البضائع هي التي تحدد قيمتها التبادلية ، فان كل زيادة في كمية العمل الذي يتطلبه انتاج بضاعة لا يمكن الا ان تزيد قيمتها ، وكل نقص في هذه الكمية لا بد ان يخفضها

فاذا ما ظلت كمية العمل الضروري لانتاج البضائع المعينة ثابتة ، فتظل قيمتها النسبية ايضا ثابتة . ولكن الامر ليس كذلك

ان كمية العمل الضرورية لانتاج بضاعة ما تتغير باستمرار مع تبدل القوة الانتاجية للعمل المبدول وكلما ازدادت قوة العمل الانتاجية ، ازداد الانتاج في مدة معينة من العمل ، وكلما انخفضت قوة العمل الانتاجية يقل الانتاج في الوحدة نفسها من الزمن . فاذا اصبح ضروريا مثلا ، بسبب تزايد السكان ، ان تزرع ارض اقل خصوبة ، فان الكمية نفسها من المنتجات لا يمكن الحصول عليها الا بانفاق كمية اكبر من العمل ، ونتيجة لذلك ترتفع قيمة المنتجات الزراعية . ومن جهة اخرى ، اذا كان غزال واحد يحول الى خيوط ، بوسائل الانتاج الحديثة ، في يوم عمل واحد ، قلنا يزيد بالوف عديدة من المرات عما كان يستطيع تحويله سابقا بدولاب المغزل في المدة نفسها من الزمن ، فمن الواضح ان كل رطل من القطن سيمتص من عمل الغزال اقل بالوف عديدة من المرات مما في السابق ، وبالتالي ستكون القيمة المضافة بعملية الغزل الى كل رطل من القطن اقل بالوف عديدة من المرات مما في السابق . وبالتالي ستتهبط قيمة الغزل بالنسبة نفسها .

واذا صرفنا النظر عن فروق الخواص الطبيعية والبراعة في العمل المكتسبة لدى مختلف الناس ، فان قوة العمل الانتاجية لا بد ان تكون متعلقة على نحو رئيسي :

(١) بالظروف الطبيعية للعمل ، اي : خصوبة التربة ، وغنى المناجم ، الخ .:

(٢) بالاتقان المطرد لقوى العمل الاجتماعية الذي يربط بالانتاج الضخم وبتركز رأس المال وتجميع العمل ، وتقسيم العمل ، والآلات ، واتقان طرق الانتاج ، واستخدام العوامل الكيماوية والطبيعية الاخرى وتقليص الوقت والمساحة بفضل الوسائل الجديدة للمواصلات ، وشتى الاكتشافات الاخرى التي يحمل العلم بواسطتها القوى الطبيعية على خدمة العمل فتتطور بفضلها صفته الاجتماعية ، التعاونية وكلما تعاظمت قوة العمل الانتاجية ، تضاعف العمل المنفق في كمية معينة من المنتجات ، وبالتالي قلت قيمة المنتجات وكلما تددت قوة العمل الانتاجية ازداد العمل المنفق في كمية معينة من المنتجات ، وبالتالي ارتفعت قيمتها ولذلك فان في وسعنا ان نتخذ ما يلي قانونا عاما

ان قيم البضائع تتناسب تناسبا طرديا مع مدة العمل المنفق في انتاجها وتناسبا عكسيا مع القوة الانتاجية للعمل المنفق .

لقد تحدثنا حتى الآن عن القيمة ، واضيف الآن بضع كلمات من السعر ، وهو شكل خاص تتخذه القيمة

ليس السعر بعد ذاته غير التعبير النقدي عن القيمة . فمثلا ، ان قيم جميع البضائع في انجلترا يعبر عنها بالاسعار الذهبية ، في حين انها في القارة يعبر عنها على نحو رئيسي بالاسعار الفضية . وقيمة الذهب او الفضة ، كقيمة جميع البضائع الاخرى ، تحدد بكمية العمل الضروري لاستخراجهما . وانتم تبادلون مقدارا

معينا من انتاجكم الوطني الذي تبلور فيه كمية معينة من عملكم الوطني مقابل انتاج البلدان المنتجة للذهب والفضة ، وهو انتاج تبلور فيه كمية معينة من عملها هي . وعن هذا الطريق بالذات ، اي عمليا بمبادلة بضاعة ببضاعة ، يتعود الناس التعبير عن قيم جميع البضائع ، اي عن كميات العمل المنفق في صنعها ، بالذهب وبالفضة . ولدى النظر بامعان الى هذا التعبير النقدي عن القيمة ، او - وهو الشيء نفسه في آخر المطاف - الى تحول القيمة الى سعر ، تجدون اننا هنا حيال العملية التي تأخذ قيم جميع البضائع عن طريقها شكلا مستقلا متجانسا ، او التي يعبر عنها بها بوصفها كميات من عمل اجتماعي واحد . ولما كان السعر ليس سوى التعبير النقدي عن القيمة فقد سماه آدام سميث **السعر الطبيعي** والفزيوقراطيون الفرنسيون (٢١) «**السعر القسري**» .

فما هي العلاقة اذن بين القيمة واسعار السوق ، او بين الاسعار الطبيعية واسعار السوق ؟ انكم تعلمون ان سعر السوق هو نفسه لجميع البضائع التي هي من نوع واحد ، مهما تختلف ظروف انتاج المنتجين كل على حدة . ان اسعار السوق لا تعبر الا عن **الكمية الوسطية من العمل الاجتماعي الضروري في الظروف الوسطية للانتاج** لتموين السوق بكمية معينة من منتجات معينة . وهذه الاسعار محسوبة وفقا للكمية الكلية لبضاعة من نوع معين . وبهذا المقدار يتطابق سعر السوق للبضاعة مع قيمتها . ومن جهة اخرى ، ان تقلبات اسعار السوق التي تتجاوز احيانا القيمة او لسعر الطبيعي ، وتهبط عنها احيانا اخرى ، تتعلق بتقلبات العرض والطلب . وانحرافات اسعار السوق عن القيم تلاحظ على الدوام ، لكن ، كما يقول آدام سميث :

وان السعر الطبيعي هو مثل السعر المركزي الذي ما تنفك تتجه نحوه اسعار جميع البضائع . ويمكن احيانا لبعض الظروف العرضية ان تجعلها معلقة عاليا جداً فوق مستوى السعر الطبيعي ، وان تهوي بها احيانا الى ما دون هذا المستوى ولكن مهما تكن العقبات التي تبعد الاسعار عن هذا المركز الثابت ، فانها تتجه اليه باستمرار (٢٢)

ليس في وسعي الآن بحث هذه المسألة باسهاب يكفي القول انه حين يتوازن العرض والطلب ، تكون اسعار السوق للبضائع متطابقة مع اسعارها الطبيعية ، اي مع قيمها التي تحددها كمية العمل الضرورية لانتاج كل منها . ولكن العرض والطلب لا يدان يتجها باستمرار نحو التوازن فيما بينهما ، رغم انهما لا يحققان ذلك الا عن طريق تعويض قلب باخر او ازدياد بانخفاض ، و vice versa . واذا ما عدمت ، بدلا من الاقتصار على ملاحظة التقلبات اليومية ، الى تحليل حركة اسعار السوق لمدة اطول ، كما فعل ، مثلا ، السيد توك في مؤلفه «تاريخ الاسعار» ، فانكم واجدون ان تقلبات اسعار السوق ، وانحرافاتا من القيم ، وارتفاعها وهبوطها ، تتلافى وتتعاوض ؛ وهكذا تباع جميع انواع البضائع ، وسطيا ، بقيمة كل منها ، اي باسعارها الطبيعية ، وذلك بصرف النظر عن تأثير الاحتكارات وبعض التغييرات الاخرى التي لا استطيع الآن التوقف عندها ان الفترات الزمنية الوسطية التي تتعاوض خلالها تقلبات اسعار السوق مختلفة بالنسبة لمختلف انواع البضائع ، اذ ان توفيق العرض مع الطلب ايسر بالنسبة لاصنف من البضائع واصعب بالنسبة لآخر .

وعلى هذا ، اذا كانت جميع انواع البضائع تباع ، على العموم ولاجال طويلة نوعا ما ، بقيم كل منها ، فمن غير المعقول الافتراض بان الربح - لا في حالات على حدة ، بل الربح الدائم العادي في مختلف فروع الصناعة - يتأتى من الاضافات على اسعار البضائع ، اى من كون البضائع تباع بسعر يتجاوز قيمتها . وان عدم معقولية هذه الفكرة ليتجلى حين نحاول تعميمها . فما يربحه المرء دائما كبائع لا بد ان يخسره دائما كمشتري . ولا عبرة للقول في ان ثمة اناسا هم مشترون دون ان يكونوا بائعين او مستهلكون دون ان يكونوا منتجين فان ما يدفعه هؤلاء الناس للمنتجين ، ينبغي ان يكونوا قد اخذوه في البداية من هؤلاء بدون مقابل وحين يشرح احدهم باخذ مالك ثم يرده اليك بشراء بضائك ، فانك لن تفتني ابدا حتى ولو بعثها له غاليا جدا . ومثل هذا النوع من الصفقات قد يقلل الخسارة ، الا انه لا يمكن ابدا ان يسهم في جلب ربح

وعلى هذا ، من اجل شرح الطبيعة العامة للربح يجب ان نطلقوا من المبدأ القائل ان البضائع وسطيا تباع بقيمتها الحقيقية ، وان الربح يحصل من بيع البضائع بقيمتها ، اى من بيعها بنسبة كمية العمل المتجسد فيها . فاذا كنتم لا تستطيعون شرح الربح على اساس هذا الافتراض ، فليس في وسعكم شرحه على الاطلاق . وقد يبدو هذا امراً مستغربا ومناقضا للتجربة اليومية بيد ان من المستغرب ايضا ان الارض تدور حول الشمس وان الماء يتألف من غازين قابلين للاشتعال السريع ان الحقائق العلمية مستغربة دائما حين يحكم عليها بناء على التجربة اليومية التي لا تتناول غير ظاهر الاشياء الخادع .

٧ . قوة العمل

بعد ان عرضنا للتحليل ، قدر المستطاع في بحث سريع كهذا ، طبيعة القيمة ، قيمة كل بضاعة ، لا بد لنا ان نوجه انتباهنا الى قيمة العمل الخاصة وهنا عليّ ان اثير من جديد دهشتكم بتاكيد سيبدو لكم مستغربا انكم جمعاً مقتنعون بان ما يبيعونه يوميا هو عملكم بالذات ، وبالتالي بان للعمل سعراً ، وبانه - لما كان سعر البضاعة ليس سوى التعبير النقدي عن قيمتها - فلا بد بالتاكيد من وجود شيء ما من قبيل قيمة العمل . بيد انه لا وجود في الواقع لشيء من قبيل قيمة العمل بالمعنى العادي للكلمة فقد رأينا ان قيمة البضاعة تحددها كمية العمل الضروري المبلور فيها ولكن كيف نستطيع ، تطبيقاً لمفهوم القيمة هذا ، ان نحدد ، مثلاً ، قيمة يوم عمل من عشر ساعات ؟ كم يتضمن هذا اليوم من عمل ؟ عشر ساعات عمل . فاذا قلنا ان قيمة يوم عمل من عشر ساعات تساوي عشر ساعات عمل ، او كمية العمل التي ينطوي عليها يوم العمل هذا ، لكان ذلك تكراراً بل بالاحرى كلاماً فارغاً اكيد اننا بعد ان نجد المعنى الحقيقي ، الا انه مخفي ، لعبارة «قيمة العمل» ، نغدو قادرين على شرح هذا التطبيق غير المعقول للقيمة ، والذي قد يبدو محالاً ، على النحو الذي نستطيع به شرح حركة الاجرام السماوية المرئية ، كما تبدو لنا ، بعد ان ندرك حركتها الحقيقية

ان ما يبيعه العامل ليس عمله مباشرة ، بل قوة عمله التي يضعها موقفاً تحت تصرف الرأسمالي وهذا صحيح الى حد ان القوانين - لست ادري كيف في انجلترا ، ولكن على كل حال في

عدة بلدان من القارة - تحدد **القيمة القصوى** التي يسمح للشخص ان يبيع فيها قوة عمله فلو سمح ببيع قوة العمل لامتد غير محدود تكون العبودية قد عادت في الحال . واذا ما تم بيع من هذا القبيل لمدة تستغرق حياة العامل كلها ، مثلاً ، فانه يجعل منه في الحال عبداً لرب عمله مدى الحياة

وقد سبق **لتوماس هوبس** ، وهو من اقدم الاقتصاديين ومن اكثر الفلاسفة اصالة في انجلترا ، ان ادرك ، على نحو غريزي ، في مؤلفه «**ليفياثان**» ، هذا الواقع الذي لم يلاحظه جميع الذين جاؤوا بعده فقد قال

«ان قيمة الانسان ، لو ثمنه ، هي كجميع الاشياء الاخرى ، سعره ، اي ما يعطى لقاء استعمال قوته»

فاذا ما انطلقنا من هذا الاساس ، يكون في وسعنا تحديد **قيمة العمل** كما تحدد قيمة كل بضاعة اخرى ولكن علينا ، قبل ان نفعل هذا ، ان نتساءل كيف تولدت هذه الظاهرة الغريبة وهي اننا نجد في السوق ، من جهة ، فئة من المشترين المالكين للارض ، وللالات ، وللمواد الاولى ، ووسائل العيش ، اي جميع الاشياء التي هي ، باستثناء الارض غير المزروعة ، **نتاج للعمل** ، ومن جهة اخرى ، فئة من البائعين الذين ليس لديهم ما يبيعونه غير قوة عملهم ، غير سواعدهم العاملة وادمتهم ؛ وان بعضهم يشترون على الدوام بقصد اجتناء الربح والاثراء ، بينما الآخرون يبيعون باستمرار لكي يقوموا باود المعيشة ولعل دراسة هذه المسألة هي دراسة ما يسميه الاقتصاديون **التراكم الاول** او **البداي** ، الا انه كان ينبغي ان يسمى **نزع الملكية البداي** . وانه ليتبين لنا ان ما يسمى **التراكم البداي**

لا يعني غير جملة من التطورات التاريخية ادت الى فهم الوحدة التي كانت قائمة سابقا بين العامل ووسائل عمله . بيد ان دراسة من هذا النوع تخرج عن حدود موضوعي فما دام هذا الفهم بين الشغل ووسائل العمل قد حدث ، فانه سيقتضي وسيستمر على نطاق متزايد الاتساع ابدأ الى ان تطيح به ثورة جديدة جذرية في اسلوب الانتاج ، فتعيد ، بشكل تاريخي جديد ، الوحدة التي كانت قائمة من قبل

وعلى هذا ، ما هي قيمة قوة العمل ؟

ان قيمة قوة العمل ، شأنها في ذلك شأن قيمة اية بضاعة اخرى ، تحدد بكمية العمل الضروري لانتاجها . وقوة عمل الانسان قائمة فقط في شخصه الحي ولكي يتمكن الانسان من النماء والبقاء على حياته ، لا بد له من استهلاك كمية معينة من وسائل العيش ولكن الانسان يبلى كالالة ولا بد من استبداله باخر وبلاضافة الى كمية وسائل العيش الضرورية لبقاء العامل نفسه على قيد الحياة ، يحتاج الى كمية اخرى منها لتربية اولاد عليهم ان يحلوا محله في سوق العمل ويديموا جيل العمال وفوق ذلك ، لا بد ، لتطوير قوة عمله والحصول على براعة ما ، من اتفاق مبلغ معين من القيمة . ويكفي هنا من اجل غرضنا ان ننظر فقط الى العمل الوسطي الذي تكون تكاليف تربيته وتعلمه مقادير زهيدة بيد انه لا بد لي ، بهذه المناسبة ، من الاشارة الى انه بسبب اختلاف تكاليف انتاج قوة العمل المختلفة الكيفيات تختلف قيمة قوة العمل المستخدمة في مختلف فروع الانتاج ولذلك فان المطالبة بتساوي الاجور تقوم على اساس خاطئ وهي رغبة غير معقولة لن تتحقق ابدأ . ان مصدر هذه المطالبة هو تلك الراديكالية الزائفة والسطحية التي تسلم بالمقدمات مع محاولة

التملص من النتائج فعلى اساس نظام العمل الماجور ، تحدد قيمة قوة العمل كما تحدد قيمة كل بضاعة اخرى ولما كان لمختلف انواع قوة العمل قيم مختلفة ، اي انها تتطلب لانتاجها كميات من العمل مختلفة ، فلا بد ان تكون لها بالضرورة اسعار مختلفة في سوق العمل . فالمطالبة بأجر متساو بل حتى بأجر عادل على اساس نظام العمل الماجور اشبه ما تكون بالمطالبة بالحرية على اساس نظام العبودية فما تعتقدونه حقاً وعدلاً لا دخل له في المسألة ان المسألة قائمة فيما هو ضروري ومحتوم في نظام معين للنتاج

فمن الواضح بعد كل ما قيل ان قيمة قوة العمل تحددها قيمة وسائل المعيشة الضرورية من اجل انتاج قوة العمل وتطويرها والمحافظة عليها وادامتها

٨ . انتاج القيمة الزائدة

لنفترض الآن ان انتاج الكمية الوسطية من وسائل المعيشة الضرورية لعامل معين يومياً ، يتطلب ٦ ساعات من العمل الوسطي . ولنفترض ، هذا ذلك ، ان الساعات الست من العمل الوسطي متجمدة كذلك في كمية من الذهب تساوي ثلاثة شلنات اذ ذاك تكون هذه الشلنات الثلاثة هي السعر ، او التعبير النقدي لقيمة قوة العمل اليومية لهذا العامل . وهو اذ يشتغل ست ساعات في اليوم ، ينتج كل يوم قيمة تكفي لشراء الكمية الوسطية من وسائل المعيشة التي هو في حاجة اليها يومياً ، اي من اجل الابقاء على وجوده بوصفه عاملاً ولكن هذا الانسان هو عامل ماجور . ولذلك فان عليه ان

يبيع قوة عمله للرأسمالي فاذا هو باعها بثلاثة شلنات يوميا او بـ ١٨ شلنا اسبوعيا ، فانه يبيعها بقيمتها ولنفترض انه غزال . واذا هو اشتغل ست ساعات في اليوم ، فانه يضيف الى القطن كل يوم قيمة قدرها ثلاثة شلنات . وهذه القيمة التي يضيفها يوميا الى القطن تؤلف المعادل المضبوط لاجرته ، اي للسعر الذي يتناوله يوميا مقابل قوة عمله . ولكن ، في هذه الحال ، لن تعود على الرأسمالي اية قيمة زائدة ، او نتاج زائد . وهكذا نصطدم هنا بصعوبة حقيقية

ان الرأسمالي ، بشرائه قوة عمل العامل ودفعه قيمتها ، قد اكتسب ، كجميع المشتريين الآخرين ، حق استهلاك البضاعة المشتراة واستعمالها . وكما تُستهلك الآلة او تُستعمل بتشغيلها ، كذلك تُستهلك قوة عمل الانسان ايضا وتُستعمل باجباره على العمل . فالرأسمالي بدفعه ثمن القيمة اليومية او الاسبوعية لقوة عمل العامل ، قد اكتسب حق استخدام هذه القوة وتشغيلها طيلة اليوم كله او الاسبوع كله . وثمة ، بالطبع ، حدود معينة ليوم العمل او اسبوع العمل . الا اننا سنتناول هذا فيما بعد على نحو اكثر تفصيلا

وبودي الآن ان الفت انتباهكم الى نقطة حاسمة

ان قيمة قوة العمل تحددها كمية العمل الضرورية للبقاء عليها او لتجديد انتاجها ، في حين ان استخدام قوة العمل هذه ليس له من حدود غير طاقة العامل على العمل وقوته الجسدية. والقيمة اليومية او الاسبوعية لقوة العمل هي شيء متميز كل التميز عن الاتفاق اليومي او الاسبوعي لهذه القوة ، مثلما يتميز العلف الذي يحتاج اليه الحصان كل التميز عن الوقت الذي يستطيع فيه حمل فارسه . فان كمية العمل التي تحدد قيمة قوة عمل العامل لا

تؤلف البتة حداً لكمية العمل التي يمكن ان تقوم بها قوة عمله
فلناخذ ، مثلاً ، غزّالنا لقد رأينا انه ، من اجل تجديد انتاج
قوة عمله يومياً ، يجب عليه يومياً ان يجدد انتاج قيمة قدرها
ثلاثة شلنات ، وهو يحقق هذا باشتغاله ست ساعات كل يوم
ولكن هذا لا يجعله عاجزاً عن العمل يومياً ١٠ ساعات او ١٢
او اكثر بيد ان الرأسمالي ، بدفعه القيمة اليومية او الاسبوعية
لقوة عمل الغزّال ، قد اكتسب حق استخدام قوة عمله طيلة
اليوم كله او الاسبوع كله . وعلى هذا فان الرأسمالي يرغم الغزّال
على الشغل مدة ، لنقل ، هي ١٢ ساعة في اليوم . فبالإضافة الى
الساعات الست الضرورية للتعويض عن أجرته ، او قيمة قوة
عمله ، سيشتغل العامل ست ساعات أخرى ، اسميها ساعات
العمل الزائد ، مع العلم ان هذا العمل الزائد سيتجسد في قيمة
زائدة ونتاج زائد فإذا كان غزّالنا ، مثلاً ، يضيف الى القطن
بشغله ست ساعات في اليوم قيمة قدرها ثلاثة شلنات هي المعادل
المضبوط لأجرته ، فانه بشغله ١٢ ساعة في اليوم يضيف الى
القطن قيمة قدرها ستة شلنات وينتج كمية زائدة مناسبة من
الغزّول . ولما كان قد باع قوة عمله للرأسمالي ، فان كل القيمة
التي اوجدها ، او كل النجاج الذي صنعه ، ملك للرأسمالي الذي
يملك « pro tempore » ، قوة عمله . وعلى هذا ، فان الرأسمالي ،
بتسليفه ثلاثة شلنات ، سيحقق قيمة قدرها ستة شلنات ، اذ
انه بتسليفه القيمة التي تتبلور فيها ساعات العمل الست ،
سيحصل بالمقابل على قيمة تتبلور فيها ١٢ ساعة عمل . واذا
ما كرر الرأسمالي هذه العملية يومياً فانه سيسلف يومياً ثلاثة

ثلثات وسيحصل يوميا على ستة ثلثات ، سيستخدم نصفها لدفع اجور جديدة ، ويؤلف النصف الآخر القيمة الزائدة التي لا يدفع الرأسمالي اي معادل لها على هذا النوع بالاضبط من التبادل بين الرأسمال والعمل يقوم الانتاج الرأسمالي ، او نظام العمل المأجور ، وهذا التبادل لا بد ان يؤدي دائما الى ان العامل سيُجدد انتاجه كعامل ، واما الرأسمالي فكَرأسمالي

ان معدل القيمة الزائدة ، في ظروف متساوية اخرى ، يتعلق بالنسبة بين القسم من يوم العمل ، الضروري لتجديد قيمة قوة العمل ، والوقت الزائد ، او العمل الزائد ، المنفق لصالح الرأسمالي . فهو بالتالي يتعلق بمقدار ما يمدد يوم العمل الى ما بعد الوقت الذي لا يجدد فيه العامل بشغله غير قيمة قوة عمله ، او يقدم عوضاً عن اجوره

٩ . قيمة العمل

علينا الآن ان نعود الى تعبير «قيمة العمل لو سعره» . لقد رأينا ان هذه ليست بالفعل غير قيمة قوة العمل ، مقاسة بقيمة البضائع الضرورية للمحافظة عليها ولكن لما كان العامل لا يتناول اجوره الا بعد انتهاء عمله ، ولما كان العامل يعلم ، فضلا عن ذلك ، انه في الحقيقة انما يعطي الرأسمالي عمله بالذات ، فان قيمة او سعر قوة عمله تمثل لديه حتما قيمة او سعر عمله بالذات فاذا كان سعر قوة عمله ثلاثة ثلثات تجسدت فيها ست ساعات عمل ، واذا كان الى جانب ذلك يشتغل ١٢ ساعة ، فانه لا محالة يرى في هذه الثلثات الثلاثة قيمة او

سعر ١٢ ساعة عمل ، مع ان هذه الساعات الاثنتي عشرة تتجسد في قيمة قدرها ٦ شلنات من هنا تخرج نتيجتان
لولا : ان قيمة او سعر قوة العمل تأخذ المظهر الخارجي
لسعر او قيمة العمل نفسه ، مع ان قيمة او سعر العمل انما تمثل ، بدقيق القول ، عبارة لا معنى لها

ثانيا مع ان جزءاً فقط من العمل اليومي للعامل يدفع له منه بينما يظل الجزء الآخر غير مدفوع الثمن ، ومع ان هذا العمل بالذات غير المدفوع الثمن او العمل الرائد هو الذي يؤلف الاساس الذي تتكون منه القيمة الزائدة او الربح ، فانه يبدو كان العمل كله عمل مدفوع الثمن .

هذا المظهر الخادع هو الذي يميز **العمل المأجور** عن اشكال **العمل التاريخية** الاخرى . فعلى اساس نظام العمل المأجور يبدو حق العمل غير المدفوع الثمن عملاً مدفوع الثمن . والامر بالعكس لدى الرقيق ، فحق الجزء المدفوع الثمن من عمله يبدو كانه عمل غير مدفوع الثمن . فقد كان لا بد ، طبعاً ، لكي يتمكن الرقيق من العمل ، ان يعيش ، وقد كان جزء من يوم عمله مستخدماً للتعويض من قيمة اعالته هو . ولكن لما لم تكن ثمة صفقة معقودة بينه وبين سيده ، لما لم يكن ثمة لا شراء ولا بيع بين الطرفين ، فقد كان كل عمل الرقيق يبدو بلا مقابل

ولناخذ ، من جهة اخرى ، الفلاح القن الذي يمكن القول انه حتى الامس كان موجوداً في اوروبا الشرقية باجملها كان هذا الفلاح ، مثلاً ، يشتغل ثلاثة ايام لنفسه في حقله الخاص او الممنوح له ، وكان في الايام الثلاثة الباقيات يقوم بعمل اجباري بلا مقابل في ارض سيده . وهنا على هذه الصورة ، كان الجزء المدفوع الثمن من العمل منفصلاً بشكل ملموس ، من حيث الزمان

والمكان ، عن الجزء غير المدفوع الثمن ، وكان ليبيرونا ياخذهم
الغضب الأخلاقي لاعتبارهم فكرة اجبار الانسان على العمل مجاناً
فكرة خرقاء

والواقع ان الامر سواء في ان يشتغل انسان ثلاثة ايام في
الاسبوع لنفسه في حقله الخاص وثلاثة ايام بلا مقابل في ارض
سيده او ان يشتغل في المعمل او الورشة ست ساعات في اليوم
لنفسه وست ساعات لرب عمله ، وان يكن جزءا العمل المدفوع
الثمن وغير المدفوع ، في الحالة الاخيرة ، متمازجين تمازجاً لا
انفصام له ، وان تكن طبيعة هذه الصفقة مموهة تمويتها تماماً عن
طريق الاتفاقية والدفع في آخر الاسبوع في احدى الحالين يبدو
العمل غير المدفوع الثمن مقدماً طوعاً ، ويبدو في الاخرى منتزعا
كرها هذا هو الفرق كله

فاذا ما استعملت ، فيما بعد ، عبارة «قيمة العمل» فما
ذلك الا كعبارة شائعة مألوفة للتعبير عن «قيمة قوة العمل»

١٠. الارباح تتحقق لدى بيع البضائع بقيمتها

لنفترض ان ساعة عمل وسطية تتجسد في قيمة قدرها ٦
بنسات ، او ان ١٢ ساعة عمل وسطية تتجسد في قيمة قدرها
سنة شلنات ولنفترض بالاضافة الى ذلك ان قيمة العمل هي
ثلاثة شلنات ، اي نتاج ست ساعات عمل وبعد ذلك ، اذا
كانت المواد الاولية ، والآلات ، الخ ، المستخدمة في عملية انتاج
البضاعة ، يتجسد فيها ٢٤ ساعة عمل وسطية ، فان قيمتها
تساوي ١٢ شلناً . وهذا ذلك ، اذا كان العامل الذي يشغله
الراسمالي يضيف الى وسائل الانتاج هذه ١٢ ساعة عمله ، فان

هذه الساعات الاثنتي عشرة ستنتج قيمة اضافية قدرها ستة شلنات . وعليه ، فان **القيمة الاجمالية للنتاج** ستساوي ٢٦ ساعة عمل متجسدة وتعادل ١٨ شلنا ولكن لما كانت قيمة العمل ، او الاجرة التي يتناولها العامل ، تساوي ثلاثة شلنات فقط ، فان الرأسمالي لا يكون قد دفع اي معادل مقابل ساعات العمل الزائد الست التي بذلها العامل والتي تجسدت في قيمة البضاعة وحين يبيع الرأسمالي هذه البضاعة بقيمتها ، بـ ١٨ شلنا ، فانه يحقق بالتالي قيمة قدرها ثلاثة شلنات لا يكون قد دفع اي معادل لها وهذه الشلنات الثلاثة تؤلف قيمته الزائدة ، اي الربح ، الذي يضعه في جيبه . واذن يكون الرأسمالي قد حقق ربحا قدره ثلاثة شلنات لا لأنه باع بضاعته بسعر اعلى من قيمتها بل لأنه باعها بقيمتها الحقيقية

ان قيمة البضاعة تحددها **الكمية الاجمالية للعمل** الذي تنطوي عليه الا ان جزءا من كمية العمل هذه يتجسد في قيمة دفع معادلهما بشكل اجرة ، والجزء الآخر يتجسد في القيمة التي لم يدفع اي معادل لها ان جزءا من العمل الذي تنطوي عليه البضاعة هو عمل مدفوع الثمن ، والجزء الآخر عمل غير مدفوع الثمن . واذن ، فالرأسمالي ، حين يبيع البضاعة بقيمتها ، اي كتبلور ل**كمية العمل الاجمالية** المنفقة لانتاج بضاعة ما ، فانه يبيعها حتما بربح . فهو لا يبيع فقط ما دفع مقابله معادلا ، بل يبيع ايضا ما لم يكلفه شيئا ، برغم ان ذلك قد كلف عامله العمل . فما تكلف البضاعة 'الرأسمالي' وما تكلفه بالفعل هما شيان مختلفان . اكرر اذن ان الربح العادي والوسطي يتم الحصول عليه لا من بيع البضائع باعلى من قيمتها الحقيقية ، بل ببيعها بقيمتها الحقيقية .

١١ . مختلف الاجزاء التي تتوزع عليها القيمة الزائدة

القيمة الزائدة ، او ذلك الجزء من القيمة الاجمالية للبضاعة الذي يتجسد فيه عمل العامل **الزائد** - او غير المدفوع الثمن - اسمها **الربح** . وهذا الربح لا يدخل كله جيب الرأسمالي رب العمل . فاحتكار الارض يجعل في قدرة مالك الارض الاستيلاء على جزء من **القيمة الزائدة** هذه بشكل ربح ، سواء اكانت الارض مستخدمة للزراعة او لبناء الابنية ، ام لخطوط حديدية ، ام لاية غاية انتاجية اخرى . ومن جهة اخرى ، ان واقع كون امتلاك **ادوات العمل** يعطي الرأسمالي رب العمل امكانية انتاج قيمة زائدة او الاستيلاء على كمية معينة من العمل غير المدفوع الثمن ، وهو الشيء نفسه ، يؤدي الى ان مالك وسائل العمل الذي يعمرها كلياً او جزئياً للرأسمالي رب العمل ، وبكلمة ، **الرأسمالي الممول** ، يكون قادراً على المطالبة لنفسه بجزء آخر من هذه القيمة الزائدة باسم **فائدة** . وهكذا لا يبقى للرأسمالي رب العمل بوصفه هذا غير ما يسمى بالربح الصناعي او التجاري .

والمسألة المتعلقة بمعرفة القوانين التي بموجبها ينتظم هذا التوزيع لمبلغ القيمة الزائدة الاجمالي بين هذه الفئات الثلاث من الناس هي مسألة لا علاقة لها البتة بموضوعنا الا انه يستخلص من كل ما سبق قوله ما يلي :

ان **الربح العقاري** ، و**الفائدة البنوية** ، و**الربح الصناعي** ليست سوى تسميات مختلفة لمختلف اجزاء **القيمة الزائدة** للبضاعة ، اي للعمل غير المدفوع الثمن المتجسد فيها ، وهي جميعا بمقياس واحد مستمدة من هذا المصدر ، ومنه وحده . فهي غير متولدة لا من الارض كارض ولا من الرأسمال كراسمال ، ولكن الارض

والرأسمال هما اللذان يتيحان لمالكيهما ان يحصل كل منهم على حصته المناسبة من القيمة الزائدة التي يبتزها الرأسمالي رب العمل من العامل . وانه لأمر ثانوي الاهمية ، بالنسبة للعامل نفسه ، ان تذهب هذه القيمة الزائدة التي هي ثمرة عمله الزائد ، ثمرة عمله غير المدفوع الثمن ، الى جيب الرأسمالي رب العمل وحده ، او ان يضطر هذا الاخير للتخلي عن اجزاء منها بشكل ريع وفائدة لاشخاص ثالثين . واذا افترضنا ان الرأسمالي رب العمل يستخدم رأسماله الخاص فقط وانه هو نفسه مالك الارض التي هو في حاجة اليها ، فان القيمة الزائدة كلها تتدفق اذ ذاك على جيبه

ان الرأسمالي رب العمل هو الذي يبتز هذه القيمة الزائدة ، مباشرة ، من العامل ، بصرف النظر عن الحصة التي سيستطيع الاحتفاظ بها لنفسه في النهاية . وعلى هذه الصورة ، فان كل نظام العمل المأجور اي كل نظام الانتاج الحالي انما يقوم على هذه العلاقة بالذات بين الرأسمالي رب العمل والعامل المأجور . ولذلك فان بعض المواطنين الذين اشتركوا في مناقشاتنا قد اخطاوا حين حاولوا تلطيف الامور واعتبار هذه العلاقة الاساسية بين الرأسمالي رب العمل والعامل مسألة من الدرجة الثانية ؛ مع انهم كانوا على صواب بتأكيدهم ان ارتفاع الاسعار يمكن ، في ظروف معينة ، ان يمس بدرجات متفاوتة كل التفاوت الرأسمالي رب العمل ومالك الارض ، والرأسمالي النقدي ، و- اذا شئتم - جابي الضرائب

ويستخلص مما سبق قوله استنتاج آخر ايضا

ان ذلك الجزء من قيمة البضاعة الذي لا يمثل غير قيمة المواد الاولية ، والآلات ، وبكلمة موجزة ، غير قيمة وسائل الانتاج المستهلكة ، لا ينتج وحلا قط ، بل يعوض الرأسمال فقط . ولكن حتى اذا طرحنا هذه المسألة جانباً ، فان من الخطأ القول بان

الجزء الآخر من قيمة البضاعة الذي يؤلف المخل او الذي يمكن ان يوزع بشكل اجرة ، وريح ، وريح عقاري ، وفوائد ، انما يتألف من قيمة الاجور ، وقيمة الريح العقاري ، وقيمة الريح ، الخ
 اننا اولاً سنطرح الاجور جانباً وسنقتصر على بحث الربح الصناعي والفائدة ، والريح لقد رأينا للتو ان القيمة الزائدة التي تنطوي عليها البضاعة ، او ذلك الجزء من قيمتها الذي يتجسد فيه العمل غير المدفوع الثمن ، يتوزع هو نفسه الى اجزاء مختلفة ذات ثلاثة اسماء مختلفة ولكن من الخطا كل الخطا القول بان قيمة هذا الجزء من البضاعة تتألف او تتكون عن طريق جمع القيم المستقلة لهذه الاجزاء التكوينية الثلاثة

اذا كانت ساعة عمل تجسد في قيمة قدرها ٦ بنسات ، واذا كان يوم عمل العامل يتضمن ١٢ ساعة ، واذا كان نصف هذه المدة يمثل عملاً غير مدفوع الثمن ، فان هذا العمل الزائد يضيف الى البضاعة قيمة زائدة قدرها ثلاثة شلنات ، اي القيمة التي لم يدفع اي معادل لها وهذه القيمة الزائدة المقدرة بثلاثة شلنات تؤلف كل المبلغ الذي يمكن للراسمالي رب العمل اقتسامه ، بنسبة ما ، مع مالك الارض ومقرض المال . وهذه القيمة المقدرة بثلاثة شلنات تؤلف حد القيمة التي يمكن ان يقتسموها فيما بينهم . ولكن الامر لا يجري البتة على نحو يكون فيه الراسمالي رب العمل نفسه هو الذي يضيف الى قيمة البضائع قيمة كيفية لتحقيق ربحه ، والى القيمة تنضاف قيمة اخرى من اجل مالك الارض ، وهكذا دواليك ، بحيث ان جمع هذه القيم ، المحددة كيفياً ، يؤلف القيمة الاجمالية للبضاعة وهكذا ترون كل خطأ تلك الفكرة الرائجة التي تخلط بين توزيع قيمة معينة الى ثلاثة اجزاء وبين تكوين هذه القيمة عن طريق جمع ثلاث قيم مستقلة ، وبذلك

تحول القيمة المجموعية التي هي مصدر الربح العقاري ، والربح ، والفائدة ، الى مقدار كافي .

وليكن الربح الاجمالي المحقق من قبل الرأسمالي مساويا لـ ١٠٠ ليرة سترلينية . ان مبلغ الربح هذا ، باعتباره مقدارا مطلقا ، نسميه **مجموع الربح** . ولكن اذا نحن حسبنا نسبة هذه المئة ليرة سترلينية الى الرأسمال المسلف فاننا نسمي هذا المقدار **النسبي معدل الربح** . وواضح ان معدل الربح هذا يمكن ان يعبر عنه بصورتين .

لنفترض ان الرأسمال المسلف **للاجرة** هو ١٠٠ ليرة سترلينية . واذا ما بلغت القيمة الزائدة المنتجة هي ايضا ١٠٠ ليرة سترلينية ، فان هذا يدل على ان نصف يوم عمل العامل مؤلف من عمل غير مدفوع الثمن ، واذا ما قدرنا هذا الربح بناء على قيمة الرأسمال المسلف للاجور ، نقول ان **معدل الربح** يساوي ١٠٠ بالمئة ، اذ ان القيمة المسلفة تساوي ١٠٠ ، والقيمة المحققة تساوي ٢٠٠

واذا ما اخذنا بعين الاعتبار ، من جهة اخرى ، ليس فقط الرأسمال المسلف للاجور ، بل كل الرأسمال المسلف ، وهو مثلا ٥٠٠ ليرة سترلينية ، منها ٤٠٠ ليرة تمثل قيمة المواد الاولى ، والالات ، وهلم جرا ، فان هذا يدل على ان **معدل الربح** يساوي ٢٠ بالمئة فقط ، اذ ان الربح وهو ١٠٠ ليرة سترلينية لن يكون غير خمس كل الرأسمال المسلف .

ان الصورة الاولى للتعبير عن معدل الربح هي الوحيدة التي تبين النسبة الحقيقية بين العمل المدفوع الثمن والعمل غير المدفوع الثمن ، والدرجة الحقيقية exploitation * (واسمحوا لي

باستعمال هذه الكلمة الفرنسية (العمل . والصورة الاخرى للتعبير هي مستعملة عادة ، وهي صالحة ، فعلا ، لبعض الاغراض ، وعلى كل حال مفيدة جداً لاختفاء الاحجام التي يعتمر الرأسمالي بها العمل المجاني من العامل .

وفي الملاحظات التي بقي علي ان اقدمها ، ساستخدم كلمة ربح لتعيين كل مجموع القيمة الزائدة المبتزة من قبل الرأسمالي ، دون ان اهتم بتوزيع هذه القيمة الزائدة بين مختلف الفئات من الاشخاص ؛ وحين ساستعمل تعبير معدل الربح ، ساقدر دائماً الربح بناء على النسبة بينه وبين قيمة الرأسمال المسلف اجوراً .

١٢ . النسبة العامة بين الارباح والاجور والاسعار

اذا نحن طرحنا من قيمة البضاعة القيمة المعوضة عن المواد الاولى وغيرها من وسائل الانتاج المستهلكة فيها ، اي اذا نحن طرحنا القيمة التي تمثل العمل الماضي الذي تحتوي عليه البضاعة ، فان القسم الباقي من قيمة البضاعة سيقصر على كمية العمل التي اضافها اليها العامل في عملية الانتاج الاخيرة . فاذا كان هذا العامل يشتغل ١٢ ساعة في اليوم ، واذا كانت ١٢ ساعة من العمل الوسطي تتبلور في مبلغ من الذهب قدره ستة شلنات ، فان هذه القيمة المنضمة وقدرها ستة شلنات هي القيمة الوحيدة التي يكون عمله قد اوجدها . وهذه القيمة التي تحددها مدة العمل هي الصندوق الوحيد الذي سياخذ منه كل من العامل والرأسمالي على السواء نصيبهما او حصتهما ، هي القيمة الوحيدة الموزعة الى اجرة وريح . وواضح ان هذه القيمة نفسها لن تتغير مهما كانت النسبة التي تقسم بموجبها بين الطرفين . كما لن يتغير شيء اذا نحن

اخذنا ، بدلا من عامل واحد ، جميع العمال ، او اذا نحن اخذنا ، بدلا من يوم عمل ، ١٢ مليون يوم عمل ، مثلا

ولما لم يكن لدى الرأسمالي والعامل ما يستطيعان اقتسامه فيما بينهما غير هذه القيمة المحدودة، اي القيمة المقاسة بمقياس مجموع عمل العامل ، فان احدهما يأخذ اكثر بمقدار ما يأخذ الآخر اقل ، و vice versa . ولما لم يكن ثمة غير كمية معينة ، فان احد جزئيهما سيزداد بمقدار ما ينقص الجزء الآخر . واذا ما تبدلت الاجور ، فان الارباح تتبدل على نحو معاكس فاذا انخفضت الاجور ارتفعت الارباح واذا ارتفعت الاجور هبطت الارباح فاذا كان العامل ، كما سبق ان افترضنا ، يتناول ثلاثة شلنات ، اي نصف القيمة التي يوجدها ، او اذا كان يوم عمله يتألف نصفه من عمل مدفوع الثمن ونصفه الآخر من عمل غير مدفوع الثمن ، فان معدل الربح يساوي ١٠٠ بالمئة ، اذ ان الرأسمالي يحصل ايضا على ثلاثة شلنات . واذا كان العامل لا يتناول غير شلنين ، اي اذا كان لا يشتغل لنفسه غير ثلث اليوم ، فان الرأسمالي يحصل على اربعة شلنات ، وعلى ذلك يكون معدل الربح ٢٠٠ بالمئة . واذا كان العامل يتناول اربعة شلنات ، والرأسمالي لا يحصل الا على اثنين ، فان معدل الربح يهبط اذ ذاك ٥٠ بالمئة بيد ان جميع هذه التغيرات لا تأثير لها على قيمة البضائع وبالتالي ، فان الارتفاع العام للاجور من شأنه ان يؤدي الى هبوط المعدل العام للربح ، الا انه لن يؤثر على قيمة البضائع .

ولكن مع ان قيم البضائع التي ينبغي في النهاية ان تنظم اسعارها في السوق ، تحددها فقط الكميات المجموعية للعمل الثابت فيها ولا تتعلق بتقسيم كل من هذه الكميات الى عمل مدفوع الثمن وعمل غير مدفوع الثمن ، فانه لا ينجم من ذلك البتة ان

قيمة هذه البضاعة او تلك او عدد ما من البضائع المنتجة في ١٢ ساعة ، مثلا ، تظل ثابتة على الدوام ان كمية او مجموع البضائع المصنوعة في مدة عمل معينة او بواسطة كمية عمل معينة تتعلق بالقوة الانتاجية للعمل المستخدم في انتاجها لا بمدة الزماني او مدته ففي مستوى معين من القوة الانتاجية لعمل الفزّال ، يتم ، مثلا ، في يوم من العمل قدره ١٢ ساعة ، انتاج ١٢ رطلا من الفزول ، اما في مستوى ادنى من القوة الانتاجية فطرلين فقط . وعليه اذا كان عمل وسطي من ١٢ ساعة يتجسد في قيمة قدرها ستة شلنات ، فان الاثني عشر رطلا من الفزول تكلف في حالة ستة شلنات وفي حالة اخرى يكلف رطلان من الفزول ستة شلنات ايضا . وبالتالي فان رطلا من الفزول يكلف ستة بنسات في حالة ، و ٣ شلنات في حالة اخرى . ويكون اختلاف السعرين نتيجة لتنوع القوة الانتاجية للعمل المستخدم لدى وجود قوة انتاجية اعلى تتجسد ساعة عمل في رطل من الفزول ، بينما تتجسد ست ساعات عمل في رطل من الفزول لدى وجود قوة انتاجية ادنى . وفي احدى الحالين ، لا يساوي سعر رطل الفزول الا ستة بنسات ، برغم ان الاجور كانت مرتفعة نسبيا ومعدل الربح منخفضا بل قد يساوي في حالة اخرى ثلاثة شلنات برغم ان الاجور كانت منخفضة ومعدل الربح مرتفعاً . ويكون الامر كذلك لان سعر رطل الفزول تحدده الكمية الكلية للعمل المبذوف فيه ، لا النسبة التي بموجبها توزع هذه الكمية الكلية بين عمل مدفوع الثمن وعمل غير مدفوع الثمن . والواقع الذي سبقت الاشارة اليه وهو ان العمل الجزيل الاجر قد ينتج بضاعة رخيصة الثمن ، والعمل الضئيل الاجر قد ينتج بضاعة غالية الثمن ، لا يعود يبدو بالتالي امراً مستغرباً . فما هو الا التعبير عن القانون العام ومؤداه ان

قيمة البضاعة تحددها كمية العمل المتجسد فيها ، وان كمية العمل هذه تتعلق حصراً بالقوى الانتاجية للعمل المستخدم ، ولهذا تنغير مع كل تغير في انتاجية العمل

١٢ اهم حالات النضال في سبيل زيادة الاجور او ضد تخفيضها

والآن ، لنبحث بكل جدية اهم حالات النضال في سبيل زيادة الاجور او ضد تخفيضها

(١) لقد رأينا ان قيمة قوة العمل او ، بتعبير اكثر انتشاراً ، قيمة العمل تحددها قيمة وسائل المعيشة او كمية العمل الضروري لانتاجها . وعليه ، فاذا كانت قيمة وسائل المعيشة التي يستهلكها العامل وسطياً كل يوم ، في بلد معين ، تتألف من ست ساعات عمل وتتمثل بثلاثة شلنات ، فلا بد للعامل ان يشتغل ست ساعات في اليوم لكي ينتج معادل ما يعيل به نفسه يومياً . واذا كان يوم العمل الكامل يبلغ ١٢ ساعة ، فان الرأسمالي يدفع له قيمة عمله باعطائه ثلاثة شلنات . ويكون نصف يوم العمل مؤلفاً من عمل غير مدفوع الثمن ، ويبلغ معدل الربح ١٠٠ بالمئة ولكن لنفترض الآن انه ، نتيجة لنقص الانتاجية ، اصبح يتطلب لانتاج الكمية نفسها من المنتجات الزراعية ، مثلاً ، مزيد من العمل ، بحيث ان سعر الكمية الوسطية من وسائل المعيشة المستهلكة يومياً من قبل العامل يرتفع من ٣ الى ٤ شلنات . وفي هذه الحال ، ترتفع قيمة العمل بمقدار الثلث او ٣٣ بالمئة واذا ذاك يتطلب انتاج معادل الاحوالة اليومية للعامل المناسب لمستوى معيشته السابق ، ثماني ساعات عمل وبالتالي يهبط العمل الزائد من ست ساعات الى اربع ، ومعدل الربح من ١٠٠

الى ٥٠ بالمئة بيد ان العامل اذ يطالب بزيادة الاجور انما يطالب فقط بان تدفع له قيمة عمله المرتفعة ، شانه في ذلك شان كل بائع آخر لبضاعة ما يسمى ، لدى ازدياد تكاليف انتاج بضاعته ، لان تدفع له هذه القيمة المرتفعة لبضاعته فاذا لم ترتفع الاجور او اذا هي لم ترتفع ارتفاعا كافيا للتعويض عن القيمة المرتفعة لوسائل المعيشة ، فان سعر العمل يهبط الى ادنى من قيمة العمل ويزداد مستوى معيشة العامل سوءا

ولكن قد يحدث تغير في اتجاه معاكس فنتيجة لازدياد انتاجية العمل ، يمكن ان يهبط سعر الكمية نفسها من وسائل المعيشة ، المستهلكة من قبل العامل وسطيا في اليوم ، من ثلاثة شلنات الى شلنين ، وبعبارة اخرى ، يمكن ان لا يتطلب انتاج معادل قيمة وسائل المعيشة المستهلكة يوميا غير اربع ساعات من يوم العمل بدلا من ست ساعات . واذا ذلك يصبح في وسع العامل ان يشتري بشلنين المقدار نفسه من وسائل المعيشة الذي كان يشتريه سابقا بثلاثة شلنات . وتكون قيمة العمل قد هبطت بالفعل ، الا ان العامل يتناول الكمية السابقة نفسها من هذه البضائع برغم هبوط القيمة هذا . واذا ذلك يرتفع الربح من ثلاثة الى اربعة شلنات ومعدل الربح من ١٠٠ الى ٢٠٠ بالمئة

ومع ان المستوى المطلق لمعيشة العامل يكون قد بقي على حاله ، فان اجرته النسبية ، وبالتالي ، وضعه الاجتماعي النسبي ، وضعه بالمقارنة مع وضع الراسمالي ، يكونان قد هبطا . وبمقاومة هذا التخفيض لاجرته النسبية ، يكون العامل مطالبا فقط بحصة معينة مما تعطيه قوى عمله الخاص الانتاجية المرتفعة ، ويكون انما ينشد فقط المحافظة على وضعه النسبي السابق في السلم الاجتماعي . وهكذا فان اصحاب المعامل الانجليز قد عمدوا ،

بعد إلغاء قوانين الحبوب ، وعلى نحو مخالف بصورة خارقة للتعهدات التي قطعوها على رؤوس الاشهاد اثناء التحرير ضد قوانين الحبوب ، الى تخفيض الاجور بصورة عامة بنسبة ١٠ بالمئة وفي البداية ، لم تنجح مقاومة العمال ، وفيما بعد ، ونتيجة لظروف ليس في وسعي التوقف عندها الآن ، تم استرداد العشرة بالمئة المفقودة .

(٢) ان قيمة وسائل المعيشة ، وبالتالي قيمة العمل ، يمكن ان تظلا ثابتتين ، بيد ان الى جانب ذلك يمكن ان يتغير سعرهما النقديان ، نتيجة لتغير قيمة النقد من قبل .

فبفضل اكتشاف مناجم ذهب اغني ، الخ ، يمكن ان يحدث ان انتاج اوقيتين من الذهب ، مثلا ، لا يتطلب من العمل اكثر مما كان يتطلبه من قبل انتاج اوقية واحدة من الذهب وفي هذه الحال تهبط قيمة الذهب بمقدار النصف ، اي ٥٠ بالمئة . واذ ذلك تفدو قيمة العمل ، وكذلك قيم جميع البضائع الاخرى معبرا عنها بضعف اسعارها النقدية السابقة . والاثنين عشرة ساعة عمل المعبر عنها سابقا بستة شلنات تفدو الآن معبرا عنها بـ ١٢ شلنا واذا ما بقيت اجرة العامل ، كما في السابق ، تساوي ثلاثة شلنات بدلا من ان ترتفع الى ستة ، فلا يكون السعر النقدي لعملة الا نصف قيمة عمله ، وتساءل ظروف معيشته الى درجة رهيبة ويحدث هذا ايضا الى درجة كبيرة لوما ما اذا ارتفعت اجرته ولكن لا بنسبة هبوط قيمة الذهب . وفي مثالنا هذا لا يحدث اي تغير لا في قوة العمل المنتجة ، ولا في العرض والطلب ، ولا في قيم البضائع . لا يحدث اي تغير ، اللهم الا في التسميات النقدية لهذه القيم . والقول بان العامل لا ينبغي له ، في مثل هذه الحال ، ان يسعى للحصول على زيادة مناسبة للاجور ، معناه القول بان على

العامل ان يكتفي بما يدفع له من تسميات عوضاً عن الاشياء . ان كل تاريخ الماضي يبرهن على انه ، كلما حدث هبوط مماثل في سعر النقد ، يسارع الراسماليون الى اغتنام هذه الظروف المواتية لخداع العمال . ولما مدرسة كبيرة العدد جداً من الاقتصاديين تؤكد ان قيمة المعادن الثمينة قد هبطت من جديد نتيجة لاكتشاف مكان جديدة للذهب ، ولاستغلال مناجم الفضة استغلالاً احسن ، ولعرض الزئبق بسعر ارخص ومن شأن هذا ان يفسر المطالبة العامة القائمة في القارة في آن واحد من اجل زيادة الاجور .

(٢) لقد انطلقنا حتى الآن من الافتراض بان ليوم العمل حدوداً معينة . الا انه ، بحذ ذاته ، ليس له حدود ثابتة والراسمال يجهد على الدوام لاطالته الى اقصى حد ممكن مادياً ، اذ ان العمل الزائد يزداد في الوقت نفسه ، ويزداد بالتالي الربح الناجم عنه . وكلما كان نجاح الراسمال اكبر في اطالة يوم العمل ، كلما كبرت كمية عمل الغير التي يستولي عليها فائز القرن السابع عشر ، وحتى في الثلثين الاولين من القرن الثامن عشر ، كان اليوم العادي للعمل عشر ساعات في انجلترا كلها واثناء الحرب ضد اليعاقبة التي كانت في الواقع حرب البارونات البريطانيين ضد الجماهير الكادحة البريطانية (٢٣) ، احتفل الراسمال بافراحه ، فاطال يوم العمل من ١٠ الى ١٢ الى ١٤ ، الى ١٨ ساعة . وان مالتوس ، وهو شخص لا يمكن باية حال اتهامه بالنزعة العاطفية ، قد اعلن في كراس صدر حوالى عام ١٨١٥ ، بان الامور اذا ما استمرت على هذا النحو ، فان حياة الامة ستدمر من جلورها بالذات (٢٤) . وقبل تصميم الآلات المخترعة حديثاً

بيضع سنوات ، حوالى عام ١٧٦٥ ، ظهرت في إنجلترا اهجية بعنوان «بحث في التجارة» والمؤلف المجهول . ، وهو عذر لدود للطبقة العاملة ، يسهب فيها بالحديث عن ضرورة توسيع حدود يوم العمل . ومن اجل هذه الغاية يقترح ، فيما يقترح ، اقامة دور للعمل (٢٥) ينبغي ان تكون ، حسب تعبيره ، «دور الهول» . وماذا ينبغي ان يكون طول يوم العمل الذي يقترحه «دور الهول» هذه ؟ اثنتي عشرة ساعة - وهي بالضبط المدة نفسها التي اعلن الراسماليون ، والاقتصاديون ، والوزراء ، في عام ١٨٢٢ ، انها مدة العمل لا الموجودة فعلا وحسب بل والضرورية ايضا للاولاد الذين تقل اعمارهم عن الثانية عشرة ان العامل ، اذ يبيع قوة عمله - وهو مضطر لفعل ذلك في ظل النظام الحالي - يسلم للرأسمالي باستعمال هذه القوة ، ولكن في حدود معقولة معينة . انه يبيع قوة عمله من اجل ان يحافظ عليها - وهنا نطرح جابا تلفها الطبيعي - لا من اجل تدميرها ولدى بيع العامل لقوة عمله بقيمتها اليومية او الاسبوعية يفترض ان هذه القوة لن تستهلك وتتلّف في يوم واحد او اسبوع واحد كما تستهلك وتتلّف في يومين او اسبوعين لناخذ آلة قيمتها ١ ليرة سترلنية فاذا كانت تشتغل مدة عشر سنوات فانها تضيف الى قيمة البضائع التي تشارك في صنعها مئة ليرة سترلنية في السنة . واذا كانت تشتغل في خمس سنوات ، فانها تضيف الى هذه القيمة ٢٠٠ ليرة سترلنية في السنة . وبتعبير آخر ، ان قيمة تلفها السنوي تتناسب تناسباً عكسياً مع مدة استهلاكها . ولكن العامل ، من هذه الناحية بالذات ، يتميز عن

الآلة . فالآلات تتلف على نحو لا يتناسب تناسباً كاملاً واستهلاكها ؛ اما الانسان فانه ، بالعكس ، يذوى بمقياس اكبر كثيراً مما قد يتصور الذهن بناء على مجرد الارقام المعينة لاطالة مدة عمله وحين يناضل العمال في سبيل اعادة يوم العمل الى مقداره المعقول السابق ، او- في حال هدم استطاعتهم الحصول على التعديد القانوني ليوم العمل العادي- حين يسعون الى تفادي العمل المتجاوز الحدود من طريق زيادة الاجور ، زيادة لا تكون فقط متناسبة وما يبتز منهم من وقت زائد ، بل مرفوعة الى معدل اعلى ايضاً ، انما يقومون فقط باداء واجبهم حيال انفسهم وحيال انسالهم انهم يقومون فقط بوضع حد لتجاوزات الراسمال التعسفية . ان الزمن هو ميدان التطور البشري . والانسان الذي ليس لديه لحظة فراغ ، الانسان الذي يستأثر عمله للرأسمالي بكل حياته ، خلا فترات انقطاع تتصل بحاجات محض جسدية هند النوم والطعام ، الخ . ، مثل هذا الانسان منحدر الى وضع أسوأ من وضع الدواب . انه ، وهو منسحق جسدياً ومتبلد روحياً ، مجرد آلة تنتج الثروة للغير . ومع ذلك فان كل تاريخ الصناعة الحديثة يبين ان الراسمال ، اذا لم يكن ثمة ما يمنعه ، سيسعى بدون اكرات ولا شفقة للمبوط بالطبقة العاملة كلها الى هذه الحال من الانحطاط الالفد .

ان الرأسمالي ، اذ يطيل يوم العمل ، يكون في وسعه دفع اجور اعلى ، الا انه يتمكن مع ذلك من دفع ثمن اقل لقاء قيمة العمل . ويحدث هذا حين تكون زيادة الاجور لا تتناسب وازدياد كمية العمل المبتزة من العامل والتدمير المتسارع لقوة العمل نتيجة لذلك . وفي وسع الرأسمالي بلوغ ذلك بطريقة اخرى ايضاً . يقول لكم ، مثلاً ، الاحصائيون الرحوازيون الانجليز ان الاجور الوسطية

لعائلات العمال المشتغلة في معامل لانكشير قد ارتفعت وهم ينسبون الى جانب ذلك انه بالاضافة الى الرجل الراشد ، رب العائلة ، يلقى اليوم ، تحت عجلة جاجار ناووت (٢٦) للرأسمال ، بزوجه وربما بثلاثة او اربعة اولاد ، وان زيادة الاجرة العامة للعائلة لا تتناسب البتة وزيادة الكمية العامة للعمل الزائد المبتز من الاسرة العاملة

وحق في الحدود المعينة ليوم العمل ، كما هي موجودة الآن في جميع فروع الصناعة الخاضعة لقانون المعامل ، قد تصبح زيادة الاجور صورية ولو من اجل الابقاء على دفع قيمة العمل في مستواه السابق . وقد يكون الرجل ، عند زيادة شدة عمله ، مضطراً لان ينفق من القوة الحيوية في ساعة واحدة قدر ما كان ينفق منها في ساعتين . وهذا ما حدث ، الى درجة ما ، في الصناعات الخاضعة لقانون المعامل . بفعل تسارع عمل الآلات وازدياد كمية الآلات العاملة التي يراقبها رجل واحد ، واذا كانت زيادة شدة العمل ، او مجموع العمل ، المنفق في ساعة واحدة ، مصحوبة بتخفيض مناسب في يوم العمل ، فالفائدة من ذلك تكون اذ ذلك للعامل . واذا ما تجاوز هذا الحد فانه يخسر من ناحية ما يكتسبه من ناحية اخرى ، وقد تكون ساعات العمل العشر متلفة قدر ما كانت الساعات الاثنتا عشرة سابقاً . والعامل حين يجابه اتجاه الرأسمال هذا بالنضال في سبيل زيادات للاجور تتناسب وشدة العمل المتعاطمة انما يناضل فقط ضد الانتقاص من قيمة عمله وضد دمار جيله .

(٤) تعلمون جميعاً ان الانتاج الرأسمالي ، لاسباب لا حاجة الان لشرحها ، يجتاز دورات متوالية معينة فهو يجتاز طور هدوء ، فطور التدهار ، فازدهار ، ففيض في الانتاج ،

فازمة ، فركود واسعار البضائع في السوق ومعدلات الارباح في السوق تتوافق وهذه الاطوار ، هابطة الى ما دون مستواها الوسطي احيانا ومرتفعة عنه احيانا اخرى فاذا ما نظرم الى الدورة بكاملها ، فانكم تلاحظون ان انحرافا في السعر في السوق يعوضه انحراف آخر ، وان اسعار البضائع في السوق ، في حدود الدورة كلها ، تحددها اجمالا قيمها . ففي اطوار هبوط اسعار السوق واطوار الازمة والركود لا بد للعامل ، اذا هو لم يطرح خارج الانتاج كليا ، ان تنخفض اجرته بصورة مؤكدة . وسيكون عليه ، لكي لا يكون مستغفلا ، ان يناضل ضد الرأسمالي ، حتى في حالة مثل هذا الهبوط في اسعار السوق ، لأجل الحيلولة دون الافراط في تخفيض الاجور . واذا لم يناضل العامل في سبيل زيادات للاجور اثناء اطوار الازدهار حين يحصل الرأسماليون على الارباح المرتفعة جداً فلن يحصل حق على اجورته الوسطية في المتوسط اثناء دورة صناعية كاملة ، اي على قيمة عمله وسيكون من بالغ الحق المطالبة بان يعمد العامل ، الذي انخفضت اجرته بالضرورة في اطوار غير ملائمة من الدورة ، الى استبعاد نفسه من تعويض مناسب اثناء الاطوار الملائمة وبصورة عامة ، لا تتحقق قيم جميع البضائع الا بتسوية اسعار السوق المتغيرة باستمرار نتيجة للتقلبات المستمرة في العرض والطلب وليس العمل ، على اساس النظام الحالي ، الا بضاعة كباقي البضائع . اي ان العمل ايضا لا بد ان يمر بهذه التقلبات نفسها ، ونتيجة لذلك فقط يمكن ان يبلغ سعراً وسطياً يتفق وقيمه . فمن غير المعقول ان ينظر الى العمل كبضاعة ، من جهة ، وان يوضع ، من جهة اخرى ، في معزل عن القوانين التي تحدد اسعار البضائع ان الرقيق يتناول كمية ثابتة ومحددة من وسائل المعيشة . اما

العامل المأجور فلا فلا بد ان يسعى لزيادة الاجرة في احدى الحالات ولو من اجل التعويض عن انخفاض الاجور في حالة اخرى . واذا قبل العامل صاغراً بارادة الرأسمالي ، بامر الرأسمالي ، كقانون اقتصادي سام ، فانه ليعاني كل يؤس الرقيق دون ان يتمتع بتلك الدرجة من المعيشة المأمونة التي يتمتع بها الرقيق .

(٥) لقد رأينا في جميع الحالات التي بحثتها - وانها لتؤلف ٩٩ من المئة - ان النضال في سبيل رفع الاجور لا يجري الا بعد تضرات صابغة ، وانه النتيجة الحتمية للتضرات السابقة في مقادير الانتاج ، وفي قوة العمل الانتاجية ، وفي قيمة العمل ، وفي قيمة النقد ، وفي مدة او شدة العمل المبتز ، وفي تقلبات اسعار السوق المتعلقة بتقلبات العرض والطلب والمتفقة ومختلف اطوار الدورة الصناعية ؛ وبكلمة ، ان هذا النضال هو رد فعل يديه العمل ضد افعال الرأسمال السابقة . واذا ما نظرتم الى النضال في سبيل زيادة الاجور بمعزل عن جميع هذه الملابسات ، واذا ما اخذتم بعين الاعتبار تضرات الاجور فقط ، وصرفتم النظر عن جميع التضرات الاخرى التي هي ناجمة عنها ، فانكم لتنتقلون من مقدمة خاطئة لتصلوا الى استنتاجات خاطئة

١٤ . الصراع بين الرأسمال والعمل ونتائجه

(١) لقد بينت ان المقاومة الدورية من جانب العمال ضد تخفيض الاجور ومحاولاتهم الدورية للتوصل الى زيادة الاجور مرتبطة ارتباطاً لا انفصام له بنظام العمل المأجور وناجمة على وجه التخصيص من واقع ان العمل محوّل الى بضاعة وخاضع ، بالتالي ، للقوانين التي تنظم الحركة العامة للاسعار ؛ ولقد بينت

بالاضافة الى ذلك ، ان ارتفاعا عاما للاجور يؤدي الى انخفاض هام في معدلات الارباح ، الا انه لن يكون ذا تأثير على الاسعار الوسطية للبضائع ولا على قيمها ؛ وتقوم الآن ، في النهاية ، مسألة : الى اي مدى ، في هذا الصراع المستمر بين الراسمال والعمل ، يمكن لهذا الاخير ان يحرز النجاح ؟

لقد كان بوسعي ان اجيب على وجه التعميم فاقول ان سعر السوق للعمل ، شأنه في ذلك شأن اسعار جميع البضائع الاخرى ، سيكون خلال مدة كبيرة من الزمن متفقا وقيمتته ؛ وبالتالي ، ان العامل لن ينال وسطيا في النهاية ، برغم كل ارتفاع وهبوط ، ومهما يفعل ، غير قيمة عمله ، اي قيمة قوة العمل التي تحددها قيمة وسائل المعيشة الضرورية للابقاء على هذه القوة وتجديد انتاجها ، والتي تحدد قيمتها بدورها بكمية العمل الذي يتطلبه انتاجها . ولكن ثمة بضع خصائص تميز قيمة قوة العمل ، او قيمة العمل ، من قيم جميع البضائع الاخرى . ان قيمة قوة العمل تتألف من عنصرين : احدهما محض جسدي ، والاخر تاريخي او اجتماعي . والعنصر الجسدي يحدد الحد الأدنى لقيمة قوة العمل . ومعنى هذا ان الطبقة العاملة لا بد لها ، من اجل ان تحافظ على بقائها وتتجدد ، من اجل ان تديم وجودها الجسدي ، من الحصول على وسائل المعيشة الضرورية ضرورة مطلقة لحياتها وتناسلها وبالتالي ، ان قيمة هذه الوسائل المعيشية الضرورية تؤلف الحد الأدنى لقيمة العمل كذلك لمدة يوم العمل ، من جهة اخرى ، حدها الاقصى ، وان يكن شديد القابلية للتمدد وحدها الاعلى نقرره قوة العامل الجسدية فاذا كان الاستنزاف اليومي لقوى حامل الحيوية يتجاوز حدودا معينة ، فلا يعود بالامكان تكرار لك الجهد يوميا . على ان هذا الحد ، كما قلت ، شديد القابلية

للتعدد . ففي ظل تعاقب سريع لاجيال واهنة وقصيرة الاعمار
تموّن سوق العمل كما في ظل سلسلة متعاقبة من اجيال قوية
طويلة الاعمار

والى جانب هذا العنصر الجسدي المحض ، تحدد قيمة العمل
بمستوى المعيشة التقليدي في كل بلد . وهذا المستوى لا يفترض
تلبية حاجات الحياة الجسدية وحسب ، بل تلبية بعض الحاجات
الناشئة عن الظروف الاجتماعية التي يعيش الناس فيها ويتربون
فمستوى معيشة الانجليزي يمكن ان يساوي مستوى معيشة
الارلندي ، ومستوى معيشة فلاح الماني يمكن ان يساوي مستوى
معيشة فلاح من ليفلنده . في وسعكم ان تتبينوا في مؤلف السيد
تورنتون «فيض السكان» اهمية الدور الذي تلعبه في هذا المجال
التقاليد التاريخية والعادات الاجتماعية . فهو يبين فيه ان الاجور
الوسطية في مختلف المناطق الزراعية في انجلترا ، حتى في الوقت
الحاضر ، تختلف اكثر او اقل حسب الظروف الاكثر او الاقل
مواتاة التي خرجت فيها هذه المناطق من حالة القنانة

وهذا العنصر التاريخي او الاجتماعي الداخل في قيمة العمل
يمكن ان يزيد او ينقص ، او حتى ان يختفي كلياً بحيث لا يبقى
غير الحد الجسدي وحده . ففي الحرب ضد اليقاعية ، التي جرت -
كما كان يحلو القول للعجوز جورج روز- آكل الضرائب ومحب
المناصب الراححة المزمّن- من اجل وضع فضائل ديننا المقدس
في مامن من غارات هؤلاء الكفار الفرنسيين ، قام اصحاب المزارع
الانجليز الطيبون ، الذين تحدّثنا عنهم بذلك العطف في احدى
الجلسات السابقة ، بتخفيض اجور العمال الزراعيين الى ما دون
ذلك الحد الأدنى الجسدي المحض ؛ اما نقص وسائل المعيشة
التي لا بد منها للابقاء جسدياً على العمال واستمرار جيلهم ،

فقد سدوه من صناديق الاحسان بموجب **قوانين الفقراء** (٢٧) وكان ذلك اسلوباً بديعاً لتحويل العامل الماجور الى رقيق ، والفلاح الميسور الفخور الذي رسم شكسبير صورته ، الى مدقع واذا ما قارنتم بين مستويات الاجور ، او بين قيم العمل ، في مختلف البلدان او في مختلف العهود التاريخية في بلد واحد ، فانكم لو اجدون ان **قيمة العمل** ذاتها ليست مقداراً ثابتاً ، بل متغير ، متغير حتى في حال ما اذا كانت قيم جميع البضائع الاخرى تظل ثابتة

ومن شان مثل هذه المقارنة ان تبين ايضاً ان التغير لا يطرأ فقط على **معدل الربح في السوق** ، بل على **معدله الوسطي** ايضاً على انه ليس ثمة ، فيما يتعلق **بالارباح** ، قانون من شأنه ان يحدد **حدها الأدنى** فليس في وسعنا ان نقول ما هو الحد لتدنيها ولماذا لا نستطيع تعيين هذا الحد ؟ ذلك لاننا ، وان كنن قادرين على تعيين **الحد الأدنى للاجور** ، لسنا بقادرين على تعيين **حدها الأقصى** في وسعنا فقط ان نقول انه ، اذا كانت حدود يوم العمل معينة ، فان **الحد الأقصى للارباح** يتناسب **والحد الجسدي الأدنى للاجور** ، وانه اذا كانت الاجور معينة فان **الحد الأقصى للارباح** يتناسب وامتداد يوم العمل الذي تسمح به قوى العامل الجسدية . وعلى هذا ، فان **الحد الأقصى للربح** انما يعينه **الحد الأدنى الجسدي للاجور** والحد الأقصى الجسدي ليوم العمل . وواضح ان بين هذين الحدين **لمعدل الربح الأقصى** مجالا لكثير من الاحتمالات وليس يحدد مستواه الفعلي غير الصراع المستمر بين الرأسمال والعمل فالرأسمالي يحاول على الدوام تخفيض الاجرة الى **حدها الجسدي الأدنى** ، وتمديد يوم العمل الى **حده الجسدي الأقصى** في حين ان العامل يمارس على الدوام ضغطاً في اتجاه معاكس .

والامر يؤول الى مسألة نسبة القوى بين الطرفين المتصارعين .

(٢) اما فيما يتعلق بتحديد يوم العمل ، سواء أفي إنجلترا ام في جميع البلدان الاخرى ، فانه لم يقرر الا عن طريق التدخل التشريعي ، وما كان هذا التدخل ليحدث قط بدون الضغط الدائم من جانب العمال وعلى كل حال ، فان تحديد يوم العمل ما كان يمكن التوصل اليه باتفاقات خاصة بين العمال والرأسماليين وان ضرورة العمل السياسي العام هذه لهي بالذات البرهان على ان الرأسمال هو الجانب الاقوى في اعماله الاقتصادية المحض

اما حدود قيمة العمل ، فان تعيينها يتعلق فعلا على الدوام بالعرض والطلب . اعني الطلب على العمل من قبل الرأسمال والعرض للعمل من قبل العمال ان قانون العرض والطلب في البلدان المستعمرة ملائم للعامل ومن هنا كان مستوى الاجور العالي نسبيا في الولايات المتحدة الاميركية ومهما يجهد الرأسمال هناك فليس في وسعه الحيلولة دون فراغ سوق العمل على الدوام من جراء تحول العمال المأجورين باستمرار الى فلاحين مستقلين .

ان وضع العامل المأجور ليس بالنسبة لقسم كبير جداً من الاميركيين غير مرحلة عابرة اذ انهم واثقون من انهم سيبرحونها في وقت اكثر او اقل قريبا . ولمعالجة هذه الحالة القائمة في المستعمرات تبنت الحكومة الانجليزية بمطف ابوي خلال بعض الوقت ما يسمى بنظرية الاستثمار الحديثة ، القائمة على رفع اسعار الارض في المستعمرات بصورة مفتعلة بقصد الحيلولة دون تحول العمال المأجورين سريعا جداً الى فلاحين مستقلين .

ولكن لننتقل الى البلدان ذات المدينة القديمة ، حيث يسيطر الرأسمال سيطرة كلية على عملية الانتاج كلها . ولناخذ ، مثلاً ، ارتفاع اجور العمال الزراعيين في إنجلترا من عام ١٨٤٩ الى

عام ١٨٥٩ ماذا كانت عواقب هذا الارتفاع ؟ ان المزارعين لم يستطيعوا ، كما كان من شان صديقنا ويسطن ان ينصحهم ، ان يزيدوا قيمة القمح ؛ بل لم يستطيعوا حتى زيادة سعره في السوق بل لقد اضطروا ، بالعكس ، للتسليم بهبوطها . ولكنهم ادخلوا ، خلال هذه الاعوام الاحد عشر ، ماكنات من كل نوع ، وادخلوا يطبقون طرائق اكثر علمية ، وحولوا قسما من الاراضي القابلة للزراعة الى مراعي ، وزادوا مساحة المزارع وبالتالي حجم الانتاج ، ومن جراء تخفيض الطلب على العمل بواسطة هذه التدابير وغيرها من التدابير التي زادت قوة العمل الانتاجية ، كانت النتيجة من جديد فيضا نسبيا من السكان الزراعيين . تلك هي عموما الطريقة التي تجري بها على نحو اكثر او اقل سرعة ردود فعل الراسمال على زيادة الاجور في البلدان القديمة الاهلة منذ وقت بعيد وبكثير من الصواب اشار ريكاردو الى ان الآلات تنافس العمل منافسة دائمة ، وان ادخالها لا يجري في الغالب الا حين يكون سعر العمل قد بلغ مستوى معيناً (٢٨) ؛ الا ان استعمال الآلة ليس الا احدى الطرق العديدة لزيادة قوة العمل الانتاجية . وهذا التطور بالذات الذي يخلق من جهة وفرة نسبية من العمل البسيط ، يبسط من جهة اخرى العمل الموصوف وبذلك يخفض من قيمته . وهذا القانون نفسه يتبدى بشكل آخر ايضا فمع تطور قوة العمل الانتاجية يتسارع تراكم الراسمال ، حتى برغم ارتفاع مستوى الاجرة ارتفاعا نسبيا . وكان يمكن ان يستنتج من هذا ، كما كان يفعل آدلم سميث ، الذي لم تكن الصناعة الحديثة في ايامه الا في بداية تطورها ، ان تراكم الراسمال المتسارع لا بد بالضرورة ان يرجع كفة الميزان لمصلحة العامل اذ يخلق طلبا متزايدا ابدأ على عمله . ولهذا السبب بالذات دهش عدد كبير من الكتاب



المعاصرين لكون الاجور لم ترتفع ارتفاعاً ملموساً ، في حين ان الراسمال الانجليزي قد ازداد في السنوات العشرين الاخيرة باسرع كثيراً من ازدياد عدد السكان الانجليز . بيد انه يجري في الوقت نفسه الى جانب اطراد تراكم الراسمال تغير مطرد في تركيب رأس المال . وذلك القسم من الراسمال الكلي ، المؤلف من الراسمال الثابت - الآلات والمواد الاولية ووسائل الانتاج من جميع الانواع الممكنة - ، يزداد اكثر فاكثراً بالمقارنة مع القسم الآخر من الراسمال المستخدم كاجور ، اي لشراء العمل . وقد تم وضع هذا القانون ، على نحو اكثر لو اقل ضبطاً ، من قبل السيد بارتون ، وريكاردو ، وسموندي ، والبروفسور ريشارد جونز ، والبروفسور رمسي ، وشربوليه ، وغيرهم

واذا كانت النسبة الاولية بين هذين القسمين اللذين يتكون منهما الراسمال واحداً الى واحد ، فانها تخدو في الصناعة المطردة التطور خمسة الى واحد الخ . واذا كان يوظف من اصل راسمال كلي قدره ٦٠٠ وحدة مقدار ٣٠٠ للادوات والمواد الاولية و ٣٠٠ للاجور ، فمن اجل ايجاد طلب (٦٠٠) حامل بدلا من ٣٠٠ ، لا بد من مضاعفة الراسمال الكلي . ولكن اذا كان يوظف فيما بعد من اصل راسمال قدره ٦٠٠ وحدة مقدار ٥٠٠ للآلات والمواد الخ . و ١٠٠ فقط للاجور ، فلا بد من زيادة الراسمال نفسه من ٦٠٠ الى ٣٦٠٠ من اجل خلق طلب (٦٠٠) حامل بدلا من ٣٠٠ وعلى هذا فخلال تطور الصناعة لا يجري الطلب على العمل على نحو متواز مع تراكم الراسمال صحيح انه يزداد ولكن بنسبة متناقصة دائماً بالمقارنة مع ازدياد الراسمال الكلي .

وستكون هذه الملاحظات القليلة كافية لتبيان ان تطور الصناعة الحديثة ذاته لا بد بالضرورة ان يرجع كفة الميزان على نحو

مطرد الزيادة ابدأ لمصلحة الرأسمالي ضد العامل ، وان الاتجاه العام للانتاج الرأسمالي بالتالي لا يؤدي الى ارتفاع مستوى الاجور الوسيطة بل الى تخفيضه ، اي النزول بقيمة العمل ، على نحو اكثر او اقل ، الى حدها الأدنى ولكن اذا كان اتجاه الامور في النظام الحالي على هذا النحو ، فهل يعني هذا ان على الطبقة العاملة ان تتخل عن النضال ضد تطاولات رأس المال النهائية والاقلاع عن جهودها الرامية للاستفادة من الامكانيات السانحة لتحسين وضعها مؤقتاً ؟ لو ان العمال فعلوا ذلك ، لانحطوا الى كومة من المعدمين المنسحقين الذين لم يبق مجال لانقاذهم . وآمل بانى قد بينت ان نضال العمال في سبيل مستوى الاجور مرتبط ارتباطاً لا انفصام له بكل نظام العمل المأجور ، وان جهود العمال لزيادة الاجور ليس في ٩٩ حالة من مئة سوى محاولات للبقاء على اجر قيمة العمل القائم ، وان ضرورة النضال ضد الرأسماليين في سبيل سعر العمل تنجم عن وضع العمال الذي يضطرهم لبيع انفسهم كبضائع واذا استسلم العمال باستخذاء في نزاعهم اليومي مع الرأسمال ، فانهم بلا شك يفقدون القدرة على القيام باية حركة اوسع .

وليس ينبغي للطبقة العاملة ، في الوقت نفسه ، وحق بصرف النظر تماماً عن الاستعباد العام للعمال ، المرتبط بنظام العمل المأجور ، ان تبالغ في تقدير النتائج النهائية لهذا النضال اليومي . فليس ينبغي لها ان تنسى انها ، في نضالها اليومي هذا ، انما تناضل ضد العواقب لا ضد الاسباب التي تنجم عنها هذه العواقب ؛ وانها لا تفعل غير كبح الحركة الهابطة ولا تغير اتجاه هذه الحركة ؛ وانها لا تستخدم غير المسكنات ، ولكن لا تعالج المرض نهائياً ولهذا ينبغي للعمال ان لا يقتصرؤا على هذه المناوشات التي لا مفر منها الناشئة بلا انقطاع عن حملات رأس المال المستمرة او

عن تغيرات السوق ينبغي ان يدركوا ان النظام الحالي ، بكل ما يحمله من البؤس ، يولد في الوقت نفسه الشروط المادية والاشكال الاجتماعية الضرورية من اجل اعادة البناء الاقتصادي للمجتمع وبذلا من الشعار المحافظ القائل «اجرة عادلة ليوم عمل عادل !» يجب ان يسجل العمال على رايهم الشعار الثوري : «القضاء على نظام العمل المأجور !»

بعد هذا العرض الطويل جداً ، واغشى ان يكون متعباً ، الذي كان لا بد لي من تقديمه لتوضيح المسألة الاساسية ، انهي تقريرى مقترحاً القرار التالي

(١) ان الارتفاع العام لمستوى الاجرة من شأنه ان يؤدي الى انخفاض المعدل العام للربح ، الا انه ليس من شأنه بصورة عامة ان يمس اسعار البضائع

(٢) ان الاتجاه العام للانتاج الرأسمالي يؤدي ليس نحو

رفع المستوى الوسطي للاجرة بل نحو تخفيضه

(٣) ان النقابات تعمل بنجاح بوصفها مراكز مقاومة لهجوم راس المال وهي جزئياً تمنى بالفشل نتيجة لاستخدام قوتها استخداماً غير صالح انها على العموم تمنى بالفشل لانها تقتصر على حرب مناوشات ضد هوائى النظام القائم ، بدلا من العمل في الوقت نفسه على تبديله ومن استخدام قوتها المنظمة كرافعة من اجل تحرير الطبقة العاملة نهائياً ، اي من اجل القضاء النهائي على نظام العمل المأجور .

يصدر حسب نص

مؤلفات كارل ماركس

وفريدريك انجلس

الطبعة الروسية الثانية ،

المجلد ١٦ ، ص ١٠١-١٥٥

كتبه ماركس من اواخر

ايار (مايو) الى ٢٧ حزيران

(يونيو) ١٨٦٥

صدر للمرة الاولى بكراس

على حدة في لندن ،

عام ١٨٩٨

ماركس

مقدمة

للطبعة الألمانية الاولى

من المجلد الاول من «الرايسال» (٢٩)

ان العمل الذي اعرض المجلد الاول منه على الجمهور ، هو مواصلة لمؤلفي المنشور في عام ١٨٥٩ ومساهمة في نقد الاقتصاد السياسي» وسبب هذه الحقبة الطويلة بين البداية والمواصلة هو مرضي المزمّن الذي كان يقطع حبل عملي المرة تلو المرة

لقد اوجزت في الفصل الاول من هذا المجلد (٣٠) مضمون مؤلفي السابق المشار اليه اعلاه . ولم الفعل ذلك لاجل المزيد من الترابط ولاجل كمال البحث وحسب فان العرض نفسه قد تحسّن . وان نقاطا كثيرة كانت هناك بالكاد مرسومة ، قد لقيت هنا مزيداً من الشرح بقدر ما سمح بذلك موضوع البحث ، في حين ان الموضوعات المعروضة هناك بصورة مسهبة لم ترد هنا على العكس الا بصورة موجزة . وغني عن البيان ان الابواب التي تتناول تاريخ تطور نظريتي القيمة والنقد ، قد حذفت هنا تماماً ولكن القارى الذي اطلع على عملي ومساهمة في نقد الاقتصاد السياسي سيجد في الملاحظات العائدة الى الفصل الاول من هذا المؤلف مصادر جديدة في تاريخ هاتين النظريتين .

كل بداية صعبة وهذه الحقيقة تصح بالنسبة لكل علم واكثر المصاعب في الحالة المعنية تنشأ من محاولة فهم الفصل الاول ، ولا سيما بابه الذي يتضمن تحليل البضاعة اما فيما يتعلق على الاخص بتحليل كنه القيمة ومقدار القيمة ، فاني قد بسطته قدر الامكان . ان شكل القيمة الذي يتخذ ملامحه النهائية في شكل النقد ، بسيط جداً وسطحي جداً ومع ذلك ، حاول العقل البشري عبثاً ان يتفهمه في سياق اكثر من الف سنة في حين انه استطاع ان يحلل ، بصورة تقريبية على الاقل ، اشكالا اوفر مضمونا واشد تعقيداً لماذا ؟ لان دراسة الجسم المتطور اسهل من دراسة خلية الجسم . وفضلا عن ذلك ، لا يمكن عند تحليل الاشكال الاقتصادية لا استعمال المجهر ولا استعمال الكواشف الكيميائية . بل يجب ان تحل قوة التجريد محل ذلك وهذه ولكن الشكل البضاعي لنتاج العمل ، او شكل قيمة البضاعة ، انما هو شكل خلية المجتمع البرجوازي الاقتصادية وتحليله يبدو

• وقد كان ذلك ضروريا خصوصا وان هناك مفارقات جدية في فهم الامور حتى في ذلك القسم من عمل فرديناند لاسال ، الموجه ضد فوولسميدليتش ، حيث ترد ، كما يعلن المؤلف ، والخلاصة الروحية ، لبحثي في هذا الموضوع (٢١) وهنا من المناسب القول اذا كان ف لاسال ياخذ جميع الموضوعات النظرية العامة في مباحثه الاقتصادية ، - ومنها مثلا موضوع صفة الراسمال التاريخية ، وموضوعه الصلة بين علاقات الانتاج واسلوب الانتاج ، الخ . - من مؤلفاتي حرفيا تقريبا ، بما في ذلك التعابير من استنباطي ، ناهيك بانه لا يشير الى المصدر ، فان هذا يُفسّر ، طبعا ، باعتبارات الدعاية . وبديهي اني لا اقصد الموضوعات الخاصة وتطبيقها العملي الذي لا اشارك فيه البتة .

لفهم الملم مجرد سفسطة حول امر تافه وهذا بالفعل امر تافه ، ولكنه من ذلك النوع من التوافه التي يهتم بها مثلاً علم تشريح الكائنات المتناهية الصغر .

وباستثناء الباب المتعلق بشكل القيمة ، لا يصعب هذا الكتاب على الفهم . واني اقصد هنا ، بالطبع ، القراء الذين يرغبون في تعلم شيء ما جديد ، ويرغبون بالتالي في التفكير بانفسهم ان الفيزيائي اما انه يراقب عمليات الطبيعة حيث تتجلى باوضح شكل وحيث اقل ما تطمسها تأثيرات تخالفها ، واما انه يجري اختباراً ، اذا امكن ذلك ، في ظروف تؤمن سير العملية بصورتها الصافية . ان موضوع دراستي في هذا البحث هو اسلوب الانتاج الرأسمالي وعلاقات الانتاج والتبادل المناسبة له . ولا تزال انجلترا حتى الآن البلد الكلاسيكي لاسلوب الانتاج هذا وهنا يكمن السبب الذي يوضح لماذا كانت انجلترا المثال البياني الرئيسي لاجل استنتاجاتي النظرية ولكن اذا راح القارئ الالمانى يهز كتفيه ، على طريقة الفريسيين المرائين ، بصدد الظروف التي يعيش فيها العمال الصناعيون والزراعيون الانجليز ، او اذا لجأ الى التفاؤل وطمانه البال بان الامور في المانيا ابعد من ان تكون سيئة بالقدر المظنون ، فانه سيترتب على ان القول له ! De te fabula narratur [اوليست هذه قصتك !] .

والقضية هنا ، بعد ذاتها ، ليست قضية هذه الدرجة او

* Mutato nomine de te fabula narratur (حسبك فقط ان تغير الاسم ، اوليست هذه قصتك !) هوراسيوس . «الهجاليات» ، الكتاب الاول ، الهجاية الاولى . القاهر .

تلك من تطور التناحرات الاجتماعية التي تنبع من قوانين الانتاج الرأسمالي الطبيعية ، بل قضية هذه القوانين ذاتها ، هذه الميول الفاعلة والمتحققة بضرورة قاطعة فان بلداً اكثر تطوراً في الميدان الصناعي لا يبين لبلد اقل تطوراً غير لوحة مستقبله ذاته .

ولكن هذا لا يكفي فحيث قام الانتاج الرأسمالي كلياً عندنا ، مثلاً في المصانع بمعنى الكلمة الحرفي ، فان شروطنا اسوأ بكثير من الشروط الانجليزية لانه لا يوجد لدينا مقابل بصورة قوانين مصنعية . ونحن ، في جميع الميادين الاخرى ، شأننا شأن البلدان القارية الاخرى في اوروبا الغربية ، لا نعاني من تطور الانتاج الرأسمالي وحسب ، بل نعاني ايضاً من نقص تطوره

وفضلاً من بلايا العهد الزامن ، نكابد جملة كاملة من البلايا الموروثة ، الناجمة عن كون اساليب الانتاج القديمة التي ولّ زمنها ونفذ مفعولها والعلاقات الاجتماعية والسياسية الشائخة المطابقة لها لا تزال قائمة . فنحن لا نعاني من الاحياء وحسب ، بل من

الموتى ايضاً ! Le mort saisit le vif ! [الميت يمسك الحي !]

ان حالة الاحصاء الاجتماعي في ألمانيا وفي سائر البلدان القارية في اوروبا الغربية حالة مؤسفة بالقياس الى ما هي عليه في انجلترا . ولكنه يرفع الغطاء بقدر يكفي بالضبط لكي يخطر في البال وجود رأس «ميدوزا» . ان وضع امورنا بالذات ليرهبنا لو عينت حكوماتنا وبرلماننا بصورة دورية ، كما يجري في انجلترا ، لجأنا لتحري الاحوال الاقتصادية ، ولو غُوِّلت هذه اللجان نفس الصلاحيات لكشف الحقيقة ، كما في انجلترا ، ولو امكن ان نجد لهذا الغرض اناساً اكفاء وحازمين وغير متحيزين مثل مفتشي المصانع الانجليز والاطباء الانجليز الذين يضعون التقارير عن Public Health ، («صحة السكان») ، ومثل

اعضاء اللجان الانجليزية التي تتحرى ظروف استثمار النساء والاولاد وحالة المساكن والتغذية ، الخ لقد احتاج فرساوس الى قبة الاخفاء لكي يطارد الفيلان ونحن نستر عيوننا وآذاننا بقبة الاخفاء لكي نتمكن من انكار وجود الفيلان بالذات

وعبثا نعلل النفس بالاوهام فكما ان الحرب الاميركية في القرن الثامن عشر من اجل الاستقلال (٢٢) قد كانت بمثابة تحذير وانذار بالنسبة للبرجوازية الأوروبية ، كذلك لعبت الحرب الاهلية في اميركا القرن التاسع عشر الدور نفسه بالنسبة للطبقة العاملة في اوروبا . ففي انجلترا اصبحت عملية الانعطاف محسوسة تماما الآن وبعد بلوغها درجة معينة ، لا بد ان تنتقل الى القارة وستتخذ هنا اشكالا اشد قساوة او اكثر انسانية تبعا لمستوى تطور الطبقة العاملة نفسها وعليه ، تفرض المصلحة الملحة الحيوية للطبقات السائدة حاليا ، بالاضافة الى الدوافع الاخرى الاعلى شأنا ، ازالة جميع العقبات التي تعيق تطور الطبقة العاملة والتي يمكن تسويتها قانونا . ولهذا السبب ، كما لغيره من الاسباب ، افردت في هذا المجلد مثل هذا المكان الكبير لتاريخ التشريع المصنعي الانجليزي ومضمونه ونتائجه . وكل امة تستطيع ويجب عليها ان تتعلم من الامم الاخرى . فان المجتمع ، حق وأن عثر على اثر القانون الطبيعي لتطوره ، -والحال ، ان اكتشاف القانون الاقتصادي لحركة المجتمع المعاصر هو غاية مؤلفي الاخرى ، - لا يسعه لا ان يقف فوق مراحل التطور الطبيعية ولا ان يلغي هذه المراحل بالمراسيم ولكن في وسعه ان يقصر ويخفف آلام الولادة

بضع كلمات لاجل ازالة كل سوء فهم محتمل . اني ابعد من ان ارسم الراسمالي ومالك الارض بالوان وردية . ولكن الكلام لا

يتناول هنا الافراد الا بقدر ما يجسدون مقولات اقتصادية ويعبرون عن علاقات ومصالح طبقية معينة . واني انظر الى تطور التشكيلة الاجتماعية الاقتصادية بوصفه عملية تاريخية طبيعية ؛ ولهذا يمكن من وجهة نظري اقل مما يمكن من اي وجهة نظر اخرى ، اعتبار الفرد مسؤولا عن الظروف التي يظل هو لتاجها بالمعنى الاجتماعي ، مهما تعالي فوقها ذاتيا

ان البحث العلمي الحر في ميدان الاقتصاد السياسي لا يلتقي فقط باولئك الاعداء الذين يلتقي بهم في الميادين الاخرى فان اسالة طابع المادة التي يعالجها الاقتصاد السياسي تستدعي الى حلبة النضال ضد البحث العلمي الحر اضرى مشاعر النفس البشرية واخسها وابشعها - اي غيلان المصلحة الخاصة فان الكنيسة الانجليكانية السامية (٣٣) ، مثلا ، تغفر بالاحرى الهجوم على ٣٨ بنداً من بنود قانون ايمانها ٣٩ ولا تغفر الهجوم على جزء واحد من ٣٩ جزءاً من دخلها النقدي . فان الالحاد نفسه هو في ايماننا *culpa levis* [خطيئة غير عظيمة] بالقياس الى نقد علاقات الملكية التقليدية . الا ان التقدم في هذا الميدان لا شك فيه

واني استشهد ، مثلا ، بالكتاب الازرق الذي صدر في الاسابيع الاخيرة واسمه *Correspondence with Her Majesty's Missions Abroad, regarding Industrial Questions and Trades Unions* (٢٤) فان ممثلي التاج البريطاني في الخارج يعلنون هنا ، دون اي لبس وابهام ، ان التغير الجذري الذي طرأ على العلاقات القائمة بين الرأسمال والعمل في المانيا وفرنسا ، - وبكلمة ، في جميع الدول المتمدنة بالقارة الأوروبية ، - محسوس ومحتم بنفس القدر كما في انجلترا . وفي الوقت نفسه ، صرح في الجانب الآخر من المحيط الاطلسي ، السيد وايد ، نائب رئيس

الولايات المتحدة في اميركا الشمالية ، في اجتماع عام : بعد الغاء
الرق ، يرد في جدول الاعمال تغيير علاقات الراسمال وعلاقات
ملكية الارض تغييراً جذرياً هذه هي علائم الزمن وانك لن
تحجبها عن النظر لا بالعباءة الارجوانية ولا بالجبة السوداء
ولكن هذا لا يعني بالطبع انه ستحدث غداً معجزة بيد ان هذا
يبين ان الطبقات السائدة نفسها شرعت تحس بصورة غامضة
بان المجتمع الحالي ليس بلوراً صلباً ، بل عضوية قابلة للتحويل ،
وفي حالة دائمة من التحويل

ان المجلد الثاني من هذا المؤلف سيتناول عملية تداول
الراسمال (الكتاب الثاني) واشكال العملية الراسمالية بمجملها
(الكتاب الثالث) ، والمجلد الثالث الاخير (الكتاب الرابع) ،
تاريخ النظريات الاقتصادية

واني ساكون مسروراً لكل حكم من النقد العلمي اما فيما
يتعلق باوهام ما يسمى الراي العام الذي لم اقم له يوماً بأي
تنازل ، فان شعاري يظل كما من قبل قول الفلورنسي العظيم

Segui il tuo corso'e lascia dir le genti !*

كلول ماركس

لندن ، ٢٥ تموز (يوليو) ١٨٦٧ صدر حسب نص الطبعة

الانجليزية لعام ١٨٨٧

تمت الترجمة نقلاً من
الانجليزية

صدر للمرة الاولى في كتاب :

K. Marx. « Das Kapital. Kritik
der politischen Oekonomie ».
Erster Band. Hamburg, 1867

* واصل طريقك ، ودع الناس يقولون ما يشاؤون ! وإنته .
والكوميديا الالهية . المطهر . النشيد الخامس (مع التحوير) . القافر .

ماوريس الراسمال

الفصل الرابع والعشرون

ما يسمى بالتراكم البدائي ٧ - الاتجاه التاريخي لتراكم الراسمال

وهكذا ، بـم يتلخص التراكم البدائي للراسمال اي منشؤه التاريخي ؟ فيما انه لا يمثل تحول الارقاء والاقنان مباشرة الى عمال اجراء ، ولا يمثل بالتالي مجرد حلول شكل محل آخر ، فهو لا يعني غير انتزاع ملكية المنتجين المباشرين ، اي القضاء على الملكية الخاصة القائمة على العمل الخاص ، ان الملكية الخاصة بوصفها تقيض الملكية الاجتماعية ، الجماعية ، لا توجد الا حيث تخص وسائل العمل وشروط العمل الخارجية الافراد . ولكن طابع الملكية الخاصة نفسها يتغير تبعاً لكون هؤلاء الافراد شغيلة او غير شغيلة . ان التلاوين اللامتناهية التي تلون بها الملكية الخاصة والتي تتكشف امام ابصارنا ، لا تعكس غير حالات وسطية تقع بين هذين الطرفين ، ان ملكية الشغيلة الخاصة لوسائل انتاجه هي اساس الانتاج الصغير ، والانتاج الصغير يشكل فرطاً ضرورياً لاجل تطور الانتاج الاجتماعي وتطور شخصية الشغيلة نفسه بحرية . صحيح ان اسلوب الانتاج هذا كان موجوداً في ظل نظام الرق وفي ظل نظام الاقطاعية وفي ظل سائر اشكال التبعية الشخصية . ولكنه لا

يبلغ الازدهار ويتجلى بكل طاقته ، ويكتسب شكلا كلاسيكيا مناسباً
الا حيث يكون الشغل مالكا شخصيا حراً لشروط عمله ويستخدمها
بنفسه ، حيث الفلاح يملك الحقل الذي يحرقه ، والحزقي الادوات
التي يستعملها بحذق ومهارة

ان اسلوب الانتاج هذا يفترض تجزئ الارض وسائل وسائل
الانتاج . وهو ينفي سواء تركيز هذه الاخيرة ام التعاون ، وتقسيم
العمل داخل العملية الانتاجية الواحدة ذاتها ، وسيادة المجتمع على
الطبيعة وضبطها من قبل المجتمع ، وحرية تطور القوى المنتجة
الاجتماعية . وهو لا يقوم الا ضمن حدود الانتاج والمجتمع الاولى
الضيقة وان السعي الى تخليده يعني ، على حد ملاحظة بيكور
الصائبة ، السعي الى «فرض الحال الوسط العام بمرسوم» (٣٥) .
ولكنه عند درجة معينة من التطور يخلق بنفسه الوسائل المادية
لاجل القضاء عليه ومنذ هذه اللحظة ، تبدأ تتحرك في قلب
المجتمع قوى ومشاعر تحس بان اسلوب الانتاج هذا يسمرها
ولذا يصبح من الواجب القضاء على هذا الاخير فيقضى عليه ان
القضاء عليه ، وتحويل وسائل الانتاج الفردية والمبعثرة الى
وسائل انتاج ممركة اجتماعيا ، وبالتالي تحويل الملكية القزمة
لدى الكثرة الى ملكية عملاقة لدى القلة ، وانتزاع الارض ووسائل
العيش وادوات العمل من الجماهير الشعبية الفقيرة ، — هذا
الانتزاع الرهيب والمرهق لملكية الجماهير الشعبية يولف مقدمة
تاريخ الراسمال . وهو ينطوي على جملة كاملة من طرائق العنف
لم ندرس منها اعلاه غير الطرائق الهامة كطرائق التراكم البدائي .
ان انتزاع ملكية المنتجين المباشرين يتم باشد النزعات الى الهدم
والتدمير بعداً عن الشفقة وبدافع من احط المشاعر واحقرها
واشدّها فهاة وحقداً . فالملكية الخاصة المكتسبة بعمل المالك ،

والقائمة ، اذا جاز التعبير ، على اندماج الشغل الفردي المستقل مع ادوات ووسائل عمله ، تزيحها الملكية الخاصة الرأسمالية التي تركز على استثمار قوة عمل الغير الذي لا يتمتع بغير حرية شكلية .

وعندما تفسخ عملية التحول هذه المجتمع القديم بالعرض والطول الى درجة كافية ، وعندما يتم تحويل الشغيلة الى بروتاريين وشروط عملهم الى رأسمال ، وعندما يقف أسلوب الانتاج الرأسمالي على قدميه بالذات ، فان جعل العمل اجتماعياً باطراد وتحويل الارض وسائر وسائل الانتاج باطراد الى وسائل انتاج مستثمرة اجتماعياً وبالتالي الى وسائل انتاج عامة ، وما يرتبط بهذا التحويل من انتزاع للملكية المالكين الخصوصيين باطراد ، - ان كل هذا يكتسب آنذاك شكلاً جديداً اما من يتعلق الامر الآن بانتزاع ملكيته ، فلم يعد المقصود الشغل الذي يدير استثماراً مستقلة بنفسه ، بل الرأسمالي الذي يستثمر العديد من العمال

ان انتزاع الملكية هذا يتم بفعل القوانين الملازمة للانتاج الرأسمالي نفسه عن طريق تمرکز الرأسمال . ان رأسمالياً واحداً يقضي على الكثيرين من امثاله . والى جانب هذا التمرکز اي انتزاع بعض الرأسماليين ملكية عدد كبير من امثالهم ، يتطور الشكل

* ولقد دخلنا في نظام اجتماعي جديد تماماً ونحن نسعى جهدنا لفصل كل نوع من الملكية عن كل نوع من العمل (Siamondt « Nouveaux Principes de l'Economie Politique » t. II [Paris, 1827] p. 434

- سيموندي . ومبادئ

جديدة في الاقتصاد السياسي ، المجلد ٢ ، [باريس ، ١٨٢٧] ، ص (٤٣٤) .

التعاوني لسير العمل على مقياس يتسع اكثر فاكثر ، كما يتطور تطبيق العلم على التكنيك تطبيقاً فطناً ومتعقلاً واستثمار الارض استثماراً منهجياً وتحويل وسائل العمل الى وسائل للعمل لا يمكن استعمالها الا استعمالاً مشتركاً وتوفير جميع وسائل الانتاج باستعمالها كوسائل انتاج لعمل اجتماعي منسق ، ودخول جميع الشعوب في شبكة السوق العالمية ، وتتطور الى جانب كل ذلك الصفة العالمية للنظام الرأسمالي وبقدر ما يتناقض باستمرار عدد دهاقنة الراسمال الذين يفتصبون ويحتكرون جميع منافع عملية التحول هذه ، بقدر ما يشتد ويستشري البؤس والظلم والاستعباد والانحطاط والاستثمار ، وبقدر ما يزداد ايضاً باستمرار تمرد الطبقة العاملة التي تزداد على الدوام عدداً وتتشقق وتتحد وتنظم بفعل آلية عملية الانتاج الرأسمالي نفسها . وهكذا يصبح احتكار الراسمال قيداً لاسلوب الانتاج الذي نشأ معه وبه ان تركز وسائل الانتاج ، وجعل العمل اجتماعياً ينتهيان الى حد انهما لا يعودان يتطابقان مع اطارهما الرأسمالي ، فينفجر ان الساعة الاخيرة للملكية الخاصة الرأسمالية تدق ان مفتصبي الملكية تنزع منهم ملكيتهم .

ان اسلوب الاستملاك الرأسمالي ، الناجم من اسلوب الانتاج الرأسمالي ، وبالتالي الملكية الخاصة الرأسمالية ايضاً انما هما النفي الاول للملكية الخاصة الفردية القائمة على العمل الخاص ولكن الانتاج الرأسمالي يولد ، بحتمية التطور الطبيعي ، نفيه الخاص وهذا نفي النفي فهو لا يبعث الملكية الخاصة ، بل يبعث الملكية الفردية على اساس منجزات العهد الرأسمالي : على اساس التعاون والامتلاك العام للارض ولوسائل الانتاج التي ينتجها العمل نفسه .

ان تحول ملكية الافراد الخاصة ، المبعثرة والقائمة على العمل الخاص ، الى ملكية رأسمالية هو بالطبع عملية اطول واصعب وافق من تحول الملكية الخاصة الرأسمالية ، التي تقوم عمليا الآن على عملية الانتاج الاجتماعية ، الى ملكية اجتماعية فقد كان المقصود هناك انتزاع ملكية الجماهير الشعبية من قبل قلة من المفتصبين ، بينا المقصود هنا ان تنتزع الجماهير الشعبية ملكية القلة من المفتصبين *

صدر للمرة الاولى في كتاب :
K. Marx. «Das Kapital. Kritik
der politischen Oekonomie».
Erster Band. Hamburg, 1867
صدر حسب نص الطبعة
الانجليزية لعام ١٨٨٧
تمت الترجمة نقلاً من
الانجليزية

* وان رقي الصناعة الذي ليست البرجوازية الا نادراً منفعلاً له ومقسوراً على خدمته يستحيض من انزال العمال الناتج من تراحمهم ، باتحاد ثوري بواسطة الجمعيات وهكذا ينتزع تقدم الصناعة الكبرى من تحت اقدام البرجوازية نفس الاسس التي فادت عليها نظام انتاجها وتملكها ان البرجوازية تنتج قبل كل شيء حفاري قبرها ، فسقوطها وانتصار البروليتاريا ، كلاهما امر محتوم لا مناص منه ... وليس بين جميع الطبقات التي تقف الآن امام البرجوازية وجها لوجه الا طبقة واحدة ثورية حقا ، هي البروليتاريا . فان جميع الطبقات الاخرى تنحط وتهلك مع نمو الصناعة الكبرى ، اما البروليتاريا فهي ، على العكس من ذلك ، احسن منتجات هذه الصناعة ان الفئات المتوسطة ، من صغار الصناعيين والباعة بالفرق والحرفيين والفلاحين ، تحارب البرجوازية من اجل الحفاظ على وجودها بوصفها فئات متوسطة فهي ليست اذن ثورية ، بل محافظة ، واكثر من محافظة ايضا ، انها رجعية ، فهي تطلب ان يرجع التاريخ القهقري ويسير دولا بـ التطور الى الوراء (كاول ماركس وفريديريك انجلز . وبيان الحزب الشيوعي لندن ، ١٨٤٨ ، ص ١١ ، ٩ [راجع الطبعة الحالية . الجزء الاول . ص ٦٦ ، ٦٣] .

الجلس

مقدمة لكتاب

«حرب الفلاحين في ألمانيا» (٢٦)

مقدمة الطبعة الثانية الصادرة في عام ١٨٧٠

هذا البحث كتب في لندن في صيف ١٨٥٠ ، بتأثير مباشر من الثورة المضادة التي انتهت للتو ؛ ونُشر في العديد من الجرائد ، والسادس من مجلة *Neue Rheinische Zeitung* ، (٢٧) *Politish-ökonomische Revue* الصادرة برئاسة تحرير كارل ماركس ، في هامبورغ ، عام ١٨٥٠ . ويطلب مني اصدقائي السياسيون في ألمانيا ان اعيد طبعه ، واني استجيب لرغبتهم لانه ، لأسفي ، لم يفقد بعد حالته ، حتى في الوقت الحاضر انه لا يدعي اعطاء مادة مبحوثة على حدة بل على العكس فان المادة التي تتعلق بانتفاضات الفلاحين وبتوماس مولتسر مستقاة كلها من زيمرمان (٢٨) صحيح ان كتابه ينطوي على بعض النواقص ، الا انه لا يزال خير عرض اجمالي للوقائع . وفضلا عن ذلك احب المجوز زيمرمان موضوع بحثه فان تلك الغريزة الثورية التي حملته على الوقوف في كل مكان من هذا الكتاب كنصير للطبقة المظلومة ، قد جعلته فيما بعد واحداً من خيرة ممثلي الجناح اليساري المتطرف (٢٩) في فرانكفورت اما اذا كان العرض الذي يقدمه لنا زيمرمان تنقصه رغم كل هذا ، الصلة الداخلية ؛ واذا كان لم يستطع ان يبين ان المسائل

الدينية والسياسية التي دار الجدل حولها في تلك الحقبة من الزمن كانت انعكاساً للنضال الطبقي في تلك الحقبة ؛ وإذا كان لم ير في هذا النضال الطبقي غير الظالمين والمظلومين ، والاشرار والاخيار ، وانتصار الاشرار في آخر الامر ؛ وإذا كان فهمه للعلاقات الاجتماعية التي تشترط بداية النضال ومآله على السواء ، تشوبه نواقص جوهرية جداً ، فان كل هذا كان خطأ ملازماً لذلك الزمن الذي ظهر فيه الكتاب . ولكنه بالمقابل يشكل بين المؤلفات التاريخية المثالية الالمانية استثناء جديراً بالثناء ، وهو ، بالإضافة ، مكتوب بأسلوب واقعي جداً بالنسبة لزمه

ولقد حاولت في عرضي ، اذ اكتفيت برسم السير التاريخي للنضال بخطوطه الكبرى ، ان اوضح ان منشأ حرب الفلاحين ، ومواقف مختلف الاحزاب التي اشتركت فيها ، والنظريات السياسية والدينية التي حاولت هذه الاحزاب بواسطتها ان توضح لنفسها مواقفها ، واخيراً ، مآل النضال ذاته - ان كل هذا ينجم بالضرورة عن الظروف القائمة تاريخياً للحياة الاجتماعية لهذه الطبقات ؛ وحاولت ان ابين ، هل هذا النحو ، ان النظام السياسي في المانيا في ذلك الزمن ، والانتفاضات فيه ، ونظريات العهد السياسية والدينية ، لم تكن سبباً بل نتيجة لتلك الدرجة من التطور التي بلغت آنذاك في المانيا الزراعة والصناعة والطرق البرية والمائية والتجارة والتداول النقدي . وهذا الفهم المادي الوحيد للتاريخ لم اكتشفه انا ، بل اكتشفه ماركس ووجد تعبيراً عنه كذلك في بحثه عن الثورة الفرنسية في ١٨٤٨-١٨٤٩ ، الذي صدر في « Revue »

ذاتها ، وفي مؤلفه «الثامن عشر من برومير لويس بوناپرت» * .
ان الشبه بين الثورة الالمانية في ١٥٢٥ وثورة ١٨٤٨ -
١٨٤٩ قد فقا العين الى حد انه لم يكن من الممكن ابدأ آنذاك
الامتناع عن اغفاله . ولكن ، علاوة على التشابه في مجرى
الاحداث ، الذي يتجلى في كون قوات الامراء ذاتها قد قمعت
الآن مختلف الانتفاضات المحلية الواحدة تلو الاخرى ،
وعلاوة على التشابه ، الذي يبلغ احيانا حد المضحك ، في سلوك
برجوازية المدن في كلا الحالين ، ظهرت ايضا مع ذلك الفوارق
بدقة ووضوح :

ومن استفاد من ثورة ١٥٢٥ ؟ - الامراء . من استفاد من
ثورة ١٨٤٨ ؟ - العاهلان الكبيران النمسا وبروسيا . فوراء
الامراء الصفار في عام ١٥٢٥ ، كانت تقف البرجوازية الصغيرة
التي ربطتهم بنفسها بالضرائب ، ووراء العاهلين الكبارين في عام
١٨٥٠ ، وراء النمسا وبروسيا ، تقف البرجوازية الكبيرة المعاصرة
التي تخضعهما لنفسها بسرعة بواسطة دين الدولة . ووراء ظهر
البرجوازية الكبيرة تقف البروليتاريا * .

ولكنه يجب القول ، مع الأسف ، ان هذه الموضوعات قد
اولت البرجوازية الالمانية من الشرف اكثر بكثير من اللزوم . ففي
النمسا ، كما في بروسيا ، منحت لها الفرصة لكي «تخضع لنفسها»
النظام الملكي وبسرعة بواسطة دين الدولة غير ان هذه الفرصة
لم تستغل في اي مكان وزمان .

* راجع هذه الطبعة الجزء الاول ، ص ١٤٨-٢٩٩ .
الناشر .

* * فريدريك انجلز . وحرب الفلاحين في ألمانيا . الناشر .

ونتيجة لحرب ١٨٦٦ (٤٠) سقطت النمسا كهدية في يد البرجوازية ولكن البرجوازية لا تعرف كيف تسود ؛ انها عاجزة ، وليست قادرة على شيء . انها تستطيع امراً واحداً فقط هو الاستشاعة حنقا وغضباً على العمال ما ان يتحركوا . وهي لا تزال باقية في دست الحكم لسبب واحد فقط هو ان المهجرين بحاجة اليها .

اما في بروسيا ؟ صحيح ان دين الدولة قد تعاطم بسرعة مدوخة ، وان العجز المالي امسى ظاهرة دائمة ، وان نفقات الدولة تنمو سنة بعد سنة وان البرجوازية تملك الاغلبية في المجلس ، وانه لا يمكن بدون موافقتها لا زيادة الضرائب ولا عقد القروض ، - ولكن اين هو اذن سلطانها على الدولة ؟ منذ بضعة اشهر فقط ، عندما جابهت الدولة من جديد عجزاً مالياً ، سنحت للبرجوازية فرصة مفيدة للغاية . فلو ابدت على الاقل بعض الثبات والصلابة ، لاستطاعت ان تحرز تنازلات كبيرة ولكن ماذا تفعل ؟ انها تعتبر انها احرزت تنازلاً كافياً لان الحكومة تسمح لها بان تضع عند قدميها زهاء ٩ ملايين ، لا لسنة واحدة فقط ، - كلا ، - بل سنوياً وفي جميع الازمنة اللاحقة

انا لا اريد ان اوجه الى «الليبراليين-القوميين» (٤١) المساكين الجالسين في المجلس ، من اللوم والتقريع اكثر مما يستحقون . وانا اعرف ان الذي كان يقف وراءهم ، اي جمهور البرجوازية ، قد تخلى عنهم . فان هذا الجمهور لا يريد ان يحكم . وهو لا يزال يتذكر جيداً جداً عام ١٨٤٨

اما لماذا تبدي البرجوازية الالمانية مثل هذه الجبانة المدهلة ، فهذا ما سنتطرق اليه فيما بعد ان الموضوعه الواردة اعلاه قد ثبتت صحتها تماماً فيما

يخص نقاطها الأخرى . فمئذ عام ١٨٥٠ أخذت الدويلات تتراجع بوضوح متزايد ابداً الى المؤخرة ، ولا تقوم الا بدور اداة لاجل الدسائس البروسية والنمساوية ؛ وبين النمسا وبروسيا ، طفق الصراع من اجل السيطرة يحتدم بضراوة مشتدة ابداً ، واخيراً ، في عام ١٨٦٦ ، وجد هذا الصراع حلاً له عن طريق العنف ، وبفضل هذا الحل ، تحتفظ النمسا لنفسها باقاليمها بالذات ، وتخضع بروسيا لنفسها الشمال كله مباشرة وبصورة غير مباشرة ، بينما تقف الدويلات الجنوبية الغربية الثلاث * وراء الباب حتى اشعار آخر . وفي كل هذه التمثيلية لا يتم باهمية بالنسبة للطبقة العاملة الألمانية الا ما يلي

اولاً ، بفضل حق الاقتراع العام ، توفرت للعمال امكانية ارسال ممثلهم الى الجمعية التشريعية مباشرة .
ثانياً ، اعطت بروسيا مثالا ذا عبرة بابتلاعها ثلاثة تيجان اخرى * . هي من نعمة الله . اما انها ، بعد هذه العملية ، لا تزال تملك ذلك التاج الطاهر النقي ، من نعمة الله ، الذي ادعت بانه لها فهذا ما لا يصدق حتى الليبراليون القوميون انفسهم .
ثالثاً ، لا يوجد بعد في ألمانيا غير خصم جدي واحد فقط للثورة هو الحكومة البروسية

وربما ، ينبغي على الالمانيان النمساويين الآن ، في آخر المطاف ، ان يطرحوا على انفسهم السؤال التالي : من يريدون ان يكونوا ، نمساويين ام الماني ؟ ما الذي يمز عليهم اكثر ، ألمانيا ام ملحقاتهم خارج ألمانيا في الجانب الآخر من نهر لينا ؟ فمن

* بالاريا ، بادن ، فورتمبيرغ . القناصر .

** هانوفر ، هيسن-كاسل ، ناساو . القناصر .

زمان بعيد ، كان واضحاً انه ينبغي عليهم ان يتخلوا اما عن هذا واما عن ذلك ، ولكن الديموقراطية البرجوازية الصغيرة كانت دائماً تطمس هذا الامر

اما فيما يتعلق بمختلف القضايا الهامة المتنازع عليها المقترنة بعام ١٨٦٦ ، والتي لا يزال يناقشها «الليبيراليون-القوميون» حتى الآن الى حد تقرر منه النفس ، من جهة ، و«حزب الشعب» (٤٢) من جهة اخرى ، فان تاريخ الاعوام التالية قد اثبت ان وجهتي النظر كليهما لا تتعاديان بضرورة بالغة الا لانهما الطرفان المتناقضان لضيق الافق نفسه

ان عام ١٨٦٦ لم يغير شيئاً تقريباً في العلاقات الاجتماعية في ألمانيا . فان الاصلاحات البرجوازية القليلة - نظام واحد للمقاييس والموازين ، حرية التنقل ، حرية الصنائع ، الخ . - وكل هذا في حدود مقبولة بالنسبة للبروقراطية ، لا تبلغ حتى ما تملكه البرجوازية في البلدان الاوروبية الغربية الاخرى من زمان بعيد ، ولا تمس الشر الاكبر ، نظام الامتيازات البروقراطي (٤٣) . اما بالنسبة للبروليتاريا ، فان الممارسة البوليسية العادية قد جعلت جميع القوانين بشأن حرية التنقل وحق الجنسية والغاء جوازات السفر ، الخ . ، مجرد وهم من الاوهام .

ولقد كان نهوض الصناعة والتجارة الذي بدأ منذ ١٨٤٨ في ألمانيا ، واتساع بناء السكك الحديدية ، وتطور التلغراف والملاحة المحيطية اهمية اكبر بكثير مما كان للتمثيلية في عام ١٨٦٦ ومهما كانت هذه النجاحات لا تضاهي النجاحات التي احرزتها انجلترا وحتى فرنسا في الوقت ذاته ، فقد كانت بالنسبة لالمانيا نجاحات لم يسمع بمثلها من قبل واعطت في بحر عشرين سنة اكثر مما اعطته من قبل مائة سنة كاملة . فالان فقط ،

هدت ألمانيا مدفوعة قطعاً وبلا عودة الى ميدان التجارة العالمية . وقد ازدادت رساميل الصناعيين بسرعة ، وتبعاً لهذا تعاظم ايضاً شأن البرجوازية الاجتماعي وبلغت المصارفة ، التي هي اصدق علامة على الازدهار الصناعي ، نطاقاً واسعاً ، قارسة بعجلتها المظفرة الكونتات والدوقات ان الراسمال الألماني - طيب الله ثراه ١ - يبنى الآن السكك الحديدية الروسية والرومانية في حين ان السكك الحديدية الألمانية كانت منذ خمسة عشر عاماً تطلب الصدقة من اصحاب المشاريع الانجليز . فكيف امكن اذن ان يحدث انذاك هذا الواقع ، وهو ان البرجوازية لم تظفر بالسيادة السياسية ايضاً ، وانها تبدي مثل هذه الجبابة الفائقة حيال الحكومة ؟

ان تعاسة البرجوازية الألمانية تتلخص في كونها تتأخر بحكم العادة الألمانية المفضلة فان زمن ازدهارها قد صادف تلك المرحلة التي كانت فيها برجوازية البلدان الاوربية الغربية الاخرى قد امست في حالة انحطاط في المجال السياسي ففي بريطانيا لم تستطع البرجوازية ان تدخل ممثلها الخاص برات في الحكومة ، الا بتوسيع حق الاقتراع (٤٤) ، - وهو تدبير كان لا بد لعواقبه ان تضع حداً لكل السيادة البرجوازية . وفي فرنسا ، حيث البرجوازية لم تبسط سيادتها ، بوصفها برجوازية ، بوصفها طبقة بجمعها ، الا في بحر سنتين ، سنة ١٨٤٩ وسنة ١٨٥٠ ، وفي ظل الجمهورية ، لم تستطع ان تمدد اجل وجودها الاجتماعي الا بالتنازل عن سيادتها السياسية للويس بوناپرت وللجيش . والعال ، نظراً للتأثير المتبادل المتعاظم الى ما لا نهاية له بين بلدان اوربوا الثلاثة الاكثر تقدماً ، لم يبق الا ان الممكن ان تبسط البرجوازية في ألمانيا سيادتها السياسية بهدوء وسلام اذا كانت قد استنفدت قواها وولى زمنها في انجلترا وفي فرنسا .

ان الخاصة المميزة التي تتم بها البرجوازية بالقياس الى جميع الطبقات الاخرى التي كانت سائدة من قبل تقوم على وجه الضبط في وجود نقطة انعطاف في طورها لا تؤدي من بعدها كل زيادة لاحقة في وسائل باسها ، وبالتالي في رساميلها بالدرجة الاولى ، الا الى تفاقم عجزها اكثر فاكثر عن بسط سيادتها السياسية «وراء ظهر البرجوازية الكبيرة خلف البروليتاريا» . فبقدر ما تطور البرجوازية الصناعة والتجارة ووسائل المواصلات ، بقدر ما تولد البروليتاريا . وفي لحظة معينة لا تقع في كل مكان في آن واحد ولا تحل بالضرورة في الدرجة نفسها من درجات التطور تبدأ البرجوازية تلاحظ ان مرافقها الدائب - البروليتاريا - قد فرح يتفوق عليها . ومنذ هذه اللحظة ، تفقد البرجوازية القدرة على بسط سيادتها السياسية بلا منازع ، فتفتش لنفسها عن حلفاء تعتمد ، حسب الظروف ، اما الى مشاطرتهم سيادتها واما الى التنازل لهم عنها بكليتها

وفي ألمانيا ، وقعت نقطة الانعطاف هذه بالنسبة للبرجوازية في عام ١٨٤٨ . صحيح ان البرجوازية الألمانية قد خافت آنذاك من البروليتاريا الألمانية اقل مما خافت من البروليتاريا الفرنسية . فان معارك حزيران ١٨٤٨ (٤٥) في باريس قد بينت لها ما ينتظرها ؛ فان تهيج البروليتاريا الألمانية كان قد بلغ آنذاك درجة من القوة تكفي لكي تثبت لها انه توجد هنا بدور بوسعها ان تعطي غلة مماثلة ؛ ومنذ هذه اللحظة ، تحطمت حدة الاعمال السياسية التي تقوم بها البرجوازية . وقررت تفتش عن حلفاء وتبيع نفسها منهم باي ثمن كان ، - ولكنها حتى ايامنا هذه لم تخط الى الامام اي خطوة .

ان جميع هؤلاء الحلفاء هم بطبيعتهم رجعيون . انهم السلطة

الملكية مع جيشها وبيروقراطيتها ، انهم الاريستقراطية الاقطاعية الكبيرة ، انهم اليونكر (٤٦) الصغار في الاقاليم الثائية ، انهم ، اخيراً ، القسس والكهنة . ومعهم جميعاً عقدت البرجوازية صفقات واتفاقات ، لمجرد ان تحافظ على جلدها الثمين ، ما دام لم يبق لها ، في اخر الامر ، ما تتاجر به . وبقدر ما تتطور البروليتاريا وبقدر ما تعي نفسها كطبقة وتتصرف كطبقة ، بقدر ما تزداد البرجوازية جبانة . وعندما احرزت استراتيجية البروسيين السيئة للغاية في معركة سادوفا (٤٧) النصر على استراتيجية النمساويين الاشد سوءاً ، مهما بدا ذلك غريباً ، كان من الصعب القول من ذا الذي تنفس الصعداء اكثر من غيره ، — البرجوازية البروسية التي تحطمت هي ايضاً في الوقت نفسه في معركة سادوفا ، ام البرجوازية النمساوية

ان برجوازيينا الكبار يسلكون في عام ١٨٧٠ تماماً كما سلك البرجوازيون المتوسطون في عام ١٥٢٥ اما البرجوازيون الصغار والمعلمون الحرفيون واصحاب الدكاكين ، فانهم سيبقون دائماً مثلما كانوا من قبل . انهم ياملون من حق او عن غير حق بان يشقوا طريقاً لانفسهم الى صفوف البرجوازية الكبيرة ، ويخافون من تدهورهم الى صفوف البروليتاريا . وهم ، لتأرجحهم بين الخوف والامل سيحاولون ، اثناء النضال ، انقاذ جلدهم الثمين وسيلزقون بعد النصر بالمنتصر فهذه هي طبيعتهم

منذ عام ١٨٤٨ تطور نشاط البروليتاريا الاجتماعي والسياسي مواكبا نهوض الصناعة خطوة فخطوة وان الدور الذي يضطلع به العمال الالمان في الوقت الحاضر في نقاباتهم وفي الجمعيات التعاونية وفي المنظمات والاجتماعات السياسية ، وفي الانتخابات وفيما يسمى الريخستاغ ، ان هذا الدور وحده يبين اي انعطاف

جرى بصورة غير ملحوظة في ألمانيا في السنوات العشرين الأخيرة .
والعمال الألمان يعود أكبر الشرف : فهم وحدهم دون غيرهم
توصلوا الى ارسال العمال وممثلي العمال الى البرلمان بينما لم
يستطع الفرنسيون ولا الانجليز حتى الآن التوصل الى ذلك
ولكن البروليتاريا لم تنم بعد ، هي ايضا ، الى درجة لا تقبل
المقارنة مع عام ١٥٢٥ فان الطبقة التي تضطر الى العيش من
الاجرة بوجه الحصر وطيلة حياتها كلها لا تزال ابعد من ان تؤلف
اغلبية الشعب الألماني وهي بالتالي لا تستطيع الاستغناء عن
الحلفاء . والحال ، لا يمكن التفتيش عن هؤلاء الا في وسط
البرجوازية الصغيرة وحشالة البروليتاريا . في المدن ، والفلاحين
الصغار والعمال الزراعيين .

البرجوازيون الصغار . سبق ان تكلمنا عنهم انهم غير
مأمولين ابدأ ، وعندما يتم احراز النصر ، عند ذلك فقط ، يرفعون
عقيرتهم بالصياح بصورة لا تصدق في مشارب الجعة . ومع ذلك ،
توجد بينهم عناصر طيبة جداً تنضم من تلقاء نفسها الى العمال
حشالة البروليتاريا التي تمثل نفايات من العناصر المتفسخة
اخلاقيا ونفسانيا من جميع الطبقات والتي تتركز بصورة رئيسية
في المدن الكبيرة ، هي اسوأ جميع الحلفاء المحتملين ان هؤلاء
الابائس ماجورون كلياً ومزعجون اشد الازعاج بلجاعتهم . واذا
كان العمال الفرنسيون قد كتبوا على بيوتهم ابان كل ثورة
« Mort aux voleurs ! » - والموت للصوص ! - واعدوا رمياً
بالرصاصة عدداً كبيراً من هؤلاء اللصوص ، فان هذا لم يحدث
بسبب تقدسهم الملكية ، بل نتيجة لصحة فهمهم بانه ينبغي

لهم قبل كل شيء ان يتخلصوا من هذه العصابة ان كل زعيم عمالي يستخدم هؤلاء الاوغاد حرساً له او يعتمد عليهم ، يثبت بهذا وحده انه خائن للحركة

الفلاحون الصغار - فالفلاحون الكبار ينتسبون الى البرجوازية - اصناف مختلفة

اما انهم **فلاحون اقطاعيون** لا يزالون ملزمين بتقديم الاتاوات الاقطاعية للاساد الاخير وبعد ان فوت البرجوازية فرصة تحريرهم من التبعية الاقطاعية ، - وكان ذلك واجباً عليها ، - لن يكون من الصعب اقناعهم بانه ليس في وسعهم ان ياملوا بالخلاص الا على يد الطبقة العاملة

واما انهم **مستأجرون** . وفي هذه الحالة ، يقوم القسم الاكبر من نفس العلاقات القائمة في ارلنده . ولقد تعاطم بدل الايجار الى حد انه يكاد من المتعذر على الفلاح ، اذا كانت الغلة متوسطة ، ان يعيل نفسه وعائلته ، وانه يموت تقريباً من الجوع ، اذا كانت الغلة رديئة ، ولا يستطيع دفع بدل الايجار ، فيصبح من جراء ذلك تابعا تماماً لمالك الارض ورهنأ باهوائه . ولمثل هؤلاء لا تفعل البرجوازية شيئاً الا متى اضطروها الى ذلك فمن ينقذهم اذن ان لم يكن العمال ؟

يبقى الفلاحون الذين يستثمرون قطعاً صغيرة من ارضهم بالذات . انهم في غالبية الاحوال مرهقون بالرهون العقارية (٤٨) الى حد انهم يتبعون المرابين كما يتبع المستأجرون مالكي الارض . ولا يبقى لهم هم ايضاً الا ايراد ضئيل جداً ، ناهيك بانه غير ثابت ابدأ تبعاً لجودة الموسم وردائه وهم يستطيعون ، اقل ما يستطيعون ، ان يعلقوا آمالاً ما على البرجوازية ، لان البرجوازيين ، الرأسماليين المرابين ، هم الذين يمتصون منهم كل عصارتهم .

ولكنهم بمعظمهم يتمسكون بشدة بملكيتهم ، رغم انها في الواقع لا تخصهم ، بل تخص المرابين . ومع ذلك يجب اقناعهم بانهم لن يستطيعوا الخلاص من المرابين الا متى حولت الحكومة التابعة للشعب جميع الرهونات العقارية الى دين للدولة وخفضت الفائدة المئوية بهذه الطريقة . والحال ، لا يمكن ان يحقق هذا غير الطبقة العاملة .

وحيثما تسود ملكية الارض المتوسطة والكبيرة ، يشكل **العمال الزراعيون** اكثر الطبقات في الريف عدداً . هكذا هو الحال في عموم المانيا الشمالية والشرقية ، وهنا يجد عمال المدن الصناعيون **حلفاءهم الطبيعيين واكثر حلفائهم عدداً** . وكما ان الرأسمالي يقابل العامل الصناعي ، كذلك يقابل مالك الارض او مستأجر الارض الكبير العامل الزراعي . والتدابير ذاتها التي تساعد فريقاً ، ينبغي لها ان تساعد الفريق الآخر . ولا يستطيع العمال الصناعيون ان يتحرروا الا اذا حولوا رأسمال البرجوازية اي الخامات والآلات والادوات الضرورية من اجل الانتاج وكذلك وسائل العيش ، الى ملكية اجتماعية اي الى ملكية لهم ، الى ملكية يستغلونها بصورة جماعية . كذلك لن يستطيع العمال الزراعيون التخلص من الفقر المدقع الرهيب الا اذا تحقق في المقام الاول الشرط التالي وهو انتزاع الارض ، التي هي الموضوع الرئيسي لعملمهم ، من الملكية الخاصة للفلاحين الكبار وللأقطاعيين - الاكبر منهم - وتحويلها الى ملكية اجتماعية تستغلها بصورة جماعية جميعات العمال الزراعيين . وهنا نقرب من القرار الشهير الذي اتخذته مؤتمر بال العمالي العالمي والقاتل انه ينبغي ، لما فيه مصلحة المجتمع ، تحويل ملكية الارض الى ملكية جماعية ، وطنية (٤٩) . وكان هذا القرار يقصد بصورة رئيسية البلدان

التي تقوم فيها الملكية الكبيرة للأرض وما يرتبط بها من اقتصاد كبير على القطع الكبيرة من الأرض ، مع العلم انه يوجد في كل من هذه الملكيات الكبيرة سيد واحد وعدد كبير من العمال الاجراء ولكن هذا الوضع لا يزال هو السائد على العموم في ألمانيا ، ولهذا جاء قرار مؤتمر بال في حينه تماماً بالنسبة لألمانيا على وجه الضبط فضلاً عن انجلترا ان البروليتاريا الزراعية ، عمال الريف ، انما هم تلك الطبقة التي تعطي العدد الأكبر من المجندين لجيوش الملوك ؛ انما هم تلك الطبقة التي ترسل الى البرلمان في الوقت الحاضر ، بحكم حق الاقتراع العام ، عدداً كبيراً من الاقطاعيين واليونكر ؛ ولكنهم في الوقت نفسه تلك الطبقة التي تقف اقرب من غيرها الى جانب عمال المدن الصناعيين ، وتشاطرهم شروط العيش ذاتها ، بل تجد نفسها في وضع ادنى من وضعهم ان هذه الطبقة عاجزة لانها مقسمة ومبعثرة ؛ بيد ان الحكومة وفئة النبلاء تعرفان جيداً قوتها المخفية وتعرفانها الى حد انهما تحاولان قصداً وعمداً دفع المدارس في طريق الانحطاط لكي تبقىها غارقة في لجة الجهل والامية ان ايقاظ هذه الطبقة واجتذابها الى الحركة ، تلك هي اقرب والح مهمة تواجهها الحركة العمالية الالمانية . وما ان يتعلم سواد عمال الريف فهم مصالحهم الخاصة حتى يغدو من المستحيل في ألمانيا قيام اي حكومة رجعية سواء اكانت اقطاعية ام بيروقراطية ام برجوازية

كتبها انجلس حوالي ١١ شباط تصدر حسب نص
(فبراير) ١٨٧٠ صدرت في الطبعة الطبعة الثانية
الثانية لمؤلف انجلس وحرب الفلاحين تمت الترجمة نقلاً
في ألمانيا ، الصادرة في ليبزغ ، في تشرين عن الالمانية
الاول (اكتوبر) ١٨٧٠

ملحق لملقمة ١٨٧٠

لأجل الطبعة الثالثة المصادرة في ١٨٧٥

كتبت الاسطر السابقة منذ اكثر من اربعة اعوام . وهي لا تزال تحتفظ الآن باهميتها . وما كان صحيحا بعد معركة سادونا وتقسيم المانيا يتأكد كذلك بعد معركة سيدان (٥٠) وتأسيس الامبراطورية الالمانية المقدسة للامة البروسية (٥١) فان تمثيلات ما يسمى بالسياسة الكبرى ، التمثيلات (التي تهز العالم) يمكنها ان تحدث مثل هذه القلة من التفخيرات في اتجاه حركة التاريخ

ولكن في مقدورها بالمقابل ان تعجل سير هذه الحركة وفي هذا الصدد ، احرز المتسببون وبالأحداث التي تهز العالم ، والمشار إليها أنفاً ، دون قصد منهم ، نجاحات هي ، بكل تأكيد ، امر غير مرغوب فيه اطلاقاً بالنسبة لهم انفسهم ، ولكنه يترتب عليهم ان يخلوها بالحسبان سواء شاقوا ام ابوا

ان حرب ١٨٦٦ قد هزت بروسيا القديمة من اسسها بالذات . فبعد عام ١٨٤٨ ، اصبح اخضاع عنصر الاقاليم الغربية الصناعي المتمرد البرجوازي والبروليتاري على السواء ، - للانضباط القديم ، من جديد ، يتطلب قدراً غير قليل من الجهد ؛ ومع ذلك ، امكن ذلك ، ومن جديد اصبحت مصالح اليونكر من الاقاليم الشرقية الى جانب مصالح الجيش هي المصالح السائدة في الدولة . وفي عام ١٨٦٦ ، غدت المانيا الشمالية الغربية كلها تقريباً بروسية . وفضلاً عن الخسارة المعنوية التي لا تعوّض ، والتي مني بها التاج البروسي الذي هو من نعمة الله ، بعد ان ابتلع

ثلاثة تيجان أخرى* هي أيضاً من نعمة الله ، — انتقل الآن مركز
 ثقل الملكية بصورة ملحوظة الى الغرب . فبالملايين الخمسة من
 سكان مقاطعة الراين ووستفاليا ، ألحق في البدء ٤ ملايين من
 الالمان المضمومين بواسطة الالحاق المباشر ، ثم ٦ ملايين من
 الالمان المضمومين بواسطة الالحاق غير المباشر ، بواسطة حلف
 ألمانيا الشمالية (٥٢) وفي عام ١٨٧٠ ، اضيف الى هذا ٨
 ملايين أخرى من الالمان الجنوبيين الغربيين (٥٣) ، وبالتالي
 غدت «الامبراطورية الجديدة» تضم ١٤,٥ مليوناً من البروسيين
 القدماء (من الاقاليم الستة الواقعة شرقي الالب حيث كان يعيش ،
 بالإضافة الى هؤلاء ، مليونان آخران من البولونيين) مقابل زهاء
 ٢٥ مليوناً تجاوزوا من زمان الاقطاعية اليونكرية البروسية
 القديمة . وعليه كانت انتصارات الجيش البروسي بالذات هي
 التي احدثت التغير الحاسم في كل اساس صرح الدولة البروسية ؛
 واكثر فاكثر اتمت سيادة اليونكر امراً لا يطاق حتى بالنسبة
 للحكومة . ولكن التطور الصناعي الجاري بسرعة عاصفة ازاح ،
 في الوقت نفسه ، الصراع بين اليونكر والبرجوازية الى المؤخرة ،
 ودفع الى المقدمة الصراع بين البرجوازية والعمال ، ولذا حدث
 انعطاف كامل في الاسس الاجتماعية للدولة القديمة من الداخل
 ايضاً . لقد كان الصراع بين النبلاء والبرجوازية ، الصراع الذي
 حافظت فيه الملكية على التوازن ، الشرط الاساسي
 للملكية التي راحت تتصدع ببطء منذ عام ١٨٤٠ . ولكن منذ
 اللحظة التي لم يعد من المقصود فيها حماية النبلاء من هجوم
 البرجوازية ، بل حماية جميع الطبقات المالكة من هجوم الطبقة

* هانوفر ، هيسن-كاسل ، ناساو . الناشر .

العاملة ، كان لا بدّ للملكية المطلقة القديمة ان تتحول كليا الى شكل للدولة مرسوم خصيصاً لهذا الغرض ، اي الى ملكية بونابرتية . وانتقال بروسيا هذا الى البونابرتية بحثته انا من قبل في مكان آخر (وبصدد مسألة السكن) ، الطبعة الثانية ، ص ٢٦ وما يليها) . ولكنه لم تكن ثمة ضرورة في هذا البحث للإشارة الى واقع يتم هنا باهمية جوهرية جداً ، ألا وهو بالضبط ان هذا الانتقال كان اكبر خطوة الى الامام خطتها بروسيا بعد عام ١٨٤٨ ، - نظراً لان بروسيا كانت قد تاخرت واي تاخر من ركب التطور المصري . ومع ذلك ظلت دولة نصف اقطاعية ، في حين ان البونابرتية هي ، على كل حال ، شكل عصري للدولة يفترض ازالة الاقطاعية . وهكذا يتعين على بروسيا ان تقدم على وضع حد للبقايا الاقطاعية الكثيرة الموجودة عندها وان تضحى بطبقة اليونكر بوصفهم طبقة . وكلم هذا يتحقق ، طبعا ، باخف شكل وعلى انعام الاغنية المحبوبة : (الى الامام على الدوام ، بلا عجلة) هكذا هي الحال ، مثلاً ، فيما يتعلق بمرسوم الدوائر السيىء الذكر . فهو يلغي الامتيازات الاقطاعية ليونكر بمفرده في اراضي ممتلكاته ، ولكن لمجرد ان يبعثها بصورة امتيازات لمجموع كبار مالكي الاراضي في اراضي الدائرة كلها فان جوهر الامر يبقى هو هو ، ولكنه يترجم فقط من اللهجة الاقطاعية الى اللهجة البرجوازية . انهم يحولون اليونكر البروسي القديم قهراً وقسراً الى ضرب من سكوير* بريطاني ، ولكنه لم يكن لديه اي دافع على الاطلاق لمعارضة ذلك بوجه خاص ، لان هذا وذاك غبيان بالقدر نفسه

* سكوير - ملاك عقاري . الهارب .

وهكذا كتبت لبروسيا قسمة فريدة ، - وهي ان تنجز في نهاية هذا القرن ، بشكل البونابرتية المستطاب ، ثورتها البرجوازية التي بدأت في سنوات ١٨٠٨-١٨١٣ والتي خطت خطوة الى الامام في سنة ١٨٤٨ . واذا سارت جميع الامور بيسر وانتظر العالم يهدوء ، وعشنا نحن زمنا كافيا ، فاننا ، اغلب الظن ، سنرى نحو عام ١٩٠٠ ، ان الحكومة البروسية قد قضت بالفعل على جميع المؤسسات القطاعية في بروسيا وان بروسيا بلغت اخيراً ذلك الوضع الذي وجدت فيه فرنسا نفسها في عام ١٧٩٢

ان القضاء على القطاعية ، المعبر عنه بشكل ايجابي ، يعني اقامة النظام البرجوازي ان التشريع يتبرجز بقدر ما تنهار امتيازات النبلاء . وهنا نقرب من النقطة الاساسية في موقف البرجوازية الالمانية من الحكومة . فقد رأينا ان الحكومة مضطورة الى تطبيق هذه الاصلاحات البطيئة والطفيفة . ولكنها تصور امام البرجوازية كلا من هذه التنازلات الصغيرة بصورة قسحجية قدمتها ، بصورة نعمة منتزعة من التاج بجهد كبير ويتعين عليهم ، هم البرجوازيين ، ان يتنازلوا من جهتهم عن شيء ما في صالح الحكومة . والبرجوازيون يقبلون بهذا الخداع رغم ان كنه الامور واضح كفاية بالنسبة لهم ، ومن هنا ينبع ذلك الاتفاق الضمني الذي تركز عليه في برلين بصورة غير علنية جميع المناقشات في الريخستاغ وفي المجلس البروسي : فمن جهة ، تعدل الحكومة القوانين في مصلحة البرجوازية بخفي السلحفاة ، وتزيل ما يعترض تطور الصناعة من عقبات قطاعية وعقبات ناجمة عن التبعض الى دويلات ، وتقر وحدة العملة والمقاييس والموازين ، وتطبق حرية الصنائع ، الخ . وتقر حرية التنقل واضعة بذلك قوة العمل في ألمانيا تحت تصرف الرأسمال بلا حد ولا قيد ، وتحمي التجارة والمضاربة ؛

ومن جهة اخرى تمنح البرجوازية الحكومة السلطة السياسية الفعلية بكاملها ، وتصوت بالموافقة على الضرائب والقروض والتجديدات وتساعد في صياغة جميع القوانين الجديدة بشأن الاصلاحات بحيث تبقى السلطة البوليسية القديمة على الافراد غير المناسبين بكامل قوتها . ان البرجوازية تشتري تحررها الاجتماعي التدريجي بالتخلي على الفور عن سلطتها السياسية . وبديهي ان الدافع الرئيسي الذي يدفع البرجوازية الى القبول بهذا الاتفاق ليس الخوف من الحكومة بل الخوف من البروليتاريا

ومهما كانت تصرفات برجوازيتنا في ميدان السياسة حقيرة ، فانه لا يجوز مع ذلك ان ننكر انها شرعت ، في آخر المطاف ، تؤدي واجباتها في ميداني الصناعة والتجارة . فان نهوض الصناعة والتجارة الذي اشرت اليه في مقدمة الطبعة الثانية* قد استمر مذ ذاك بمزيد من الشدة . وما جرى في هذا الصدد في منطقة الراين- وستفاليا الصناعية منذ عام ١٨٦٩ لا سابق له حقا وفعلًا في ألمانيا ويذكر بازدهار المناطق الصناعية الانجليزية في مستهل هذا القرن . والشيء نفسه سيحدث في ساكسونيا وسيليزيا العليا وفي برلين وهانوفر وفي المدن الساحلية . وقد صار عندنا ، في آخر الامر ، تجارة عالمية وصناعة كبيرة حقيقية ، وبرجوازية عصرية حقيقية ؛ ولكنه وقعت عندنا بالمقابل ازمة حقيقية وتكونت كذلك بروليتاريا حقيقية ، قوية .

ان دوي المدافع في معارك شبيخون ومارس-لاتور (٥٤) وميدان وكل ما يرتبط به سيتم في تاريخ ألمانيا في سنوات ١٨٧٤-١٨٦٩ بأهمية اقل بكثير في نظر المؤرخ المقبل من أهمية

تطور البروليتاريا الألمانية البسيط الهادى ، والمتصاعد مع ذلك بلا انقطاع . ففي عام ١٨٧٠ ، اضطر العمال الالمان الى تقديم امتحان جدي ، عنيينا به الاستفزاز البونا برتي الحربي وعاقبته الطبيعية ، الحماسة الوطنية الشاملة في ألمانيا فان العمال الاشتراكيين الالمان لم ينخدعوا لحظة واحدة فلم تتلقفهم موجة التعصب القومي الشوفيني ووسط نشوة النصر المحمومة ، المسعورة ، حافظوا على رباطة الجأش وطالبوا «بصلح عادل مع الجمهورية الفرنسية دون اي الحاقات» ، بل ان اعلان الاحكام العرفية عجز عن اجبارهم على لزوم الصمت . ولم يجد اي صدى عندهم لا التولع بالمجد العسكري ولا الثروة حول «عظمة الامبراطورية الألمانية» . وظل تحرير البروليتاريا الاوروبية كلها هدفهم الوحيد . ويمكن القول عن كامل الحق والصواب : ان العمال لم يقدموا بعد في اي بلد بمثل هذا النجاح الباهر امتحانا بمثل هذا العصر .

وعقب الاحكام العرفية في زمن الحرب ، حدثت محاكمات بتهمة الخيانة الكبرى وبتهمة اهانة صاحب الجلالة والموظفين ، واخذت تتفاقم اكثر فاكثر المناكذات البوليسية في زمن السلم . فعلى العموم ، كان يوجد ثلاثة او اربعة على الاقل من اعضاء هيئة تحرير « Volksstaat » (٥٥) في السجن في آن واحد ؛ وفي مثل هذا الوضع كانت الجرائد الاخرى . وكان لا بد لكل خطيب حزبي معروف نوعا ان يمثل مرة واحدة على الاقل في السنة امام المحكمة فتصدر بحقه على الدوام تقريرا حكما جزائيا . وكانت اعمال النفي والمصادرة وحل الاجتماعات تنهمر مثل البرد . ولكن عشا ؛ فان كل معتقل او منفي كان يحل مكانه شخص آخر على الفور ؛ وعوضا عن كل اجتماع محلول ، كان ينعقد اثنان جديدان وبرباطة الجأش وبالتقيد الدقيق بالقوانين كانوا يستنفدون قوى التعسف

البوليسي تارة هنا وطورا هناك . وكانت جميع الملاحظات تؤدي الى نتائج معاكسة : فهي لم تستطع ان تحطم حزب العمال او ان تلوي عوده على الاقل ، ولم تفعل غير ان اجتذبت اليه الانصار الجدد ووطدت تنظيمه . وفي كل مكان ، قدم العمال في نضالهم سواء ضد السلطات او ضد مختلف البرجوازيين ، الدليل على تفوقهم الفكري والاخلاقي وبرهنوا ، لا سيما باصطداماتهم مع من يسمون « بارباب العمل » ، على انهم الآن ، هم العمال ، اناس مستنرون وان الرأسماليين اناس جهلة ناهيك بانهم في معظم الاحوال يخوضون النضال بفكاهة هي خير دليل على ايمانهم بقضيتهم وعلى ادراكهم لتفوقهم . ولا بد لهذا النضال الذي يخوضونه بهذا النحو في تربة هياها التاريخ ، من ان يعطي نتائج كبيرة . ان نجاح انتخابات كانون الثاني (يناير) هي ظاهرة استثنائية في تاريخ الحركة العمالية المعاصرة (٥٦) ، ولذا كانت مفهومة تماما تلك الدهشة التي استشارتها في عموم اوروبا .

ان للعمال الالمان افضليتين جوهريتين يتفوقون بهما على عمال بقية اوروبا . الاولى هي انهم ينتسبون الى ارقى شعب في اوروبا في حقل النظرية ، وانهم حافظوا في انفسهم على ذلك الفكر النظري الذي فقدته كليا تقريبا الطبقات المسماة بالطبقات « المتعلمة » في المانيا ان الاشتراكية العلمية الالمانية ، اي الاشتراكية العلمية الوحيدة التي وجدت يوما ، ما كانت نشأت قط لولا الفلسفة الالمانية التي سبقتها ، ولولا فلسفة هيغل على الخصوص . ولولا الفكر النظري عند العمال ، لما كانت هذه الاشتراكية العلمية دخلت قط الى مثل هذه الدرجة في دمهم وصلبهم ، كما نرى ذلك الآن . اما اي مدى شاسع لا قياس له لفته هذه الافضلية ، فهذا ما تبينه ، من جهة ، تلك اللامبالاة

بكل نظرية ، التي هي سبب من الاسباب الرئيسية التي تفسر سير الحركة العمالية البريطانية الى الامام بمثل هذا البطء ، رغم التنظيم الرائع في بعض المهن ، - وما يبينه ، من جهة اخرى ، ذلك الارتباك وذلك التارجح اللذين بذرت البرودونية بذورهما ، بشكلها الاول عند الفرنسيين والبلجيكيين ، وبشكلها الكاريكاتوري ، الذي قدمه باكونين ، عند الاسبانيين والاطاليين

اما الافضلية الثانية فقوامها ان الالمان قد دخلوا في الحركة العمالية تقريبا بعد الجميع . وكما ان الاشتراكية النظرية الالمانية لن تنسى ابدأ انها تقف على اكتاف سان سيمون وفوريه واوين ، - هؤلاء المفكرين الثلاثة الذين يُعتبرون ، رغم كل خيالية وكل طوباوية مذاهبهم ، من عداد اعظم الادمغة في جميع الازمنة والذين استبقوا بصورة عبقرية كثرة لا تحصى من تلك الحقائق التي نقدم الآن البرهان العلمي على صحتها ، - كذلك يجب على الحركة العمالية العملية الالمانية الا تنسى ابدأ انها تطورت على اكتاف الحركة البريطانية والحركة الفرنسية ، وانه سنحت لها الفرصة لكي تستفيد بكل بساطة من التجربة التي كدستها بشمن غال ، ولكي تتجنب الآن الاخطاء التي كان يستحيل آنذاك تجنبها في غالبية الاحوال . واين كنّا الآن لولا مثال التريديونيونات البريطانية ونضال العمال الفرنسيين السياسي ، لولا تلك الدفعة الهائلة التي اعطتها كومونة باريس على الاخص ؟

ومن باب العدل ، يجب ان نقول ان العمال الالمان قد استفادوا بمهارة خارقة من فوائد وضعهم فللمرة الاول منذ وجود الحركة العمالية ، يخاض النضال بطريقة منهجية في جميع اتجاهاته الثلاثة المنسقة والمترابطة فيما بينها النظري والسياسي ، والاقتصادي العملي (مقاومة الراسماليين) . وفي

هذا الهجوم المركز ، كما يقال ، تكمن قوة الحركة الالمانية ومنعتها .

ان العمال الالمان يجدون انفسهم في الطرف الراهن على رأس النضال البروليتاري ، وذلك ، من جهة ، بسبب وضعهم المميز هذا ، ومن جهة اخرى ، بسبب الخصائص الجزيرية التي تختص بها الحركة البريطانية وبسبب قمع الحركة الفرنسية بالعنف اما خلال اي مدة ستسمح لهم الاحداث بشغل هذا المركز المشرف ، فذلك ما يستحيل التنبؤ به . ولكنهم ما داموا يشغلونه ، فانهم ، كما ينبغي الأمل ، سيؤدون ، كما يصح ، الواجبات الملقاة على كواهلهم . ولهذا الغرض لا بد من مضاعفة الجهود في جميع ميادين النضال والتحرير . وسيكون من واجب الزعماء على الاخص ان يشقوا انفسهم اكثر فاكث في جميع القضايا النظرية وان يتحرروا اكثر فاكث من تأثير الجمل والتعابير التقليدية الملازمة للمفهوم القديم من العالم ، الا يغيب عن بالهم ابدأ ان الاشتراكية تتطلب ، منذ ان اصبحت علمية ، تناولها كعلم ، اي دراستها . والوهي المكتسب على هذا النحو ، والذي يتزايد وضوحاً باستمرار ، لما ينبغي نشره بين جماهير العمال بجهد مضاعف ابدأ وتقوية تنظيم الحزب وتنظيم النقابات وترسيخهما اكثر فاكث . صحيح ان الاصوات التي نالها الاشتراكيون في كالون الثاني (يناير) تمثل جيشاً كبيراً نسبياً ، ولكنها لا تزال ابعد من ان تمثل اغلبيه الطبقة العاملة الالمانية؛ ومهما كانت الحماسة التي تثيرها نجاحات الدعاية بين سكان الريف كبيرة ، فلا يزال يتربس هنا بالذات فعل الكثير والكثير الى ما لا نهاية له . ولهذا لا يجوز التمسك في النضال ، بل يجب انتزاع مدينة تلو مدينة من العدو ، ودائرة انتخابية تلو دائرة . ولكنه ينبغي قبل كل شيء الاحتفاظ

روح اممية حقا تنفي ظهور اي شوفينية وطنية وترحب بسرور بكل خطوة جديدة في الحركة البروليتارية ، ايا كانت الامة التي قامت بهذه الخطوة . واذا ما سار العمال الالمان على هذا النحو في المستقبل ايضا . فانهم لن يسيروا على رأس الحركة - فليس ابدأ من مصلحة الحركة ان يسير عمال اي امة من الامم على رأسها ، - بل سيشغلون مكاناً مشرفاً في صفوف المناضلين ؛ وسيكونون على اتم الالهة اذا ما تطلبت منهم فجأة محن قاسية او احداث عظيمة قدراً اكبر من الرجولة ، قدراً اكبر من التصميم والعزيمة

فريدريك إنجلز

لندن ، اول تموز (يوليو) ١٨٧٤

تصدر حسب نص الكتاب
تمت الترجمة نقلاً عن
الالمانية

صدرت في كتاب
Friedrich Engels. « Der Deutsche
Bauernkrieg ».
Leipzig, 1875

ماركس

الحرب الاهلية في فرنسا (٥٧)

ملقمة بقلم فريدريك انجلس عام ١٨٩١ (٥٨)

لم اكن اتوقع ان يطلب اليّ اعداد طبعة جديدة لنداء المجلس العام للاممية حول «الحرب الاهلية في فرنسا» ، وان اقدم له وكل ما في وسعي هنا هو ان اتناول بايجاز اكثر النقاط اهمية . انني اُصدّر النداء الاطول المشار اليه آنفا بالندائين الاقصر منه اللذين اصدرهما المجلس العام حول الحرب الفرنسية-البروسية * . وذلك لولا ، لأن النداء الثاني من هذين الندائين قد استشهد به في «الحرب الاهلية» ولأنه يحد نفسه ، دون النداء الاول ، لا يمكن فهمه بصورة تامة ، وكذلك لأن هذين الندائين اللذين سطرهما ماركس ايضا ، هما مثلان بارزان ليسا باقل دلالة من «الحرب الاهلية» على الموهبة الفذة التي يتمتع بها المؤلف في فهم طبيعة الاحداث التاريخية العظمى وفحواها ونتائجها الضرورية فهما صحيحا في الوقت الذي تكون فيه هذه الاحداث ما تزال تجري امام ناظرنا ، او غب وقوعها مباشرة ، وهي الموهبة التي تجلت اول ما تجلت في «الثامن عشر من برومير

* راجع هذا المجلد ، ص ١٤١-١٤٧ ، ١٤٨-١٥٨ . التناهي .

لويس بوناپرت» . . واخيراً ، لأننا ما نزال نعاني حتى الآن ، نحن في ألمانيا ، من العواقب التي نشأت عن هذه الاحداث والتي تنبأ بها ماركس

الم تتحقق نبوءة النداء الاول القائلة ان حرب المانيا الدفاعية ضد لويس بوناپرت ، اذا انتكست الى حرب فتح وقهر ضد الشعب الفرنسي ، تأتي على المانيا ان تتحمل من جديد وبشكل ادهى وامرّ جميع المصائب التي حلت بها بعد ما يدعى بحرب التحرر ؟ (٥٩) . الم نسل بعد ذلك عشرين سنة كاملة اخرى من حكم بيسمارك ، حل فيها القانون الاستثنائي (٦٠) واضطهاد الاشتراكيين محل ملاحقات الديماغوجيين (٦١) ، بنفس ما كانت تنطوي عليه من اجراءات بوليسية تعسفية وتفسيرات للقانون تشير احد الاشمزاز ؟

ثم الم تتحقق حرفياً النبوءة القائلة بان ضم الالزاس-اللورين سيدفع فرنسا الى احضان روسيا ، وانه سيترتب على المانيا بعد هذا الضم إما ان تصبح خادم روسيا بصورة سافرة واما ان تبدأ بعد فترة قصيرة من الراحة تستعد لحرب جديدة ، هي «حرب عنصرية-حرب ضد العنصرين السلالي والروماني مجتمعين» . . ؟ الم يؤد ضم الاقليمين الفرنسيين الى دفع فرنسا الى احضان روسيا ؟ الم يخطب بيسمارك عبثاً ود القيصر طيلة عشرين سنة كاملة بتقديم خدمات له بصورة اكثر خشوعاً مما كانت تفعله بروسيا الصغيرة عادة بركوعها امام اقدام «روسيا المقدسة» ،

* راجع هذه الطبعة ، الجزء الاول ، ص ١٤٨-٢٩٩ .
الناشر .

** راجع هذا المجلد ، ص ١٥٥ . الناشر .

قبل ان تصبح «الدولة العظمى الاولى في اوروبا» ؟ اوليس حقا اننا ما نزال نجد سيف داموقليس مسلطا دائما فوق رؤوسنا ، منذراً بحرب تنثر هباء في اول يوم من ايامها جميع احلاف المواهل المدونة رسميا ، حرب ليس من امرها ما هو ثابت مؤكد اللهم الا الغموض المطلق الذي يكتنف نتيجتها ، حرب عنصرية تعرض اوروبا بأسرها للدمار والنهب على يد خمسة عشر او عشرين مليوناً من الجنود المسلحين ، حرب لم تندلح نيرانها بعد الا لأن حتى اقوى دولة من الدول العسكرية الكبرى يهولها عجزها المطلق من تقدير نتائجها الاخيرة

وهذا ما يلزمنا ، من باب لولي ، ان نضع مرة ثانية في متناول العمال الالمان هاتين الوقيقتين اللتين تكادان ان تكون منسيتين الآن ، واللّتين تدلان بصورة رائعة على بعد النظر الذي اتسمت به السياسة العمالية الاممية في سنة ١٨٧٠

ان ما قلته من هذين الندائين ينطبق ايضا على النداء والحرب الاهلية في فرنسا . في ٢٨ ايار (مايو) سقط آخر مكافحي الكومونة على سفوح بيلفيل في النضال ضد قوى عدوة متفوقة ؛ وبعد يومين ، في ٣٠ ايار (مايو) تلا ماركس على المجلس العام مؤلفه الذي حدد فيه المفزى التاريخي لكومونة باريس في خطوط قصيرة قوية ، ولكنها على جانب من الصواب بل على جانب من الصحة ، قبل كل اعتبار ، لم يدركهما كل ما كُتب بعد ذلك من مؤلفات كثيرة في هذا الموضوع .

لقد اوضحت باريس في السنوات الخمسين الاخيرة ، بفضل التطور الاقتصادي والسياسي الذي طرأ على فرنسا منذ هام ١٧٨٩ ، في وضع جعل من المتعذر ان ننشئ فيها اية ثورة دون ان ترتدي الطابع البروليتاري ؛ فان البروليتاريا التي

دفعت دماءها ثمن النصر تقدمت بمطالبها الخاصة بعد النصر وقد كانت هذه المطالب غير واضحة ، الى هذا الحد او ذاك ، وحق مشوهة ، تبعاً لدرجة التطور التي بلغها عمال باريس في الفترة المعنية ، ولكنها جميعاً كانت تنحصر في نهاية الامر في الغاء التناقض الطبقي بين الرأسماليين والعمال صحيح ان ما من احد كان يعرف كيف يجب تحقيق هذا الالفاء لكن المطلب ، مهما كانت الصيغة التي صيغ بها غير محددة ، كان ينطوي بحد ذاته على تهديد للنظام الاجتماعي القائم ؛ والعمال الذين قدموا هذا المطلب كانوا ما يزالون يحملون السلاح ، ولذلك كان تجريد العمال من السلاح هو اول المقتضيات بالنسبة للبرجوازيين المتربعين على دست الحكم ومن هنا ، كانت كل ثورة يؤمن العمال انتصارها ، يليها نضال جديد ينتهي بهزيمة العمال

حدث هذا لأول مرة في سنة ١٨٤٨ كان البرجوازيون الليبراليون من المعارضة البرلمانية يقيمون الولايم من اجل الاصلاح ، سعياً منهم وراء اصلاح انتخابي يضمن لحزبهم السيطرة . واكثر فاكث ارغهم النضال ضد الحكومة على التوجه الى الشعب وترتب عليهم ان يتنازلوا تدريجياً عن مركز الصدارة الى الفئات الراديكالية والجمهورية من البرجوازية والبرجوازية الصغيرة . ولكن خلف هؤلاء كان يقف العمال الثوريون الذين اكتسبوا منذ سنة ١٨٣٠ (٦٢) قدراً من الاستقلال السياسي اعظم بكثير مما كان يتوهم البرجوازيون وحق الجمهوريون وحين نشبت الازمة في العلاقات بين الحكومة والمعارضة ، بدأ العمال نضال الشوارع ؛ واختفى لويس فيليب ، ومعه اختفى الاصلاح الانتخابي ؛ وفي مكانه قامت الجمهورية ، جمهورية اعلنها العمال المنتصرون

جمهورية «اجتماعية» ولكن ما من حد كان يدرك بوضوح مضمون هذه الجمهورية الاجتماعية ، ولا حق العمال انفسهم ولكنهم كانوا يملكون السلاح في ذلك الحين وصاروا قوة في الدولة . ولذلك ما ان شعر الجمهوريون البرجوازيون الذين كانوا على دست الحكم بشيء يشبه الارض الثابتة تحت اقدامهم حتى كان عملهم الاول تجريد العمال من السلاح . وقد جرى ذلك اثناء انتفاضة حزيران (يوليو) ١٨٤٨ ، التي اضطر العمال للقيام بها بسبب من التعمد في نكث العهد المقطوعة لهم ومن الازدراء السافر بهم ومن محاولة نفي العاطلين عن العمل الى احد الاقاليم النائية . وضمنت الحكومة لنفسها مسبقا تفوقا ساحقا في القوى . وبعد خمسة ايام من الكفاح البطولي هزم العمال واذا ذلك بدأ التثكيل الدموي بالاسرى العزل ، على نحو لم يشهد له التاريخ مثيلا منذ ايام الحروب الاهلية التي ادت الى سقوط جمهورية روما ، وكانت هذه هي المرة الاولى التي اظهرت فيها البرجوازية الى اي مدى من القسوة المسعورة تنتقم من البروليتاريا حين تجرؤ هذه الاخيرة على الوقوف في وجه البرجوازية كطبقة خاصة ، لها مصالحها ومطالبها الخاصة . ومع ذلك فان ما حدث في سنة ١٨٤٨ لم يكن الا لعب اطفال اذا ما قيس بالجنون الذي تملك البرجوازية سنة ١٨٧١

وجاء العقاب على الامر . فاذا كانت البروليتاريا لا تستطيع بعد حكم فرنسا فان البرجوازية قد اصبحت عاجزة عن الحكم كانت عاجزة عن الحكم في تلك الفترة على الاقل : فانها كآت لا تزال آنذاك بفالبيتها ذات ميول ملكية ، وكانت منقسمة الى ثلاثة احزاب لاسر مالكة (٦٣) وحزب رابع جمهوري وقد اتاحت نزاعاتها الداخلية للمغامر لويس بوناپرت ان يستولي على جميع

مراكز السيطرة - الجيش والشرطة والجهاز الاداري - وان ينسف في ٢ من كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٥١ (٦٤) آخر معقل من معاقل البرجوازية - الجمعية الوطنية وبدأت الامبراطورية الثانية اي استغلال فرنسا على يد عصابة من المغامرين السياسيين والماليين ، ولكن في الوقت عينه بدأ تطور صناعي لم يكن ممكنا حدوثه اطلاقا في ظل النظام الوجل التافه الذي كان سائدا في عهد لويس فيليب ، حينما كانت السيطرة مقصورة تماما على فئة ضئيلة من البرجوازية الكبيرة لقد انتزع لويس بوناپرت من الراسماليين سلطتهم السياسية بحجة حماية البرجوازية من العمال ، ومن الناحية الاخرى ، بحجة حماية العمال من البرجوازية ؛ وبالمقابل شجع حكمه المضاربة والنشاط الصناعي ، وبكلمة ، شجع على نهوض البرجوازية بأسرها اقتصاديا وعلى اثرائها الى مدى لا سابق له حتى ذلك ولكن الفساد والسرقة بالجملة اللذين اصبح البلاط الامبراطوري مركزهما ازدادا بمقياس اكبر ، واديا الى انتزاع نسبة مئوية كبيرة من هذا الاثراء

ولكن الامبراطورية الثانية كانت نداء الى الشوفينية الفرنسية ، كانت مطالبة باستعادة حدود الامبراطورية الاولى التي فقدت سنة ١٨١٤ ، او على الاقل ، حدود الجمهورية الاولى ان قيام امبراطورية فرنسية ضمن حدود الملكية القديمة ، وفي الواقع ، ضمن الحدود الاضيق التي وضعت عام ١٨١٥ - ان مثل هذا الوضع لم يكن من الممكن ان يطول . ومن هنا ضرورة القيام بحرب بين آونة واخرى وتوسيع الحدود . بيد انه لم يكن هنالك توسيع للحدود اكثر الهابا لخيال الشوفينيين الفرنسيين من مدها الى الضفة الالمانية اليسرى لنهر الراين إن ميلا مربعا واحدا على الراين كان ، بالنسبة لهم ، يفضل عشرة اميال في جبال الالب

او في اي مكان آخر . وطالما كانت الامبراطورية الثانية قائمة ، فان المطالبة باستعادة الضفة اليسرى للراين دفعة واحدة او على دفعات كانت مسألة وقت ليس الا . وقد جاء هذا الوقت بقيام الحرب النمساوية-البروسية في سنة ١٨٦٦ . وبونابرت ، الذي خدع من قبل بيسمارك بشأن «التحويضات الاقليمية» التي كان يتوقعها ، وكذلك بفعل سياسته التي اتسمت بترقب الفرص وبالمخالاة في المكر ، لم يجد امامه مخرجاً غير الحرب التي اندلعت نيرانها سنة ١٨٧٠ فساقته الى هزيمة سيدان ومن ثم الى الاسر في واهلنزهيم .

وكانت النتيجة الحتمية ثورة ٤ ايلول (سبتمبر) ١٨٧٠ في باريس فقد انهارت الامبراطورية كبيت من ورق اللعب واعلنت الجمهورية من جديد . ولكن العدو كان يقف على الابواب ؛ وجيوش الامبراطورية كانت اما مطوقة في ميتز بلا امل في الخلاص ، او تحت الاسر في المانيا . وفي هذا الوضع الحرج سمح الشعب لنواب باريس في الهيئة التشريعية السابقة بان يعلنوا انفسهم وحكومة الدفاع الوطني . وقد لقي هذا الاجراء قبولا سريعا خاصة لأن جميع الباريسيين القادرين على حمل السلاح سَجَلُوا الآن في الحرس الوطني لاغراض الدفاع وسَلَحُوا ، بحيث غدا العمال يشكلون فيه الآن الغالبية العظمى . ولكن سرعان ما انفجر التناحر بين الحكومة التي كانت مؤلفة بكاملها تقريبا من البرجوازيين وبين البروليتاريا المسلحة . وفي ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) اقتحمت كتائب العمال دار البلدية وقبضت على بعض اعضاء الحكومة . ولكن الخيانة ونكت الحكومة السافر لتعهداتها وتدخل بعض كتائب البرجوازية الصغيرة ، كل ذلك ادى الى اطلاق سراح المقبوض عليهم ؛ وتغاديا

لنشوب الحرب الاهلية في داخل مدينة تحاصرها قوة عسكرية
عدوة ، تركت الحكومة السابقة في الحكم .

واخيراً ، في ٢٨ كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٧١ استسلمت
باريس التي انهكتها المجاعة ولكنها استسلمت بشروط شريفة لم
يعهد لها مثيل في تاريخ الحروب . لقد سلمت الحصون وجرد سور
القلعة من المدافع وسلمت فرق الميدان والحرس السيار اسلحتها
وأُعتبر افرادها اسرى حرب . ولكن الحرس الوطني احتفظ بأسلحته
وبمدافعه وعقد هدنة فقط مع المنتصرين . ولم يجرؤ المنتصرون
انفسهم على دخول باريس دخول الظافرين . انهم لم يجرؤوا الا على
احتلال ركن صغير من باريس يتألف جزئياً من حدائق عامة ،
وحق هذا الركن لم يحتلوه الا لبضعة ايام ! وفي هذه الاثناء كان
المنتصرون الذين ضربوا حصاراً على باريس ١٢١ يوماً خاضعين
هم انفسهم لطوق ضربه عليهم عمال باريس المسلحون الذين فرضوا
رقابة صارمة لمنع اي « بروسى » من تخطي الحدود الضيقة للركن
الذي تنازلوا عنه للفاتح الاجنبى . هكذا كان الاحترام الذي لوحى
به عمال باريس للجيش الذي القت جيوش الامبراطورية كلهما
السلاح امامه واضطر اليونكر البروسيون الذين جاؤوا للثأر من
بؤرة الثورة الى ان يقفوا اجلالا امام هذه الثورة المسلحة بالذات
وان يحيوها !

في اثناء الحرب قصر عمال باريس همهم على المطالبة بالمضي
النشط في النضال . ولكن الآن ، بعد عقد الصلح (٦٥) على اثر
استسلام باريس ، اضطر تيير ، رئيس الحكومة الجديدة ، الى
الافتناع بان حكم الطبقتين الممتلكتين - ملاكي الاراضي الكبار
والراسماليين - سيظل معرضاً للخطر ما دام عمال باريس مسلحين .
وكان اول اجراء قام به هو محاولة تجريدهم من السلاح . ففي ١٨



آذار (مارس) وجه قوات الميدان مع تعليمات بالاستيلاء على المدفعية التابعة للحرس الوطني وهي التي تم صنعها اثناء حصار باريس بالاموال العامة المجموعة بالاكْتِتَاب . وفشلت هذه المحاولة ؛ فقد هبت باريس كلها ، هبة رجل واحد ، تدافع عن نفسها بالسلاح وأُعلنت الحرب بين باريس والحكومة الفرنسية الموجودة في فرساي . وفي ٢٦ آذار (مارس) تم انتخاب كومونة باريس وفي ٢٨ منه تم اعلانها . وسلمت اللجنة المركزية للحرس الوطني التي كانت تقوم بوظائف الحكومة حتى ذلك الحين والتي كانت قد اصدرت مرسوماً بالغاء «شرطة الاخلاق» الفاضحة في باريس ، صلاحيتها الى الكومونة . وفي ٣٠ آذار (مارس) الفت الكومونة التجنيد الاجباري والجيش الدائم واعلنت ان القوة المسلحة الوحيدة هي الحرس الوطني الذي يتألف من جميع المواطنين القادرين على حمل السلاح . والفت الكومونة كل الاجور المستحقة عن بيوت السكن من تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٧٠ حتى نيسان (ابريل) ١٨٧١ على ان يحتسب ما سبق دفعه عن الاجور المقبلة ، واولفت جميع معاملات بيع الاعيان المرهونة في مكتب الرهونات البلدي . وفي اليوم نفسه تم تثبيت جميع الاجانب الذين انتخبوا للكومونة في مراكزهم لأن «علم الكومونة هو علم الجمهورية العالمية» . - وفي ١ نيسان (ابريل) تقرر الا يتجاوز اي مرتب يتقاضاه اي مستخدم في الكومونة ، وبالتالي اي عضو من اعضائها ، مبلغ ٦٠٠٠ فرنك (٤٨٠٠ مارك) . وفي اليوم التالي صدر مرسوم بفصل الكنيسة عن الدولة والغاء جميع ما كانت تدفعه الدولة للمقاصد الدينية وكذلك بتأميم جميع ممتلكات الكنيسة ؛ ووفقا لذلك صدر الامر في ٨ نيسان (ابريل) بان تُقضى عن المدارس جميع الرموز الدينية والصور والتعاليم المذهبية والصلوات - وبكلمة

وكل ما له علاقة بضمير الفرد» ، ووضع هذا الامر تدريجيا موضع التنفيذ .-وبما ان مكافحي الكومونة الذين وقعوا في قبضة جنود فرساي كان يجري اعدامهم يوميا رميا بالرصاص ، فقد صدر في ٥ نيسان مرسوم بحبس الرهائن ولكنه لم يوضع ابدا موضع التنفيذ بتمامه .-وفي ٦ نيسان قامت الكتيبة ١٢٧ من الحرس الوطني باخراج المقصلة من موضعها وتم احراقها علنا وسط افراح شعبية عظيمة .-وفي ١٢ نيسان قررت الكومونة هدم مسلة النصر القائمة في ميدان فاندوم ، والتي سكبها نابليون بعد حرب عام ١٨٠٩ من مدافع العدو التي استولى عليها ، لأن هذه المسلة كانت رمزا للشوفينية والعداء بين الشعوب . ونفذ هذا القرار في ١٦ ايار (مايو) .-وفي ١٦ نيسان (ابريل) امرت الكومونة باعداد قوائم احصائية بالمعامل التي اغلقها اصحابها وبوضع الخطط لتشغيل هذه المعامل من قبل العمال الذين كانوا يعملون فيها والذين كان عليهم ان ينتظموا في جمعيات تعاونية ، وبوضع الخطط ايضا لتوحيد هذه الجمعيات في نقابة واحدة كبرى .-وفي ٢٠ نيسان (ابريل) الفت الكومونة العمل الليلي بالنسبة للخبازين ، وكذلك مكاتب الاستخدام التي كان يديرها بصفة احتكارية ، منذ عهد الامبراطورية الثانية ، نفر من المخلوقات كانت تعينهم الشرطة -وهم اشد مستثمري العمال ؛ وقد وضعت هذه المكاتب تحت اشراف بلديات دوائر باريس العشرين .-وفي ٣٠ نيسان (ابريل) امرت الكومونة باغلاق مكاتب الرهونات التي كانت تشكل وسيلة لاستثمار العمال استثمارا خاصا وتتناقض مع حق العمال في ادوات عملهم وفي نيل القروض .-وفي ٥ ايار (مايو) امرت الكومونة بهدم الكنيسة التي كانت قد بنيت تكفيرا عن اعدام لويس السادس عشر .

وهكذا ، اعتباراً من ١٨ آذار (مارس) ، شرع الطابع الطبقي المحض لحركة باريس يبرز بشكل حاد حازم ، وهو الطابع الذي كان الكفاح ضد غزو العدو قد غطى عليه حتى ذلك الحين . ولما كان العمال وحدهم تقريباً ، لو مثلوهم المعترف بهم ، هم الذين يجلسون في الدومونة ، فقد حملت المقررات التي اتخذتها طابعا بروتيتاريا صريحا . وهذه المقررات ، اما انها نصت على اجراء اصلاحات تخلت البرجوازية الجمهورية عنها لمجرد الجبن الدني ، ولكنها هيات الاساس الضروري لقيام الطبقة العاملة بممارسة النشاط الحر - ومثل ذلك تحقيق المبدأ القائل ان الدين بالنسبة للفقلة هو مسألة شخصية بحتة - واما ان الكومونة اصدرت اوامر كانت في مصلحة الطبقة العاملة مباشرة وادت جزئيا الى المساس باعماق النظام الاجتماعي القديم ولكنه لم يكن بالمستطاع ، في ظروف المدينة المحاصرة ، غير القيام بخطوات لولى فابتداء من لوانل ايار (مايو) انصرفت جميع القوى لمقاتلة جيوش حكومة فرساي التي كانت تتزايد باستمرار في ٧ نيسان (ابريل) استولى جنود فرساي على معبر السين عند نويي في جبهة باريس الغربية ، ولكن الجنرال أيد صد هجوم هؤلاء في الجبهة الجنوبية في ١١ نيسان (ابريل) وكبدهم خسائر كبيرة ان لولئك الذين وصموا قصف البروسيين لباريس بأنه استباحة للمقدسات ، قد عرضوها انفسهم الآن لقصف متواصل . واخذ هؤلاء انفسهم يتوسلون الآن الى الحكومة البروسية بان تعيد ، على وجه السرعة ، الجنود الفرنسيين الذين اسروا في سيدان وميتز (٦٦) قصد ان يعيدوا لهم باريس . وقد اتاح وصول هؤلاء الجنود تدريجيا لقوات فرساي تفوقا حاسما في اوانل ايار (مايو) . واتضح هذا الامر في ٢٣ نيسان (ابريل)

عندما قطع تيير المفاوضات التي ابتدأت باقتراح الكومونة لمبادلة رئيس اساقفة باريس * وعدد من القساوسة الآخرين المحتجزين كرهائن في باريس ، برجل واحد فقط هو بلانكي الذي كان قد انتخب مرشحاً للكومونة ولكنه كان سجيناً في كليرفو . وازداد ذلك وضوحاً من تضرير لهجة خطابات تيير ؛ فمن متحفظة وغامضة كما كانت عليه حتى ذلك الحين أصبحت الآن فجأة وقحة وخشنة ومهددة . استولت قوات فرساي على معقل مولان-ساكه في الجبهة الجنوبية في ٣ ايار (مايو) ، وفي ٩ منه استولت على حصن اسي الذي كانت نيران المدفعية قد احالته الى كومة من الخراب ، كما استولت في ١٤ منه على حصن فانف . وفي الجبهة الغربية استولت قوات فرساي على قرى ومبان عديدة كانت تمتد حتى سور المدينة ووصلت تدريجياً الى خط التحصينات الرئيسي ؛ وفي ٢١ ايار (مايو) تسنى لها من جراء الخيانة وبسبب من اهمال افراد الحرس الوطني المرابطين هناك ان تتسلل الى داخل المدينة اما البروسيون الذين كانوا يحتلون الحصون الشمالية والشرقية فقد سمحوا لجنود فرساي بالمرور الى القسم الشمالي من المدينة عبر المنطقة التي كانت محظورة عليهم بمقتضى الهدنة ، ومن ثم القيام بهجوم على جبهة عريضة كان الباريسيون يحسبونها ، حسب احكام الهدنة ، مأمونة من الهجوم وحصونها بصورة ضعيفة ولذلك فان المقاومة في النصف الغربي من باريس ، اي في احياء الاغنياء الفخمة ، كانت ضعيفة نسبياً ؛ وكانت هذه المقاومة تزداد شدة وعناداً كلما اقترب الجنود المقتحمون من نصف العاصمة الشرقي ، وهو منطقة العمال بالذات . ولم يسقط

آخر المدافعين عن الكومونة على مرتفعات بيلفيل ومنيلمونتان
 الا بعد قتال استمر ثمانية ايام ، وعندئذ بلغت اوجها مذبحه
 العزل من الرجال والنساء والاطفال ، التي ظلت مستعرة الاوار على نطاق
 متزايد طوال اسبوع كامل لم تعد البنادق المحسنة تستطيع
 ان تقتل بالسرعة الكافية ، فكانوا يقتلون المهزومين بالمشات من
 المدافع الرشاشة وما زال وحائط الكومونيين في مقبرة بير
 لاشيز ، حيث حدثت المذبحة الجماعية الاخيرة ، ماثلا حتى
 اليوم ، شاهدا صامتا ولكنه بليغ على الجنون الذي يمكن ان يمتلك
 الطبقة الحاكمة حالما تجرى البروليتاريا على الدفاع عن حقوقها
 وتم حين تبين ان ذبحهم جميعا يخرج عن نطاق الامكان ، جاء
 الاعتقال بالجملة واطلاق الرصاص على الضحايا الذين كانوا
 يختارون اعتباطا من صفوف الاسرى اما الباقيون ، فقد نقلوا
 الى معسكر كبير حيث كان عليهم ان ينتظروا محاكمتهم امام
 المحكمة العسكرية . وكانت لدى الجنود البروسيين الذين يحيطون
 بباريس من الجهة الشمالية الشرقية اوامر بعدم السماح لاي هارب
 بالمرور ، ولكن الضباط كثيرا ما كانوا يغمضون عيونهم عندما
 كان الجنود يؤثرون طاعة دواعي الانسانية على اوامر القيادة
 العليا ؛ واشتهر خصوصا بالسلوك الانساني الفيلق الساكسوني
 الذي اتاح فرصة المرور لكثيرين من مكافحي الكومونة المعروفين .

. . .

واذا نظرنا اليوم ، بعد عشرين سنة ، الى نشاط كومونة
 باريس سنة ١٨٧١ ، والى مفزاعها التاريخي ، وجدنا من الضروري
 ان نقوم ببعض الاضافات الى الوصف الذي تضمنته والحرب
 الاهلية في فرنسا

لقد كان اعضاء الكومونة منقسمين الى اكثرية من البلانكيين سيطروا ايضا في اللجنة المركزية للحرس الوطني ، والى اقلية من اعضاء جمعية الشغيلة العالمية ، وهم يتالفون بصفة رئيسية من اتباع مدرسة برودون الاشتراكية . ولم تكن الاغلبية العظمى من البلانكيين في ذلك الوقت اشتراكية الا من حيث الفريزة الثورية البروليتارية ، ولم يرتفع الا القليلون منهم الى ادراك اوضح للمبادئ ، وذلك بفضل فايان الذي كان مطالعا على الاشتراكية العلمية الالمانية ولذا يصبح من المفهوم لماذا فات الكومونة كثير من الاشياء في المجال الاقتصادي وهي اشياء كان ينبغي تحقيقها بحسب آرائنا اليوم . ولا ريب ان اكثر ما يستعصي على الفهم هو الرهبة المقدسة التي وقفت بها الكومونة اجلالا امام ابواب بنك فرنسا لقد كانت هذه ايضا غلطة سياسية كبرى فلو وقع البنك في ايدي الكومونة لفاق ذلك في اهميته عشرة آلاف من الرهائن ولارغم البرجوازية الفرنسية كلها على الضغط على حكومة فرساي لعقد صلح مع الكومونة . ولكن ما هو ادعى بكثير الى الدهشة ، صواب كثير من الاجراءات التي قامت بها الكومونة بالرغم من انها كانت مؤلفة من بلانكيين وبرودونيين . وطبيعي ان البرودونيين هم المسؤولون بصفة رئيسية عن المراسيم الاقتصادية ، بفضائلها ونقائصها ، التي اصدرتها الكومونة ، كما ان البلانكيين مسؤولون عن اعمالها واخطائها السياسية وقد شاءت سخرية التاريخ - وهو شيء عادي عندما يتسلم العقائديون الحكم - ان هؤلاء واولئك قد اتوا بنقيض ما كانت تنص عليه تعاليم مذهبهم

لقد كان برودون ، اشتراكي الفلاحين الصغار والحرفيين هذا ، يكره الجمعية بكل بساطة . كان يقول ان شرها اكثر من غيرها

وانها بطبيعتها عقيمة بل مؤذية ، انها سلسلة من السلاسل التي تقيد حرية العامل ؛ انها عقيدة جامدة فارغة عديمة الفائدة وحافلة بالاعباء لا تتعارض مع حرية العامل فحسب بل ايضاً مع اقتصاد العمل ؛ وان نواقصها تتضاعف باسرع مما تتضاعف فضائلها وان المنافسة وتقسيم العمل والملكية الخاصة هي ، خلافاً لها ، قوى اقتصادية مفيدة ان الجمعية العمالية لا تلائم الا في حالات استثنائية هي ، كما يقول برودون ، الصناعة الكبيرة والمؤسسات الكبيرة كالسكك الحديدية مثلاً (راجع «الفكرة العامة للثورة» (٦٧) ، النبعة الثالثة)

غير ان الصناعة الكبيرة قد كفت في عام ١٨٧١ عن ان تكون في عداد الحالات الاستثنائية حتى في باريس ، هذا المركز للصناعات اليدوية الفنية ، لدرجة ان اهم مرسوم اتخذته الكومونة كان يقضي بتنظيم الصناعة الكبيرة ، وحتى المانيفاكتورة ، على اساس جمعيات العمال شرط الا تتكون في كل مصنع على حدة فحسب ، بل ان تتحد كذلك في نقابة واحدة كبرى وبإيجاز نقول ان هذا التنظيم ، كما لاحظ ماركس بصورة صحيحة في «الحرب الاهلية» ، كان يجب ان يؤدي في نهاية الامر الى الشيوعية ، اي الى النقيض المباشر لتعاليم برودون . ولذلك كانت الكومونة في الوقت نفسه قير مدرسة برودون الاشتراكية . وقد اختفت هذه المدرسة اليوم من بيئة العمال الفرنسيين ؛ فهنا تسود الآن نظرية ماركس ، دون منازع ، بين «الامكانيين» (٦٨) بدرجة لا تقل عنها بين «الماركسيين» وليس هنالك من برودونيين الا في بيئة البرجوازية «الراдикаلية»

ولم يكن البلانكيون باسعد حظاً فان هؤلاء قد نشاوا في مدرسة التآمر وشد بعضهم الى بعض النظام الصارم الخاص بهذه

المدرسة ، ولذا رأوا ان عددا قليلا نسبيا من الرجال ذوي العزم والحماسي التنظيم يستطيعون ، في لحظة مؤاتية ، لا ان يقبضوا على السلطة فحسب بل ، باتخاذ اشد التدابير حزما وقوة ، ان يحتفظوا بها ايضا في ايديهم الى ان ينجحوا في جذب جماهير الشعب الى الثورة ولفها حول عصابة صغيرة من القادة ولهذا كان من الضروري قبل كل شيء تركيز كامل السلطة في ايدي الحكومة الثورية الجديدة تركيزا ديككتاتوريا يتسم باقصى الصرامة ولكن ماذا فعلت الكومونة في الواقع وهي المؤلفة باكثريتها من هؤلاء البلائكيين انفسهم ؟ لقد ناشدت في جميع مناشيرها الموجهة الى سكان الريف الفرنسي توحيد جميع كومونات فرنسا مع باريس في اتحاد (فدراسيون) اختياري واحد ، في منظمة وطنية واحدة يجب ان تشكلها الامة بذاتها حقا وفعلًا ولاول مرة لقد كان على السلطة الظالمة التي تمتعت بها الحكومة السابقة الممركزة وعلى الجيش والشرطة السياسية والبيروقراطية التي كان نابليون قد انشاها في سنة ١٧٩٨ ، والتي تسلمتها منذ ذلك الحين كل حكومة جديدة كأداة مرغوب فيها واستخدمتها ضد اعدائها - لقد كان على هذه السلطة بالتحديد ان تسقط في كل مكان في فرنسا تماما كما سقطت في باريس

لقد كان على الكومونة ان تعترف منذ بداية الامر بان الطبقة العاملة ، وقد جاءت الى الحكم ، لا تستطيع ان تستمر في تصريف الامور بواسطة جهاز الدولة القديم ، وانه ينبغي على الطبقة العاملة ، لكي لا تفقد ثمانية الحكم الذي ظفرت به آنفا ، ان تطيح بجهاز الاضطهاد القديم جميعه ، الذي كان يستخدم سابقا ضدها ، هذا من جهة ؛ وكان عليها من جهة اخرى ، ان تحمي نفسها من لوابها وموظفيها بجعل تفويضهم جميعا ، ودون استثناء ، عرضة للالغاء في اية لحظة . ماذا كانت الصفة المميزة

للدولة قبل ذلك الحين ؟ في البدء ، خلق المجتمع لنفسه اجهزة خاصة لحماية مصالحه المشتركة ، وذلك عن طريق التقسيم البسيط للعمل بيد ان هذه الاجهزة ، واهمها سلطة الدولة ، تحولت مع مضي الزمن وتحقيقا لمصالحها الذاتية الخاصة ، من خادمة للمجتمع الى سيدة له . ويمكننا ان نرى ذلك ، على سبيل المثال ، ليس في الملكية الوراثية فحسب ، بل في الجمهورية الديمقراطية ايضا . وليس هنالك مكان يشكل فيه «الساسة» قسما من الامة اشد نفوذا وانعزالا مما في اميركا الشمالية على وجه التحديد فان كلا من الحزبين الكبيرين اللذين يتناوبان السلطة هناك يديره بدوره اشخاص يتخلون من السياسة أمرا مربعا ويضاربون على مقاعد النواب في الجمعيات التشريعية في الاتحاد كما في الولايات بمفردها ، او يتعيشون من القيام بالتحريض لمصلحة حزبهم ، وعندما ينجح هذا الحزب يكافون بالمناصب ومعروف كم بدل الاميركيون من جهود في الثلاثين سنة الاخيرة لكي ينفذوا عنهم هذا النير الذي اصبح لا يطاق وكيف انهم ما زالوا ، على الرغم من ذلك ، يفرقون اكثر فاكثر في مستنقع الارشاء . وفي اميركا ، على وجه التحديد ، يتجلى على الفضل وجه كيف يتطور انعزال سلطة الدولة هذا عن المجتمع ، وهي التي قصد منها في البدء ان تكون مجرد اداة له . فهناك لا توجد سلالة ولا نبلاء ولا جيش دائم ، هذا القليل من الجنود الذين يراقبون الهنود الحمر ، ولا توجد بيروقراطية لها ملاكات دائمة وحقوق تقاعدية . ومع ذلك فنحن نجد هناك عصابتين كبيرتين من المضاربين السياسيين تستوليان بالتناوب على سلطة الدولة وتستغلانها باكثر الطرائق فسادا ولاكثر الغايات فسادا—والامة عاجزة ازاء هذين الاتحادين الكبيرين من الساسة الذين هم ، في الظاهر ، خدامها ولكنهم ، في الواقع ، يسيطرون عليها وينهبونها .

ولمحاربة تحول الدولة واجهزة الدولة على هذا النحو من خدام للمجتمع الى اسياد له - وهو تحول لا مناص منه في جميع الدول السابقة - لجأت الكومونة الى وسيلتين لا تخطئان اولا ، عينت في جميع الوظائف - الادارية والقضائية والتعليمية - اشخاصا منتخبين على اساس حق الاقتراع العام واقترنت في الوقت نفسه حق الغاء تفويض هؤلاء المنتخبين بقرار من منتخبينهم في اي وقت ثانيا ، لم تدفع لجميع الموظفين ، كبارا وصغارا ، الا الاجور التي يتقاضاها العمال الآخرون وكان اعلى مرتب تدفعه الكومونة على العموم هو ٦٠٠٠ فرنك وبهذه الطريقة اقيم حاجز امين في وجه الركض وراء المناصب الرابعة والوصولية ، حق بغض النظر عن التفويضات الملزمة التي كانت تصدر للمندوبين في الهيئات التمثيلية ، وهي التي ادخلتها الكومونة بالاضافة الى ذلك

هذا التحطيم لسلطة الدولة السابقة والاستعاضة عنها بسلطة جديدة ، ديموقراطية حقا ، انما جاء وصفها بالتفصيل في الفصل الثالث من «الحرب الاهلية» ولكنه كان من الضروري ان نقف هنا وقفة قصيرة مرة اخرى عند بعض ملامح هذه الاستعاضة ، لأن الاعتقاد الخرافي بالدولة قد انتقل ، في المايا بوجه خاص ، من الفلسفة الى الوعي العام للبرجوازية وحتى لكثير من العمال . فالدولة ، وفق تعاليم الفلاسفة ، هي «تحقيق الفكرة» او هي ، مترجمة الى لغة الفلاسفة ، مملكة الله على الارض ؛ الدولة هي المجال الذي تتحقق فيه او ينبغي ان تتحقق فيه الحقيقة والعدالة السرمديتان ومن هنا ينبثق الاحترام الخرافي للدولة ولكل ما يتصل بها ، وهو احترام خرافي يرسخ بسهولة اكبر لأن الناس معتادون ، منذ الطفولة ، ان يتصوروا ان الشؤون والمصالح التي تعود الى المجتمع بأسره لا يمكن تحقيقها والحفاظ عليها

الا بالطريقة المتبعة في الماضي اي بواسطة الدولة وموظفيها الذين يمنحون المناصب الرابعة ويتصور الناس انهم يخطون الى امام خطوة خارقة في جراتها اذا حرروا انفسهم من الاعتقاد بالملكية الوراثية واصبحوا من انصار الجمهورية الديمقراطية اما في الحقيقة فان الدولة ليست الا جهازاً لقمع طبقة من قبل طبقة اخرى ، وهذا ما يصدق على الجمهورية الديمقراطية بدرجة لا تقل اطلاقاً عن صدقه على الملكية والدولة ، حتى في احسن الحالات ، شر ترمه البروليتاريا المنتصرة في الكفاح من اجل السيطرة الطبقة ؛ والبروليتاريا المنتصرة ، شأنها في ذلك شأن الكومونة ، مستضطر الى بتر اسوأ جوانب هذا الشر في الحال حتى يحين ذلك الوقت الذي يستطيع فيه جيل تربى في ظروف اجتماعية جديدة حرة ان يطرح عفاشة الدولة بكاملها فوق كوم النفايات في الآونة الاخيرة شرع رعب ناجع من كلمتي «ديكتاتورية البروليتاريا» يستبد من جديد بالتافهين الضيقي الالفق (٦٩) من الاشتراكيين-الديموقراطيين . هل تريدون ان تعرفوا ، ايها السادة المحترمون ، كيف تبدو هذه الديكتاتورية ؟ انظروا الى كومونة باريس . فقد كانت ديكتاتورية البروليتاريا

لندن ، في يوم الذكرى العشرين لكومونة باريس ، ١٨ آذار (مارس)

١٨٩١

فريدريك إنجلس

تصدر حسب نص الكتاب
تمت الترجمة نقلاً عن
الالمانية

صدرت في مجلة
«Die Neue Zeit»
(ودي نويه زايت) -
والازمنة الحديثة) ،
المجلد ٢ ، العدد ٢٨ ،
١٨٩٠-١٨٩١ وفي كتاب
ماركس والحرب الاهلية
في فرنسا ، برلين ، ١٨٩١

**النداء الاول من المجلس العام
لجمعية الشفيلة العالمية
حول الحرب الفرنسية البروسية (٧٠)**

الى اعضاء جمعية الشفيلة العالمية
في لوردوبا والولايات المتحدة

لقد قلنا في «البيان التاسيسي لجمعية الشفيلة العالمية» في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٦٤ ، واذا كان تحرير الطبقة العاملة يقتضي تعاوننا اخويا بين العمال فكيف يمكنهم تحقيق هذه الرسالة العظمى مع وجود سياسة خارجية تتوخى اهدافا مجرمة وتلعب على وتر الاوهام القومية وتريق دماء الشعب وتبذر ثروته في حروب لصوسية ؟ وقد حددنا السياسة الخارجية التي تهدف اليها الاممية في الكلمات التالية «... كي تصبح القوانين البسيطة للاخلاق والعدالة التي يجب ان يسترشد بها الافراد في علاقات بعضهم ببعض ، القوانين العليا للعلاقات بين الشعوب ايضا»

ولا غرابة اذا كان لويس بوناپورت الذي اغتصب سلطته باستغلال النضال الطبقي في فرنسا ومد اجل سيطرته بشن عدد من الحروب في الخارج ، قد وقف من الاممية منذ البداية موقفه من عدو خطر . ففي عشية الاستفتاء (٧١) شن حملة على اعضاء اللجان القيادية لجمعية الشفيلة العالمية في باريس وليون وروان ومرسيليا وبرست - وبكلمة في طول فرنسا وعرضها ، بحجة ان الاممية جمعية سرية وانها تدبر مؤامرة لاغتياله ؛ ان سخافة

هذا الاختلاق ما لبث قضائه انفسهم ان فضحوها وماذا كانت الجريمة الحقيقية التي ارتكبتها الفروع الفرنسية للاممية ؟ لقد قالت للشعب الفرنسي علنا واكدت له ان الاشتراك في الاستفتاء يعني التصويت بالموافقة على الاستبداد في الداخل وعلى الحرب في الخارج . وقد كان من عملها في الواقع ان الطبقة العاملة في جميع المدن الكبرى وجميع المراكز الصناعية في فرنسا هبت كرجل واحد لرفض الاستفتاء . ولكن ، لسوء الحظ ، كانت الغلبة للجهل المطبق في الدوائر الريفية . ولقد حيت البورصات ومجالس وزراء الدول والطلقات الحاكمة والصحافة في اوروبا هذا الاستفتاء على اعتبار انه نصر باهر احرزها الامبراطور الفرنسي على الطبقة العاملة الفرنسية ؛ وكان الاستفتاء اشارة لا لاعتقال فرد واحد بل لاعتقال شعوب بأسرها

ان مؤامرة الحرب في تموز (يوليو) سنة ١٨٧٠ (٧٢) ما هي الا نسخة معدلة عن coup d'état * الذي جرى في كالون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٥١ . وقد بدا الامر ، لاول وهلة ، على درجة من السخف بحيث ان فرنسا لم ترد ان تثق بجديّة الاشاعات عن الحرب . وكانت اميل بكثير الى تصديق النائب * الذي رأى في خطابات الوزراء المشربة بروح العسكرية مجرد حيلة من حيل البورصة . وعندما اعلن اخيراً ، في ١٥ تموز (يوليو) بصورة رسمية عن الحرب للهيئة التشريعية ، رفضت المعارضة بأسرها المصادقة على الاعتمادات التمهيديّة ؛ وحق تير نفسه وصم الحرب كشيء « شنيع » ؛ واستنكرتها جميع الصحف المستقلة

• - انقلاب الثائر .

•• - جول ثاير . الثائر .

في باريس ، ومن العجيب ان صحف الاقاليم شاركتها في ذلك بما يشبه الاجماع

وفي هذه الاثناء هكف اعضاء الاممية الباريسيون ، مرة ثانية ، على العمل . ونشروا في العدد الصادر في ١٢ تموز (يوليو) من جريدة « Réveil » ، (وريفي) (٧٣) البيان والى عمال جميع الامم ، ونورد منه المقاطع التالية

مرة اخرى ، وبهجة التوازن الاوروي وحماية الشرف القومي ، يتعرض السلام العام للخطر بسبب الطموح السياسي ايها العمال الفرنسيون والالمان والاسبان ! لنوحد اصواتنا في صرخة مشتركة واحدة استنكاراً للحرب ...! فالحرب من اجل التفوق او الحرب لمصلحة اسرة مالكة لا يمكن ان تكون ، في نظر العمال ، الا جنونا مجرماً . ونحن الذين نريد السلام والعمل والحرية ، نحن نحتج على نداءات تدعو للحرب يصدرها هؤلاء الذين يستطيعون ان يعفوا انفسهم من وضعية الدم والذين تكون البلايا الاجتماعية بالنسبة لهم مصدراً لمضاربة جديدة ...! ايها الاخوة في المانيا ! ان العاقبة الوحيدة من العداوة بيننا هي انتصار الاستبداد التصاراً تاماً على جانبي الراين ايها العمال في جميع البلدان ! مهما تكن نتائج جهودنا المشتركة في الوقت الحاضر ، فاننا ، نحن ، اعضاء جمعية الشفيلة العالمية ، الذين لا نعترف باية حدود تفصل بين الدول ، نبعث لكم ، كعهد على تضامننا الذي لا تنفهم مراه ، بتمنيات عمال فرنسا الطيبة وبتحياتهم

وهذا البيان الذي اصدرته فروعنا الباريسية قد تلتته نداءات فرنسية عديدة مشابهة ليس بوسعنا ان نورد منها هنا سوى واحد ، اصدره الفرع في لويي على السين ونشرته صحيفة « Marseillaise » ، (مارسيليز) (٧٤) في ٢٢ تموز (يوليو) .

وهذه الحرب ، هل هي عادلة ؟ كلا ! هذه الحرب ، هل هي وطنية ؟ كلا ! انها حرب اسرة مالكة فحسب . اننا باسم الانسانية ، باسم الديمقراطية ، باسم مصالح فرنسا الحقيقية ، نعلن اننا نشاطر احتجاجات الاممية ضد الحرب مشاطرة تامة حازمة .

كانت هذه الاحتجاجات تعبر عن مشاعر العمال الفرنسيين الحقيقية ، كما اتضح ذلك سريعا في حادث طريف . حين اُطلقت عصاية ١٠ من كانون الاول (ديسمبر) (٧٥) التي كانت قد نظمت لأول مرة في عهد رئاسة لويس بوناپرت ، على شوارع باريس ، بعد ان تنكرت في ازياء العمال ، لكي تظهر ان حمى الحرب بلغت الذروة ، رد عمال الضواحي الحقيقيون بمظاهرات من اجل السلام كانت من الضخامة بحيث رأى بييتري ، مدير الشرطة ، من الضروري ان يمنع على الفور كل مظاهرات الشوارع بدعوى ان الباريسيين الاوفياء قد اظهروا بما فيه الكفاية وطنيتهم المحتبسة وقتا طويلا ونفسوا من حماستهم الحربية التي لا تنضب

ومهما تكن نتيجة حرب لويس بوناپرت مع بروسيا - فان ناقوس موت الامبراطورية الثانية قد دوى صوته في باريس وستنتهي الامبراطورية الثانية ، كما بدأت ، بمهزلة حقيرة ولكنه ينبغي ألا ننسى ان الحكومات والطبقات السائدة في اوربا هي التي مكنت لويس بوناپرت من ان يلعب خلال ثمانى عشرة سنة تلك المهزلة الشرسة - مهزلة هودة الامبراطورية .

ان هذه الحرب من جانب المانيا حرب دفاعية . ولكن من الذي وضع المانيا في وضع المضطر للدفاع عن النفس ؟ من الذي مكن لويس بوناپرت من شن الحرب على المانيا ؟ انها بروسيا ! لقد كان بيسمارك هو الذي تأمر مع لويس بوناپرت ذاك بعينه بقصد قمع المعارضة الديمقراطية داخل بروسيا ووضع المانيا

تحت حكم آل هوهنزولرن ولو ان معركة سادوفا خسرت بدلا من ان تكسب ، لغمرت الكتائب الفرنسية المانيا بوصفها حليفة لبروسيا . وبعد النصر الذي احرزته بروسيا هل فكرت ولو لحظة واحدة في ان تجابه فرنسا المستعبدة بالمانيا الحرة ؟ على النقيض تماما ! فانها حرصت بشدة على جمالات نظامها القديم الاصيله واقتبست بالاضافة اليها من الامبراطورية الثانية جميع حيلها استبدادها الحقيقي وديموقراطيتها الزائفة ، بهلوانياتها السياسية والاختلاسات المالية ، جعلها المنمقة والاحتتيال الدني للغاية . وهكذا فان النظام البونابرتي الذي لم يزدهر حتى ذلك الحين الا على ضفة واحدة من الراين ، قد وجد صنوا له على ضفته الاخرى . ومن وضع كهذا ما عسى ان ينشأ سوى الحروب ؟

واذا سمحت الطبقة العاملة الالمانية للحرب الراهنة بان تفقد طابعها الدفاعي المحض وتنتكس الى حرب ضد الشعب الفرنسي فان النصر والهزيمة عندئذ سيهددان بالهلاك على حد سواء وجميع صنوف الشقاء التي حلت بالمانيا في اعقاب ما يدعى بحرب التحرير ستنهال عليها من جديد بشكل ادهى وامر . غير ان مبادئ الاممية قد انتشرت انتشارا واسعا جدا واعرقت بجذورها عميقا جدا في الطبقة العاملة الالمانية ، فلا داعي لنا ان نخشى حدوث هذه الخاتمة المحزنة . ان صوت العمال الفرنسيين قد وجد صدى له في المانيا فقد عقد العمال في ١٦ تموز (يوليو) اجتماعا حاشدا جبارا في براونشويغ اعربوا فيه عن تضامنهم التام مع بيان باريس وبلدوا بحزم كل فكرة عن العداء القومي لفرنسا واتخذوا قرارا جاء فيه :

واننا اعداء جميع الحروب وفي الدرجة الاولى حروب الاسر المالكة اننا نرى الفسنا ، بمزيد من الحزن والاسى ، مضطرين للاشتراك في الحرب الدفامية بصفتها سرا لا مناص منه ؛ ولكننا ، في الوقت نفسه ، نناشد الطقة العاملة الالمانية باسرها ان تجعل تكرار

مثل هذه المصيبة الاجتماعية الهائلة امراً متعتدراً ، وان تسمى بالتالي الى ان تكون للشعوب صلاحيات تقرير مسألة الحرب والسلام بنفسها ، جاعلة الشعوب سيادة لمصانرها الخاصة»

وفي خيمنتز عقد اجتماع ضم مندوبين يمثلون ٥٠ الف عامل من ساكسونيا واتخذ الحاضرون بالاجماع القرار التالي وباسم الديمقراطية الالمانية عامة وباسم العمال الذين ينتمون الى الحزب الاشتراكي-الديموقراطي خاصة نعلن ان الحرب الراضنة ليست الا حرب اسر مالكة ونحن نشد بمرور على اليد الاخوية التي يمدّها لنا العمال الفرنسيون واننا ، اذ نعي شعار جمعية الشفيلة العالمية «يا عمال العالم ، اتحدوا !» ، لن ننسى ابداً ان عمال جميع البلدان هم اصقلنا وان طفاة جميع البلدان هم اصقلنا» وقد اجاب فرع الاممية في برلين ايضا على بيان باريس بما يلي :

واننا نشاطركم الاحتجاج بقلوبنا وسواعدنا واننا نقطع عهداً عظيماً بان لا صوت التنفير ولا هدير المدافع ، ولا النصر ولا الهزيمة ستصرفنا من عملنا المشترك من اجل اتحاد العمال في جميع البلدان» فليكن كذلك !

ومن وراء هذا الصراع الانتحاري يلوح شبح روسيا الرهيب . وانه لتذير شوم ان تكون اشارة البدء بالحرب الراضنة قد اعطيت بالضبط في اللحظة التي فرغت فيها الحكومة الروسية من مد خطوط حديدية ذات اهمية استراتيجية بالنسبة لها واخذت تحشد جنودها في اتجاه نهر البروت ورغم ان الالمان يستطيعون ، بحق ، الاعتماد على كسب العطف في حربهم الدفاعية ضد العدوان البونابرتي ، الا انهم يفقدون هذا العطف حالما يسمحون للحكومة البروسية ان تطلب ، او حتى تقبل ، مساعدة القوزاق . وليذكروا ان المانيا لبثت عشرات السنين بكاملها بعد

حرب التحرير التي خاضتها ضد نابليون الاول ، طريحة عند اقدام القيصر

ان الطبقة العاملة الانجليزية تمد يد الصداقة الى العمال الفرنسيين والالمان وهي على يقين عميق من ان تحالف العمال في جميع الاقطار ، مهما تكن نتيجة هذه الحرب الشنيعة ، سيستاصل شافة جميع الحروب في نهاية الامر وفي الوقت الذي تندفع فيه فرنسا الرسمية والمانيا الرسمية في صراع يقتل فيه الاخ اخاه ، يتبادل العمال الالمان والفرنسيون رسائل السلم والصداقة وهذا الواقع العظيم الذي ليس له مثيل في التاريخ يفتح بحد ذاته الافاق لمستقبل اكثر اشراقا . وهو يبين ان مجتمعا جديدا سيكون مبداه الاممي - السلم ، لأن حاكما واحدا ، وهو العهل ، سيكون لكل شعب ، ينبثق على النقيض من المجتمع القديم يبؤسه الاقتصادي وجنونه السياسي !
وبشر ذلك المجتمع الجديد هو جمعية الشغيلة العالمية .

هاي هولبورن ، رقم ٢٥٦ ،

لندن ، وسترن سنترال ،

٢٢ تموز (يوليو) سنة ١٨٧٠

كتبه ماركس بين ١٩

و ٢٢ تموز (يوليو) ١٨٧٠

صدر بشكل منشور باللغة

الانجليزية في تموز ١٨٧٠ ،

وكذلك بشكل مناسير

خاصة في المطبوعات

الدورية باللغات الالمانية

والفرنسية والروسية في

آب - ايلول (اكتوبر) -

سبتمبر ١٨٧٠

يصدر حسب نص المنشور

الانجليزي الاول ، بعد مقارنته

بنص الطبعة الانجليزية الثانية

لعام ١٨٧٠ ومع نص الطبعة

الالمانية لعام ١٨٧٠

تمت الترجمة نقلاً من

الانجليزية

النداء الثاني من المجلس العام
لجمعية الشغيلة العالمية
حول الحرب الفرنسية-البروسية

الى اعضاء جمعية الشغيلة العالمية
في اوروبا والولايات المتحدة

لقد قلنا في ندائنا الاول بتاريخ ٢٣ تموز (يوليو)
« ان ناقوس موت الامبراطورية الثانية قد دوى صوته في
باريس وستنتهي الامبراطورية الثانية ، كما بدأت ، بمهزلة
حقيرة ولكنه ينبغي الا ننسى ان الحكومات والطبقات السائدة
في اوروبا هي التي مكنت لويس بوناپرت من ان يلعب خلال
ثمانى عشرة سنة تلك المهزلة الشرسة - مهزلة عودة الامبراطورية » .
وهكذا اعتبرنا الفقاعة الرغاوية البوناپرتية شأنا من شؤون
الماضي ، حتى قبل ان تبدأ العمليات الحربية .
ولم تكن مخطئين في حكمنا على حيوية الامبراطورية الثانية
ولم تكن مخطئين ايضا حينما ابدينا خشيتنا من ان « تفقد الحرب »
بالنسبة لالمانيا « طابعها الدفاعي المحض وتنتكس الى حرب ضد
الشعب الفرنسي » . . . لقد انتهت الحرب الدفاعية ، في واقع الامر ،
باستسلام لويس بوناپرت واستسلام سيدان واطلاق الجمهورية

• راجع هذا المجلد ، ص ١٤٤ . الناشر .

•• راجع هذا المجلد ، ص ١٤٥ . الناشر .

في باريس . ولكن قبل وقوع هذه الاحداث بكثير ، وفي اللحظة التي اوضح فيها فساد العسكرية البونابرتية التام ، كانت الزمرة العسكرية البروسية قد عقدت العزم على تحويل الحرب الى حرب فتوحات . والحال ان عقبة مزعجة نسبياً كانت تعترض هذا الطريق - التصريحات التي ادلى بها الملك غليوم نفسه عند بدء الحرب . فقد اعلن غليوم رسمياً في خطاب العرش الذي القاه امام ريكستاغ (برلمان) المانيا الشمالية انه يشن الحرب على الامبراطور الفرنسي لا على الشعب الفرنسي . وفي ١١ آب (أغسطس) اصدر بياناً الى الامة الفرنسية قال فيه :

ولما كان الامبراطور نابليون قد شن الهجوم ، براً وبحراً ، على الامة الالمانية التي كانت وما تزال ترغب في العيش بسلام مع الشعب الفرنسي ، فقد اخذت على عاتقي قيادة الجيوش الالمانية لصد هذا الاعتداء وقد دفعني سير الاحداث العسكرية الى اجتياز حدود فرنسا ،

فلم يكتف غليوم بالتصريح بأنه اخذ على عاتقه قيادة الجيوش الالمانية « لصد الاعتداء » بل اضاف ، لتأكيد طابع الحرب الدفاعي ، ان « سير الاحداث العسكرية » وحده هو الذي دفعه لاجتياز حدود فرنسا والحرب الدفاعية لا تنفي ، بطبيعة الحال ، اية عمليات هجومية يملئها « سير الاحداث العسكرية »

وهكذا قطع هذا الملك التقى على نفسه عهداً امام فرنسا وامام العالم كله بان يخوض حرباً دفاعية محضة ولكن كيف السبيل الى ابرائه من هذا العهد الموثوق ؟ كان على مخرجي هذه المسرحية الهزلية ان يظهروه بمظهر من ينزل ، رغم انفه ، عند متطلبات الشعب الالمانى الملحة ؛ ولذلك اطلقوا في الحال الاشارة الى البرجوازية الالمانية الليبرالية باسائلتها ورأسمالياتها ، بنواياها في البلديات وصحفيها . وهذه البرجوازية التي ظهرت في

كفاحها خلال سنتي ١٨٤٦ و ١٨٧٠ من اجل الحرية المدنية بمظهر لا مثيل له من التذبذب والعجز والجبن ، تملكها ، بالطبع ، شعور طاغ بالغبطة من دور الاسد الزائر للوطنية الالمانية ، الدور الذي كان عليها ان تقوم به على المسرح الاوروبي . وقد تقنعت قناع الاستقلال المدني لكي تتظاهر بانها ترغم الحكومة البروسية على تنفيذ المخططات السرية التي وضعتها الحكومة نفسها . لقد لدمت على ايمانها طيلة سنوات - وكاد ان يكون ايماناً دينياً ، - بعصمة لويس بوناپرت ، ولذلك طالبت باصوات عالية بتجوزة الجمهورية الفرنسية . ولتقف ، ولو لحظة ، عند المسوغات البراقة التي لجأ اليها هؤلاء فرسان الوطنية الاواس

انهم لا يجروون على التاكيد ان سكان الاواس - اللورين يتحرقون شوقاً للعناق الالمانى بل على العكس تماماً ولعقابهم على مشاعر الوطنية بالنسبة لفرنسا ، يعرضون ستراسبورغ لقصف جهنمي طائش - لأن ما يتم باهمية عسكرية ليس المدينة بل القلعة التي تقع بصورة مستقلة عنها وتشرّف عليها - يعرضونها للقصف خلال ستة ايام بالقذائف والالمانية المتفجرة ويضرمون النار في المدينة ويقتلون عدداً كبيراً من السكان العزل ! وكيف لا ! ان اراضي هذين الاقليمين كانت تابعة في وقت من الاوقات للامبراطورية الالمانية (٧٦) التي زالت منذ هابر الزمان . ولذلك فان هذه الاراضي ينبغي ان تصدر بسكانها بوصفها ممتلكات المانية لم يبطل حق تملكها واذا كان لخريطة اوروبا ان يعاد رسمها القديم وفق اهواء غواة العاديات ، فلا يجوز ان ننسى بصورة من الصور ان امير براندنبورغ كان في وقته ، بوصفه اميراً بروسيا ، تابعاً للجمهورية البولونية (٧٧) .

غير ان الوطنيين الشطار يطالبون بالالزاس وبالجزة من اللورين الذي يتكلم سكانه بالالمانية و«كضمان مادي» ضد الاعتداءات الفرنسية . ولما كانت هذه المكيدة الشنيعة قد اطاشت صواب الكثيرين من ضعاف العقول ، فاننا نعتبر من واجبنا ان نتناولها بصورة اوفى .

لا ريب في ان الموقع العام للالزاس بالمقارنة مع ضفة نهر الراين المقابلة ، مع وجود حصن كبير مثل ستراسبورغ في منتصف الطريق تقريباً بين مدينتي بال وهيرمرسهايم ، سهلان كثيراً قيام فرنسا بالتدخل في المانيا الجنوبية ، بينما يجعل ذلك من الصعب الى حد ما التدخل من ناحية المانيا الجنوبية في فرنسا . ولا ريب ايضاً في انه لو ضمت الالزاس وقسم من اللورين ، لقوى ذلك كثيراً حدود المانيا الجنوبية : اذ انها ستصبح في هذه الحال مالكة لظهر جبال فوج (Vosges) على كل امتداده وللقلع التي تحمي ممراتها الشمالية . ولو ضمت ميتر كذلك ، لحزمت فرنسا الآن ، بلا ريب ، من قاعدتين هامتين جداً للعمليات ضد المانيا ، ولكن هذا لن يمنعها من انشاء قاعدة جديدة عند نانسي او فردون وتملك المانيا كوبلنتز وماينز وهيرمرسهايم وراشتات واوالم - وكلها قواعد للعمليات موجهة ضد فرنسا . وقد استخدمتها المانيا بصورة رائعة في الحرب الاخيرة . وهل هناك ظل من حق (المانيا) في ان تحسد فرنسا التي لا تملك في هذه المنطقة الا حصنين كبيرين هما ميتر وستراسبورغ ؟ ناهيك بان ستراسبورغ لا تهدد المانيا الجنوبية الا حينما تكون هذه الاخيرة منفصلة عن المانيا الشمالية وفيما بين سنتي ١٧٩٢ و ١٧٩٥ لم تتعرض المانيا الجنوبية للغزو مرة واحدة من تلك الجهة وذلك لأن بروسيا اشتركت في الحرب ضد الثورة الفرنسية ؛ ولكن حالما عقدت

بروسيا صلحا منفرداً (٧٨) في سنة ١٧٩٥ وتركزت الجنوب يتدبر اموره بنفسه ، بدأت حملات الغزو تثنى ضد المانيا الجنوبية واستمرت حتى سنة ١٨٠٩ ، واتخذت ستراسبورغ قاعدة للعمليات . والحقيقة ان المانيا موحدة تستطيع دائماً ان تجعل ستراسبورغ واي جيش فرنسي في الالزاس عديمي الخطر ، وذلك اذا ركزت جميع جنودها ، كما فعلت في الحرب الراهنة ، فيما بين سارلوي ولانداو ، ودفعتهم الى امام او دخلت في القتال على الطريق من ماينز الى ميتر . وما دامت القوات الالمانية الرئيسية موجودة في ذلك المكان ، فان اي جيش فرنسي يدخل من ستراسبورغ الى المانيا الجنوبية يتعرض لخطر التطويق وقطع مواصلاته . ولئن كانت الحملة الاخيرة قد اثبتت اي شيء ، فقد اثبتت سهولة غزو فرنسا من المانيا .

ولكن ، اذا شئنا الصدق ، ليس على وجه العموم من السخف والرجوع الى مفاهيم النقيض زمانها لو جعلنا الاعتبار العسكرية هي المبدأ الذي تعين بمقتضاه حدود البلدان ؟ واذا اتبعت هذه القاعدة ، فان النمسا ما يزال من حقها ان تطلب ضم البندقية وخط نهر مينتشو ، ومن حق فرنسا ان تطلب خط نهر الراين لحماية باريس التي تتعرض ، بلا ريب ، لخطر الهجوم من الشمال الشرقي اكثر مما تتعرض برلين للخطر من الجنوب الغربي . واذا كان للحدود ان تعين وفق المصالح العسكرية ، فلن تكون هنالك نهاية للمطالبات لأن كل خط عسكري له ، بالضرورة ، نواقصه ويمكن تحسينه بضم منطقة جديدة ملاصقة له ؛ فضلاً عن ان هذه الحدود لا يمكن تعيينها مطلقاً بصورة نهائية وعادلة لأن الغالب يملئ الشروط كل مرة على المظلوم ، وهنا بالتالي ، بذرة حروب جديدة .

وشان الامم بكاملها شان الافراد - هكذا يعلمنا التاريخ بأسره ولتجربتها من امكانية الاعتداء ، ينبغي تجربتها من وسائل الدفاع فلا يكفي التضييق على خناقها ، ينبغي قتلها وان كان المنتصر قد نال يوما وضمانات مادية لتعطيم قوة امة من الامم فان نابليون الاول هو الذي قد فعل ذلك بمعاهدته المعقودة في تلسيت (٧٩) وبالكيفية التي طبقها بها ضد بروسيا وبقية المانيا . ومع هذا فما كادت تمضي عدة سنوات حتى بدد الشعب الالماني جبروته الهائل هباء . وهل يمكن مقارنة والضمانات المادية التي تأمل بروسيا ان تنالها من فرنسا في احلامها الاكثر خيالا وتجاسر على نوالها بالتتي حصل عليها نابليون الاول من المانيا نفسها ؟ وهذه المرة ايضا لن تكون النتائج اقل هلاكا ان حساب التاريخ لن يقاس بالاميال المربعة من الارض التي تقتطع من فرنسا بل بفداحة الجريمة التي تنطوي على احياء صهيامة الفتح في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

ان حماة الوطنية التوتوية (٨٠) يقولون : ولكنه لا ينبغي لكم ان تغلطوا بين الالمان والفرنسيين . فليس المجد هو ما نريد نحن بل مجرد السلامة ان الالمان في جوهرهم شعب محب للسلام فبرهايتهم الرزينة ، تتحول الفتوحات نفسها من سبب لنشوب حرب مقبلة الى كفالة لسلم دائم . طبعاً ليست هي المانيا التي غزت فرنسا في سنة ١٧٩٢ لفرض نبيل هو سحق ثورة القرن الثامن عشر بواسطة الحراب ! وليست هي المانيا التي لوتت نفسها بالعار باخضاع ايطاليا وقمع هنغاريا وتقسيم بولونيا ! ونظامها العسكري الراهن الذي ينقسم بفضل جميع السكان الذكور الاصحاء البنية الى قسمين احدهما جيش دائم في الخدمة والاخر جيش دائم في الاحتياط وعلى كلاهما ان يلتزم

بالطاعة العمياء للحكام الذين يحكمون بالحق الالهي - ان هذا النظام هو بطبيعة الحال «ضمنان مادي» للسلام فضلا عن انه الغاية العليا للمدنية ! وفي المانيا ، كما في كل مكان آخر ، يسم اذئاب اصحاب الحل والربط الراي العام ببخور الثناء الكاذب على النفس . ان هؤلاء الوطنيين الالمان يتظاهرون بالغضب الشديد عند رؤيتهم القلعتين الفرنسيتين ميتز وستراسبورغ ، غير انهم لا يرون باسا في الشبكة الواسعة من التحصينات الروسية في فرسوفيا ومودلين وايفانفورود وهم ، اذ يقشعرون من فظائع الغزوات البونابرية ، يفضون الطرف عن عار الوصاية القيصرية .

وكما تبودلت العهود سنة ١٨٦٥ بين لويس بونابرت وييسمارك ، تبودلت العهود سنة ١٨٧٠ بين فورتشاكوف وييسمارك . وكما مضى لويس بونابرت نفسه بان تسفر حرب ١٨٦٦ من انهاك قوى كل من الطرفين ، النمسا وبروسيا ، فتجعل منه بالتالي الحكم الاعلى لمصير المانيا ، كذلك مضى الكسندر نفسه بان تسفر حرب ١٨٧٠ من انهاك قوى كل من المانيا وفرنسا فتمكنه بالتالي من ان يصبح الحكم الاعلى لمصير اوروبا الغربية باسرها . وكما رأت الامبراطورية الثانية من المستحيل قيامها الى جانب قيام حلف المانيا الشمالي ، كذلك مضى روسيا الاوتوقراطية ان ترى نفسها معرضة للخطر من جانب الامبراطورية الالمانية بزعامة بروسيا . هذا هو قانون النظام السياسي القديم . ففي حدود هذا النظام يكون اي غنم تناله اية دولة خساره لدولة اخرى ان تفوق نفوذ القيصر في اوروبا يكمن في سيطرته التقليدية على المانيا . وحين تهدد قوى اجتماعية بركانية بزعومة اعرق اسس الاوتوقراطية في روسيا ذاتها ، هل في وسع القيصر ان يسمح بخسارة كهذه لنفوذه الخارجي ؟ وما هي ذي الصحف

الموسكوفية قد شرعت تتحدث باللهجة التي كانت تتحدث بها الصحف البونابرتية بعد حرب ١٨٦٦ هل يعتقد الوطنيون التوتونيون حقاً بان الحرية والسلام سيُضمنان لالمانيا اذا ما ارغموا فرنسا على الارتقاء في احضان روسيا ؟ فاذا ما دفع الحظ الحربي والنشوة بالنجاحات ومكائد الاسر المالكة ، المانيا في طريق انتزاع المناطق الفرنسية نهبا ، فلن يبقى امامها الا طريقان : اما ان تصبح ، مهما كلف الامر ، اداة سافرة في يد السياسة الروسية التوسعية ، او ان تنهيا ، بعد فترة قصيرة من الراحة ، لحرب «دفاعية» اخرى ، ليست من طراز تلك الحروب «المحلية» المخترمة حديثا بل لحروب عنصرية - حرب ضد العنصرين السلافي والروماني مجتمعين

ان الطبقة العاملة الالمانية التي لم تملك امكانية منع هذه الحرب ، قد ايدتها بحزم بوصفها حرباً من اجل استقلال المانيا وتحرير فرنسا واوروبا من كابوس الامبراطورية الشامية القابض وكان العمال الالمان الصناعيون يؤلفون مع العمال الزراعيين نواة القوات الباسلة بينما بقيت اسرهم في بيوتهم تتضور جوعاً . وفي خارج البلاد نقصت صفوفهم في ساحات الوغى وفي وطنهم تنتظرهم من الفقر بلايا لا تقل شدة . وها هم قد جاؤوا الآن بدورهم يطالبون «بالضمانات» - ضمانات بان ضحاياهم التي لا تحصى لم تذهب هدراً ، بانهم قد حصلوا على الحرية حقاً ، بان انتصارهم على جيوش بونابرت لن يتحول ، كما حدث في عام ١٨١٥ ، الى هزيمة للشعب الالمانى (٨١) . وهم يطالبون في مقدمة هذه الضمانات بصلح شريف لفرنسا وبلاعتراف بالجمهورية الفرنسية . لقد نشرت اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى بياناً في ٥ ايلول (سبتمبر) الحث فيه بغدة على هذه الضمانات .

واننا نحتج على ضم الألزاس واللورين ونحن نذكره اننا نتكلم باسم الطبقة العاملة الألمانية فخدمة لمصالح فرنسا وألمانيا المشتركة ، لمصلحة السلم والحرية ، لمصلحة الحضارة الأوروبية الغربية وعند البربرية الشرقية ، لن يصير العمال الألمان على ضم الألزاس واللورين ومع رفاقنا العمال في جميع البلدان ، سنعمل بحزم وإخلاص من أجل القضية الأممية المشتركة للبروليتاريا ١٤

ونحن ، لسوء الحظ ، لا نستطيع ان نحسب انهم سيصيبون نجاحاً مباشراً . فاذا كان العمال الفرنسيون قد عجزوا ابان السلم عن ايقاف المعتدي ، فهل تتوفر للعمال الألمان امكانيات اكبر لايكاف المنتصر ابان حمرى الحرب ؟ ان بيان العمال الألمان يطالب بتسليم لويس بونابرت الى الجمهورية الفرنسية كمجرم عادي . اما حكامهم فيحاولون جاهدين اعادته الى عرش تويلري (٨٢) كالنصب رجل يقود فرنسا الى الهلاك . ومهما يكن من امر ، فان التاريخ سيثبت ان الطبقة العاملة الألمانية ليست من تلك المادة الرخوة التي جبلت منها البرجوازية الألمانية . انها ستؤدي واجبها .

ونحن نحى معها تأسيس الجمهورية في فرنسا ، ولكن يساورنا في الوقت نفسه توجس نرجو الا يكون له اساس ان هذه الجمهورية لم تقلب العرش بل اخذت مكانه فحسب بعد ان اصبح خاليا . وقد تم اعلائها لا على انها نصر اجتماعي بل كاجراء وطني من اجراءات الدفاع انها في يد حكومة مؤقتة تتألف جزئيا من اورليانيين معروفين وجزئيا من جمهوريين برجوازيين تركت على بعضهم انتفاضة حزيران (يونيو) ١٨٤٨ (٨٣) وصمة لا تمحى . ثم ان توزيع الوظائف بين اعضاء هذه الحكومة لا يعد باي خير . فقد استولى الاورليانيون على اقوى المواقع - الجيش والشرطة ، بينما كان من نصيب اولئك الذين يقولون بانهم

جمهوريون وظيفه الثروة . وبعض الخطوات الاولى التي قامت بها هذه الحكومة تشير بجلء ووضوح الى انها لم توث عن الامبراطورية كومة من الاطلاق فحسب ، بل ورثت كذلك فرعها من الطبقة العاملة . واذا كانت تعد الآن باسم الجمهورية امام الملأ بوعود مستحيلة التحقيق ، وليس القصد من هذا اثاره الضجة لصالح حكومة «محتملة» ؟ الا يجب على الجمهورية ، حسب نية بعض ولاة امورها البرجوازيين ، ان تكون مجرد درجة انتقالية وجسر لاعادة الاورليانيين الى الحكم ؟

وعلى ذلك تجد الطبقة العاملة الفرنسية نفسها في حالة صعبة للغاية وكل محاولة لقلب الحكومة الجديدة ، في وقت الازمة العالية ، اذ يكاد العدو يدق ابواب باريس ، تكون من جنون الياس . ينبغي على العمال الفرنسيين ان يؤدوا واجبهم كمواطنين ، ولكن لا ينبغي ان يسمحوا لانفسهم بأن تضرر بهم التقاليد القومية لعام ١٧٩٢ ، كما سمح الفلاحون الفرنسيون لانفسهم بأن يخدعوا بالتقاليد القومية للامبراطورية الاولى . ينبغي عليهم الا يستعيدوا الماضي بل ان يبنيوا المستقبل فليستعملوا بهدوء وعزم جميع الوسائل التي تعطيهام اياها الحرية الجمهورية ، لكي يوطدوا بصورة ارسخ تنظيم طبقتهم الخاصة . وهذا ما يمنحهم قوى جديدة ، قوى هرقل للنضال من اجل بعث فرنسا ومن اجل قضيتنا المشتركة — تحرير العمل . وعلى قوتهم وحكمتهم يتوقف مصير الجمهورية

لقد قام العمال الانجليز ببعض الخطوات لكي يسحقوا ، بضغط منعش من الخارج ، عدم رغبة حكومتهم في الاعتراف بالجمهورية الفرنسية (٨٤) ولعل الحكومة البريطانية ترمي بمماطلتها الراهنة الى التكفير من الحرب ضد اليقابة في سنة ١٧٩٢ ومن سرعتها الشائنة التي اعترفت فيها : coup d'état . وفضلا من ذلك يطالب العمال الانجليز حكومتهم بان تقف بكل

قوتها ضد تقطيع اوصال فرنسا ، وهو ما يطالب به قسم من الصحافة الانجليزية دون ادنى حياء . انها الصحافة ذاتها التي ظلت تؤله لويس بوناپرت طيلة عشرين عاماً بوصفه مبعوث العناية في اوروبا ، الصحافة التي صفقت بحماسة لعصيان اصحاب العبيد الاميركيين (٨٥) وهي تجهد الآن ، كما فعلت حينذاك ، من اجل مصالح اصحاب العبيد

فلتدع فروع جمعية الشغيلة العالمية الطبقة العاملة في جميع البلدان الى العمل . فاذا ما نسي العمال واجبهم ، واذا لم يحركوا ساكناً ، فان الحرب الهائلة الراهنة ستكون لذيراً بحروب عالمية اشد هولاً ، وستؤدي في كل بلد الى انتصارات جديدة على العمال يحرقها فرسان السيف واسياد الارض والراسمال

Vive la République !*

هاي هولبورن ، رقم ٢٥٦ ،

لندن ، وسترن سنترال ،

٩ ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٧٠

يصدر حسب نص الطبعة
الانجليزية الثانية لعام ١٨٧٠

بعد مقارنته

مع نص طبعة عام ١٨٧٠

تمت الترجمة نقلاً عن

الانجليزية

كتبه ماركس بين ٦

٩ ايلول ١٨٧٠

صدر بشكل منشور

باللغة الانجليزية في ١١-١٣

ايلول سنة ١٨٧٠ ، وكذلك

بشكل منشور بالالمانية

وفي المطبوعات الدورية

باللغتين الالمانية والفرنسية

في ايلول - كانون الاول (سبتمبر -

ديسمبر) ١٨٧٠

الحرب الاهلية في فرنسا

نداء المجلس العام
لجمعية الشغيلة العالمية

الى جميع اعضاء الجمعية
في اوروبا والولايات المتحدة

١

في ٤ ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٧٠ ، عندما اعلن العمال الباريسيون الجمهورية التي حيتها حالا تقريبا فرنسا كلها بالاجماع ، استولت عصاة من المحامين الوصوليين - كان تيير رجلها السياسي وتروشو قائدها العسكري- على بلدية المدينة . في ذلك الوقت كان هؤلاء الناس يمتلكهم ايمان اعمى برسالة باريس في تمثيل فرنسا بأسرها في جميع فترات الازمات التاريخية ، بحيث انهم رأوا انه يكفيهم لتبرير لقب حكام فرنسا الذي اغتصبوه ، ان يبرزوا وكالاتهم التي انقضت اجلها كنواب لباريس . وفي ندائنا الثاني حول الحرب الاخيرة ، وبعد خمسة ايام على ارتقاء هؤلاء الناس ، شرحنا لكم من هم هؤلاء . غير ان باريس الماخوذة على حين غرة ، بينما كان قادة العمال الحقيقيون لا يزالون في سجون بونابرت ، والبروسيون يزحفون على المدينة بسرعة ، سمحت لهؤلاء الناس بان يخلدوا السلطة ، ولكن بشرط لا بد منه هو

* راجع هذا المجلد ، ص ١٥٦ . القاهر .

الا يستخدموا هذه السلطة الا لاغراض الدفاع الوطني . ولم يكن من الممكن الدفاع عن باريس الا بتسليح عمالها وتنظيمهم في قوة عسكرية فعالة وتدريبهم على الفن العسكري في الحرب ذاتها ولكن تسليح باريس كان معناه تسليح الثورة وانتصار باريس على المعتدي البروسي كان يعني انتصار العامل الفرنسي على الرأسمالي الفرنسي وعلى طفيلي دولته وحكومة الدفاع الوطني المضطرة للاختيار بين الواجب الوطني والمصالح الطبقية ، لم تتردد لحظة واحدة - لقد تحولت الى حكومة خيانة وطنية

وكان اول ما فعلته ان ارسلت تير في جولة يطوف بها جميع بلاطات اوروبا يستجدي وساطتها كصدقة واعداء لقاء ذلك بمقايسة الجمهورية بملك . وبعد اربعة اشهر من بدء حصار باريس رأت من المناسب الشروع في الحديث عن الاستسلام ؛ وبحضور جول فاغر وغيره من زملائه خاطب تروشو رؤساء بلديات دوائر باريس المجتمعين بالكلمات التالية

والسؤال الاول الذي وجهه الي زملائي مساء الرابع من ايلول (سبتمبر) ذاته كان التالي هل تملك باريس اية امكانيات للصمود بنجاح لحصار الجيش البروسي ؟ لم اتردد في الاجابة على هذا السؤال بالنفي استشهد ببعض زملائي الحاضرين هنا ؛ في استطاعتهم ان يشتبوا لكم اني اقول الحقيقة واني كنت دائما امسك بهذا الرأي لقد قلت لهم ما اقول الان لكم ان محاولة باريس للصمود لحصار الجيش البروسي هي في الوضع الراهن مجرد جنون ولقد اضفت - انها جنون بطولي بالطبع - ولكنها جنون ، لا اكثر ... ان الاحداث (التي وجهها هو بنفسه) وقد اثبتت تنبؤاتي

هذا الخطاب الصغير الطريف الذي القاه تروشو نشره فيما بعد السيد كوربون احد رؤساء البلديات الحاضرين .

وهكذا في مساء اليوم الذي اعلنت فيه الجمهورية ، كان زملاء تروشو يعرفون ان «خطته» تنحصر في استسلام باريس ولو ان الدفاع الوطني كان اكثر من ذريعة لسيطرة تيير وفافر وشركائهما سيطرة شخصية ، لتخلى هؤلاء الذين ظهروا الى الوجود فجأة في ٤ ايلول (سبتمبر) عن الحكم في ٥ منه ولاطلعوا سكان باريس على «خطه» تروشو ولدعواهم الى الاستسلام فوراً او الى ان يتدبروا مصيرهم بانفسهم ولكن هؤلاء الدجالين الاندال عقدوا العزم على مداواة جنون باريس البطولي بالتجويج والتقتيل ، وقبل حلول ذلك الحين كانوا يخدعونها ببياناتهم المتبجحة جاء في هذه البيانات - ان تروشو «حاكم باريس لن يقبل الاستسلام ابدأ» ؛ ان جول فافر وزير الخارجية ولن يتنازل عن شبر واحد من ارضنا ولا عن حجر واحد من حصوننا» وفي رسالة الى غامبيتا ، يعترف جول فافر هذا نفسه بان ما كانوا «يدافعون» ضده لم يكن الجنود البروسيين انما عمال باريس وطوال مدة الحصار كان الاشقياء البونابرتيون الذين عهد اليهم تروشو المحترس بقيادة جيش باريس ، يتبادلون في مراسلاتهم الخاصة النكات البذيئة عن هذا الدفاع المزعوم الذي كانوا يعرفون سره جيداً (راجعوا ، مثلاً ، رسالة ادولف سيمون غيو ، قائد مدفعية جيش باريس وحامل وسام الصليب الكبير لجوقة الشرف الى سوزان ، فريق المدفعية - وهي رسالة نشرتها Journal Officiel (وجورنال اوفيسييل) (٨٦) التي اصدرتها الكومونة) . وقد كشف الدجالون القناع اخيراً في ٢٨ كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٧١ (٨٧) وظهرت حكومة الدفاع الوطني في قضية استسلام باريس ببطولة حقيقية على غاية من الذلة والمهانة ، ظهرت كحكومة لفرنسا مؤلفة من اسرى بيسمارك -

وهو دور وضيع لدرجة ان لويس بوناپرت نفسه لم يجرؤ على قبوله في سيدان وحين فر capitulards (٨٨) الى فرساي لا يلوون على شيء بعد حوادث ١٨ آذار (مارس) ، خلفوا وراءهم في باريس وثائق تدل على خيانتهم ، وثائق من اجل اتلافها ، كما تقول الكومونة في البيان الذي اصدرته الى الاقاليم ، ولا يتورع هؤلاء الناس من تحويل باريس الى كومة من الانقاض يفرقها بحر من الدماء .

وكانت لدى البعض من ابرز اعضاء حكومة الدفاع ايضا اسباب اخرى خاصة بهم تدفعهم الى هذه الخاتمة .

بعد عقد اتفاقية الهدنة بفترة وجيزة اقدم السيد ميلير ، وهو احد نواب باريس في الجمعية الوطنية ، وقد قتل فيما بعد رميا بالرصاص بامر خاص من جول فافر ، — بنشر سلسلة من الوثائق القانونية الاصلية تثبت ان جول فافر الذي اتخذ من زوجة افاق سكير مقيم في الجزائر محظية له ، قد توصل ، بتفليق سلسلة من اقبح التزويرات امتدت عدة سنوات على التوالي ، الى الاستيلاء باسم اطفاله غير الشرعيين ، على ميراث كبير جعل منه رجلا ثريا ، وتثبت انه لم ينج من قضية التزوير ، بعد الدعوى التي اقامها عليه الورثة الشرعيون ، الا بفضل الحماية التي تمتع بها من جانب المحاكم البوناپرتية . ولما كانت اية بلاغة عاجزة في وجه هذه الوثائق القانونية الدامغة ، فقد رأى جول فافر من اللازم عقد لسانه ، لأول مرة في حياته ، وانتظار نشوب الحرب الاهلية لكي يشهر تشهيراً مسعوراً بسكان باريس ناعتا اياهم بانهم مجرمون فارون خارجون بوقاحة على العائلة والدين والنظام والملكية . وفي الوقت نفسه ، ما كاد هذا المزور للوثائق يتسلم زمام السلطة حتى تعطف واطلق ، بعد ٤ ايلول (سبتمبر) ،

سراج كل من بيك وتيفير ، وكان كلاهما قد ادين بتهمة التزوير حتى في ظل الامبراطورية في القضية الشائنة المعروفة بقضية جريدة « Etendard » ، («اتندارد») (٨٩) وكان احد هذين السيدين ، تيفير ، ولحقاً لدرجة انه عاد في عهد الكومونة الى باريس ولكن الكومونة اودعته السجن فوراً . وبعد هذا صاح جول فافر امام الملا من على منبر الجمعية الوطنية ان الباريسيين يطلقون سراج جميع المجرمين !

ان ارنست بيكار - جو ميلر * حكومة الدفاع الوطني ، الذي عين نفسه وزيراً للمالية الجمهورية بعد ان جاهد على غير طائل ليفوز بمنصب وزير داخلية الامبراطورية ، - هو شقيق واحد يدعى ارتور بيكار - وهو شخص طرد من بورصة باريس لكونه نصاباً (انظر تقرير قيادة الشرطة المؤرخ في ٣١ تموز - يوليو عام ١٨٦٧) وادين باعترافه هو نفسه بسرقة ٣٠٠ فرنك ارتكبها حين كان مديراً لاحد فروع Société Générale (الشركة العمومية) (٩٠) ، شارع باليسترو رقم ٥ (انظر تقرير قيادة الشرطة المؤرخ في ١١ كانون الاول - ديسمبر عام ١٨٦٨) وارتور بيكار هذا عينه ارنست بيكار محرراً لصحيفته Electeur ، libre («الليكتور ليبر») . (٩١) وضللت الاكاذيب الرسمية التي كانت تنشرها جريدة وزارة المالية هذه المضارين البسطاء في البورصة ، بينما كان ارتور بيكار يركض دون انقطاع من البورصة الى الوزارة ومن الوزارة الى البورصة وينجي الارباح

* ورد في الطبعتين الالمانيتين لسنة ١٨٧١ وسنة ١٨٩١ بدلا من «جو ميلر» اسم «كارل فوخت» ؛ وفي الطبعة الفرنسية لسنة ١٨٧١ - «فالستاف» . انقهر .

من كل هزيمة تمنى بها الجيوش الفرنسية وقد وقعت جميع المراسلات المالية بين هذين الاخوان الفاضلين في ايدي الكومونة وجول فيري الذي كان محاميا خاوي الوفاض قبل ٤ ايلول (سبتمبر) ، توصل ايان فترة الحصار بوصفه رئيسا لبلدية باريس ، الى جني ثروة على حساب مجاعة العاصمة . واليوم الذي يطلب منه فيه تقديم حساب عن كيفية تصريفه الامور ، سيكون يوم ادانته .

ان هؤلاء الناس لم يستطيعوا الحصول على بطاقات اجازة [tickets-of-leave] * الا على اطلال باريس ؛ وكانوا عين الرجال الذين ارادهم بيسمارك . وتير الذي كان حتى اليوم يرأس الحكومة سرا ظهر فجأة بعد عملية بسيطة في خلط اوراق اللعب على رأس هذه الحكومة ومعه المجرمون ، حملة بطاقات الاجازة [ticket-of-leave men] وزراء فيها .

لقد جلب تير ، هذا القزم الفظيع ، لب البرجوازية الفرنسية خلال نصف قرن تقريبا لأنه كان التعبير الفكري في اتم صورته عن فسادها الطبقي وقبل ان يصبح من رجال الدولة كان قد اظهر مواهبه في الكذب بصفته مؤرخا . ان سجل نشاطه الاجتماعي هو تاريخ مصائب فرنسا . كان قبل سنة ١٨٣٠ مرتبطا بالجمهوريين ثم اندس في وظيفة الوزير في عهد لويس فيليب لخيانته حاميه

* في انجلترا يعطى المجرمون احيانا بعد ان يمضوا الجزء الاكبر من مدة محكوميتهم ، بطاقات اجازة ، يمكنهم ان يعيشوا بها خارج مكان الاعتقال ولكن تحت مراقبة الشرطة وتسمى هذه البطاقات tickets-of-leave وتسمى اصحابها ticket-of-leave men . (ملاحظة المجلس للشعبة الالمانية الصادرة في سنة ١٨٧١) .

لافيت واستطاع استعطاف الملك بتحريض الفوغاء على القيام باعمال ضد رجال الدين ادت الى نهب كنيسة سان-جيرمين-لوسيروا ، وقصر رئيس الاساقفة ، وبالقيام بدور الوزير الجاسوس على الدوقية بيري (٩٢) والسجان المولد بالنسبة لها وقد كانت مذبحة الجمهوريين في شارع ترانسنولين وما تلاها من القوانين الشائنة في ايلول (سبتمبر) ضد الصحافة وحق الجمعيات من تدبيره (٩٣) وفي آذار (مارس) ١٨٤٠ ظهر من جديد على المسرح كرئيس للوزارة وادهش فرنسا كلها بمشروعه لتحسين باريس (٩٤) . وقد رد ، في مجلس النواب ، على اتهامات الجمهوريين الذين اعتبروا هذا المشروع مؤامرة شريرة ضد حرية باريس كما يلي

وكيف ؟ انكم تتصورون ان التحصينات ، ايا كانت ، قد تعرض لي يوم من الايام الحرية للخطر ! انكم قبل كل شيء تفترون ، اذ تفترون ان اية حكومة تجرؤ في يوم من الايام على قصف باريس بغية الاحتفاظ بالسلطة في ايديها ان هذه الحكومة تزداد استحالة بعد الانتصار مرة مما قبله

نعم ، ان ما من حكومة تجرؤ على قصف باريس من الحصون سوى تلك الحكومة التي سبق ان سلمت هذه الحصون الى البروسيين .

وعندما جرب الملك القنبلة • (٩٥) باسه في باليرمو في شهر كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٤٨ ، القى تيير ثانية في مجلس النواب ولم يكن آنذاك وزيراً منذ وقت طويل ، الخطاب التالي

وانكم تعلمون ، ايها السادة ، ماذا يحدث في باليرمو انتم جميعاً ترجفون من الهلع ، (بالمعنى البرلماني) ولدى سماعكم ان مدينة كبيرة تعرضت للقصف طيلة ٤٨ ساعة ومن قصفها ؟ هل هو عدو اجنبي يمارس حقوق الحرب ؟ لا ، ايها السادة ، لقد فعلت ذلك حكومتها ذاتها ولماذا ؟ لان هذه المدينة السيئة الطالع طالبت بحقوقها

فبسبب مطالبتها بحقوقها تعرضت للقصف المدفعية خلال ٤٨ ساعة اسمحوا لي بان اتوجه الى الراي العام في اوروبا ان القيام وقول عدة كلمات (حقا كلمات) وعلى مسمع الناس من على منبر قد يكون اعظم منبر في اوروبا ، كلمات السخط على هذه الاعمال ، - يكون ذلك مكرمة ازاء البشرية ... عندما عزم الوصي اسبارتيرو الذي كان قد ادى خدمات لوطنه (وهذا ما لم يفعله تيير ابدأ) وعلى قصف مدينة برشلونة حتى يقمح الانتفاضة التي شبت فيها ، ارتفعت اذ ذاك صيحة سخط عامة من جميع ارجاء الدنيا

بعد ثمانية عشر شهراً كان تيير في حداد اعنف المدافعين عن قصف روما بمدفعية الجيش الفرنسي (٩٦) . ويبدو ان خطأ الملك - الغنبله كان ينحصر في الواقع في انه قصر قصفه للمدينة على ٤٨ ساعة فقط .

وقبل ثورة شباط (فبراير) بعدة ايام وكان تيير قد استبد به الفيظ لأن غيزو اقصاه طويلا عن الحكم والريخ ، وهم في الجو اقتراب عاصفة شعبية ، صرح في مجلس النواب باسلوبه البطولي الزائف الذي سمي بسببه « Mirabeau-mouche » ،

وانا من حرب الثورة ليس في فرنسا فحسب بل في اوروبا بأسرها . واني لأرجو ان تبقى حكومة الثورة في ايدي رجال معتدلين ...

ولكن لو انتقلت تلك الحكومة الى ايدي رجال مندفعين ، وحتى الى ايدي راديكاليين ، فلن اتخل ، رغم هذا ، من القضية التي ادود منها ساكون دائما من حزب الثورة ،

والفجرت ثورة شباط (فبراير) وبدلا من ان تذهب الثورة بوزارة غيزو لتأتي بوزارة تيير عوضاً عنها ، كما كان يعلم الرجل الحقيق ، استعاضت عن لويس فيليب بالجمهورية وفي اليوم الاول من الانتصار الشعبي اختبا تيير بعناية ناسيا ان احتقار الصالح له كان ينقذه من كراهيتهم . وهذا البطل الجريء الدائع الصيت ظل يتحاشى الظهور على المسرح الاجتماعي الى ان ظهرت مذبحة حزيران (يونيو) الاماكن لنشاط من هم على ساكلته فاصبح حينذاك الزعيم الفكري لحزب النظام (٩٧) وجمهورية البرلمانية - تلك الفترة التي لا اسم لها بين ملكيتين والتي كانت فيها جميع كتل الطبقة الحاكمة المتنافسة تتآمر مرأ لسحق الشعب ويدس فيها الدسائس بعضها على البعض الاخر ليعيد كل منها الى الحكم الملكية التي يريدونها . وحينذاك ، وكما يفعل الآن ، اذان تيير الجمهوريين بوصفهم المائق الوحيد امام اقامة الجمهورية على اساس وطيدة ؛ وحينذاك ، وكما يفعل الآن ، قال تيير للجمهورية بمثل ما قال الجلاد لدون كارلوس : واني ساقتلك ؛ ولكن لغيرك انت . وعليه الآن ، كما فعل حينذاك ، ان يمتف في اليوم الذي يلي انتصاره ؛ L'Empire est fait - ان الامبراطورية قد انجزت . ونسي تيير خطاباته المناقفة التي كان يرددها حول الحريات الضرورية ، وعداوتة الشخصية للويس بوناپرت الذي دجل عليه واطاح بالبرلمانية (وخارج جو البرلمانية الاصطناعي يتحول هذا الرجل الصغير الى لاشيء وهذا ما يعرفه) ؛ ولقد كانت له يد في جميع مخازي الامبراطورية الثانية - من احتلال

الجنود الفرنسيين لروما الى الحرب مع بروسيا ؛ وقد حرض على هذه الحرب بحملاته المسعورة على وحدة المانيا ، التي لم ير فيها قناعاً للاستبداد البروسي بل خرقاً لحق فرنسا الثابت ببقاء المانيا مجزأة . وكان هذا القزم يحب ان يلوح بسيف نابليون الاول في وجه اوروبا . ففي مؤلفاته التاريخية لم يفعل غير ان مسح احذية نابليون اما في الواقع فكانت سياسته الخارجية تؤدي دائماً الى اذلال فرنسا غاية الاذلال - ابتداء من اتفاقية لندن عام ١٨٤٠ (٩٨) الى استسلام باريس عام ١٨٧١ والحرب الاهلية الراهنة التي حرض فيها اسرى سيدان وميتز (٩٩) على باريس باذن خاص من بيسمارك ورغم مرونة مواهبه وتقلب مساعيه ظل طيلة حياته روتينياً في غاية التحجر . ومن نافل الكلام تماماً ان اعمق التيارات التي تجري في المجتمع الحديث ظلت دائماً بالنسبة له لغزاً لا يمكن ادراكه ؛ ودماغه الذي انصرفت جميع قواه الى اللسان ، لم يستطع ان يدرك حق اوضح التغيرات التي تحدث على سطح المجتمع . فهو ، مثلاً ، لم يكل من التنديد بكل الانحراف من نظام الحماية الجمركية الفرنسي البالي باعتبار هذا الانحراف تدنيساً للمقدسات وعندما كان وزيراً عند لويس فيليب ، كان يسخر من السكك الحديدية ناعثاً اياها بانها وهم وضلال ، وعندما كان في صفوف المعارضة في عهد لويس بوناپرت ، وصم كل محاولة لاصلاح النظام الفرنسي العسكري المتعفن بانها خرق للمقدسات وابان اشتغاله الطويل بالنشاط السياسي لم يتخذ مطلقاً اي تدبير ذي فائدة عملية الى هذا الحد او ذاك وان اصغر التدابير . كان تبير وفيما لشيء واحد فقط هو عطشه الذي لا يروى الى الثروة وكرهه للناس الذين يخلقون هذه الثروة كان فقيراً كايوب حين دخل الوزارة للمرة الاولى في عهد لويس فيليب ولكنه

خرج منها وهو من اصحاب الملايين واثناء رئاسته الاخيرة للوزارة في عهد الملك المذكور (ابتداء من اول آذار (مارس) سنة ١٨٤٠) اتهم هلنا في مجلس النواب باختلاس اموال الخزينة . وردا على هذه التهمة اكتفى بدرف الدموغ - وهو رد رخيص ، تحجج به سهولة جول فافر وكل تمساح آخر وفي بوردو ، كان اول اجراء اتخذه تيير لانقاذ فرنسا من الافلاس المالي المهدق بها هو تخصيص ثلاثة ملايين لنفسه مرتبا سنويا ؛ وكانت تلك الكلمة الاولى والاخيرة في تلك « الجمهورية المقتصة » التي كشف آفاقها امام ناخبه الباريسيين سنة ١٨٦٩ . وفي الآونة الاخيرة عهد السيد بيله احد زملائه السابقين في مجلس النواب سنة ١٨٣٠ ، وهو نفسه من الراسماليين ولكنه مع ذلك عضو مخلص من اعضاء الكومونة ، ووجه الكلمات التالية الى تيير في احد منشوراته العلنية

« ان استعباد العمل من قبل الراسمال كان دائما حجر الزاوية لسياستك ومنذ ان استقرت في بلدية باريس جمهورية العمل ، وانت لا تفتا تصرخ في اذن فرنسا : ها هم المجرمون ! »

استاذ في اعمال النصب الحقيرة بحق الدولة ، فنان في الحنث والخيانة ، ابن حرفة في الدسائس المبتذلة والحيل الدنيئة والمكر الشائن لنضال الاحزاب البرلماني ، لا يتورع عن اشعال الثورة عندما يطير من منصبه ، وعن اغراقها في الدماء عندما يتولى زمام الحكم ؛ مملوء بالاوهام الطبقية بدلا من الافكار ، وبالبزوه بدلا من القلب ، حياته الخاصة شائنة بقدر ما هي حياته الاجتماعية كريهة ، وهو حق في الوقت الحاضر يقوم بدور سوللا فرنسي ، ولا يستطيع امتناعا عن ابراز قبح افعاله بفطرسته المضحكة ان عملية استسلام باريس ، بتسليمها لبروسيا لا باريس

وحدها بل فرنسا برمتها ، قد اختتمت سلسلة طويلة من دسائس الخيانة مع العدو ، وهي الدسائس التي بدأها مفتصبو الرابع من ايلول (سبتمبر) ، كما فان تروتشو نفسه ، يوم اغتصابهم السلطة ومن ناحية اخرى دشّن هذا الاستسلام الحرب الاهلية التي شنوها فيما بعد بمساعدة بروسيا ضد الجمهورية وضد باريس . وقد نصبت المصيدة في شروط الاستسلام ذاتها في ذلك الوقت كان ما يزيد من ثلث اراضي البلاد في ايدي العدو ، وكانت العاصمة معزولة عن باقي البلاد وكانت جميع طرق المواصلات مختلة . في هذه الظروف كان انتخاب اشخاص يستطيعون ان يمثلو فرنسا تمثيلا حقيقيا امرا مستحيلا دون الوقت الكافي للتحضير المناسب . ولهذا السبب بالضبط عين لن الاستسلام مدة اسبوع لانتخاب الجمعية الوطنية ، حتى ان اباء الانتخابات المزمع اجراؤها لم تصل الى كثير من الحاء فرنسا الا عشية الانتخابات ذاتها ثم ان هذه الجمعية كان سيجري انتخابها ، بمقتضى بند خاص من اتفاقية الاستسلام ، لغرض واحد فقط هو البت في امر السلم والحرب ، وعقد معاهدة الصلح عند القضاء . وكان لا بدّ للسكان ان يشعروا بان شروط الهدنة جعلت مواصلة الحرب امرا مستحيلا وبان اسوأ رجال فرنسا كانوا انسبهم من اجل عقد الصلح الذي فرضه بيسمارك . بيد ان تيير لم يكتف بهذه الاحتياطات ، بل قام ، قبل ان يبلغ باريس من الهدنة ، بجولة انتخابية في ارجاء البلاد حتى يعيد الى الحياة جثة حزب الليجيتيميين (١٠٠) ؛ وكان على هذا الحزب ان يأخذ مع الاورليانيين مكان البونابرتيين الذين اصبحوا في ذلك الحين غير مقبولين . لم يكن يخشى الليجيتيميين . وبما انه كان من المستحيل ان يشكل هؤلاء حكومة لفرنسا الحديثة ، فقد كانوا لهذا السبب

لا وزن لهم كمنافسين ؛ وكل نشاط هذا الحزب ، كما قال تيير نفسه (في مجلس النواب في ٥ كانون الثاني - يناير سنة ١٨٣٣) ،
وكان يستند دائما الى دعائم ثلاث : الغزو الاجنبي والحرب الاهلية
والنوضى ،

ولذلك كان هذا الحزب السب اداة في يد الثورة المضادة
ان الليجيتيميين آمنوا عن جد وبفارغ الصبر بعودة ملكهم الذي
دام الف سنة . وفي الواقع ، قُذفت فرنسا ثالية تحت اقدام
الاعداء الاجانب ، وأُسقطت الامبراطورية من جديد ، ووقع
بونابرت في الاسر مرة اخرى وبُعث الليجيتيميون احياء ان
عجلة التاريخ دارت ، كما يبدو ، الى الورا لتصل الى chambre ،
introuvable لسنة ١٨١٦ (١٠١) كان الليجيتيميون يمثلهم
في الجمعيات الوطنية في عهد الجمهورية من ١٨٤٨ الى ١٨٥١
رجال متعلمون ومجربون في النضال البرلماني ؛ اما الان فقد ظهرت
في المقام الاول شخصيات عادية من حزبهم - جميع بورسولياكيي
فرنسا .

وحالما انعقد في بوردو « مجلس الملاكين العقاريين » (١٠٢)
هذا ، اعلن تيير ان هذا المجلس لا يستحق شرف اجراء المناقشات
البرلمانية وان عليه ان يوافق فوراً على شروط الصلح التمهيدية
باعتبار ذلك الشرط الوحيد الذي تسمح بروسيا بمقتضاه بدء الحرب
ضد الجمهورية وضد باريس - حصنها . والواقع ان الثورة المضادة
لم يكن لديها وقت للتفكير طويلا . فالامبراطورية الثانية كانت قد
زادت دين الدولة الى اكثر من مرتين ، وكانت جميع المدن الكبيرة
ترزح تحت الديون البلدية الثقيلة . والحرب ضخمت الديون لاقصى
حد واستنفدت موارد الامة على نحو مخيف . وفضلا عن ذلك كان
شايلوك البروسي يقف على ارض فرنسا وفي يده سندات لاعالة

نصف مليون من جنوده ، وهو يطلب دفع غرامة حربية تبلغ خمسة مليارات وفائدة قدرها ٥ بالمئة جزاء على ما لا يدفع في الموعد المعين . ومن كان يجب عليه ان يدفع كل ذلك ؟ كان قلب الجمهورية بالعنف هو السبيل الوحيد الذي استطاع متملكو الثروة ان ينقلوا بواسطته اعباء الحرب التي شنوها بانفسهم ، على عاتق منتجي هذه الثروة . وهكذا ، فان دمار فرنسا الذي لم ير له مثيل من قبل ، حفز اولئك الوطنيين - ممثلي ملكية الارض والراسمال - تحت بصر المقتصب الاجنبي ورعايته السامية ، على ان يكللوا الحرب الخارجية بحرب اهلية ، بعضيان مالكي العبيد

بيد انه كانت تقف في طريق هذه المؤامرة عقبة واحدة كاداء هي باريس ان نزع سلاح باريس كان اول شروط النجاح . ولذلك طلب تيير من باريس ان تسلم سلاحها فقد تم تدبير كل شيء لكي تفقد باريس صبرها : اطلق ومجلس الملاكين العقارين صيحات مسعورة معادية للجمهورية ؛ وتكلم تيير نفسه بصورة مبهمة جداً حول حق الجمهورية في الوجود ؛ وكانت باريس عرضة للتهديد بقطع رأسها وبحرمانها من ان تظل عاصمة للبلاد ؛ وعيّن الاورليانيون سفراء ؛ ومرر دوفور قوانينه بشأن سندات الدين وبدلات الايجار المستحقة (١٠٣) وكانت قوانين تهدد بنسف تجارة باريس وصناعاتها من الاساس ؛ وبالعاج من بويه-كيرتيه ، فرضت ضريبة السنتمين على كل نسخة من اية مطبوعة كانت ؛ وحُكم على بلانكي وفلورانس بالموت ؛ وعظمت الصحف الجمهورية ؛ ونُقلت الجمعية الوطنية الى فرساي ؛ وجُددت حالة الحصار التي اعلنها باليكاو والتي كانت قد رفعتها حوادث ٤ ايلول (سبتمبر) ؛ وعين فينوا ، décebriseur (١٠٤) ، حاكماً على باريس ، وفالانتين ، الدركي البونابرتي ، مديراً

للشرطة واوريل دي بالادين ، الجنرال اليسوعي ، قائداً عاماً لحرس باريس الوطني
والآن علينا ان نوجه سؤالاً الى المسيو تيير واعضاء حكومة الدفاع الوطني العاملين تحت امرته من المعروف ان تيير قد عقد قرضاً قيمته ملياران بوساطة بويه - كيرتیه وزير ماليته
والآن هل صحيح ام لا :

(١) ان الامر دبر على نحو اوصل ، ومقابل الوساطة ،
عدة مئات الملايين الى جيب كل من تيير وجول فافر وارنست بيكار وبويه - كيرتیه وجول سيمون ؟
(٢) انهم تعهدوا بالتسديد بعد « تهدئة » باريس فقط
(١٠٥) ؟

وعلى اية حال كان هناك شيء يجعلهم مستعجلين جداً في البت بهذه القضية لأن تيير وجول فافر العا ، دون اي خجل ، وباسم اكثرية الاعضاء في جمعية بورديو ، على احتلال الجنود البروسيين الفوري لباريس . بيد ان هذا لم يكن جزءاً من حسابات بيسمارك ، كما قال هازنا وجهاراً لدن عودته الى المانيا ، امام التفاهين الضيقي الافق المندھشين في فرانكفورت

٢

كانت باريس المسلحة هي العائق الخطير الوحيد في طريق مؤامرة الثورة المضادة وكان لا بد لذلك من تجريد باريس من السلاح وبصدد هذه المسألة ، ابدى مجلس بورديو رأيه بكل صراحة وحتى لو لم تكن جلبة نواب ومجلس الملاكين العقارين المسعورة تقدم الدليل الواضح على ذلك ، فان قيام تيير بوضع باريس تحت امر الثالوث : فينوا décenbriseur ،

وفالاتين الدركي البونا برتي ، واورييل دي بالاديس الجنرال اليسوعي ، لم يبق موضعاً لادنى شك والمتآمرون ، الذين اعلنوا بوقاحة عن المعنى الحقيقي لتجريد باريس من السلاح ، طالبوها بالقاء السلاح متخذين لذلك ذريعة كانت كذبة في غاية الفظاظة والوقاحة قال تيير ان مدفعية الحرس الوطني في باريس هي ملك الدولة ولذلك ينبغي ان تعاد الى الدولة اما الوقائع فهي كما يلي : كانت باريس ساهرة منذ اليوم الاول لاتفاقية الاستسلام التي سلم اسرى بيسمارك وفق شروطها فرنسا له ، ولكنهم اشترطوا بان يحتفظوا لانفسهم بحرس خاص كبير العدد لقصد صريح هو اخضاع باريس . اعاد الحرس الوطني تنظيم نفسه واناط امر القيادة العليا بلجنة مركزية انتخبها افراد الحرس الوطني جميعاً ، ما عدا بعض بقايا التشكيلات البونا برتية القديمة وعشية دخول البروسيين الى باريس ، اتخذت اللجنة المركزية الاجراءات لنقل المدافع والمدافع الرشاشة التي تركها capitulards عن خيانة في الاحياء نفسها التي كان البروسيون سيحتلونها او التي هل مقربة منها ، الى مونمارتر وبيلفيل ولافيليت وكانت تلك المدفعية قد انشئت بالمبالغ التي جمعها الحرس الوطني ذاته واعترف بها رسمياً ملكاً خاصاً للحرس الوطني في اتفاقية الاستسلام في ٢٨ كانون الثاني (يناير) ، وبهذه الصفة لم تدرج في عداد اسلحة الدولة الواجب تسليمها الى المنتصر لم يكن لدى تيير ادنى ذريعة لبدء الحرب ضد باريس ، ولذلك اضطر الى اللجوء الى تلك الكذبة الفاضحة وهي ان مدفعية الحرس الوطني هي ملك للدولة !

والظاهر ان الاستيلاء على المدفعية كان مجرد اشارة الى تجريد باريس تجريداً عاماً من السلاح ، وبالتالي الى تجريد

ثورة ٤ ايلول (سبتمبر) من السلاح ايضا بيد ان هذه الثورة قد اصبحت الوضع القانوني لفرنسا فالجمهورية ، نتيجة هذه الثورة ، اعترف بها المنتصر في نص اتفاقية الاستسلام وبعد الاستسلام اعترفت بها جميع الدول الاجنبية ، وباسمها دعت الجمعية الوطنية الى الانعقاد . ان ثورة عمال باريس في ٤ ايلول كانت الاساس القانوني الوحيد للجمعية الوطنية في بوردو ولسلطتها التنفيذية . ولولا ثورة ٤ ايلول ، لترتب على هذه الجمعية الوطنية ان تتنازل فوراً عن مكانها للهيئة التشريعية التي تم انتخابها عام ١٨٦٩ بالاقتراع الشامل في ظل الحكم الفرنسي ، لا البروسي والتي حلتها الثورة بالعنف فيما بعد . ولكن على تيير وزمرته ان يستسلموا من اجل الحصول على صكوك امان موقعة من لويس بوناپرت تنقذهم من رحلة الى كايينا (١٠٦) . ان الجمعية الوطنية والتفويض الذي تحمله لعقد الصلح مع بروسيا لم تكن الا حادثاً من حوادث الثورة ، اما تجسيدها الحقيقي فكان ، على كل حال ، باريس المسلحة ، باريس التي حققت هذه الثورة والتي تحملت في سبيلها حصاراً دام خمسة اشهر مع ما رافقه من فظائع المجاعة ، باريس التي اتاحت بمقاومتها الطويلة ، رغم مشروع ترويض ، ان تقوم الاقاليم بحرب دفاعية عنيدة وكان على باريس هذه الآن إما ان تنزع سلاحها نزولاً على امر مهمين من مالكي العبيد المتمردين في بوردو وتقر بأن ثورة ٤ ايلول (سبتمبر) التي قامت بها ، لم تكن شيئاً سوى نقل بسيط للسلطة من لويس بوناپرت الى المدهين الآخرين بالعرش ، واما ان تناضل بنكران الذات لاجل قضية فرنسا التي لا يمكن انقاذها من الانحطاط التام وبعثها الى حياة جديدة الا عن طريق التحطيم الثوري لتلك الاوضاع السياسية والاجتماعية التي ادت الى الاجرطاورية

الثانية وبلغت تحت رعايتها ، منتهى العفونة ان باريس التي اذنتها المجاعة خلال خمسة اشهر لم تتردد لحظة واحدة لقد كانت مليئة عزمًا بطوليا على اجتياز جميع مخاطر النضال ضد المتآمرين الفرنسيين ، رغم المدافع البروسية التي كانت تهددها من قلاعها هي . غير ان اللجنة المركزية ، بدافع من مقتها للحرب الاهلية التي حاولوا فرضها على باريس ، ظلت تلتزم خطة دفاعية بحتة ، ضاربة عرض الحائط باستفزازات الجمعية الوطنية وتدخل السلطة التنفيذية عنوة واغتصابا وحشد الجيوش على نحو خطر في باريس وحولها .

وها هو تيير قد بدا الحرب الاهلية انه ارسل فينوا على رأس قوة كبيرة من الشرطة وعدة الفواج من الفواج الميدان في حملة لصوصية ليلية الى مونمارتر ليستولوا هناك على مدفعية الحرس الوطني بصورة مباغتة . ويعرف الجميع ان هذه المحاولة قد اُحبطت بفضل مقاومة الحرس الوطني وبفضل تاخي الجنود مع الشعب . كان لوريل دي بالادين قد طبع مسبقا بيان النصر كما اعد تيير الاعلانات التي تخبر عن الاجراءات التي اتخذها للقيام بـ *coup d'état* . اما الآن فكان لا بد من الاستعاضة عن هذه الاعلانات ببيان يعلن عزم تيير الكريم على ان يمنح الحرس الوطني سلاحه بالذات . وبهذا السلاح ، كما اعلن تيير ، سيلتف الحرس الوطني بلا ريب حول الحكومة من اجل النضال ضد المتمردين ومن اصل جنود الحرس الوطني ٣٠٠.٠٠٠ استجاب ٣٠٠ فقط لنداء تيير الصغير بالالتفاف حوله قصد الدفاع عنه ضد انفسهم ان ثورة العمال المجيدة في ١٨ آذار (مارس) حكمت باريس

لا ينازعها منازع . وكانت اللجنة المركزية هي حكومتها الموقته . وبدا ان اوروبا قد ساورها الشك ، لحظة من اللحظات ، في حقيقة وقوع الحوادث السياسية والحربية المدهشة الاخيرة التي جرت امام عيونها : اليس ذلك حلما من احلام الماضي السحيق .

منذ ١٨ آذار (مارس) وحتى دخول جنود فرساي الى باريس ظلت ثورة البروليتاريا خالية من اعمال العنف التي تتسم بها الثورات ولا سيما الثورات المضادة التي تقوم بها والطبقات العليا ، لدرجة ان اعداءها لم يستطيعوا ان يجدوا اية ذريعة لاستيائهم سوى اعدام الجنراليين ليكونت وكليمان توما ، والاصطدام في ميدان فندوم .

كان احد الضباط البونابرتيين الذين اشتركوا في الحملة الليلية ضد مونمارتر ، وهو الجنرال ليكونت ، قد اصدر اوامره اربع مرات الى فوج الميدان الحادي والثمانين باطلاق النار على جمع من الناس العزل في ميدان بيغال ؛ وعندما رفض الجنود تنفيذ اوامره ، اهانهم اهانة بذيئة . وبدلا من تسديد السلاح الى النساء والاطفال ، اعدمه جنوده بالرصاص ان العادات للراسخة التي تاصلت في الجنود في مدرسة اعداء الطبقة العاملة ، لا يمكنها ، طبعا ، ان تزول دون ان تترك اي اثر في ساعة انتقالهم الى جانب العمال كذلك اعدم الجنود انفسهم بالرصاص الجنرال كليمان توما

والجنرال « كليمان توما » نقيب عسكري سابق ساخط على وضعه في المجتمع ، وقد صار في السنوات الاخيرة من عهد ملكية لويس فيليب يخدم في مكتب تحرير الجريدة الجمهورية « National » ، (ناسيونال) (١٠٧) ، وكان يؤدي هناك دوراً مزدوجاً : دور المحرر المسؤول الاسمي (gérant responsable)

ودور المبارز الدائم لهذه الجريدة الشكسة للغاية وبعد ثورة شباط (فبراير) عمد رجال «National» ، وقد تسلموا السلطة ، الى تحويل هذا النقيب السابق جنرالاً . حدث ذلك عشية مذبحه حزيران (يونيو) ، وكان احد المتأمرين الاشرار ، وكان ، مثل جول فافر ، قد استشار هذه المذبحه ولعب فيها دور الجلاد الاشد قباحة ثم اختفى بعد ذلك ، هو ولقبه الجنرالي ، ردحا طويلا من الزمن حتى عاد الى الظهور من جديد في الاول من تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٧٠ قبل ذلك اليوم كانت حكومة الدفاح ، وقد اُسرّت في بناية البلدية ، قد قطعت عهداً موثقاً على نفسها ، امام بلانكي وفلورانس وغيرهما من ممثلي العمال بان تتخلي عن سلطتها المغتصبة وتضعها بين يدي كومونة (١٠٨) تقوم بارييس بانتخابها انتخاباً حراً . وبدلاً من ان تفي بعهدها استعادت على بارييس بريتانيي تروشو الذين حلوا الآن محل كورسيكيي بونابرت (١٠٩) بيد ان الجنرال تاميزيه وحده لم يشأ ان يلطخ نفسه بمثل هذا النكوث بالعهد ورفض ان يتولى منصب القائد العام للحرس الوطني . واصبح كليمان توما ، الذي حل محله ، جنرالاً للمرة الثانية . وطوال الفترة التي تولى فيها القيادة ، شن الحرب لا على البروسيين بل على الحرس الوطني في بارييس فقد قاوم بكل قواه تسليحه تسليحاً عاماً وحرش كتائب البرجوازيين على كتائب العمال وابعد الضباط الذين لا يؤيدون «مشروع» تروشو وسرح الكتائب البروليتارية متهماً اياها بتهمة «لجبن» ، وهي الكتائب البروليتارية نفسها التي تشير الآن ببطولتها دهشة الدّ أعدائها وتباهى كليمان توما شديد التباهي بانه تسنى له من جديد ان يشبت عداوته الشخصية حيال بروليتاريا بارييس ، تلك العداوة التي تجلت بقوة خارقة في مذبحه

حزيران (يوليو) سنة ١٨٤٨ وقبل ١٨ آذار (مارس) بايام قليلة ، عرض على ليفلو وزير الحربية ، خطة من وضعه وللجهاز على *la fine fleur* (الصفوة) من *canaille* • باريس بصورة تامة نهائية . وبعد هزيمة فينوا ، لم يتماسك من الظهور على المسرح بصفة جاسوس هاو ان اللجنة المركزية وعمال باريس كانوا مسؤولين عن مصرع كليمان توما وليكونت بقدر ما كانت اميرة ويلز مسؤولة من هلاك الناس الذين ديسوا حتى الموت يوم دخولها الى لندن .

اما مذبحة المواطنين العزل في ميدان فندوم فهي خرافة ليس بالصدفة ان لازم عنها تيير و«مجلس الملاكين العقارين» الصمت المطبق ، واوكلوا امر اذاعتها الى خدم الصحافة الاوروبية . لقد ارتجف «رجال النظام» ، رجعيو باريس ، فرقا من ببا النصر الذي احرز في ١٨ آذار (مارس) . فقد كان بالنسبة لهم دنو ساعة انتقام الشعب . وانتصبت امام انظارهم شباح الضحايا التي اغتالتها ايديهم من ايام حزيران (يوليو) سنة ١٨٤٨ حتى ٢٢ كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٧١ (١١٠) غير ان فرقهم كان عقابهم الوحيد . فرجال الشرطة بدلا من ان ينزع سلاحهم ويقبض عليهم ، كما كان ينبغي ان يفعل ، فتحت امامهم ابواب باريس على مصارعها لينسحبوا منها بسلامة الى فرساي . ولم يترك رجال النظام» وشأنهم فحسب ، بل اتاحت لهم امكانية الاتحاد والاستيلاء بلا عائق على الكثير من المواقع القوية في قلب باريس بالذات هذا التساهل الذي ابدته اللجنة المركزية وهذه السماح التسي اظهرها العمال المسلحون ، وهما صفتان غريبتان تماما عن طباع

حزب النظام ، اعتبرهما هذا الاخير من دواعي ادراك العمال لضعفهم . ولهذا السبب نشأت لدى حزب النظام خطة حمقاء - محاولة التوصل الى ما عجز فينوا عن التوصل اليه بمدافعه والمدافع الرشاشة ، وذلك تحت قناع مظاهرة غير مسلحة ، كما زعموا . ففي ٢٢ آذار (مارس) ظهر جمع صاخب من «السادة المتائقين» من اغني احياء المدينة ، وفي صفوفه *petits crevés* على انواعهم وعلى رأسهم ارباء الامبراطورية المعروفون جيداً امثال هككرين وكوتلوفون وهنري دي بين . وتحت ستار الادعاء الجبان باعتزام القيام بمظاهرة سلمية ، سار هؤلاء الاوباش ، الذين كانوا مسلحين سراً بأسلحة الاشقياء ، وشرعوا يهينون دوريات الحرس الوطني وخفرائه ممن صادفهم اثناء تقدمهم ويجردونهم من السلاح . ولدى نزولهم من شارع دي لايبه وهم يصرخون : ولتسقط اللجنة المركزية ! ليسقط القتلة ! عاشت الجمعية الوطنية ! ، حاولوا ان يخترقوا خط المخافس وان يستولوا بصورة مباغتة على مقر قيادة الحرس الوطني في ميدان فندوم . وجواباً على طلقات مسدساتهم صدرت اليهم *sommations* المعتادة (معادل فرنسي للقانون الانجليزي بصدد المخالفات) (١١١) ، وعندما ثبت عدم جدواها ، اصدر جنرال الحرس الوطني * الامر باطلاق النار . وما ان انطلق وابل واحد من النيران حتى تبعثر هذا الجمع من المافونيين وولوا الادبار لا يلوون على شيء وهم الذين تصوروا ان يكون لمجرد ظهور «المقامات الموقرة» من الانر على ثورة باريس مثلما كان لابواق يشوع بن نون على اسوار

* - فتادة التناهر

•• برجيرييه . التناهر .

اربعاً . وقد قتل السادة الذين ولوا الادبار اثنين من جنود الحرس الوطني واصابوا تسعة منهم بجراح بليغة . (وبينهم احد اعضاء اللجنة المركزية) ، وكان المكان الذي اجترحوا فيه مآثرهم هذه مغطى كله بالمسدسات والخناجر والعصي ذات النصال وغير ذلك من المضبوطات التي تدل على الطابع « غير المسلح » لمظاهرتهم « السلمية » . وعندما قام الحرس الوطني في ١٢ حزيران (يونيو) سنة ١٨٤٩ بمظاهرة سلمية حقاً ، احتجاجاً على الهجوم اللصوصي الذي شنه الجنود الفرنسيون على روما ، رحبت الجمعية الوطنية وتيرير بوجه خاص ، بشانفارييه الذي كان جنرالاً لحزب النظام آنئذ ، بوصفه منقداً للوطن لانه دفع جنوده الى الانقضاخ من جميع الجهات ، على الجمهور غير المسلح ، يرمونه بالرصاص ويضربونه بالسيوف ويطلقونه بحوافر خيولهم . وحينذاك فُرضت على باريس حالة الحصار . واستعجل دوفور سن قوانين جائرة جديدة في الجمعية الوطنية ؛ وبدأت سلسلة جديدة من حملات الاعتقال والنفي ، بدأ عهد جديد من الارهاب . ولكن « الطبقات الدنيا » تدبر الامور في مثل هذه الحالات على نحو مختلف . لقد تجاهلت اللجنة المركزية لسنة ١٨٧١ ابطال « المظاهرة السلمية » حتى انهم استطاعوا ، بعد يومين اثنين ، ان ينظموا ، تحت امرة الاميرال سيمسي ، مظاهرة مسلحة انتهت بالفرار المدعور الشهير الى فرساي ان اللجنة المركزية قد ارتكبت آنذاك خطأ مشؤوماً بما ابدته من عناد في عدم رغبتها في مواصلة الحرب الاهلية التي بدأها تيرير بالحملة اللصوصية ضد مونمارتر . كان يجب الزحف فوراً على فرساي التي لم تكن

تملك اذ ذاك وسائل للدفاع - والقضاء نهائيا على مؤامرات تيير «ومجلسه المؤلف من الملاكين العقاريين» . وبدلا من ذلك ، سُمح لحزب النظام مرة اخرى بان يختبر قوته في ٢٦ آذار (مارس) ، يوم انتخاب الكومونة . ففي ذلك اليوم تبادل رجال النظام في دور بلديات دوائر باريس كلمات المصالحة مع المنتصرين عليهم ذوي الشهامة الفائقة ، بينما كانوا يقسمون في الكتمان على ان ينتقموا في الوقت المناسب انتقاما دمويا من المنتصرين .

لنلق الان نظرة الى الوجه الخلفي من الوسام قام تيير بحملة ثانية ضد باريس في اوائل نيسان (ابريل) اللغيف الاول من الاسرى الباريسيين الذين جلبوا الى فرساي تعرض لمعاملة فظيعة مريعة كان ارنست بيكار يتمشى هنا وهناك بين صفوفهم ، ويداه في جيبي سرواله ، مستهزئا بهم ؛ اما مدام تيير ومدام فافر فكانتا ، وسط حاشية الشرف (٩) النسائية ، تصفقان من الشرفة للاعمال المنكرة التي يقترفها رعايا فرساي وجنود افواج الميدان الذين وقعوا في الاسر قتلوهم رميا بالرصاص بلا شفقة . وصديقنا الشجاع الجنرال دوفال ، سباك الحديد ، قتل رميا بالرصاص دون محاكمة . وغاليفه ، «قواد» زوجته التي نالت شهرة واسعة لعرض جسمها بصورة ماجنة عديمة الحياء في حفلات التهلكة زمن الامبراطورية الثانية ، تبجح في منشور اصدره باله امر بقتل شرذمة صغيرة من جنود الحرس الوطني مع رئيسها وملازمها ، كان جنوده القناصة قد باغتوها على حين غرة وجردوها من سلاحها . وفينوا ، الذي فر من باريس ، منحه تيير الصليب الكبير من وسام جوقة الشرف لانه اصدر امرا عاما بان يقتل رميا بالرصاص كل جندي من جنود الميدان يضطط هو في

صفوف الكومونيين كما انعم على الدركي ديماره بوسام لانه قام غدراً ، وكما يفعل الجزائريون ، بتقطيع جسد فلورانس ، ذلك الفارس الهام الذي انقذ رؤوس اعضاء حكومة الدفاع الوطني (١١٢) في ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٨٧٠ . وقد اسهب تيير في التحدث ببهجة صريحة في احدى جلسات الجمعية الوطنية عن «التفصيلات المشجعة» لهذا القتل . وبخيلاء منفوخة يتم بها الصبي البنصر البرلماني الذي يسمح له بان يؤدي دور تيمورلنك ، انكر على الناس الثائرين على عظمتهم القومية ، حق الطرف المحارب ولم يرغب حتى في مراعاة الحياد بالنسبة لمراكزهم للاسعاف . ولم يكن هناك ما هو اشنع من ذلك القرد الذي منح ، لوقت ما ، السلطة لترضية غرائزه ، غرائز النمر ، النمر-القرد الذي رسم فولتير . صورته (انظر الملحقين ، ص ٥٣٥)

وبعد المرسوم الذي اصدرته الكومونة في ٧ نيسان (ابريل) وامرت فيه بالاجراءات الانتقامية واعلنت فيه ان من واجبها «ان تحمي باريس من اعمال اكلة لحوم البشر من قطاع الطرق في فرساي وان تجازي العين بالعين والسن بالسن» (١١٣) ، لم يتنازل تيير عن شيء في معاملته الهمجية للاسرى ؛ بل ظل يسخر منهم ويكتب في نشراته كما يلي : «لم يسبق قط ان رأت عيون الناس الشرفاء الحزينة ممثلين للديموقراطية المشؤومة اكثر شؤماً» ، - عيون الناس الشرفاء من امثال تيير ورجال عصبته ممن يلعبون دور الوزراء ومع هذا فان قتل الاسرى رمياً بالرصاص قد توقف لفترة من الزمن ولكن ما كاد تيير وجنرالاه - ابطال انقلاب

* فولتير ، كانديد ، الفصل ٢٢ التافه

** راجع هذا المجلد ، ص ٢٢٨ . التافه .

ديسمبر - يعلمون بان مرسوم الكومونة باتخاذ الاجراءات الانتقامية لم يكن سوى تهديد بسيط ، بل ان جواسيس الدرك الذين قبض عليهم في باريس متنكرين بملابس الحرس الوطني وحق رجال الشرطة الذين القي عليهم القبض وفي حوزتهم قذائف محرقة قد تركوا وشأنهم - ما كادوا يعلمون بذلك حتى استأنفوا قتل الاسرى بالجملة رميا بالرصاص وواصلوه دون انقطاع الى النهاية . والبيوت التي اختبأ فيها رجال الحرس الوطني قام الدركيون بتطويقها وصبوا عليها الكيروسين (واستعمل هنا الكيروسين للمرة الاولى في هذه الحرب) ثم اشعلوا فيها النيران ؛ فيما بعد قام مستشفى الميدان التابع لرجال الصحافة باخراج الجثث المتفحمة في حي تيرن اربعة من رجال الحرس الوطني الذين استسلموا الى فرزمة من الفرسان القناصة عند بيل - ابين في ٢٥ نيسان (ابريل) قتلوا رميا بالرصاص ، الواحد تلو الاخر ، من قبل رئيس هؤلاء القناصة ، وهو من خدم غاليفه الافاضل وقد تمكن احد هؤلاء الجنود من الحرس الوطني ، شيفير ، وكانوا قد تركوه ظنا بانه قد مات ، من ان يوحف بصعوبة هائدا الى المغافر الباريسية الامامية وقرر هذا الواقع امام لجنة من لجان الكومونة . وعندما استجوب تولين بشأن تقرير هذه اللجنة ، ليفلو وزير الحرية ، اغرق نواب ومجلس الملاكين العقاريين ، صوته بالصياح ومنعوا ليفلو من الجواب انه لمن الاهانة لجيتهم والمجيد ، التحدث عن افعاله المجيدة فان اللهجة المتعالية التي اعلنت بها لغرات تير قتل الكوموليين الذين بوغتوا ، وهم نيام ، في مولان-ساكه ، طعنا بالحراش ، والقتل الجماعي رميا بالرصاص في كلامار قد صدمت اعصاب حتى جريدة « Times » (والتايمس) اللندنية (١١٤) التي لا تتسم

عادة بحساسية كبيرة ولكن من العبث ان يحاول المرء ان يعد الآن جميع الفظائع - ولم تكن هذه سوى البداية - التي اقترفها اولئك الذين قصفوا باريس بالمدافع ، فظائع مشري عصيان مالكي العبيد الذين كان يحميهم الفاتح الاجنبي وفي غمار هذه الاحوال جميعاً كان تيير ، وقد نسي جملة البرلمانية حول المسؤولية الهائلة الملقاة على كتفي هذا القزم ، يتبجح في نشراته بان l'Assemblée siège paisiblement (الجمعية تعقد جلساتها بسلام) ويثبت بحفلات الغداء المستمرة التي كان يقيمها تارة مع جنرالاته ، ابطال انقلاب كانون الاول (ديسمبر) ، وطوراً مع الامراء الالمان ، ان عملية الهضم عنده لم تضطرب حق من ضبحي ليكونت وكليمان توما .

٣

في صباح ١٨ آذار (مارس) عام ١٨٧١ ، صحت باريس على صيحة كقصف الرعد : « Vive la Commune! » . فما هي الكومونة ، ابو الهول ذاك الذي طرح هذا اللغز الصعب على العقول البرجوازية ؟

كتبت اللجنة المركزية في بيانها من ١٨ آذار (مارس) ما يلي :
« ان برويتاريي باريس ادركوا ، اذ راوا اخفاقات الطبقات السائدة وغيائتها ، انه قد اذفت الساعة التي يترتب عليهم فيها ان ينقلدوا الوضع بان ياخلدوا بايديهم ادارة الشؤون العامة ... لقد ادركوا ان هذا الواجب الامر ملقى على عاتقهم وان من حقهم الاكيد ان يجعلوا انفسهم سادة لمصائيرهم الخاصة وياخذوا السلطة الحكومية في ايديهم » .

بيد ان الطبقة العاملة ليس في وسعها ان تضع يدها ببساطة على الاداة الحكومية الجاهزة وان تسييرها لمقاصدها الخاصة

ان سلطة الدولة المتمركزة مع اجهزتها المنتشرة في كل مكان والقائمة على مبدأ تقسيم العمل تقسيما منتظما ومراتبيا - مع الجيش الدائم والشرطة والبيروقراطية ورجال الدين والهيئة القضائية - ترجع في الاصل الى ايام الملكية المطلقة حينما كانت بالنسبة للمجتمع البرجوازي النافى بمثابة سلاح قوي يستخدمه في كفاحه ضد الاقطاعية ومع هذا فان تطورها ظلت تقف في طريقه جميع اشكال نفايات القرون الوسطى من حقوق اسياذ الاراضي والنبلاء المطلقة والامتيازات المحلية واحتكارات البلديات وطوائف الحرفيين والقوانين الاقليمية . وقد عمدت الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر وكنست بمكنستها الهائلة جميع هذه النفايات البالية المتخلفة عن العصور الخالية وازالت بذلك عن التربة الاجتماعية العراقيل الاخيرة التي كانت تحول دون البناء الفوقي الذي هو صرح الدولة الحديثة وقد شيد هذا الصرح في عهد الامبراطورية الاولى التي كانت هي ذاتها ثمرة حروب الانتلاف التي شنتها اوروبا القديمة شبه الاقطاعية ضد فرنسا الحديثة . وخلال قيام النظم التالية كانت الحكومة خاضعة للاشراف البرلماني - اي لاشراف الطبقات المالكة المباشر . فمن جهة تحولت الحكومة الى منبت لديون الدولة التي لا حد لها والضرائب الباهظة ، واصبحت مشار الاختلاف بين الكتل المتنافسة ومغامري الطبقات السائدة الذين كانت تجذبهم اليها بصورة لا مرد لها ، مداخلها ومناصبها النافذة والرابعة ؛ ومن جهة اخرى تغير طابعها السياسي بتاثير التفخيرات الاقتصادية في المجتمع . وبقدر ما كان تقدم

الصناعة الحديثة يطور ويوسع ويمحق التناقض الطبقي بين الرأسمال والعمل ، كانت سلطة الدولة تتخذ أكثر فأكثر طابع سلطة الرأسمال القومية على العمل ، طابع قوة اجتماعية نظمت من أجل الاستعداد الاجتماعي ، طابع أداة للسيطرة الطبقيّة . وبعد كل ثورة تؤذن بخطوة معينة إلى أمام في النضال الطبقي ، يتجلى طابع الاضطهاد المحض لسلطة الدولة على نحو أوضح ان ثورة ١٨٣٠ قد نزعته السلطة من ملاكي الاراضي ونقلتها إلى الرأسماليين ، أي أنها نقلتها من أيدي أعداء الطبقة العاملة اللاحقين إلى أعدائها الأقربين . وقد استولى الجمهوريون البرجوازيون على سلطة الدولة باسم ثورة شباط (فبراير) وسخروها للقيام بمذبحة حزيران (يونيو) ؛ ولقد برهنوا بهذه المذبحة للطبقة العاملة ، على أن الجمهورية «الاجتماعية» لا تعني غير الجمهورية التي تؤمن استعبادها اجتماعياً ، كما برهنوا لسواد البرجوازية الملكي النزعة ولطبقة مالكي الاراضي على أنهم يستطيعان أن يتركوا إلى «الجمهوريين» البرجوازيين دون أية خشية ، هموم الإدارة ومنافعها المالية غير أن الجمهوريين البرجوازيين قد اضطروا ، بعد ما نزلتهم الوحيدة التي اجترحوها في حزيران (يونيو) إلى أن يتقهقروا من مقدمة حزب النظام إلى مؤخرته - وهو حزب انتلافي مؤلف من جميع كتل واحزاب الطبقة المالكة المتخاضعة التي تقف الآن في تناقض صريح مع الطبقات المنتجة . والشكل الأنسب لإدارتها المشتركة جاءت الجمهورية البرلمانية ولويس بوناپرت رئيساً لها ؛ كان هذا نظام الارهاب الطبقي السافر والاهانة المتعمدة وللرهاب الاندال . كانت الجمهورية البرلمانية ، كما قال تيير ، ذاك الشكل من الحكم الذي «فرق مختلف كتل الطبقة السائدة أقل من غيره» ، إلا أنه فتح هوة بين هذه الطبقة القليلة العدد

وبين الهيئة الاجتماعية بأسرها القائمة خارجها . لقد كانت النزاعات داخل هذه الطبقة تفرض ، في عهود الانظمة السابقة ، قيوداً معينة على سلطة الدولة ؛ اما الآن فقد ازيلت هذه القيود بفضل اتحاد هذه الطبقة . وبالنظر لتهديد انتفاضة البروليتاريا اخذت الطبقة السائدة المتحدة تستخدم سلطة الدولة بوقاحة وبلا رافة ، كالة قومية لحرب الراسمال ضد العمل . بيد ان حملتها الصليبية غير المنقطعة ضد سواد المنتجين قد اجبرتها من جهة على ان تمنح السلطة التنفيذية حقوقاً متزايدة لقمع المقاومة ، واجبرتها من جهة اخرى على ان تنزع تدريجياً من معقلها للبرلماني - الجمعية الوطنية - جميع وسائله للدفاع ضد السلطة التنفيذية ؛ ولويس بوناپورت الذي كان يمثل هذه السلطة التنفيذية قد فرق ممثلي الطبقة السائدة . وكانت الامبراطورية الثانية النتيجة الطبيعية لجمهورية حزب النظام .

لقد صرحت الامبراطورية التي كان *coup d'état* شهادة لميلادها ، والاقتراح الشامل مصادقة على قيامها ، والسيف صولجاناً لها ، بانها تستند الى الفلاحين ، وهم كتلة كبيرة من المنتجين ممن لم يشتركوا بصورة مباشرة في الصراع بين الراسمال والعمل . لقد ادعت الامبراطورية بانها منقذة الطبقة العاملة بحجة انها هدمت البرلمانية وهدمت معها انقياد الحكومة السافر للطبقات المالكة ، وادعت بانها منقذة الطبقات المالكة بحجة انها دعت سيطرتها الاقتصادية على الطبقة العاملة . ولقد ادعت اخيراً بانها وحدت جميع الطبقات حول فصح للمجد القومي اعادته الى الحياة ثانية . اما في الحقيقة ، فقد كانت الامبراطورية الشكل

الوحيد الممكن للحكم في وقت فقدت فيه البرجوازية المقدرة على حكم الامة ، ولم تكتسب الطبقة العاملة فيه بعد هذه المقدرة وقد هزل العالم بأسره للامبراطورية باعتبارها منقذة المجتمع وفي ظل حكمها بلغ المجتمع البرجوازي ، وقد تحرر من الهموم السياسية ، درجة عالية من التطور لم يكن في وسعه حتى ان يعلم بها . وراجت الصناعة والتجارة بمقاييس غير متناهية ؛ واحيت مضاربة البورصة حفلات التتهتك الكوسموبوليتية ؛ وبرز بؤس الجماهير يروزاً صارخاً بجانب اللعنان الوقح من الترف الباذخ المكتسب عن طريق الغش والجريمة بينا سلطة الدولة ، التي تبدو كأنها تخلق عالياً فوق المجتمع ، كانت ، في الواقع ، افطع فضائح ذلك المجتمع ومنبت مختلف المفاصد . ان حراب بروسيا التي كانت تتوق الى نقل مركز نظام الادارة هذا من باريس الى برلين ، قد كشفت عن جميع عفونة سلطة الدولة هذه كما كشفت في الوقت نفسه عن عفونة المجتمع الذي انقذته ان النظام الامبراطوري هو اعهز شكل وآخره لسلطة الدولة التي بدأ المجتمع البرجوازي الناشئ في انشائها بوصفها اداة لتحريره من الاقطاعية ، والتي حولها المجتمع البرجوازي في نهاية المطاف ، بعد ان تطور كامل التطور ، الى اداة لاستعباد العمل من قبل الرأسمال والنقيض المباشر للامبراطورية كان الكومونة ان شعار والجمهورية الاجتماعية الذي هزلت به بروليتاريا باريس لثورة شباط (فبراير) ، لم يكن الا تعبيراً عن طموح غامض الى جمهورية ينبغي لها ان تزيل لا الشكل الملكي للسيطرة الطبقية فحسب بل السيطرة الطبقية ذاتها وجاءت الكومونة الشكل المعني بالذات لتلك الجمهورية .

ان باريس التي كانت مقر ومركز السلطة الحكومية القديمة والتي كانت في الوقت نفسه السند الاجتماعي للطبقة العاملة الفرنسية قد تمردت وحملت السلاح في وجه المحاولة التي قام بها تيير وومجلسه المؤلف من الملاكين العقاريين « لاعادة وتخليد تلك السلطة الحكومية القديمة التي اورثتها الامبراطورية ولم تستطع باريس ان تقاوم الا لأنها قد تخلصت من الجيش نتيجة للحصار واستعاضت عنه بالحرس الوطني الذي كانت اكثريته الغالبة مؤلفة من العمال وكان ينبغي تحويل هذا الواقع الى نظام مقرر ، ولذلك كان اول مرسوم اصدرته الكومونة يقضي بالغاء الجيش الدائم والاستعاضة عنه بالشعب المسلح

لقد تشكلت الكومونة من اعضاء المجالس البلدية الذين اختيروا بالاقتراع الشامل في مختلف دوائر باريس . كانوا مسؤولين وكان يمكن الغاء التفويض الممنوح لهم في اي وقت كان . وكانت اكثريتهم ، بطبيعة الحال ، من العمال او من ممثلي الطبقة العاملة المعترف بهم . وكان يراد بالكومونة ان تكون لا هيئة برلمانية ، بل هيئة عاملة تتمتع بالسلطتين التشريعية والتنفيذية في الوقت عينه . والشرطة التي كانت قبل ذلك الحين اداة في يد الحكومة المركزية جُرُدت في الحال من جميع وظائفها السياسية وحولت الى هيئة للكومونة مسؤولة يمكن تبديلها في اي وقت كان . وعلى هذا النحو كان موظفو سائر فروع الادارة باسرها ومن فوق الى اسفل ، ابتداء من اعضاء الكومونة ، كان يتعين اداء الخدمة العامة لقاء اجرة تساوي اجرة العامل وقد اختفت جميع الامتيازات والعلاوات التي كان يتقاضاها كبار موظفي الدولة مع اختفاء هؤلاء الموظفين . وكفت الوظائف العامة من ان تكون ملكا خاصا للموظفين الذين تعينهم الحكومة المركزية . وانتقلت

الى ايدي الكومونة لا الادارة البلدية فحسب بل ايضا كامل المبادرة التي كانت تمارسها الدولة حق ذلك الحين . وبعد ان ازال الكومونة الجيش الدائم والشرطة ، وهما اداتا الحكم المادي في يد الحكومة القديمة ، اخذت في الحال تكسر اداة الاستعباد الروحي ، «قوة الكهنة» ، وذلك بفصل الكنيسة من الدولة ومصادرة جميع الكنائس لكونها هيئات تملك الاموال وتعين على رجال الدين ان يعودوا الى حياة متواضعة كافراد بسطاء يعيشون مثل اسلافهم الرسل ، على صدقات المؤمنين وصارت جميع المؤسسات التعليمية مجانية بالنسبة للشعب ووضعت خارج تأثير الكنيسة والدولة وهكذا لم يعد التعليم المدرسي في متناول الجميع فحسب بل ان العلم نفسه تحرر كذلك من القيود التي فرضتها عليه الاوهام الطبقية والسلطة الحكومية .

وفقد الموظفون القضائيون استقلالهم الصوري الذي لم يكن سوى قناع يخفي تملقهم الدليل لجميع الحكومات المتعاقبة التي كانوا يؤدون لها على التوالي يمين الولاء ثم ينكثون به . وكان من المترتب عليهم ، شأنهم شأن سائر موظفي المجتمع ، ان يُنتخبوا في المستقبل بصورة مكشوفة وان يكونوا مسؤولين وعرضة للخلع .

وكان لكومونة باريس ان تغدو ، بلا شك ، نموذجا لجميع المراكز الصناعية الكبرى في فرنسا ولو استقر نظام الكومونة في باريس والمراكز الثانوية ، لتنازلت الحكومة المتمركزة القديمة من مكانها لادارة المنتجين الذاتية في الاقاليم ايضا . وقد دون بوضوح في موجز التنظيم القومي الذي لم يتوفر للكومونة الوقت لوضعه بتفصيل اكبر ، ان الكومونة يجب ان

تصير الشكل السياسي حتى لاصغر قرية ، وان الجيش الدائم يجب الاستعاضة عنه في الدوائر الريفية ايضاً بميليشيا شعبية تكون مدة الخدمة فيها قصيرة للغاية . وكان على جمعية المفوضين المجتمعين في حاضرة الدائرة ان تدير الشؤون العامة لجميع الكومونات الريفية في كل دائرة ، وكان على جمعيات الدوائر هذه ان ترسل بدورها مفوضيها الى الجمعية الوطنية التي تنعقد في باريس ؛ وكان على المفوضين ان يتقيدوا بدقة بـ *mandat imperatif* (التفويض الالزامي) منتخبهم وان يكونوا عرضة للخلع في اي وقت والوظائف القليلة، ولكنها الهامة جداً ، التي كانت ستظل في يد الحكومة المركزية لم تكن لتلغى ، - ومثل هذا الزعم كان تزويراً عن عمد - بل كان يجب نقلها الى موظفي الكومونة ، اي الى موظفين ذوي مسؤولية محددة تحديداً دقيقاً ووحدة الامة لم تكن لتفهم بل بالعكس كانت ستنظم عن طريق البناء الكوموني وكان لوحدة الامة ان تصبح حقيقة بتدمير سلطة الدولة التي كانت تدعي بانها تجسيد لتلك الوحدة ، ولكنها كانت ترغب في ان تكون مستقلة عن الامة ، مستعينة عليها اما في الواقع فلم تكن سلطة الدولة هذه الا بمثابة الزائدة الطفيلية على جسم الامة . وكانت المهمة هي بتر اجهزة الاضطهاد البحتة التابعة للسلطة الحكومية القديمة ، وانتزاع الوظائف المشروعة من سلطة تطمع بان تكون فوق المجتمع وتسليمها الى خدام المجتمع المسؤولين . وبدلاً من البت مرة كل ثلاث سنوات او ست اي عضو من الطبقة السائدة يجب ان يمثل ويقمع الشعب في البرلمان ، كان يجب على حق الانتخاب العام ، بدلاً من ذلك ، ان يخدم الشعب المنظم في الكومونات ، قصد البحث لمؤسسته عن عمال ومراقبين ومحاسبين ، كما يخدم

حق الانتخاب الفردي لهذا الغرض ايا كان من ارباب العمل .
 فمعروف ان المؤسسات ، شأنها شأن الافراد تماما ، تعرف
 عادة كيف تضيع ، في نشاطها العملي ، الشخص المناسب في المكان
 المناسب ، واذا ارتكبت خطأ مرة من المرات فهي تعرف كيف
 تصلح خطأها توأ . ومن ناحية اخرى كانت الكومونة ، بلا شك ،
 في جوهرها ذاته ، مناوئة للاستعاضة عن الاقتراح الشامل بالتحسين
 المراتبي (١١٥) .

ان نصيب الابداع التاريخي الجديد بوجه عام ، انه يُعتبر
 صنواً لاشكال قديمة او حتى اشكال بائدة في الحياة الاجتماعية
 تشبهها مؤسسات جديدة بعض الشبه . وهكذا فان هذه الكومونة
 الجديدة التي تحطم سلطة الدولة الحديثة أُعتبرت بمثابة بعث
 لكومونات العصور الوسطى التي سبقت نشوء سلطة الدولة تلك
 وكونت اساساً لها . - وأُعتبر البناء الكوموني عن خطأ محاولة
 للاستعاضة باتحاد الدول الصغيرة الذي حلم به مونتسكيو
 والجيرونديون (١١٦) ، عن تلك الوحدة التي اصبحت الآن عاملاً
 قوياً في الانتاج الاجتماعي . - عند الامم الكبرى - رغم انها قامت
 في البدء عن طريق العنف السياسي . - والتناحر بين الكومونة
 وسلطة الدولة أُعتبر من خطأ شكلاً مضخماً للكفاح القديم ضد
 الافراط في التمرکز . وكان في مستطاع الظروف التاريخية الخاصة
 ان تحول دون التطور الكلاسيكي للشكل البرجوازي للحكم ،
 كما كان الحال في فرنسا ، وان تؤدي ، كما في انجلترا مثلاً ،
 الى اكمال هيئات الدولة المركزية الرئيسية بمجالس كنسية
 ماجورة وباعضاء جشعين من المجالس البلدية وبمهيمنين ضوار
 على الفقراء في المدن وبقضاة صلح ورايين في واقع الامر في
 الكونتيات . ان البناء الكوموني كان سيعيد الى الجسم الاجتماعي

جميع القوى التي ابتلعتها حق ذلك الحين الزائدة الطفيلية ،
 والدولة ، التي تقتات على حساب المجتمع وتعميق تقدمه الحر .
 وهذا وحده كان يكفي لأن يتقدم بحث فرنسا . - ان برجوازية
 مدن الملحقات رأت في الكومونة محاولة لاعادة السيطرة على الريف
 التي كانت تتمتع بها في عهد لويس فيليب ، والتي حلت محلها
 في عهد لويس نابليون سيطرة الريف الموهومة على المدن
 والواقع ان البناء الكوموني كان سيضع المنتجين الريفيين تحت
 القيادة الروحية لحواضر كل منطقة ويؤمن لهم هناك ، في شخص
 عمال المدن ، الممثلين الطبيعيين لمصالحهم . - ان وجود الكومونة
 انطوى في حد ذاته ، وكشيء بديهي ، على الادارة الذاتية
 المحلية ، ولكنها لم تبق ثقلا معاكسا لسلطة الدولة التي صارت
 الآن زائدة . ولم يكن يخطر الا ببال شخص كبيسمارك الذي
 يكرس وقته كله ، عندما لا يكون مشغولا بمكائد في مركز
 صدارتها دائما الدم والحديد ، لنشاطه الطويل القديم الذي يلائم
 كل الملاءمة مؤهلاته العقلية ، في مجلة «Kladderadatsch»
 (مجلة «Punch» ، البرلينية) (١١٧) ، لم يكن يخطر الا ببال
 انسان كهذا ان يعزو الى كومونة باريس الطموح الى تنظيم
 البلديات البروسي - الصورة الكاريكاتورية من تنظيم البلديات
 الفرنسي لسنة ١٧٩١ - الذي يحط من شان البلديات الذاتية
 ويجعلها مجرد مجلات ثانوية في جهاز الدولة البروسية البوليسي .
 لقد جعلت الكومونة من ذلك الشعار الذي نادى به جميع
 الثورات البرجوازية - الحكومة القليلة النفقات - حقيقة ، وذلك
 بالغاء اكبر بابين من ابواب النفقات : الجيش الدائم وسلك
 الموظفين . ووجود الكومونة في حد ذاته كان انكارا للملكية التي
 هي ، في اوروبا على الاقل ، الصابورة العادية والقناع الذي

لا يستغنى عنه للسيطرة الطبقية . لقد امدت الكومونة الجمهورية باساس للمؤسسات الديمقراطية حقاً ولكن لا الحكومة القليلة النفقات ولا «الجمهورية الحقيقية» كانتا هدفها النهائي ، لقد كانتا مجرد مرافقتين لها

ان تعدد الشروح التي استتبعتها الكومونة وتعدد المصالح التي وجدت فيها تعبيراً عنها يشبتان انها كانت شكلاً سياسياً مرناً تماماً ، بينما كانت جميع الاشكال السابقة للحكومة اشكال الاضطهاد من حيث جوهرها وكان سرها الحقيقي هو هذا كانت ، من حيث الجوهر ، حكومة الطبقة العاملة ، كانت نتاج كفاح طبقة المنتجين ضد طبقة المستملكين ؛ كانت الشكل السياسي الذي اكتشف اخيراً والذي كان يمكن ان يتم في ظله انجاز التحرير الاقتصادي للعمل .

ولولا هذا الشرط الاخير لكان البناء الكوموني مستحيلاً ولكان غشاً ان حكم المنتجين السياسي لا يمكن ان يقوم جنباً الى جنب مع تخليد عبوديتهم الاجتماعية ولذلك كان لا بد ان تقوم الكومونة بدور اداة لتحطيم الدعائم الاقتصادية التي يعتمد عليها وجود الطبقات ذاته وبالتالي السيطرة الطبقية . ومع تحرير العمل سيفقد الجميع عمالاً وسيكف العمل المنتج عن ان يكون خاصة طبقة معينة

شيء غريب على الرغم من كل الكلام وكل المؤلفات خلال السنوات الستين الاخيرة حول تحرير العمل ، لا يكاد العمال ياخذون هذه القضية بايديهم بعزم ، في مكان ما ، حتى تتعالى ضدهم على الفور تحايير المدافعين عن المجتمع الراهن مع قطبيه المتناقضين الرأسمال وعبودية العمل المأجور (مالكو الاراضي ما هم الآن الا الشركاء الخرس للرأسماليين) . كان المجتمع

الرأسمالي ما يزال في انقى حالات الطهارة والعذرة ! وكان تناقضاته لما تتطور ، واوهامه لما تتكشف ، وحقائقه العاهرة لما تفضح ! انهم يقولون : الكومونة تعتزم الغاء الملكية - اساس المدنية بأسرها ! نعم ، ايها السادة المحترمون ، ان الكومونة كانت تعتزم الغاء تلك الملكية الطبقية التي تجعل عمل الكثرة ثروة القلة ؛ كانت تعتزم مصادرة ملكية المفتصبين كانت تريد ان تجعل الملكية الفردية حقيقة واقعية بتحويل وسيلتي الانتاج ، الارض والرأسمال ، اللتين هما الان ، قبل كل شيء ، ادايان لاستبعاد العمل واستثماره ، الى ادايين للعمل الحر المشترك - ولكن هذه شيوعية ، شيوعية «مستحيلة» ! غير ان اولئك الممثلين من الطبقات السائدة - وهم كثيرون - الذين اسعفهم ذكاؤهم فادركوا استحالة استمرار الوضع الراهن طويلا قد غدوا رسل الانتاج التعاوني الليجوجين الضجاجين . واذا كان للانتاج التعاوني الا يظل كلاما فارغا او خداعا ، اذا كان له ان يحل محل النظام الرأسمالي ، اذا نظمت الجمعيات التعاونية الموحدة الانتاج الوطني بناء على خطة مشتركة ووضعت تحت اشرافها هي ، فوضعت بذلك حداً للفوضى الدائمة والنوبات الدورية التي هي القضاء المحتوم للانتاج الرأسمالي - الا يكون ذلك ، وهذا ما نسالكم ، ايها السادة المحترمون ، شيوعية ، شيوعية «ممكنة» ؟

ان الطبقة العاملة لم تكن تنتظر المعجزات من الكومونة انها لا تنوي ان تحقق *par décret du peuple* * ، طوباويات جاهزة متممة انها تدرك ان عليها ، لكي تحرر نفسها وتصل في الوقت نفسه الى ذلك الشكل الاعلى الذي يسمى اليه المجتمع

العالي بصورة لا تقاوم ، بفعل تطوره الاقتصادي ذاته ، ان تخوض
 نضالا طويلا وان تجتاز سلسلة كاملة من العمليات التاريخية التي
 تغير الظروف والناس تغييراً تاماً وما ينتظر الطبقة العاملة
 ليس بمثل عليا تحققها ، انما عليها ان تفسح فقط مجالا لعناصر
 المجتمع الجديد التي تطورت في احشاء المجتمع البرجوازي
 القديم بسبيل الانهيار . وفي وسع الطبقة العاملة ، بادراكها التام
 لرسالتها التاريخية وبمزمها البطولي على ادائها ، ان تواجه
 بابتسامة ساخرة الشتائم المقدعة التي يطلقها عليها الصحفيون
 الخدم والعظماة التوجيهية التي يسبغها عليها العقائديون
 البرجوازيون ذوو النوايا الطيبة فيصبون تفاهاتهم الجاهلة ويقدمون
 اوهاهم الانعزالية بلهجة كاهن معصوم

عندما احدثت كومونة باريس قيادة الثورة على عاتقها ،
 وعندما جرى العمال البسطاء ، لأول مرة ، على التعدي على امتياز
 «رؤسائهم الطبيعيين» - امتياز الحكم بالذات ، باثروا هذا
 العمل في ظروف ليس لها مثيل في صعوبتها وادوه بتواضع
 واخلاص ونجاح ، ولم يزد اعلی مرتباتهم عن خمس مرتب
 يتقاضاه ، على ما قرره احد ثقات العلم . . ، سكرتير مجلس من
 المجالس المدرسية في لندن وتلوى العالم القديم من تشنجات
 الغضب لدى رؤية العلم الاحمر - رمز جمهورية العمل ، يخفق
 فوق بناية بلدية المدينة

* في الطبعتين الالمانيتين لسنة ١٨٧١ وسنة ١٨٩١ وردت
 بعد ذلك الكلمتان «الطبقات المالكة» النافرة .

** في الطبعتين الالمانيتين وردت بعد ذلك : «الاستاذ
 مكسلي» . النافرة .

ومع هذا ، كانت هذه هي الثورة الاولى التي اعترف فيها صراحة للطبقة العاملة بانها الطبقة الوحيدة القادرة على القيام بالمبادرات الاجتماعية ؛ وقد اعترف بذلك حتى الفئات الواسعة من الطبقة الوسطى في باريس - صغار الباعة والحرفيون والتجار - اي الجميع باستثناء ثروة الرأسماليين . لقد انقلبت الكومونة هؤلاء بايجاد تسوية حكيمة لقضية كانت دائما سببا للنزاع في الطبقة الوسطى نفسها - قضية الدائن والمدين (١١٨) هذا القسم من الطبقة الوسطى اشترك سنة ١٨٤٨ في قمع انتفاضة حزيران (يونيو) التي قام بها العمال ، وعلى اثر ذلك قدمته الجمعية التأسيسية ضحية لدائنيه (١١٩) دون اي حياء بيد ان هذا ليس هو الحافز الوحيد الذي انضم بسببه الآن الى العمال . كان يشعر بان عليه ان يختار بين الكومونة والامبراطورية مهما يكن الاسم الذي قد تظهر تحته الامبراطورية خربت هذا القسم من الطبقة الوسطى اقتصاديا باختلاسها الثروة العامة وبحماية المضاربة الضخمة في البورصة وبمساهمتها في التعجيل الاصطناعي لتركيز الرأسمال وما يسببه هذا التركيز من مصادرة اموال هذا القسم من الطبقة الوسطى . كانت الامبراطورية تضطهد هذا القسم سياسيا وتشر استيائه اخلاقيا بحفلات التهلك ؛ وكانت تمين فولتيريته بتسليمها تعليم اطفاله الى frères ignorantins (١٢٠) ؛ واثارت مشاعره القومية ، كفرنسيين ، بتطويعها به بصورة متهورة في هذه الحرب التي لم تكافُ جميع بلاياها الا بشيء واحد - اسقاط الامبراطورية . والواقع انه بعد فرار bohème * كبار الموظفين البونابرتيين والرأسماليين من باريس التف حزب

النظام الحقيقي للطبقة الوسطى ، الذي عمل باسم الاتحاد الجمهوري (١٢١) ، حول راية الكومونة و زاد عنها ضد افتراء تيير اما فيما اذا كان عرفان الجميل لهذا السواد من الطبقة الوسطى يصمد للمحن الشديدة الراهنة فهذا ما سيبينه المستقبل

لقد كانت الكومونة على حق كل الحق ان تعلن للفلاحين ان وانتصارها هو أملهم الوحيد ! « فمن سيل الافتراءات التي فرخت في فرساي والتي نشرها في ارجاء العالم كله الكتاب الماجورون من الصحافة الاوروبية المجيدة ، كان افطع كذبة القول بان « مجلس الملاكين العقاريين » كان يمثل الفلاحين الفرنسيين . حاولوا ان تتصوروا حب الفلاحين الفرنسيين لأولئك الذين كان على الفلاحين ان يدفعوا لهم بعد سنة ١٨١٥ مكافأة قدرها مليار ! (١٢٢) ان وجود المالك العقاري الكبير في حد ذاته يشكل ، في نظر الفلاح الفرنسي ، مطاولة على مكتسباته سنة ١٧٨٩ لقد فرض البرجوازيون سنة ١٨٤٨ على اراضي الفلاحين ضريبة اضافية تبلغ ٤٥ سنتيما في الفرنك ، بيد انهم فعلوا ذلك باسم الثورة ؛ والان اثاروا حرباً اهلية ضد الثورة ليلقوا على عواتق الفلاحين العبء الرئيسي من غرامة المليارات الخمسة التي تعهدوا بدفعها الى البروسيين اما الكومونة فقد اعلنت ، على عكس ذلك ، في احد منشوراتها الاولى ان مشري الحرب الحقيقيين هم الذين ينبغي لهم ان يتحملوا عبأها كانت الكومونة ستحرر الفلاح من ضريبة الدم وستمنحه حكومة قليلة النفقات ، ستحل محل مصاصي دمانه الحاليين - كتاب العدل والمحامين وكتبة المحاكم وغيرهم من مصاصي الدماء القضائيين - موظفين كومونيين يتقاضون مرتبات ويقوم هو بانتخابهم ويكونون مسؤولين امامه . كانت ستحرره من تصرفات الشرطة الريفية

ورجال الدرك ومدراء المحافظات ؛ كانت ستضع تثقيف معلم المدرسة مكان تسفيه الكاهن . والفلاح الفرنسي الذي هو قبل كل شيء رجل يحسن الحساب ، كان سيجد من المعقول جداً ان تدفع رواتب الكهنة لا من مبالغ يجمعها الجابي بل من تبرعات اختيارية يتوقف قدرها على درجة تقوى الرعية تلك هي النعم المباشرة الكبرى التي كانت تنتظر الفلاحين الفرنسيين على يد حكم الكومونة - الكومونة فقط فلا طائل اذا ان نقف هنا ونتكلم عن القضايا الاكثر تعقيداً والحيوية حقاً التي كانت الكومونة وحدها تستطيع ويجب عليها ان تحلها لصالح الفلاحين - كقضية الدين العقاري الذي كان جاعلاً كالكابوس على قطعة ارض الفلاح الصغيرة جداً ، وقضية prolétariat foncier (البروليتاريا الريفية) التي تتزايد من يوم الى آخر ، وقضية مصادرة املاك الفلاحين انفسهم التي كانت تجري بسرعة متزايدة بفضل تطور الزراعة الحديثة ومزاحمة الزراعة الرأسمالية

ان الفلاحين الفرنسيين هم الذين انتخبوا لويس بوناپرت رئيساً للجمهورية ، ولكن حزب النظام هو الذي خلق الامبراطورية الثانية . وما يريده الفلاح الفرنسي حقاً بدأ يجهر به في سنة ١٨٤٩ و سنة ١٨٥٠ بان عارض رئيس بلديته بمدير المحافظة الحكومي ، وعارض معلم مدرسته بكاهن الحكومة ، وعارض نفسه بدركي الحكومة وجميع القوانين التي سنّها حزب النظام في كانون الثاني (يناير) وشباط (فبراير) سنة ١٨٥٠ كانت مواجهة ، باعترافه هو نفسه ، ضد الفلاحين لقد كان الفلاح بوناپرتياً لانه مثل الثورة العظمى والفوائد التي جرتها عليه في شخص نابليون ولكن هذا الوهم قد تبدد بسرعة في عهد الامبراطورية الثانية . هذه الخرافة من خرافات الماضي (وهي

في جوهرها كانت معادية لرغبات «مجلس الملاكين العقاريين» (— أننى لها ان تقف في وجه التفات الكومونة الى مصالح الفلاحين الحيوية وحاجاتهم الملحة ؟

ولقد كان «مجلس الملاكين العقاريين» يعرف جيداً — وكان هذا هو الخشى ما يخشاه — ان ثلاثة اشهر من الاتصال الحر بين باريس الكومونيين والاقاليم ستؤدي الى نشوب انتفاضة فلاحية عامة . ومن هنا نشأ استعجاله الجبان في ضرب حصار بوليسي حول باريس ليحول دون انتشار العدوى

وهكذا اذا كانت الكومونة هي الممثل الحقيقي لجميع العناصر السليمة في المجتمع الفرنسي وكانت ، بالتالي ، الحكومة الوطنية حقاً ، فقد كانت في الوقت نفسه ، باعتبارها حكومة العمال مناضلة جريئة في سبيل تحرير العمل ، امنية بكل معنى هذه الكلمة . وتحت بصر الجيش البروسي الذي كان قد ضم الى المانيا اقليمين فرنسيين ، ضمت الكومونة الى فرنسا عمال الدنيا قاطبة .

ان الامبراطورية الثانية كانت عيداً للنصب الكوسموبوليتي . وقد استجاب لندائها النصابون من جميع الاقطار ليشتبكوا في حفلاتها التهتكية وفي نهب الشعب الفرنسي وحق هذه اللحظة ما يزال ساعد تير الايمن هو غايسكو الغشاش من ولاشيا ، وساعده الايسر هو ماركوفسكي الجاسوس الروسي . لقد افسحت الكومونة المجال لجميع الاجانب لينالوا شرف الموت من اجل قضية خالدة . وقد تمكنت البرجوازية في فترة ما بين الحرب الخارجية التي خسرت بسبب خيانتها والحرب الاهلية التي نشبت بسبب تأمرها مع الغازي الاجنبي من ان تظهر وطنيتها بتنظيم حملات فنص بوليسية ضد الالمان في فرنسا كلها .

اما الكومونة فقد عينت عاملا ألمانيا* وزيرا للعمل فيها . وكان تيير والبرجوازية والامبراطورية الثانية يخادعون البولويين بصورة متواصلة بترديدتهم بصوت عال مزاعم العطف عليهم بينما كانوا في حقيقة الامر يخونونهم في صالح روسيا ويقومون بعملها القذر . اما الكومونة فقد اكرمت ابني بولونيا البطلين** بوضعهما على رأس المدافعين عن باريس . ولكي تضع الكومونة علامة فارقة اوضح على هذه الحقبة الجديدة من التاريخ التي استهلتها عن ادراك ، قامت تحت بصر البروسيين المنتصرين من جهة وتحت بصر الجيش البونابرتي الذي يقوده جنرالات بونابرتيون من جهة اخرى ، يهدم ذلك الرمز الشامخ من رموز المجد العسكري - مسلة فندوم (١٢٣) .

ان الاجراء الاجتماعي العظيم الذي قامت به الكومونة هو وجودها بالذات ونشاطها . وبعض الاجراءات التي قامت بها ما كانت الا مجرد دلالة على الاتجاه الذي تتطور فيه ادارة الشعب بواسطة الشعب نفسه . ومنها الغاء العمل الليلي بالنسبة للخبازين ؛ منع تخفيض الاجور بفرض الغرامات على العمال بحجج مختلفة ، وذلك تحت طائلة العقوبة - وفرض الغرامات اسلوب عادي يلجأ اليه ارباب العمل فيجمعون في شخصهم السلطة التشريعية والقضائية والتنفيذية ويضعون اموال الغرامة في جيوبهم . واجراء آخر من هذه الفئة كان تسليم جميع الورش والمعامل المعطلة التي فر اصحابها او اوقفوا العمل فيها ، الى جمعيات العمال مع منحها الحق في المكافاة

* - ليو فرانكل التناهر .

** - ي . دومبروفسكي وف . فروبيلنسكي . التناهر .

ان. الاجراءات المالية التي قامت بها الكومونة وهي اجراءات مرموقة في حصافتها واعتدالها ، ما كان ممكنا ان تكون الا من النوع الذي يتفق وحالة مدينة محاصرة فقد نهبت شركات الصيارفة الكبيرة ومقاوولو البناء تحت حماية اوسمان* مدينة باريس الى درجة ان الكومونة كان لديها من الحق في مصادرة اموالهم اكثر بكثير من حق لويس بوناپورت في مصادرة اموال اسرة اورليان ان آل هوهنزوللرن والاريسقراطيين الانجليز الذين يتالف القسم الاكبر من ثرواتهم من ممتلكات الكنيسة المنهوبة ، قد تملكهم استياء شديد من الكومونة ، بطبيعة الحال ، مع ان الكومونة لم تحصل الا على ٨٠٠٠ فرنك من مصادرة ممتلكات الكنيسة .

وحالما استردت حكومة فرساي بعض الروح والقوة ، اخذت تلجأ الى اعنف التدابير ضد الكومونة ؛ فقد خنقت حرية التعبير عن الرأي في جميع انحاء فرنسا ومنعت حتى عقد اجتماعات مندوبي المدن الكبرى ؛ وانشأت في فرساي وبقية فرنسا شبكة تجسس تزيد كثيراً عنها في عهد الامبراطورية الثانية ؛ وكان دركيوها ، اشبه برجال محاكم التفتيش ، يحرقون جميع الصحف الصادرة في باريس ويفضون جميع الرسائل من باريس واليها ؛ وكانت الجمعية الوطنية ترد على اخجل محاولة لقول

* خلال الامبراطورية الثانية كان البارون اوسمان (Haussmann)

مديراً لمحافظة السين اي لمدينة باريس وقد قام ببعض الاعمال لمد شوارع عديدة وغير ذلك بغية تسهيل النضال ضد انتفاضات العمال (ملاحظة للطبعة الروسية التي صدرت في عام ١٩٠٥ بتحرير لينين .) الناصر .

كلمة دفاعاً عن باريس ، بزعميق مسعور على نحو لم يعرفه حق « chambre introuvable » ، لسنة ١٨١٦ ان حكام فرساي لم يكونوا يغتزلونها حرباً ضارية ضد باريس فحسب بل كانوا يبدلون جهدهم للعمل داخل باريس من طريق الرشوة والتآمر فهل كان في وسع الكومونة ان تراعي في مثل هذه الظروف اشكال الليبرالية المصطنعة كما يحدث ابان السلم الشامل التام ، دون خيانة رسالتها خيانة شنعاء ؟ ولو كانت حكومة الكومونة مماثلة في روحها لحكومة تير ، لما كانت هناك موجبات لمنع صحف حزب النظام في باريس وصحف الكومونة في فرساي .

وطبعي ان ارغى نواب «مجلس الملاكين العقاريين» وازبدوا اذ انه في الوقت الذي اعلنوا فيه ان العودة الى احضان الكنيسة هي السبيل الوحيد لخلاص فرنسا ، كشفت الكومونة الكافرة عن اصرار دير بيكبوس النمائي وكنيسة سان لوران (١٢٤) ألم يكن ذلك سخريه لاذعة بالنسبة لتير الذي كان يطر جنرالات بوناپرت بصلبان جوقلة الشرف تقديراً لمهارتهم في خسارة المعارك وتوقيع الاستسلامات ولف السجائر في ولهمزمي بينما كانت الكومونة تطرد وتعتقل جنرالاتها لدى ادنى ظن بتقصيرهم في اداء واجباتهم ؟ ألم يكن ذلك صفة في وجه جول فافر صانع الوثائق المزورة ، الذي كان ما يزال وزيراً لخارجية فرنسا والذي باعها الى بيسمارك وامل اوامره على حكومة البلجيك النموذجية ، في حين ان الكومونة طردت احد اعضائها . واعتقلته وهو الذي اندس فيها تحت اسم مزور وسبق

له ان سجن ستة ايام في ليون لجريمة افلاس عادي ؟ بيد ان الكومونة لم تكن تدعي العصمة كما فعلت ذلك جميع الحكومات القديمة دون استثناء فقد كانت تنشر جميع تقارير جلساتها وتعلن عن جميع اعمالها ؛ وكانت تطلع الجمهور على كل نقائصها

في كل ثورة يبرز ، الى جانب ممثليها الحقيقيين ، رجال من طابع مغاير بعضهم ، من جهة ، مشتركو الثورات السابقة وعابدها الخرافيون ممن لا يعرفون مغزى الحركة الراهنة بيد انهم ما يزالون يحتفظون بتأثير في الشعب لامانتهم المعروفة للجميع ولشجاعتهم او لمجرد قوة التقاليد ؛ وآخرون هم مجرد زعاق يرددون ، العام تلو العام ، تصريحاتهم المألوفة ضد الحكومات القائمة ويلقبون لذلك بلقب توريين من الدرجة الاولى ، هذا من جهة ثانية وبعد ١٨ آذار (مارس) ظهر ايضا رجال من هؤلاء وتسنى لهم ان يلعبوا دورا بارزا في بعض الاحيان وقد عرقلوا الحركة الحقيقية للطبقة العاملة بقدر طاقتهم ، تماما كما عرقل رجال من ذلك الطراز التطور التام لجميع الثورات السابقة انهم شر لا مناص منه ومع مضي الوقت يتخلصون منهم ، ولكن ذلك الوقت ما كان في حوزة الكومونة

لقد غيرت الكومونة باريس بصورة عجيبة ! لم يعد هناك من اثر لباريس الداعرة عهد الامبراطورية الثانية ولم تعد عاصمة فرنسا ملتقى لكبار اصحاب الاراضي البريطانيين والمنغبيين الارلنديين (١٢٥) وللاميركيين من مالكي العبيد السابقين وحديثي النعمة ولمالكي الاقنسان الروس السابقين وللأعيان الولاشين وليس هناك اي جثة في معرض الجثث ؛ ولا جرائم نهب ليلية ولا حوادث سرقة الا فيما ندر جدا . ان شوارع باريس ، لأول

مرة منذ ايام شباط (فبراير) ١٨٤٨ ، قد غدت مأمونة بالرغم من انه لم يكن فيها ولو شرطي واحد .

لقد قال احد اعضاء الكومونة واننا لم نعد نسمع بالاعتقال والنهب والاعتداء على الافراد ؛ ويمكن الظن ان القرطة قد جرّت معها الى فرساي جميع اسدقائها المحافظين ،

وتبعت النساء الساقطات اوليائهن ، هؤلاء الفارين من اساطين العائلة والدين ، وفوق كل شيء ، اساطين الملكية وبدلا عنهن ، ظهرت في المقدمة من جديد نساء باريس الحقيقيات ، البطلات ، النبيلات المتفانيات ، شأنهن شأن نساء الماضي السحيق الكلاسيكي ان باريس عاملة مفكرة مقاتلة نازفة دما ولكنها باريس متقدة حماسة بوعي مبادرتها التاريخية ، وكانت شبه غافلة ، وهي منهمكة بحماسة في بناء مجتمع جديد ، عن اكلة لحوم البشر الواقفين قرب جدرانها ! ووجها لوجه امام هذا العالم الجديد في باريس ، كان العالم القديم في فرساي - ذلك الحشد من مصاصي الدماء من جميع العهود المنقرضة - الليجيتيميون والاورليانيون يتحرقون الى افتراس جيفة الشعب - ومعهم ذيل من جمهوري ما قبل الطوفان يؤيدون ، بوجودهم في الجمعية الوطنية ، فتنة مالكي العبيد ؛ لقد املوا الاحتفاظ بالجمهورية البرلمانية بفضل غرور البهلول الهرم الواقفت في رأس الحكم ؛ ومسخوا صورة عام ١٧٨٩ بعقد اجتماعات الاشباح في جودي-يوم* . وهكذا ، فان هذه الجمعية التي كانت تمثل كل ما هو ميت في فرنسا ، واصلت حياتها

* صالة لعب الكرة حيث تبنت الجمعية الوطنية سنة ١٧٨٩

نزارا الشهرير (١٢٦) . (ملاحظة المجلس للطبعة الالمانية سنة ١٨٧١) .

الطيفية بفضل سيوف جنرالات لويس بوناپرت وحدها .
باريس كلها - الحقيقة ؛ فرساي كلها - الكذب ؛ وداعي هذا الكذب
كان تيير

قال تيير لوفد من رؤساء بلديات مقاطعة السين وواز ما
يلي

«ستطيعون ان تركنوا الى كلمتي التي ما نقضتها ابدا»
وقال للجمعية «انها بين جميع الجمعيات في فرنسا اكثرها
ليبرالية واوفرها حرية من حيث الانتخاب» ؛ وقال للخليط
المرقع من جنده انهم «اعجوبة العالم واحسن جيش ملكته فرنسا
في يوم من الايام» ؛ وقال للاقاليم ان قصف باريس بالمدفعية
بامر منه هو خرافة لا اكثر

«اذا كانت قد اطلقت بعض قنابل المدافع فلم يطلقها جيش
فرساي بل الثوار الذين يريدون ان يوهبوا بانهم يقاتلون بينما هم لا
يجرؤون على ابراز انوفهم»

ثم هو اعلن للاقاليم فيما بعد

«ان مدفعية فرساي لا تقصف باريس بالقنابل ، انما تطلق عليها
من المدافع فحسب»

وقال لرئيس اساقفة باريس ان جميع اجراءات الاعدام
بالرصاص واجراءات القمع (١) التي نسبت الى جنود فرساي
ليست سوى كذب وهو اعلن لباريس انه حريص فقط على
«ان يحررها من الطغاة الكريهين الذين يظلمونها» وان باريس
الكومونة ليست «الا حفنة من المجرمين لا اكثر ولا اقل»

ان باريس تيير لم تكن باريس «الرعاع الاندال» الحقيقية
بل باريس الطيف ، باريس francs-fileurs (١٢٧) ، باريس
رواد البولفارات ذكورا واناثا ، باريس الثرية ، الرأسمالية ،

المذهبة ، الطفيلية ؛ باريس التي تحتشد الان بخدمها ونصابها وممثلي فنها البوهيمي ومومساتها ، في فرساي وسان-ديني وروي وسان-جرمان ، والتي لم تر في الحرب الاهلية الا ملهاة لطيفة ، ونظرت الى المعارك من خلال المناظر المكبرة واحصت طلقات المدافع واقسمت بشرفها وشرف مومساتها ان التمثيل هنا احسن بكثير منه في مسرح بورت-سان-مارتان فالقتلى كانوا امواتا بالفعل وصرخات الجرحى لم تكن مفتعلة ، وعلاوة على ذلك فان الدراما التي دارت امامهم كانت دراما تاريخية عالمية هكذا كانت باريس السيد تيير تماما كما كانت هجرة كوبلنتز هي فرنسا مسيو دي كالون (١٢٨)

٤

ان المحاولة الاولى التي قام بها مالكو العبيد المتآمرون لاختضاع باريس بجعل الجنود البروسيين يحتلونها ، قد منيت بالفشل بسبب رفض بيسمارك والمحاولة الثانية ، محاولة ١٨ آذار (مارس) انتهت بهزيمة الجيش وبفرار الحكومة الى فرساي ، الى حيث تبعها ، بامر منها ، كل الجهاز الإداري . وتحت ستار مفاوضات الصلح مع باريس ، كان تيير يكتسب الوقت استعدادا لشن الحرب عليها ولكن انى له الجيش ؟ ان بقايا افواج الميدان كانت ضئيلة في عددها وروحها لا تبعث الاطمئنان ؛ ونداءات تيير الملحة الى الاقاليم لنجدة فرساي بافراد الحرس الوطني وبالمتطوعين قوبلت بالرفض الصريح وارسل اقليم بريتانيا وحده حفنة من الشوان (١٢٩) الذين يحاربون تحت راية بيضاء ويرتدي كل واحد منهم على صدره قلب المسيح من قماش ابيض ؛ وكانت صيحتهم في القتال : « Vive le Roi ! »

(عاش الملك ١) ولهذا لم يستطع تيير ان يجمع بعجلة الا خليطاً من النوتية وجود البحرية والزواف البايويين (١٣٠) ومن جندرمه فالانتين وشرطة و mouchards * بييتري . وقد كان هذا الجيش ضئيلاً على نحو مضحك لولا اسرى الجيش البونابرتي الذين كانوا يصلون تدريجياً والذين كان يقدمهم ببسمارك باعداد تكفي ، من جهة ، لابقاء الحرب الاهلية دائمة ، ومن جهة اخرى ، لابقاء فرساي في حالة تبعية ذليلة ازاء بروسيا وفي اثناء هذه الحرب كان على شرطة فرساي ان تراقب جيش فرساي بينما كان على الدرك ان يحتلوا دائماً اخطر الاماكن كي يجروه وراءهم . اما الحصون التي سقطت ، فلم تؤخذ اخذاً بل اشترت . وقد اقنعت بطولة الكومونيين تيير بان مواهبه الاستراتيجية والحراب التي كانت تحت تصرفه لا تكفي للتغلب على مقاومة باريس

وفي هذه الاثناء اخذت علاقته مع الاقاليم تزداد توتراً اكثر فاكثراً . ولم تتلق فرساي اي رسالة استحسان من شأنها ان تشجع تيير و«مجلسه المؤلف من الملاكين العقاريين» الى هذا الحد او ذاك . بل بالعكس تماماً ، فقد تدفقت الوفود والرسائل من كل حذب وصوب تلح ، في لهجة بعيدة عن لهجة الاحترام ، على المصالحة مع باريس على اساس الاعتراف بلا لبس فيه ولا ابهام بالجمهورية وقرار الحريات الكومونية وحل الجمعية الوطنية التي انتهت مدة تفويضها . وكانت الوفود والرسائل من الكثرة بحيث امر دوفور ، وزير هدلية تيير ، في منشوره المؤرخ في ٢٣ نيسان (ابريل) بان يعتبر المدعون العامون والنداءات

بالمصالحة، جريمة ! واذا رأى تيير ان الحملة على باريس لا امل منها يرجي ، قرر ان يغير التكتيك وعين ال٢٠ من ليمان (ابريل) موعداً لاجراء الانتخابات البلدية في طول البلاد وعرضها على اساس قانون جديد فرضه هو نفسه على الجمعية الوطنية وقد لجأ الى دسائس مدرائه في المحافظات تارة والى تهديدات شرطته تارة اخرى وكان على ثقة بان الانتخابات في الاقاليم ستضفي على الجمعية الوطنية قوة معنوية لم تكن لها في يوم من الايام ، وانه سيحصل اخيراً من الاقاليم على القوة المادية اللازمة لاختضاع باريس

ان الحرب اللصوصية التي شنها تيير على باريس والتي اطراها في نشراته الخاصة ، والمحاولات التي قام بها وزراؤه لاقامة حكم الارهاب في جميع انحاء فرنسا انما كان تيير حريصاً منذ البداية على ان يتممها بمهزلة صغيرة من المصالحة كان المقصود منها ان تخدم اكثر من غرض واحد : كان عليها ان تضلل الاقاليم وان تجتذب اليه عناصر الطبقة الوسطى في باريس وان تتيح ، قبل كل اعتبار ، الفرصة لأولئك الذين يقولون بانهم جمهوريون في الجمعية الوطنية لان يخفوا خيانتهم لباريس وراء ثقتهم بتيير . ففي ٢١ اذار (مارس) عندما كان تيير ما يزال بلا جيش ، صرح في الجمعية الوطنية قائلاً :

« ليكن ما يكون ، فاني لن ارسل جيشاً الى باريس »

وفي ٢٧ اذار صرح ثانية

« ولقد بافرت وظالفي ، والجمهورية امر واقع وانا مصمم كل

التصميم على صيانتها »

اما في الواقع فقد قمع الثورة في ليون ومرسيليا (١٢١) باسم الجمهورية بينما كان « مجلسه المؤلف من الملاكين العقاريين »

في فرنسا يستقبل بزعيق مسعور مجرد ذكر كلمة «الجمهورية» . وبعد هذه المائدة المجيدة ، حط من «الامر الواقع» الى مستوى الامر الفرضي والامراء الاورليانيون الذين ابعدهم عن بورديو باب الاحتياط ، سنحت لهم الفرصة الآن ، خلافا للقانون ، لحياسة الدسائس في دريو ان الشروط التي كان تيير يذكرها في المؤتمرات التي لم تنقطع مع نواب باريس ونواب الاقاليم - رغم ان تصريحاته كانت متعارضة في لهجتها ولونها حسب الوقت والظروف - قد انحصرت دائما في وجوب الاخذ بالشار من تلك الحفنة من المجرمين الذين لهم ضلع في قتل كليمان توما وليكوت»

وعليه صار من المفروض بطبيعة الحال ان تعتبر باريس وفرنسا دون شرط السيد تيير نفسه احسن الجمهوريات ، كما اعتبر تيير نفسه لويس فيليب في سنة ١٨٣٠ احسن الجمهوريات . ولكن حتى هذه التنازلات ، جهد تيير ان يجعلها محفوفة بالشكوك من طريق التعليقات الرسمية التي كان يعقب بها وزراءه في الجمعية الوطنية . غير انه لم يكتف بذلك بل قام بنشاطه بواسطة دوفور ايضا . لقد كان دوفور ، المحامي الاورلياني القديم ، يلعب دائما دور القاضي الاعلى في حالة الحصار سواء كما يفعل الآن عام ١٨٧١ في عهد تيير ، ام كما فعل عام ١٨٣٩ في عهد لويس فيليب وعام ١٨٤٩ في عهد رئاسة لويس بوناپرت . وعندما لم يكن يشغل منصبا وزاريا ، جنى ثروة بالترافع عن راسماليي باريس واكتسب راسمالا سياسيا في الوقت نفسه بالتعدي على القوانين التي سنها هو نفسه ولم يكتف بان يمر بصورة مستعجلة في الجمعية الوطنية مجموعة من القوانين القمعية كان القصد منها ، في حال سقوط باريس ، ان تستاصل آخر بقايا الحرية الجمهورية .

في فرنسا ، بل انه ايضا كانما اشار الى مصر باريس بالتدبير التالي كانت اصول المحاكمات في المحاكم العسكرية تلوح له اصولا بطيئة للغاية فخفض آجالها (١٣٢) واصدر قانونا جانرا جديدا عن النفي . ان ثورة ١٨٤٨ كانت قد الفت عقوبة الموت على الجرائم السياسية واستعاضت عنها بالنفي . ولم يجرؤ لويس بوناپرت ، بصورة سافرة على الاقل ، على ان يعيد حكم المقصلة من جديد . ولهذا فان جمعية الملاكين العقاريين التي لم تكن تملك حتى ذلك الحين من الشجاعة ما يجعلها قادرة على مجرد التلميح بان الباريسيين لم يكونوا في نظرها ثوارا بل قطاع طرق ، قد ترتب عليها ان تحصر تحضير الانتقام من باريس في حدود قانون النفي الجديد الذي وضعه دوفور . وفي مثل هذه الظروف ، لم يكن في وسع تيير ان يواصل تمثيل مهزلة المصالحة ، لو لم تثر هذه المهزلة - وهذا ما اراده في الحقيقة - ثائرة نواب «مجلس الملاكين العقاريين» وجنونهم اذ لم يستطيعوا ، لبلاتهم ، ان يفهموا لا العوبته ولا ضرورة نفاقه وريائه ومماطلته . ونظرا للانتخابات البلدية العتيدة في ٣٠ نيسان (ابريل) قام تيير في ٢٧ من الشهر نفسه بتمثيل مشهد من مهزلة ، مهزلة المصالحة ففي خضم طوفان من الجمل العاطفية هتف ، فيما هتف ، من على منبر الجمعية الوطنية :

وليس هنالك من مؤامرة ضد الجمهورية سوى مؤامرة باريس التي ترغمتنا على ان نريق الدم الفرنسي ولكنني اكرر ايضا وايضا ليرموا اسلحتهم الكافرة اولئك الذين شهروها فرلعوها ، فنوقف نحن في الحال سيف العدالة ولعقد معاهدة صلح لا تستثنى منها سوى حفنة من المجرمين»

ورداً على الصيحات الهائجة من نواب «مجلس الملاكين العقاريين» الذين قاطعوا خطابه قال :

«واتسل اليكم ، ايها السادة ، ان تقولوا لي ، الست على حق ؟ هل تأسفون حقاً اذا استطعت ان امرر الحقيقة وهي ان المجرمين هم حقة فحسب ؟ اليس من يمن الطالع في خضم مصائبنا ان يكون اولئك الذين استطاعوا ان يسفكوا دم الجنرال ليكوت والجنرال كليمان توما استثناء نادراً فقط ؟»

بيد ان فرنسا بقيت صماء الاذنين لخطابات تيير الذي هلل نفسه بامل اسر الجميع باغنية حورية الماء البرلمانية فمن بين الـ ٧٠٠.٠٠٠ مستشار بلدي الذين انتخبهم الـ ٣٥.٠٠٠ من الوحدات الادارية التي كانت ما تزال باقية فرنسية لم يستطع الليجيتيميون والاورليانيون والبونابرتيون مجتمعين ان يمرروا حتى ٨٠٠٠ من انصارهم . والانتخابات التكميلية ادت الى نتائج اكثر عداوة لحكومة تيير . وهكذا ، عوضاً عن ان تحصل الجمعية الوطنية من الاقاليم على القوة المادية الضرورية لها اقصى الضرورة ، فقدت حتى آخر حق في ان تكون قوة معنوية : حتى اعتبار نفسها معبرة عن ارادة البلد العامة . وزيادة على الهزيمة ، وجهت المجالس البلدية التي انتخبت حديثاً في جميع المدن الفرنسية ، تهديداً مكشوفاً الى جمعية فرساي التي اغتصبت الحكم بانها ستشكل جمعية مضادة في بوردو

وانذاك اتت بيسمارك لحظة التدخل الحاسم التي طال انتظارها فامر تيير بلهجة الامير بان يرسل مفوضين الى فرانكفورت لعقد الصلح نهائياً . وبادر تيير ، في طاعة ذليلة لامر ماله وسيده ، وارسل الى فرانكفورت صفيه الامين جول فافر بصحبة بويه-كيرييه وبويه-كيرييه هو صناعي (بارز) في صناعة الالقمشة القطنية بمدينة روان وهو نصير متحمس بل ذليل من انصار الامبراطورية الثانية التي لم يجد فيها حياً من

العيوب سوى المعاهدة التجارية التي عقدتها مع إنجلترا (١٣٢) وكانت ضارة بمصلحته بوصفه صاحب معامل وما ان عينه تير في بوردو وزيراً للمالية حتى شرع يندد بهذه المعاهدة «المشؤومة» وأشار تلميحا الى قرب فسخها ، وقد بلغت به الوقاحة حداً جعله يحاول على الفور ، ولو على غير طائل (لانه لم يطلب الاذن من بيسمارك) ان يطبق من جديد رسوم الحماية الجمركية القديمة ضد الالزاس حيث لم تكن تقف حينذاك في طريقها ، كما قال ، اية معاهدات دولية سابقة هذا الرجل كان يرى في الثورة المضادة وسيلة لتخفيض الاجور في روان وكان يعتبر التخلي عن الاقليمين الفرنسيين وسيلة لرفع اسعار سلعه في فرنسا . ألم يكن مقدراً لهذا الرجل ان يختاره تير معاوناً لجول فافر قصد اقتراف خيائته الاخيرة ؟

لدى وصول هذا الزوج اللطيف من المفوضين الى فرانكفورت ، وضعهما بيسمارك بلهجة فظة وأمرة امام حلين لا ثالث لهما «إما اعادة الامبراطورية واما قبول شروط الصلح التي املينا بلا قيد او شرط !» وقد نصت شروطه على تقصير مواعيد دفع الغرامة الحربية وعلى احتلال حصون باريس من قبل البروسيين الى ان يظهر لدى بيسمارك اساس لان يكون راضياً عن اوضاع الامور في فرنسا . وبهذا اعترف لبروسيا بانها الحكم الاعلى في شؤون فرنسا الداخلية ! ومقابل ذلك ، عبر بيسمارك عن استعداده التام لان يفرج سبيل الجيش البولابرتي من الاسر قصد سحق باريس ، ولان يعززه مباشرة بجنود الامبراطور غليوم . وهربونا على الوفاء بوعدده ، أجل دفع القسط الاول من الغرامة حتى «تهتئة» باريس وطبعاً ، ابتلع تير ومفوضاه طعاماً كهذا الطعم بلهفة . ففي ١٠ ايار (مايو) ،

والموا معاهدة الصلح وفي ١٨ منه اقرتها الجمعية الوطنية بفضل الجهود التي بذلوها .

وفي الفترة الواقعة فيما بين عقد الصلح ورجوع الجنود البونا برتيين من الاسر ، رأى تيير من الضروري الاستمرار في فرض مهزلة ، مهزلة المصالحة . وقد ازداد ذلك ضرورة لان اذنا به الجمهوريين كانوا في امس الحاجة الى ذريعة مناسبة ليغضوا الطرف من تحضير مجزرة دموية في باريس . وفي ٨ ايار (مايو) كان قد اجاب على وفد من الطبقة الوسطى جاء يطلب منه ان يصالح بقوله :

وحالما يوافق الثوار (١٣٤) على الاستسلام ستفتح ابواب باريس لمدة اسبوع امام الجميع فيما عدا قتلة الجنرال كليمان توما والجنرال ليكوت»

وعندما قام «مجلس الملاكين العقاريين» بعد عدة ايام باستجواب تيير في شأن هذا الوعد ، وارر ، ولكنه لمح تلميحا ذا مغزى :

«اني اقول لكم ان بينكم رجالا عديمي الصبر ، رجالا في حيلة من الامر اكثر مما ينبغي . ليصبروا اسبوعا آخر ؛ ولدى انتهاء الاسبوع ، لن يكون ثمة خطر ، وستكون المهمة متناسبة مع عريمتهم ومع طاقاتهم»

وحالما استطاع الما لمهاون ان يؤكد له انه يدخل باريس بعد وقت قصير ، صرح تيير للجمعية الوطنية بانه

«سيدخل باريس والقانون في يده ويرغم الالذال الذين اراقوا دماء الجنود ودمروا النصب التذكارية العامة على ان يدفعوا ثمن جرائمهم» .

ولما دنت اللحظة الحاسمة صرح للجمعية الوطنية باله
«سيكون عديم الشفقة» ؛ وصرح لباريس بان الحكم عليها قد
صدر وصرح لاشقيائه البونابريين بان الحكومة تسمح لهم بان
ينتقموا من باريس على قدر ما يطيب لهم . واخيراً ، عندما
فتحت الخيانة ابواب باريس امام الجنرال دويه في ٢١ ايار
(مايو) ، كشف تير في ٢٢ ايار «لمجلس الملاكين العقاريين»
عن «الغاية» من مهزلة المصالحة التي مثلها والتي اضمن المجلس
بعناد في عدم فهمها

وقلت لكم منذ بضعة ايام اننا نقرب من طاعتنا ؛ واليوم جئت
اقول لكم اننا ادركننا للغاية ان انتصار النظام والعدالة والمدنية قد
تحقق اخيراً !

نعم ، كان هذا انتصاراً . ان مدنية النظام البرجوازي وعدالته
تطلعان بضوئهما الحقيقي المشووم كلما هب العبيد والمظلومون
ضد السادة . وعندئذ تكون هذه المدنية وهذه العدالة بربرية
غير مقنعة وانتقاماً لا يعرف القانون . وكل ازمة جديدة في النضال
الطبقي بين منتجي الثروة وممتلكيها تزيد هذه الحقيقة سطوعاً
حق الفظائع التي ارتكبتها البرجوازية في حزيران (يونيو) سنة
١٨٤٨ خبت ازاء قبائح سنة ١٨٧١ التي يعجز عنها الوصف
ان البطولة المتفانية التي قاتل بها شعب باريس كله - رجالاً
ونساء واطفالاً - لمدة اسبوع كامل بعد دخول جنود فرساي
الى المدينة لتعكس جلال قضيته بنفس السطوع الذي تعكس به
فظائع الجنود الوحشية كل الروح التي جبلت عليها تلك المدنية
التي كان هؤلاء المدافعين الماجورين عنها والمنتقمين لاجلها
وانها لجليلة حقاً هذه المدنية التي واجهت مشكلة صعبة هي
مشكلة التخلص من اكوام جثث الذين قتلهم بعد انتهاء المعركة !

ولو اردنا ان نجد سلوكا يوازي سلوك تير وكلايه الدموية ، لترتب علينا ان نعود الى عهد سوللا والثالوثين اللذين حكما روما (١٢٥) حين الذي حدث من ذبح للناس بالجملة بشبات حافس ؛ حين لامبالاة الجلادين لسن وجنس الضحايا ؛ حين النظام في تعذيب الاسرى ؛ حين الملاحظات ولكنها هذه المرة موجهة ضد طبقة بأسرها ؛ حين المطاردة الوحشية للقادة المختبئين لنلا يفلت منهم واحد ؛ حين الوشائيات بالخصوم السياسيين والشخصيين ؛ حين اللامبالاة في ذبح اناس غرباء تماما عن النزاع . ولكن هنالك فرقاً واحداً هو ان الرومان لم تكن لديهم المدافع الرفاهية يقتلون بها الاسرى افواجاً افواجاً ، ولم يكن القانون في ايديهم ، ولم تكن على سفاههم كلمة «المدنية» . وبعد جميع هذه الفظائع ، انظروا الآن الى الوجه الآخر لتلك المدنية البرجوازية ، الى الوجه الاشد شناعة ، كما تصفه صحافتها ذاتها !

كتب مراسل احدى الصحف اللندنية التابعة لحزب المحافظين من باريس يقول :

والطلقات ما تزال تملح من بعد ؛ والجرحى الذين لا يعتني بهم احد يحتفرون وسط تماثيل مقبرة بير-لافيز ؛ ستة آلاف من الثوار ، يملكهم الرعب واليأس ، يهيمون على وجوههم تانهين في متاحات الدياميس ؛ في الشوارع يسوقون حماعات التمساء كي يقتلوهم برصاص المدافع الرفاهية ومن المثير ان يرى المرء في مثل هذه اللحظة المقاهي مترعة بمدمني الابسنت والبياردو والدومنو ، والنساء الفاسقات يخطرون في البولفارات بوقاحة بينما الاصوات المعرودة العالية الدلوية في cabinets particuliers * في المطاعم الالبقة تفضى سكوك الليل ! .

ويكتب الميسيو ادوار هري في جريدة « Journal de Paris »
(وجورنال دي باري) (١٣٦) وهي جريدة فرساييلية الغتها
الكومونة :

وان الطريقة التي اظهر بها سكان باريس (١) ارتياحهم امس
كانت اكثر من طائفة حقاً ونحن نغني ان ترداد سوءاً مع منفي الوقت .
ان باريس تظهر بمظهر يوم العيد وهو شيء في غير محله ؛ واذا اردنا
الاّ نُسَمَّى : Parisiens de la décadence ، فمن الواجب ان يوضع
حد لهذا ،

ثم يورد مقطعاً من تاليفس :

ووغداة ذلك المراح الرهيب ، وحتى قبل ان ينقضي تماما ،
استغرقت روما ، مرة اخرى ، ساقطة فاسدة في حماة الفسق التي تهرم
جسدها وتلدس روحها - alibi proelia et vulnera, alibi balneae popinae-
(هنا معارك وجراح ، وهناك حمامات وولائم) ،

الا ان الميسيو هري ينسى فقط ان «سكان باريس» الذين
يتحدث عنهم ما هم الا سكان باريس تير ، باريس francs-fileurs
الذين عادوا زرافات من فرساي وسانديني ورويي وسانجرمان ؛
انها باريس وزمان الانحطاط ، حقاً

ان تلك المدنية المجرمة التي تستند الى استعباد العمل
تعتمد عند كل انتصار دموي الى اغراق صيحات ضحاياها ،
الابطال الذين يضجون بارواحهم في سبيل مجتمع جديد افضل ،
بزهيق من الملاحظات والافتراءات يتردد صداها في جميع انحاء
الدنيا ان باريس العمال الهادئة ، باريس الكومونة تتحول
فجأة الى جهنم على ايدي كلاب حراسة «النظام» المتعطشة الى

الدماء . وماذا يثبت هذا التحول الهائل لعقل البرجوازية في جميع الاقطار ؟ انه يثبت فقط ان الكومونة قد دبرت المؤامرة ضد المدينة ! ان شعب باريس يضحي نفسه بكل حماسة من اجل الكومونة : ان معركة من معارك التاريخ لم تعرف مثل هذا القدر من التفاني وكران الذات . ماذا يعني ذلك ؟ يعني فقط ان الكومونة لم تكن حكومة الشعب بل هي اغتصاب الحكم من طرف حفنة من المجرمين ! ونساء باريس يمتن ، قريرات العميون ، عند المتاريس وفي مكان الاعداء . ماذا يعني هذا ؟ يعني فقط ان روح الكومونة الشريفة قد جعلت منهم ميخيرات وهكانات ! الاعتدال الذي ابدته الكومونة في اثناء حكمها الذي لم يكن ينازعها فيه منازع طيلة شهرين لا يعادله الا البطولة التي ابدتها في الدفاع . ماذا يعني ذلك ؟ يعني فقط ان الكومونة قد اخفت طيلة شهرين تحت قناع من الاعتدال والانسانية تعطش غرائزها الجهنمية الى الدماء لكي تطلقها في اثناء غمرات الموت !

ان باريس العمال قد اضرمت النار ، خلال التضحية بنفسها هل نحو بطولي ، في بنايات ونصب تذكارية . وعندما يمزق ظالمو البروليتاريا جسدها الحي اربا اربا ، لا يجوز ان يتوقعوا بعد ذلك ان يعودوا ظافرين الى مساكنهم السليمة . ان حكومة فرساي تصرخ : « حرق متعمدا » وتهمس في آذان اذبالها حق في أقصى قرية ، الشعار التالي : « طاردوا اعدائي في كل مكان بوصفهم مجرد حارقين متعمدين » . ان برجوازية العالم كله التي تنظر بعين الرضى الى تقتيل الناس بعد المعركة ، تستاء من « تدليس » الاجر والملاط !

عندما تعطي الحكومات تصاريح رسمية الى اساطيلها الحربية بان « تقتل وتحرق وتدمر » فهل ذلك تصريح بالحرق المتعمد ؟

وعندما اشعل الجنود الانجليز النيران استهتاراً بالكايتون في واشنطن وبالقصر الصيني لامبراطور الصين (١٢٧) - فهل كان ذلك حرقاً متعمداً ؟ وعندما كان البروسيون يعمدون ، لا لمقتضيات عسكرية بل لمجرد ارواء غليلهم بالانتقام ، الى احراق مدن مثل شاتودن وعدد لا يحصى من القرى مستعينين بالكاز - فهل كان ذلك حرقاً متعمداً ؟ وعندما اقدم تيير على قصف باريس بالمدفعية طوال ستة اسابيع بحجة انه كان يريد اشعال النيران في البيوت المأهولة فحسب ، فهل كان ذلك حرقاً متعمداً ؟ - ان النار هي سلاح شرعي في الحروب كاي سلاح آخر . المباني الواقعة في قبضة العدو تقذف بالقنابل لاشعال النار فيها - واذا اضطر الذين يدافعون عنها الى الانسحاب ، فهم يتولون بانفسهم اشعال النار فيها ليمنعوا المهاجمين من الاستحكام فيها . ولقد كان الحرق هو المصير المحتوم لجميع المباني التي كانت تقع في طريق اي جيش نظامي . ولكن في حرب العبيد ضد ظالمهم وهي الحرب المشروعة الوحيدة في التاريخ ، يحسبون هذه الاجراءات غير مسموح بها على الاطلاق ! ان الكومونة كانت تستخدم النار كوسيلة دفاعية بكل معنى هذه الكلمة ؛ فقد استخدمتها لكي تمنع جنود فرساي من دخول تلك الشوارع الطويلة المستقيمة التي صممها اوسمان خصيصاً لاطلاق نيران المدفعية عليها ؛ استخدمتها لتغطي انسحابها بالطريقة ذاتها التي كان يستخدم فيها جنود فرساي ، اثناء هجومهم ، قذائفهم التي دمرت من المباني ما لا يقل عن المباني التي دمرتها نار الكومونة - وانه لموضع خلاف ، حتى الوقت الحاضر ، اي مبان احرقها المهاجمون وايها احرقها المدافعون ثم ان المدافعين لم يلجأوا الى النار الا في ذلك الوقت الذي كان جنود فرساي قد باثروا فيه قتل الاسرى بصورة جماعية .

اضف الى هذا ان الكومونة كانت قد اعلنت مسبقاً وعلى المكشوف ، انها لو دفعتها الى ذلك الضرورة القصوى ، ستدفع نفسها تحت انقاض باريس وستجعل من باريس موسكو ثانية (١٢٨) ؛ ففي الماضي اعطت مثل هذا الوعد حكومة الدفاع الوطني ولكن كمجرد قناع تستر به خيانتها لهذا الغرض اوجد تروفسو احتياطاً من الغاز . لقد كانت الكومونة تعرف ان اعداءها لا يابهون مطلقاً لارواح سكان باريس ولكنهم يحرسون حرصاً شديداً على بيوتهم في باريس . واهل تيير من جهته انه لن تاخذه في انتقامه رحمة . وما ان اصبح جيشه جاهزاً للقتال ، من جهة ، وما ان اوصد البروسيون جميع المخارج ، من جهة اخرى ، حتى صاح وساكون حديم الشفقة ! يجب ان يكون التكفير تاماً والعدالة صارمة ! ، واذا كانت اعمال عمال باريس همجية فقد كانت همجية الدفاع عن ياس ، لا همجية المنتصرين الظافرين ، كذلك التي اقترفها المسيحيون اذ خربوا الآثار الفنية التي لا تقدر بثمن حقاً ، مما خلفه العالم الوثني القديم ؛ وحتى تلك الهمجية بررها المؤرخ على اعتبار انها امر لا مناص منه ، امر تافه نسبياً ، رافق ذلك الصراع الجبار بين مجتمع جديد ينهض ومجتمع قديم ينهار . وكانت اجراءات عمال باريس هذه اهون بما لا يقاس من وحشية اوسمان الذي هدم باريس التاريخية ليخلي مكانها لباريس النصابين !

اما اعدام الكومونة لاربع وستين من الرهائن وعلى رؤسهم رئيس اساقفة باريس ! ان البرجوازية وجيشها قد جددا في حزيران (يوليو) ١٨٤٨ عادة من عادات الحروب التي زالت منذ زمن بعيد وهي قتل الاسرى العزل بالرصاص . ومنذ ذلك الحين طبقت هذه العادة الوحشية الى حد معلوم في جميع اعمال

التنكيل بالانتفاضات الشعبية في أوروبا والهند مما يدل بجلاء ووضوح على انها «تقدم المدنية» الحقيقي ! ومن ناحية اخرى اعاد البروسيون في فرنسا عادة اخذ الرهائن - اناس ابرياء كان عليهم ان يتحملوا ، بضمن حياتهم ، مسؤولية اعمال قام بها اناس آخرون وعندما عمد تيير منذ بداية الحرب ضد باريس ، كما راينا ، الى تطبيق العادة الانسانية القائلة بقتل الاسرى الكومونيين رميا بالرصاص ، اضطرت الكومونة ، حماية لارواح هؤلاء الاسرى ، ان تلجأ الى العادة البروسية في اخذ الرهائن وبما ان الفرسانيليين كانوا ، مع ذلك ، يواصلون قتل الاسرى رميا بالرصاص ، فقد عرضوا بانفسهم رهائنهم للاعدام . وكيف يمكن الابقاء على حياتهم امدأ اطول بعد حمام دم احتفل به بريتوريو (١٢٩) مالكماهون بدخولهم الى باريس ؟ وهل كان على الحماية الاخيرة ، اي اخذ الرهائن ، لردع وحشية الحكومة البرجوازية التي لا تتورع عن ارتكاب اي فعل فظيع ، ان تبقى مجرد نكتة ؟ ان القاتل الحقيقي لرئيس الاساقفة داربوا هو تيير . فالكومونة قد عرضت عدة مرات مبادلة رئيس الاساقفة ، ومعه عدد كبير من القساوسة الآخرين ، ببلانكي وحده لا غير ، وقد كان آنذاك في قبضة تيير ولكن تيير رفض هذه المبادلة بعناد . كان يدرك انه سيحطي الكومونة رأساً ، اذا اطلق سراح بلانكي ، بينما كان رئيس الاساقفة يخدم اغراضه على افضل وجه وهو في صورة جثة . في هذه الحالة كان تيير يقلد كافيدياك . فباي صيحات من الاستياء اتهم كافيدياك ورجال النظام من اتباعه ، في حزيران (يوليو) ١٨٤٨ ، الثوار بانهم قتلوا رئيس الاساقفة أفر ! واقع الامر انهم كانوا يدركون تمام الادراك ان رئيس الاساقفة قد قتله جنود حزب النظام . فان السيد جاكمه ،

الوكيل العام لرئيس الاساقفة الذي كان حاضراً في مكان الحادث ،
كان قد اكد هذا لهم بعد الحادث مباشرة .

وواقع ان حزب النظام كان ينشر بعد جميع ولائمه الدموية
التهتكية هذا القدر من الافتراء من ضحاياه ، لا يدل الا على ان
برجوازيي ايامنا يعتبرون انفسهم الورثة الشرعيين للاقطاعيين
السابقين الذين اعترفوا لانفسهم بحق استعمال اي سلاح كان
ضد العامة بينما كان اي سلاح من اي نوع في يد احد العامة
يشكل في حد ذاته جريمة

ان مؤامرة الطبقة السائدة لقمع الثورة عن طريق حرب
اهلية ، تحت رعاية الغازي الاجنبي ، وهي مؤامرة تتبعناها
منذ ٤ ايلول (سبتمبر) وحتى دخول بريتوريي ماركسهاون
بوابة سان-كلو ، ان هذه المؤامرة قد انتهت بمجزرة دموية
في باريس ان ببسمارك يتأمل معجباً بنفسه اطلال باريس التي
ربما رأى فيها الخطوة الاولى من ذلك الدمار الشامل للمدن
الكبرى ، الذي كان يعلم به وهو ما يزال بعد ملاكا عقارياً
بسيطاً - نائباً في chambre introuvable البروسي لسنة ١٨٤٩
(١٤٠) انه يتأمل برضى النفس جثث بروليتاريي باريس .
وليس الامر بالنسبة له مجرد استئصال للثورة بل سحق
فرنسا التي تم الآن قطع رأسها فضلاً ، ويبدد الحكومة الفرنسية
ذاتها . وهو ، بتلك السطحية التي يتميز بها جميع رجال الدولة
الموفقين ، لا يرى الا ظاهرة من هذا الحدث التاريخي الهائل .
ومقارنة التاريخ من قبل فاتحاً عزم على ان يتوج نصره لا بدور
دركي وحسب بل ايضاً بدور قاتل ماجور في يد الحكومة المظلوم
على امرها ؟ لم تكن هنالك اية حرب بين بروسيا والكومونة . بل
بالعكس ، فان الكومونة قد قبلت بالشروط التمهيدية للصالح

واعلنت بروسيا التزامها الحياد ولذلك لم تكن بروسيا طرفاً في القتال لقد قامت بدور القاتل السافل ، لأنها باشرت امراً لا يهددها بأي خطر ، لقد قامت بدور قاتل ماجور لأنها اشترطت مقدماً دفع ثمن القتل الدموي وقدره ٥٠٠ مليون ، بسقوط باريس وهنا بالضبط ظهر أخيراً الطابع الحقيقي للحرب التي قدرتها العناية الالهية قصاصاً لفرنسا الكافرة الفاجرة بيد المانيا التقية القويمة الاخلاق ! وهذا الخرق الذي لا نظير له للحقوق الدولية ، حق من وجهة نظر حقوقي العالم القديم ، بدلا من ان يرغم الحكومات «المتمدينة» في اوروبا على ان تعلن حكومة بروسيا المجرمة ، وهي مجرد اداة في يد وزارة سانت- بطرسبورغ ، خارج القانون ، هذا الخرق اتاح لها فقط حجة للبحث فيما اذا كان من الاجدر تسليم الضحايا القلائل الذين تسنى لهم ان يفلتوا من الطوق المزدوج المضروب حول باريس الى جلاد فرساي !

وبعد افطع حرب من حروب الازمنة العديشة ، اجتمع الجيش الغالب والجيش المغلوب من اجل الاشتراك في التنكيل الدموي بالبروليتاريا ان هذا الحدث الخارق لا يبرهن ، كما ظن بيسمارك ، على ان المجتمع الجديد الذي يشق طريقه قد غلب على امره نهائياً - كلا ، انه يبرهن على التفسخ التام في المجتمع البرجوازي القديم واعلى وثبة بطولية كان المجتمع القديم ما يزال قادراً على القيام بها هي الحرب القومية ، وقد ثبت الان ان هذه ليست سوى تدليس صرف من الحكومة ؛ ام القصد الوحيد من هذا التدليس فهو ارجاء النضال الطبقي ، وحين يشب النضال الطبقي ويتحول الى حرب اهلية ، يتناثر التدليس هباء .

ان السيطرة الطبقية لم تعد قادرة على التكرار في ثوب قومي ؛ ان الحكومات القومية ضد البروليتاريا هي يد واحدة !

بعد عيد النصر من عام ١٨٧١ لم يعد هنالك مكان لا لصلح ولا لهدنة بين العمال الفرنسيين ومتملكي نتاج عملهم ان اليد الحديدية للجنود المرتزقة قد تستطيع ان تسحق هاتين الطبقتين ، بعض الوقت ، بيد ان المعركة بينهما ستنتشب مرة اخرى ولا بد ان تحدثم بشدة متزايدة ؛ ولا يمكن ان يكون هنالك من شك فيمن سيكون المنتصر آخر الامر - الاقلية المتملكة ام الاكثرية الساحقة من الشغيلة . وما العمال الفرنسيون الا طليعة البروليتاريا الحديثة قاطبة

لقد اظهرت الحكومات الاوروبية امام باريس طابع السيطرة الطبقية العالمي ، وهي نفسها ترفع عقيرتها في العالم كله صارخة ان السبب الرئيسي لجميع المصائب هو جمعية الشغيلة العالمية ، اى منظمة العمل العالمية التي تقف في وجه مؤامرة الرأسمال العالمية . ان تبيير يتهم هذه المنظمة بانها طاغية العمل وبانها تدمي انها محرره . ومنع بيكار كل الاتصالات بين اعضاء الاممية الفرنسيين واهضاها في الخارج ؛ واعلن الكولت جوبير ، وهو الشريك المتحفظ لتبيير في حوادث سنة ١٨٢٥ ان اجتثاث الاممية من جذورها يجب ان يكون الواجب الرئيسي امام كل حكومة في بلد متمدن ان « مجلس الملاكين العقاريين » يوزجر ضدها والصحافة الاوروبية تؤيده جامعة اصواتها في جوقة واحدة . قال من جمعيتنا كاتب فرنسي محترم . وهو لا يمت اليها بصلة ، ما يلي

وان اعضاء اللجنة المركزية للحرس الوطني وكذلك الشطر الاعظم من اعضاء الكومونة هم اكثر العقول نشاطا وذكاء وهمة في جمعية الشغيلة لعالمية ولا ريب انهم اناس امناء ، مخلصون ، اذكياء ، متفانون ينتهي التفاني ، انقياء وملتصبون في احسن معاني هذه الكلمة ، طبيعي ان العقل البرجوازي المشرب بالبوليسية يصور لنفسه جمعية الشغيلة العالمية بانها جمعية متآمرة سرية ، تصدر هيئة ادارتها المركزية الاوامر من وقت لآخر بالقيام بانتفاضات في الاقطار المختلفة اما في الواقع فان جمعيتنا ليست الا اتحاداً عالمياً يوحد العمال الطليعيين من مختلف اقطار العالم المتحضر ومن الطبيعي ان يقف اعضاء جمعيتنا في المقدمة حيثما ينشب النضال الطبقي وايا كان الشكل الذي يرتديه وايا كانت الظروف التي يصبح فيها ملموساً . ان التربة التي تنمو عليها هذه الجمعية هي المجتمع الحديث بالذات . ولا يمكن استئصال هذه الجمعية مهما اريق من الدماء . ولاستئصالها ينبغي على الحكومات ان تستاصل طفيان الرأسمال على العمل ، اي ان تستاصل اساس وجودها الطفيلي بالذات

ان باريس العمال ، وكومونتها ، مستظلال الى الابد موضع التبجيل ، بوصفهما البشير المجيد بمجتمع جديد وشهداؤها مثواهم الابدي قلب الطبقة العاملة الكبير وجلادوها سمرهم التاريخ الان على خشبة العار التي لن تجدي في تخليصهم منها جميع الصلوات التي يوددها كهنتهم

هاي هولبورن ، رقم ٢٥٦ ،

لندن ، وسترن سنترال ،

٢٠ ايار (مايو) سنة ١٨٧١

ملحقان

١

ووقف طابور المقبوض عليهم في شارع اورليك ، ثم اصطف في صفوف من اربعة او خمسة اشخاص على الرصيف مديرين ظهورهم لجدران البيوت . توجل الجنرال المركز دي غاليفه واركان حربه وشرعوا في التفتيش من يسار الصف وبينما كان الجنرال يمشي الهوينى ويمارن الصفوف ، كان يتوقف هنا وهناك ويخطب بيده على كتف احد الاشخاص او يومي اليه ليخرج من الصفوف الخلفية وفي معظم الحالات كان الشخص الذي يختار على هذا الوجه ، يُجبر على الخروج ، دولما اية مداولة ، الى منتصف الشارع ، حيث تشكل بعد وقت قصير طابور جديد اصغر حجما ... ومن الواضح انه كان هنالك مجال كبير للخطا حدث ان دل احد الضباط الخيالة الجنرال غاليفه على رجل وامرأة ارتكبا ، على حد زعمه ، جريمة خاصة . فاندفعت الامرأة من بين الصفوف وجثت على ركبتيها ، وبذراعيها ممدودتين اقامت الحجة على براءتها في عبارات مؤثرة انتظر الجنرال بعض الوقت ثم قال بوجه جامد التقاطيع وبمظهر خال تماما من اي لون من الانفعال : وايتها السيدة لقد زرت كل مسارح باريس - لا تجهدي نفسك ولا تلعبى كوميديا (ce n'est pas la peine de jouer la comédie) ، ... لم يكن بالشئ الحسن في ذلك اليوم ان يكون المرء اطول من جيرانه ، على نحو ملحوظ ، او اقلر او انظف او اكبر سنا او اقبح لقد ادعيتني بوجه خاص احد الاشخاص . ربما كان مدينا بتخليصه السريع من ضرور هذه الدنيا لانفه المجدوع ... وبعد ان تم

اختيار ما يزيد من العانة على هذا الوجه وتم فرز فريق للاعدام ، استأنف الطابور سيره مخلفا ايامهم ورائه . وبعد دقائق قلائل بدأ اطلاق النار في مؤخرتنا ودام اكثر من ربح ساعة كان ذلك تنفيذ الاعدام بهؤلاء المتعساء الذين جرت ادايتهم بصفة مستعجلة (مراسل صحيفة « Daily News » ، (والدايلي نيوز) (١٤١) في باريس ، ٨ حزيران - يوليو)

غاليغه هذا وقواد زوجته التي نالت شهرة واسعة لعرض جسمها بصورة ماجنة عديمة الحياء في حفلات التهلكة زمن الامبراطورية الثانية ، كان يطلق عليه في انشاء الحرب اسم «الملازم الثاني» الفرنسي «بيستول» .

وتروي صحيفة « Temps » ، (وطان) (١٤٢) وهي صحيفة حذرة ليس من دأبها الاثارة ، قصة مزعومة من اناس لم يصابوا برصاصات قاتلة ودفنوا قبل ان تفارق اجسادهم الحياة وقد دفن عدد كبير منهم في البولفار المحيط بسان جاك - بوفري ، الكثير منهم بصورة سطحية للغاية . وفي اوقات النهار كانت جلبه الفوارع تحول دون ان يسمح احد شيئا من هذا ، ولكن في هدوء الليل كان سكان البيوت المجاورة يفتقون على صوت الانات الصادرة من بعيد ، وفي الصباح كانوا يرون يدا مقبوضة تبرز من خلال التراب . ومن جراء ذلك صدرت الاوامر باخراج المدفونين ... ولا يساورني ادنى شك في ان كثيرين من الجرحى قد دفنوا وهم على قيد الحياة وهناك حادثة اقطع بصحتها عندما قتل يرويل وعشيقته رميا بالرصاص في اليوم الرابع والعشرين في ساحة احد البيوت في ميدان فندوم ، بقي الجسدان هناك حتى مساء اليوم السابع والعشرين وعندما اتت فرقة الدفن لتأخذ الجثث وجدوا المرأة ما تزال على قيد الحياة فاخذوها الى مستشفى ورغم اسابهاهت باربع طلقات ، جاوزت الآن مرحلة الخطر (مراسل صحيفة « Evening Standard » ، (وايفنيغ ستاندرد) (١٤٢) في باريس ، ٨ حزيران - يوليو)

٢

ظهرت الرسالة التالية (١٤٤) في جريدة « Times » ،
(والتايمز) اللندنية ١٣ حزيران (يوليو)

الى محرر جريدة « Times »

سيدي المحترم !

في ٦ من حزيران (يوليو) سنة ١٨٧١ وجه جول فافر
مستورا الى جميع الدول الاوروبية يدعوها فيه الى النضال ضد
جمعية السفيلة العالمية حتى القضاء عليها . ان ملاحظات قليلة
تكفي لبيان خصائص هذه الوثيقة .

لقد ذكر في مقدمة دستورنا ان الاممية أسست وفي ٢٨
ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٦٤ في اجتماع علني عقد في سانت-
مارتنس-هول ، في لويج-ايكر بلندن* . ان جول فافر ينقل
تاريخ نشأتها ، لاسباب يعرفها احسن من غيره ، الى ما قبل
عام ١٨٦٢ .

ولكي يشرح مبادئنا ، يدعي بانه يقتطف من « منشورها »
(اي منشور الاممية) والمؤرخ في ٢٥ من آذار (مارس)
عام ١٨٦٩ . وما الذي يقتطفه في الحقيقة ؟ منشور جمعية
ليست هي بالاممية على الاطلاق . ان هذا النوع من المناورة كان
قد لجأ اليه من قبل عندما كان عليه ان يدافع ، وهو ما يزال
بعد محاميا ناشئا نسبيا ، عن جريدة « National » ،
(وناشيونال) الباريسية التي قاضاها كابي بتهمة الافتراء .

* راجع ك . ماوكس وف . إنجلز . المؤلفات ، الطبعة الروسية
الثانية ، المجلد ١٦ ، ص ١٢ . انظر .

لقد زعم آلداف انه يقرأ مقتطفات من كرايس كابي بينما كان يقرأ عبارات مدسوسة من عنده وهي حيلة فضحت اثناء انعقاد المحكمة وكان جول فافر سيعاقب ، لولا تسامح كابي ، بطرده من هيئة المحامين في باريس وليس هنالك في عداد جميع الوثائق التي يسردها بوصفها وثائق للاممية ، وثيقة واحدة تخص الاممية . انه يقول مثلاً :

ويقول المجلس العام الذي أسس في لندن في شهر تموز (يوليو) سنة ١٨٦٩ ان الحلف يعلن نفسه ملحقاً .

ان المجلس العام لم يصدر وثيقة كهذه على الإطلاق بل بالعكس ، فقد نشر وثيقة * فسخت النظام الداخلي للحلف — L'Alliance de la Démocratie Socialiste (١٤٥) في جينيف — الذي يورده جول فافر .

وفي كامل هذا المنشور الذي يُزعم بأنه موجه جزئياً ضد الامبراطورية ايضاً ، يكرر جول فافر فقط التلفيقات البوليسية التي لفقها المدعون العامون البونابرتيون والتي دحضت حتى امام محاكم الامبراطورية ذاتها .

من المعروف ان مجلس الاممية العام ، في الندائين اللذين اصدرهما (في تموز — يوليو وايلول — سبتمبر من السنة الماضية) بصدد الحرب الاخيرة * ، قد فضح مشروعات الفتح التي اعدتها بروسيا ضد فرنسا . وفيما بعد طلب السيد رايتلينجر ، السكرتير الخاص لجول فافر ، من بعض اعضاء المجلس العام ، بلا جدوى

* راجع ك ماركس وجمعية الشفيلة العالمية وحلف الديمقراطية الاشتراكية ، **الناشر**

** راجع هذا المجلد ، ص ١٤١-١٤٧ ، ١٤٨-١٥٨ . **الناشر** .

بطبيعة الحال ، ان يتوصلوا الى ان يعمل المجلس بصورة تلفت النظر ضد بيسمارك وتأييداً لحكومة الدفاع الوطني ؛ ورجا هؤلاء بصفة خاصة الا يذكروا الجمهورية ان التحضيرات التي جرت للقيام بمظاهرة لمناسبة زيارة جول فافر المنتظرة الى لندن قد تمت - باحسن النوايا من غير شك - رغماً عن المجلس العام الذي حذر عمال باريس مسبقاً وبصورة واضحة في ندائه الصادر في ٩ ايلول (سبتمبر) من جول فافر وزملائه

وماذا يقول جول فافر نفسه لو ان مجلس الاممية العام ارسل بدوره منشوراً حول جول فافر الى جميع مجالس الوزراء في اوربا يلفت فيه انتباهها الخاص الى الوثائق التي نشرها في باريس المرحوم السيد ميلير ؟
اني يا سيدي المحترم ، لا ازال خادمكم المطيع

جون هيلز

سكرتير المجلس العام

لجمعية الشغيلة العالمية

هاي هولبورن ، رقم ٢٥٦ ،

لندن ، وسترن سنترال ،

١٢ حزيران (يوليو)

ونشرت صحيفة « Spectator » (وسبكتاتور) (١٤٦)
اللندنية (المصادرة في ٢٤ حزيران - يوليو) مقالا حول
« الجمعية العالمية واهدافها » عمدت فيه ، بصفتها واهية ورعة ،
الى الاقتطاف من وثيقة الحلف المشار اليها آنفاً على انها من
انتاج الاممية ، وذلك بصورة قد تكون اولى مما فعل جول

فاخر كما عمدت الى غير ذلك من اعمال المكر . وقد طبعت ذلك بعد احد عشر يوماً من نشر التكذيب الوارد اعلاه ، في جريدة « Times » . اننا لا ندهش لهذا . فقد كان فريدريك الاكبر يقول ان اليسوعيين البروتستانت هم شر اليسوعيين كافة

يصدر حسب نص الطبعة	كتبه ماركس في نيسان - ايار
الانجليزية الثالثة لعام ١٨٧١	(ابريل - مايو) عام ١٨٧١
بعد مقارنته مع نص الطبعتين	صدر بكراس على حدة في
الالمانيتين لسنة ١٨٧١	لندن في اواسط حزيران
وسنة ١٨٩١	(يوليو) عام ١٨٧١ ، وصدر
	خلال ١٨٧١-١٨٧٢ في مختلف
	بلدان اوروبا وفي الولايات
	للمتحدة الاميركية

الجلس

بصد نشاط الطبقة العاملة السياسي

كلية المجلس ، كما سجلها بنفسه ، في جلسة
مؤتمر لندن لجمعية الشغيلة العالمية
٢١ ايلول ١٨٧١ (١٤٧)

ان مقاطعة السياسة مقاطعة تامة امر مستحيل ؛ ان جميع
جرائد انصار المقاطعة تتعاطى ايضا السيلسة . وتنحصر الممالة
كلها في ان تعرف كيف لمارس السياسة واي سياسة لمارس .
ناهيك بان المقاطعة مستحيلة بالنسبة لنا فان حزب العمال ،
بوصفه حزباً سياسياً ، موجود في اقلية البلدان . وليس لنا
ان نهدمه بالترويج لمقاطعة السياسة وان الحياة العصرية ،
والاضطهاد السياسي الذي تنهال به الحكومات القائمة على العمال -
سواء لاهراض سياسية ام لاهراض اجتماعية - يجبر ان العمال
على معاطاة السياسة ، فإؤوا ام ابوا . ان وعظ العمال بمقاطعة
السياسة من شأنه ان يدفعهم الى احضان السياسة البرجوازية
وان مقاطعة السياسة مستحيلة تماما لا سيما بعد كومونة باريس
التي طرحت في جدول الاعمال نشاط البروليتاريا السياسي
نحن نريد محو الطبقات فما هي الوسيلة لبلوغ هذا
الهدف ؟ - سيادة البروليتاريا السياسية . ولكن ، ها هم ، عندما
اصبح هذا واضحا في منتهى الوضوح ، يطلبون منا عدم التدخل
في السياسة ! ان جميع الواعظين بمقاطعة السياسة يسمون انفسهم

بالثوريين وحتى بالثوريين على وجه التفضيل ولكن الثورة
اسمى اعمال السياسة ؛ وان من يسمى اليها ، انما يترتب عليه
ان يقر ايضا بالوسائل ، بالاعمال السياسية التي تهى الثورة ،
والتي تربى العمال لاجل الثورة ، والتي بدونها سيخضع دائما
اضراب فافر وبيا العمال في اليوم الثاني بعد المعركة اما
السياسة التي يجب انتهاجها فهي السياسة العمالية ؛ لا يجب على
الحزب العمالي ان يسير في ذيل هذا الحزب البرجوازي او ذلك ،
بل يجب عليه ان يتشكل كحزب مستقل له هدفه الخاص ،
وسياسته الخاصة

الحريات السياسية ، وحقوق الاجتماعات والجمعيات ، وحرية
الطبع والنشر ، - هذا هو سلاحنا ؛ فهل في مقدورنا ، يا ترى ،
ان نبقى مكتوفي الايدي ونقاطع السياسة اذا شأؤوا انتزاع هذا
السلاح منا ؟ يقال ان كل نشاط سياسي يعني الاعتراف بالنظام
القائم . ولكن ما دام هذا النظام يضع في ايدينا الوسائل للنضال
ضده ، فان استعمال هذه الوسائل لا يعني الاعتراف بالنظام القائم .

صدر للمرة الاولى بنصه الكامل
في مجلة كومونستيتشيسكي
التراسيونال (والاممية الشيوعية) ، من الفرنسية
صدر حسب المخطوطة
تمت الترجمة نقلا
العدد ٢٩ ، عام ١٩٢٤

ماركس نقد برنامج غوتا (١٤٨)

ملزمة لفرديريك انجلس (١٤٩)

ان المخطوطة التي تطبع في هذا الكراس ، - سواء الرسالة الى براكه او نقد مشروع البرنامج - قد ارسلت الى براكه في عام ١٨٧٥ ، قبيل انعقاد مؤتمر غوتا التوجيهي (١٥٠) ، لكي يعرضها بدوره على غيب وآوير وبيل ولينكنخت ثم يعيدها الى ماركس . ولما كانت مناقشة برنامج غوتا واردة في جدول اعمال مؤتمر الحزب في هاله (١٥١) ، فاني اعتقد اني اقترف جريمة اذا ما تماهلت زمنا آخر ايضا بنشر هذه الوثيقة الهامة ، والتي ربما تكون لهم الوثائق التي تتعلق بهذه المناقشة . ولكن للمخطوطة شأن آخر ايضا ، واكبر بكثير . فللمرة الاولى نجد فيها الموقف الذي اتخذته ماركس ازاء الخطة التي تبناها لاسال منذ بداية نشاطه التحريضي ، نجده معروضا بوضوح ودقة ، شاملا في آن مبادئ لاسال الاقتصادية وتاكتيكية . فان الصرامة القاطعة التي حلل بها ماركس مشروع البرنامج ، والتصلب الذي اورد فيه استنتاجاته ، ونقاط الضعف التي كشفها وعراها في البرنامج ، كل ذلك لم يعد بالامكان ان يجرح اليوم احدا ، بعد مضي خمسة عشر عاما فلم يبق من اللاساليين الاصيلين الا في الخارج ، بصورة انقاض منفردة ، بل ان واضعي برنامج غوتا قد تغلوا عنه في هاله باعتباره غير مرض اطلاقا .

ورغم ذلك ، حذف حيث لا يهم الحذف ، التعابير والتقديرات القاسية المتعلقة ببعض الشخصيات ، واستعضت عنها بنقط . ان ماركس كان فعل الشيء نفسه لو انه نشر مخطوطته اليوم . فان عنف اللهجة الذي نجده فيها احيانا انما نجم عن اعتبارين الاول ، هو اننا كنا ، ماركس وانا ، ملتحمين في الحركة الالمانية اكثر مما في اية اخرى ، فكان لا بد للتراجع البين في مشروع البرنامج من ان يبعث فينا بالغ الاشمئزاز اما الاعتبار الثاني ، فهو اننا كنا حينذاك ، وما كادت تمضي سنتان على مؤتمر الاممية في لاهاي (١٨٩٢) ، في ذروة المعركة ضد باكونين واتباعه من الفوضويين الذين كانوا يعتبروننا مسؤولين عن كل ما يجري في صفوف الحركة العمالية في ألمانيا ؛ ولذا كان لا بد لنا ان نتوقع ان تنسب اليانا ابوة هذا البرنامج السرية . ولكن هذين الاعتبارين قد بطلا اليوم ، كما بطلت في الوقت نفسه ضرورة المقاطع المذكورة آنفا

وفضلا من ذلك ، ثمة جمل استبدلت بالنقط ، لاسباب تتعلق برقابة الصحافة وحيث ترتب علي ان اختار تعبيرا لطفا ، وضعته بين معقفين . وما عدا هذا ، طبعت المخطوطة بنصها الحري .

لندن ، ٦ كانون الثاني (يناير) ١٨٩١

ف . المجلس

نشرت في مجلة (Die Neue Zeit)
(ودي نويه زايته) ، المجلد ١ ،
العدد ١٨ ، ١٨٩٠-١٨٩١
يصدر حسب نص المجلة
تمت الترجمة لنقل
عن الالمانية

رسالة الى براكه

لندن ، ٥ ايار (مايو) ١٨٧٥

عزيزي براكه !

بعد مطالعة الملاحظات الانتقادية الواردة ادناه بخصوص البرنامج التوحيدي ، تفضل بارسالها الى غيب وآوير وبيل وليكنخت للاطلاع عليها . ان لدي من الشغل لما فوق رأسي فاراني مضطراً لأن اتخطى بعيداً حدود وقت العمل الذي يسمح لي به الطبيب . ولذا لم اجد ولدة خاصة في غربشة هذه الكمية البالغة من الورق . ولكن هذا كان ضروريا لكي لا يستطيع الاصدقاء الحزبيون الذين حررت من اجلهم هذه الملاحظات ان يفسروا فيما بعد تفسيراً خاطئاً للتدابير التي سيترب علي ان اتخذها من جانبي . - اقصد بذلك بيانا موجزا سننشره انجلس وأنا بعد المؤتمر التوحيدي وعلن فيه انه لا علاقة لنا اطلاقا ولا صلة بهذا البرنامج المبدئي المشار اليه .

وهذا المسمى ضروري لأنه تروج في الخارج اشاعة كاذبة اطلاقا يغذيها اعداء الحزب بامعان وتزعم اننا نوجه من هنا ، صراً ، حركة الحزب المسمى بحزب ايزيناغ (١٥٣) فان باكوئين ، مثلاً ، قد نشر لأمد قريب كتاباً باللغة الروسية (١٥٤) جعلني فيه مسؤولاً ، لا من كل برامج هذا الحزب وغير ذلك

من وثائقه فحسب ، بل ايضا عن كل خطوة خطاها ليكنخت منذ بداية تعاونه مع حزب الشعب وما عدا ذلك ، لا يسمح لي واجبي بان اعترف ، وان بصمت ديبلوماسي ، برنامج انا مقتنع بانه غير صالح اطلاقا وبانه يهدم من معنويات الحزب .

ان كل خطوة تخطوها الحركة الفعلية لأهم من دزينة من البرامج . ولذا ، اذا كان قد تبين انه من المستحيل تجاوز برنامج ايوناخ - والظروف لم تكن لتسمح بذلك - فقد كان من المترتب عقد اتفاق ، على الاقل ، من اجل العمل ضد العدو المشترك ولكنهم ، اذ عمدوا الى وضع برامج مبدئية (بدلا من تأجيل هذا الامر الى مرحلة يحضره فيها نشاط مشترك اطول) ، يقيمون بالتالي امام العالم كله صوى يحكم الناس بالاستناد اليها على المستوى الذي بلغته حركة الحزب .

لقد جاء زعماء الاساليين اليينا بدافع الظروف . فلو قيل لهم منذ البدء بانه لن يقدم احد على اية مساومة حول المبادئ ، لكان تولب عليهم طبعا الاكتفاء ببرنامج عمل او برنامج تنظيم بغية القيام بعمل مشترك ولكن بدلا من هذا يسمحون لهم بان ياتوا مسلحين بتفويضات ويعترفون بمفعولها الالزامي ، وهكذا يستسلمون ويضعون انفسهم تحت رحمة اناس هم انفسهم بحاجة الى المساعدة . وزيادة في الطين بلة ، عقد هؤلاء مؤتمرهم قبل المؤتمر التوفيقي في حين عقد الحزب بالذات مؤتمره post festum (١٥٥) ومن الجلي انه كان ثمة سعي الى درء اي انتقاد والى منع الحزب بالذات من التفكير في المسألة . ومعلوم ان واقع الاتحاد بالذات يرضي العمال ، ولكنهم يخطئون اولئك الذين يعتقدون ان هذا النجاح العابر لا يكلف غاليا جدا .

وفضلا من ذلك ، فان البرنامج لا قيمة له ، حتى ولو لم
ناخذ بعين الاعتبار انه يضفي صفة القداسة على قوانين الايمان
الاساسية

وفي القريب العاجل ، سارسل لك الكراريس الاخيرة من
الطبعة الفرنسية لوراس المال» وقد تاخر طبعها زمنا طويلا
بسبب من منع الحكومة الفرنسية ان الكتاب سيكون جاهزا
في هذا الاسبوع او في مطلع الاسبوع القادم فهل تلقيت
الكراريس الستة الاولى ؟ ارجوك ايضا ان ترسل لي عنوان برنغارد
بيكر الذي يتعين علي ان ارسل له ايضا هذه الكراريس الاخيرة .
ان **لدار الطبع «فولكسشتات» (« Volksstaat »)** عاداتها
الخاصة . فاني لم استلم مثلا حتى الآن اية نسخة من الطبعة الجديدة
لكتاب «محاكمة الشيوعيين في كولونيا» .

مع اطيب تمنياتي

المخلص كارل ماركس

* راجع كارل ماركس . واضواء على محاكمة الشيوعيين في
كولونيا . انتشار .

ملاحظات على برنامج حزب العمال الالمانى

١

١ . والعمل مصدر كل ثروة وكل ثقافة ،
ولها كان العمل المفيد غير ممكن الا في المجتمع
وبوساطة المجتمع ، فان دخل العمل يخص
بكليته ، وبالحق المتساوي ، جميع اعضاء
المجتمع»

القسم الاول من هذه الفقرة : والعمل مصدر كل ثروة وكل

ثقافة»

ان العمل ليس مصدر كل ثروة . فالطبيعة هي مصدر القيم
الاستعمالية (التي هي بالضبط تؤلف الثروة المادية !) بقدر ما
هو عليه العمل الذي ليس هو نفسه سوى ظاهرة لقوة من قوى
الطبيعة اي لقوة عمل الانسان وهذه الجملة الواردة اعلاه
تعثرون عليها في جميع كتب الالفباء ، ولا تصح الا بقدر ما تعني
ان العمل يجري عند توافر الاشياء والادوات المناسبة . ولكنه
لا يجوز لبرنامج اشتراكي ان يحتوي مثل هذه التعابير والجمل

البرجوازية التي تلزم الصمت حول الشروط التي وحدها تستطيع ان تعطيهامعنى فان عمل الانسان لن يصبح مصدر القيم الاستعمالية ، وبالتالي مصدر الثروة ، الا شرط ان يسلك ، منذ البدء ، سلوك المالك ازاء الطبيعة ، ازاء هذا المصدر الاول لجميع وسائل العمل ومواد العمل ، شرط ان يعاملها كأنما شيء يخصه ان للبرجوازيين اسباباً وجيهة جداً لكي ينسبوا الى العمل هذه القوة الخلاقة الفائقة الطبيعة ؛ اذ ينجم من كون العمل مشروطاً بالطبيعة ، ان الانسان الذي لا يملك غير قوة عمله ، يصبح بالضرورة ، مهما كانت احواله الاجتماعية والثقافية ، عبد الذين وضعوا ايديهم على شروط العمل المادية فلا يستطيع ان يعمل ، وبالتالي ان يعيش ، الا باذن هؤلاء

ولكن لنضع الآن هذه الجملة كما وردت ومهما كانت عيوبها فاي استنتاج يمكن ان نتوقعه ؟ طبعاً ، الاستنتاج التالي

«لما كان العمل مصدر كل ثروة ، فما من انسان في المجتمع يستطيع ان يستأثر بالثروة بدون الاستئثار بنتاج العمل فاذا كان هذا الانسان لا يشتغل بنفسه ، فانه يعيش على حساب عمل الآخرين ، بل انه يكسب ثقافته ايضاً على حساب عمل الآخرين»

وبدلاً من هذا الاستنتاج ، يضيفون الى الجملة الاولى جملة ثانية بوساطة التعبير «ولها» ، لكي يستخلصوا من الثانية ، لا من الاولى ، استنتاجاً

الفصل الثاني من الفقرة «العمل المفيد غير ممكن الا في المجتمع وبوساطة المجتمع»

وفقاً للموضوعة الاولى ، كان العمل مصدر كل ثروة وكل ثقافة ، وبالتالي لا يمكن ان يكون ثمة مجتمع دون العمل .

ولكن ، ما نحن نعلم بالعكس ان العمل «المفيد» غير ممكن بدون المجتمع .

وعلى هذا المنوال ، يمكن القول ايضاً ان في المجتمع فقط يمكن للعمل غير المفيد ، وحق الضرر اجتماعياً ، ان يصبح فرعاً من فروع الصناعة ، وان في المجتمع فقط يمكن للمرء ان يعيش بدون عمل ، الخ ، الخ . - اي انه ، بكلمة موجزة ، يمكن استنساخ كل روسو

وما هو العمل «المفيد» ؟ انه ليس سوى العمل الذي يعطي النتيجة المفيدة المرغوب فيها فالانسان المتوحش - وقد كان الانسان متوحشاً بعد ان كف عن ان يكون قرداً - الذي يقتل حيواناً بضربة حجر ، او يقطف الثمر ، الخ ، انما يقوم بعمل «مفيد»

ثالثاً . الاستنتاج : ولما كان العمل المفيد غير ممكن الا في المجتمع وبوساطة المجتمع ، فان دخل العمل يخص بكيته ، وبالحق المتساوي ، جميع اعضاء المجتمع

فيا له من استنتاج ظريف ! فاذا كان العمل المفيد غير ممكن الا في المجتمع وبوساطة المجتمع ، فان دخل العمل يخص المجتمع - ولا يعود الى الشفيل بمفرده الا شيء يزيد مما لا غنى عنه لبقاء المجتمع بوصفه «شرط» العمل بالذات

وبالفعل ، كان المفعلون من كل نظام اجتماعي قائم يتقدمون في جميع الازمان بهذه الموضوع . اولاً ، ترد ادعاءات الحكومة ، مع كل ما يلتصق بها ، لأن الحكومة ، كما يقال ، هي جهاز المجتمع للمحافظة على النظام الاجتماعي ؛ ثم ترد ادعاءات شتى انواع الملكية الخاصة ، لأن شتى انواع الملكية الخاصة هي كلها ، كما يقال ، اساس المجتمع ، الخ . . وهكذا نرى ان جميع هذه لجمل الفارغة يمكن قلبها وتفسيرها حسب الرغبة .

ولن يكون ثمة اي ترابط منطقي بين القسم الاول والقسم
لثاني من هذه الفقرة الا اذا وضعناها كما يلي :

« ان العمل لا يكون مصدراً للثروة والثقافة الا اذا كان
عملاً اجتماعياً » ، او ، بتعبير آخر يؤدي المعنى نفسه ، « في
المجتمع وبوساطة المجتمع »

ان هذه الموضوعه صحيحة لا جدال فيها لأن العمل المنفرد
(هذا اذا افترضنا وجود شروطه المادية) ، اذا كان يستطيع
ان يخلق قيماً استعمالية ، 'نما لا يستطيع ان يخلقه ، لا الثروة
ولا الثقافة

ولكن الموضوعه الاخرى صحيحة ايضا ولا جدال فيها
« وبقدر ما يتطور العمل تطوراً اجتماعياً ويغدو بالتالي
مصدراً للثروة والثقافة ، بقدر ما يشتد الفقر والاملاق عند العامل ،
وتتعاظم الثروة والثقافة عند غير العامل »

ذلك هو قانون التاريخ برمته حتى الآن فبدلاً من الجمل
والتعابير العامة حول « العمل » و« المجتمع » ، كان ينبغي اذن
ان يوضح هنا بدقة كيف تكونت في نهاية الامر ، في ظل المجتمع
الرأسمالي الحالي ، الشروط المادية وغيرها من الشروط التي تجعل
العمال قادرين على ذلك هذه اللجنة الاجتماعية وتدفعهم الى
تحطيمها

ولكن كل هذه الفقرة ، غير الموفقة شكلاً والباطلة اساساً ،
لم ترد هنا الا لكي يستطيع كتابة الصيغة اللاسالية ودخل العمل
غير المنقوص » ، كأول شعار على راية الحزب . وسأعود فيما
بعد الى « دخل العمل » و« الحق المتساوي » ، الخ . ، لأن الشيء
نفسه يتكرر فيما بعد على نحو مختلف نوعاً .

٢ . وان وسائل العمل في المجتمع العالي هي احتكار الطبقة الرأسمالية وجمعية الطبقة العاملة ، الناجمة عن هذا الوضع ، هي سبب البؤس والاستبداد بكل اشكالهما»

ان هذه الفقرة ، المقتبسة من دستور الاممية ، خاطئة بهذه الصيغة «المحسنّة»

فان وسائل العمل في المجتمع العالي هي احتكار الملاكين العقاريين (بل ان احتكار الملكية العقارية هو اساس الاحتكار الرأسمالي) والرأسماليين الا ان دستور الاممية لا يذكر في المقطع المعني ، لا الطبقة الاحتكارية الاولى ولا الثانية انما يشير الى «احتكار وسائل العمل اي مصادر الحياة» ان اضافة كلمتي «مصادر الحياة» تبين كفاية ان الارض هي في عداد وسائل العمل

وقد اجري هذا التحسين لأن لاسال ، لاسباب غدت معروفة اليوم لدى الجميع ، كان يهاجم الطبقة الرأسمالية وحدها ، دون الملاكين العقاريين ففي انجلترا ، لا يكون الرأسمالي ، عادة ، مالكا حق للارض التي يقوم عليها مصنعه .

٣ . وان تحرير العمل يتطلب رفع وسائل العمل الى مستوى ملكية المجتمع بأسره ، وضبط العمل الاجمالي بصورة جماعية مع توزيع دخل العمل توزيعا عادلا»

وان رفع وسائل العمل الى مستوى ملكية المجتمع بأسره (١) يعني على ما يبدو «تحويلها الى ملكية للمجتمع بأسره» ، ونقول هذا عرضا .

ما هو المقصود بـ «دخل العمل» ؟ أهو نتاج العمل ام قيمته ؟
 فلذا عنيت قيمته ، فهل هي قيمة النتاج الاجمالية لو فقط
 القسم من القيمة الذي اضافته العمل الى قيمة وسائل الانتاج
 المستهلكة ؟

ان «دخل العمل» عبارة عن فكرة غامضة كان لاسال يتخذها
 بدلا من مفاهيم اقتصادية واضحة
 وما هو «التوزيع العادل» ؟

الا يدعي البرجوازيون ان التوزيع الحالي «عادل» ؟
 وبالفعل ، اليس التوزيع الحالي التوزيع «العادل» الوحيد على
 اساس اسلوب الانتاج الحالي ؟ وهل العلاقات الاقتصادية تنظمها
 المفاهيم الحقوقية ام الامر على العكس ، اي ان العلاقات الحقوقية
 هي التي تنبثق من العلاقات الاقتصادية ؟ ثم ، ألا يتبنى اصحاب
 الشيع الاشتراكية المختلفة ، اكثر الآراء تبائنا حول هذا التوزيع
 «العادل» ؟

فلكي ندرك ما هو المقصود هنا بهاتين الكلمتين التوزيع
 «العادل» ، ينبغي لنا ان نقارن الفقرة الاولى بالفقرة الثالثة
 فالفقرة الثالثة تفترض مجتمعا «تكون فيه وسائل العمل ملكية
 المجتمع بأسره ، ويضبط فيه العمل الاجمالي بصورة جماعية» ،
 بينما تقول لنا الفقرة الاولى «ان دخل العمل يخص بكليته
 وبالحق المتساوي ، جميع اعضاء المجتمع»

«جميع اعضاء المجتمع» ؟ حق اولئك الذين لا يشتغلون ؟
 واذا ذلك ، اين هو «دخل العمل غير المنقوص» ؟ مجرد اعضاء
 المجتمع الذين يشتغلون ؟ فاين هو اذن «الحق المتساوي»
 بين جميع اعضاء المجتمع ؟

ولكن «جميع اعضاء المجتمع» و«الحق المتساوي» ليسا

سوى مجرد جملتين اما الجوهر ، فقوامه انه ينبغي في هذا المجتمع الشيوعي ان ينال كل شغل ، كما يقول لاسال ، ودخل العمل غير المنقوص»

فاذا اخذنا اولا كلمتي «دخل العمل» بمعنى الشيء الذي يخلقه العمل ، فان دخل العمل الجماعي يعني حينذاك **النتاج الاجتماعي الاجمالي** .

والآن ، ينبغي ان نقتطع منه

اولا ، ما نستعيز به عن وسائل الانتاج المستهلكة ؛

ثانيا ، قسما اضافيا لتوسيع الانتاج ؛

ثالثا ، اموالا للاحتياط او للتأمين ضد الطوارئ ، والكوارث

الطبيعية ، الخ

ان هذه الاقتطاعات من «دخل العمل غير المنقوص» تحتها ضرورة اقتصادية ، وتحدد مقاديرها وفقا للوسائل والقوى المتوافرة ، وجزئيا بموجب حساب الاتفاق ؛ ولكنها في مطلق الاحوال لا يمكن تحديدها على اساس العدالة .

يبقى القسم الاخر من النتاج الاجتماعي ، وهو القسم المعد

للاستهلاك

ولكن قبل الشروع بتوزيعه على الافراد ، يقتطع منه ايضا :

اولا ، **النفقات الادارية العامة** ، التي لا علاقة مباشرة لها

بالانتاج .

ان هذا الجزء سيهبط فوراً هبوطاً ملحوظاً بالقياس الى

قدره في المجتمع الحالي ، وسيقل بقدر ما يتطور المجتمع الجديد

ثانيا ، ما هو معدّ لتلبية حاجات المجتمع المشتركة ، من

مدارس ، ومؤسسات صحية ، الخ ..

ان هذا اتجزء سيزداد فوراً زيادة كبيرة بالقياس الى قدره

في المجتمع الحالي ، وسينمو بقدر ما يتطور المجتمع الجديد .

ثالثاً ، الأموال الضرورية لاهالة العاجزين عن العمل ، الخ .
 اي ، بكلمة موجزة ، ما يعود الى ما يسمى اليوم باغالة الفقراء الرسمية .

وبعد ذلك فقط ، نصل الى ذلك «التوزيع» الذي لا يعني البرنامج الا اياه ، تحت تأثير لاسال ، وبصورة ضيقة ، محدودة ، اي الى هذا القسم من اشياء الاستهلاك الذي يوزع بصورة فردية بين منتجي المجتمع

وهكذا تحول «دخل العمل غير المنقوص» بصورة غير محسوسة الى «دخل منقوص» ، رغم ان ما يؤخذ من المنتج ، بوصفه فرداً ، انما يعود عليه بالنفع من جديد ، مباشرة ام بصورة غير مباشرة ، بوصفه عضواً في المجتمع .

وكما ان تعبير «دخل العمل غير المنقوص» قد ذاب واختفى ، كذلك يدوب ويختفي تعبير «دخل العمل» بوجه عام . في مجتمع قائم على المبادئ الجماعية ، قائم على الملكية العامة لوسائل الانتاج ، لا يتبادل المنتجون منتجاتهم ؛ ان العمل المبذول على المنتجات لا يظهر في هذا النظام الاجتماعي على انه قيمة هذه المنتجات ، على انه صفة مادية تنطوي عليها هذه المنتجات ، اذ انه خلافاً لما يجري في المجتمع الرأسمالي ، ينفذو عمل الفرد بصورة مباشرة ، لا بصورة غير مباشرة ، جزءاً لا يتجزأ من عمل المجتمع . وهكذا ، ان تعبير «دخل العمل» ، الذي لا يصمد للنقد حتى في ايماننا هذه بسبب ابهامه ، يفقد كل معنى .

ان ما نواجهه هنا ، انما هو مجتمع شيوعي لا كما تظن على اسمه الخاصة بل بالعكس ، كما يفرج لتوه من المجتمع الرأسمالي ، اي مجتمع لا يزال ، من جميع النواحي ، الاقتصادية

والاخلاقية والفكرية ، يحمل سمات المجتمع القديم الذي خرج من احشائه فالمنتج يتلقى اذن بصورة الفردية - بعد جميع الاقتطاعات - ما يوازي تماما ما قدمه للمجتمع وما قدمه للمجتمع ، انما هو نصيبه الفردي من العمل . مثلا ، ان يوم العمل الاجتماعي يمثل مجمل ساعات العمل الفردية ؛ ووقت العمل الفردي الذي بذله كل منتج هو النصيب الذي قدمه من يوم العمل الاجتماعي ، هو القسط الذي اسهم به في هذا العمل . وهو يتلقى من المجتمع سندا يثبت انه قدّم قدرا معينا من العمل (بعد اقتطاعات العمل المبذول من اجل الصناديق الاجتماعية) وبهذا السند ، ياخذ من المخزون الاجتماعي كمية من اشياء الاستهلاك تناسب قدر عمله . وهكذا فان نفس النصيب من العمل الذي قدمه للمجتمع بشكل معين ، انما يتلقاه من المجتمع بشكل آخر

ومن الواضح اننا نواجه هنا نفس المبدأ الذي ينظم تبادل البضائع طالما انه تبادل قيم متساوية ان المحتوى والشكل يتغيران لانه ، نظراً لتغير الاحوال ، لا يستطيع احد ان يقدم شيئا غير عمله ، هذا من جهة ، ولأله ، من جهة اخرى ، لا يمكن لغير اشياء الاستهلاك الفردي ان يدخل في ملكية الفرد . اما فيما يتعلق بتوزيع هذه الاشيء بين المنتجين بصورة فردية ، فان المبدأ الموجّه هو نفس المبدأ الذي يسود فيما يتعلق بتبادل البضائع المتعادلة فان قدرا معينا من العمل بشكل ما يبادل لقاء نفس القدر من العمل بشكل آخر

وهكذا فان الحق المتساوي يظل هنا ، من حيث المبدأ ، الحق البرجوازي ، رغم ان المبدأ والتطبيق العملي يكفان عن

التناقض هنا ، في حين ان تبادل القيم المتعادلة لا يبقى في ظل تبادل البضائع الا بصورة وسطية ، لا في كل حالة من الحالات . ورغم هذا التقدم ، يظل هذا الحق المتساوي محصوراً من ناحية واحدة ضمن حدود برجوازية فان حق المنتج يتناسب مع العمل الذي بذله ؛ والمساواة تتجلى هنا في انقاذ العمل وحدة مشتركة للقياس

ولكن ، رب فرد يتفوق جسدياً او فكرياً على فرد آخر ، فهو اذن يقدم ، خلال الوقت نفسه ، قدراً اكبر من العمل او انه يستطيع ان يعمل وقتاً أطول ؛ ولكن لكي يكون العمل مقياساً ، ينبغي ان يتحدد بمدة او شدته ، والا كفّ عن ان يكون وحدة للقياس . ان هذا الحق المتساوي هو حق غير متساو لقاء عمل غير متساو فهو لا يقر بأي امتياز طبقي لأن كل انسان ليس سوى شغل كغيره ؛ ولكنه يقر ضمناً بعدم المساواة في المواهب الفردية ، وبالتالي في الكفاءات الانتاجية بوصفها امتيازات طبيعية فهو اذن ، من حيث المحتوى ، حق قائم على عدم المساواة ، ككل حق . فالحق ، بحكم طبيعته ، لا يمكن ان يتجلى الا في استعمال نفس الوحدة القياسية ؛ ولكن الافراد غير المتساوين (ولن يكونوا افراداً متميزين اذا لم يكونوا غير متساوين) لا يمكن قياسهم وفقاً لوحدة مشتركة الا بقدر ما يرى اليهم من وجهة النظر نفسها ، الا بقدر ما يرى اليهم من زاوية معينة ، واحدة ، مثلاً ، في الحالة المعنية ، حيث لا يرى اليهم الا بوصفهم هملاً ، لا اكثر ، وبصورة مستقلة عن كل الباقي . وبعد رب حامل متزوج ، والاخر عازب ؛ ورب رجل عنده من الاولاد اكثر من رجل اخر ؛ الخ . الخ وهكذا ، لقاء العمل المتساوي ، وبالتالي مع الاستفادة المتساوية من

الصندوق الاجتماعي للاستهلاك ، يتلقى احدهم بالفعل اكثر من الآخر ، ويظهر افنى منه ، الخ . . ولاجتناب كل هذا ، لا ينبغي ان يكون الحق متساوياً ، بل ينبغي ان يكون غير متساو .

ولكنها تلك عيوب محتومة لا مناص منها في الطور الاول من المجتمع الشيوعي كما يخرج من المجتمع الرأسمالي بعد مخاض طويل وعسير فالحق لا يمكن ابداً ان يكون في مستوى اعلى من النظام الاقتصادي ومن درجة التمدن الثقافي التي تناسب هذا النظام

وفي الطور الاعلى من المجتمع الشيوعي ، بعد ان يزول خضوع الافراد المذل لتقسيم العمل ويزول معه التضاد بين العمل الفكري والعمل الجسدي ؛ وحين يصبح العمل ، لا وسيلة للعيش وحسب ، بل الحاجة الاولى للحياة ايضاً ؛ وحين تتنامى القوى المنتجة مع تطور الافراد في جميع النواحي ، وحين تتدفق جميع ينابيع الثروة العامة بفيض وغزارة ، - حينذاك فقط ، يصبح بالامكان تجاوز الافق الضيق للحق البرجوازي تجاوزاً تاماً ، ويصبح بامكان المجتمع ان يسجل على رايته من كل حسب كفاءاته ، ولكل حسب حاجاته ؛

لقد توسعت بخاصة حول «دخل العمل غير المنقوص» من جهة ، وكذلك حول «الحق المتساوي» و«التوزيع العادل» ، من جهة اخرى ، لكي ابين اية جريمة كبيرة ترتكب ، من جهة ، حين يراد من جديد ان تفرض على حزبنا ، كمقائل جامدة ، مفاهيم كان لها بعض المعنى في مرحلة معينة ، ولكنها لم تبق اليوم سوى عبارات مطروقة باطلاً ، ومن جهة اخرى ، حين يراد تشويه النظرة الواقعية التي كلفت جهوداً طائلة لبثها في صفوف الحزب ، ولكنها التي رسخت فيه عميقاً اليوم ، وذلك بواسطة

مفاهيم حقوقية خرقاء وغير ذلك من الاضاليل الشائعة بين الديموقراطيين وبين الاشتراكيين الفرنسيين .
وبصرف النظر عما قيل آنفا ، كان من الخطأ على وجه العموم ان يجعل مما يسمى التوزيع الامر الاساسي وان يصار الى ابرازه .
فان توزيع اشياء الاستهلاك ، في كل عصر وطور ، ليس سوى نتيجة لتوزيع شروط الانتاج نفسها ولكن توزيع هذه الأخيرة يعبر عن طابع اسلوب الانتاج بالذات فان اسلوب الانتاج الرأسمالي ، مثلا ، يركز على كون شروط الانتاج المادية بشكل ملكية الرأسمال وملكية الأرض ، تقع في ايدي غير الشفيلة بينما سواد الناس لا يملكون سوى الشرط الشخصي للانتاج - قوة العمل . واذا كانت عناصر الانتاج موزعة على هذا النحو ، فان التوزيع الحالي لاشياء الاستهلاك ينبع منه تلقائيا فاذا غدت شروط الانتاج المادية الملكية العامة للعمال انفسهم ، تغير توزيع اشياء الاستهلاك عما هو عليه الآن . ان الاشتراكية المبتدلة (ومن خلالها ايضا قسما من الديموقراطية) قد اقتبست من الاقتصاديين البرجوازيين عادة اعتبار التوزيع وبحته بوصفه امرا مستقلا عن اسلوب الانتاج ، وعادة تصوير الاشتراكية بالتالي كأنها تدور في الاساس حول قضايا التوزيع . ولكن حين تكون العلاقات الفعلية قد اتضحت منذ زمن بعيد ، فما الفائدة من العودة الى وراء ؟

٤ وان تحرير العمل ينبغي ان يكون من صنع الطبقة العاملة التي لا تشكل جميع الطبقات الاخرى ازاءها سوى كتلة رجعية واحدة ،

ان الجملة الاولى مستقاة من مقدمة دستور الاممية ، ولكنها واردة بصيغة «محسنة» . فان هذه المقدمة تقول : وان تحرير

الطبقة العاملة ينبغي ان يكون من صنع العمال انفسهم ، ولكن « الطبقة العاملة » ، هنا ، ترى ، ماذا عليها ان تحرر ؟ - « العمل » . فافهم اذا كنت قادراً على الفهم

وبالمقابل ، يتحفوننا بجملة اضافية موصولة ، مستقاة من اعرق ينابيع لاسال « (الطبقة العاملة) التي لا تشكل جميع الطبقات الاخرى ازاءها سوى كتلة رجعية واحدة »

لقد جاء في « البيان الشيوعي » قوله « وليس بين جميع الطبقات التي تقف الآن امام البرجوازية وجها لوجه الا طبقة واحدة ثورية حقا ، هي البروليتاريا فان جميع الطبقات الاخرى تنحط وتهلك مع نمو الصناعة الكبرى ، اما البروليتاريا فهي ، على العكس من ذلك ، اخص منتجات هذه الصناعة » .

وهكذا يرى في هذا المقطع الى البرجوازية - بوصفها عامل الصناعة الكبيرة - على انها طبقة ثورية بالنسبة للاقطاعيين والفئات المتوسطة ، الذين يرغبون في الحفاظ لانفسهم على جميع المراكز الاجتماعية الباقية من اساليب الانتاج البالية فالقطاعيون والفئات المتوسطة لا يشكلون اذن مع البرجوازية كتلة رجعية واحدة

ومن جهة اخرى ، نرى ان البروليتاريا ثورية بالنسبة للبرجوازية ، لانها ، وهي التي نشأت ولدت وترعرعت على اساس الصناعة الكبيرة ، تقصد ان تنزع عن الانتاج هذا الطابع الرأسمالي الذي تحاول البرجوازية تخليده . ولكن « البيان الشيوعي » يضيف قائلا : ان « الفئات المتوسطة » تغزو ثورية « اذ ينتظرها السقوط الى صفوف البروليتاريا »

ومن وجهة النظر هذه ، كان من خطئ الرأي ان يقال عن الفئات المتوسطة انها تشكل «مع البرجوازية» ، ومع الاقطاعيين ايضا ، وكتلة رجعية واحدة» بالنسبة للطبقة العاملة .

فابان الانتخابات الاخيرة ، ترى ، هل قيل للحرفيين وصغار الصناعيين ، الخ . ، والفلاحين : وانكم لا تشكلون مع البرجوازيين والاقطاعيين سوى كتلة رجعية واحدة بالنسبة اليها ؟

لقد كان لاسال يعرف «البيان الشيوعي» من ظهر قلب ، كما ان اتباعه الامناء يعرفون الكتابات المقدسة التي دبجها يراعه . فاذا كان قد زوّر «البيان الشيوعي» بمثل هذه الفظاظ ، فلأله شاء فقط ان يبرر تحالفه مع الاعداء الاقطاعيين والمستبدين ضد البرجوازية .

وفضلا من ذلك ، فان الحكمة اللاسالية الواردة في الفقرة المذكورة آنفا ، تبدو كأنها ملصوقة لصقا ، ولا تمت باية صلة الى الاستشهاد «المحسن» بشكل اخرق من دستور الاممية وهكذا نجد انفسنا هنا امام وقاحة ، ووقاحة ، في الحقيقة ، لا تزعم السيد بيسمارك ابدأ ، امام فظاظ من هذه الفظاظات الرخيصة التي اشتهر بها مارا برلين *

* وان الطبقة العاملة تعمل على تحرير نفسها اولا في نطاق الدولة القومية الحالية ، وهي على علم تام بان النتيجة الضرورية لجهودها التي يشاركها بها عمال جميع البلدان المتقدمة ، ستكون تأخي الشعوب العالمي ،

* يبدو انه هاسلمان ، رئيس تحرير جريدة Neuer Social Demokrat (لويزر سوسيال-ديموقراط) - والاشتراكي-الديموقراطي الجديد) . انكاسر .

خلافاً «للبيان الشيوعي» ولكل الاشتراكية السابقة ، كان لاسال قد رأى الى الحركة العمالية من اضيق وجهات النظر القومية . وها هم يقتفون خطواته في هذا الميدان ، وذلك بعد ما قامت به الاممية من اعمال !

وغني عن البيان تماماً انه ينبغي للطبقة العاملة ، لكي تستطيع النضال على وجه العموم ، ان تنتظم حيثما هي بوصفها طبقة ، وان بلادها بالذات هي الميدان المباشر لنضالها . ولهذا كان نضالها الطبقي قومياً ، لا من حيث المحتوى ، بل ، كما يقول «البيان الشيوعي» ، «من حيث الشكل» . ولكن «نطاق الدولة القومية الحالية» ، مثلاً ، نطاق الامبراطورية الالمانية ، يدخل ايضاً بدوره ، اقتصادياً وفي نطاق السوق العالمية ، وسياسياً وفي نطاق نظام الدول . فان اول تاجر تصادفه يعرف ان التجارة الالمانية هي في الوقت نفسه تجارة خارجية وان عظمة السيد بيسمارك تكمن على وجه الدقة في انتهاجه نوعاً معيناً من السياسة الدولية

وعلام يقصر حزب العمال الالمانى امميته ؟ على ادراك ان نتيجة جهوده ستكون «تآخي الشعوب العالمي» وتلك جملة مقتبسة عن عصبة الحرية والسلام (١٥٦) البرجوازية ، ويقصد منها ان تعني شيئاً يساوي التآخي العالمي بين الطبقات العاملة في البلدان المختلفة في نضالهما المشترك ضد الطبقات السائدة وحكوماتها ولكننا لا نجد كلمة واحدة عن **البهائم الاممية** للطبقة العاملة الالمانية ! وهذا كل ما يقترحوه على الطبقة العاملة الالمانية لمعارضة برجوازياتها الخاصة التي تأخت ضدها مع برجوازية جميع البلدان الاخرى ولمعارضة سياسة السيد بيسمارك القائمة على التآمر الدولي !

وبالفعل ، ان نزع البرنامج الاممية ادنى الى ما لا حد له ، من النزع الاممية التي يتصف بها حزب التجارة الحرة . فان هذا الحزب ايضا يزعم ان نتيجة عمله ستكون «تأخي الشعوب العالمي» . ولكنه على الاقل يحمل شيئاً ما لجعل التجارة عالمية ، ولا يكتفي ابداً بان يعرف ان كل شعب يتعاطى التجارة في بلاده . ان عمل الطبقة العاملة العالمي لا يتوقف ، في حال من الاحوال ، على وجود «جمعية الشفيلة العالمية» فان هذه المنظمة كانت فقط اولا محاولة لتزويد هذا العمل بجهاز مركزي ، محاولة كانت لها نتائج لا تمحى بسبب من الالدفاع الذي بثته ، ولكنه لم يبق من الممكن القيام بها ، بشكلها التاريخي الاول ، بعد سقوط كومونة باريس .

لقد كانت صحيفة بيسمارك ، «Norddeutsche» ، (١٥٧) ، على تمام الحق حين اعلنت ، لما فيه رضى صاحبها ، ان حزب العمال الالمانى قد جعد النزع الاممية في برنامجه الجديد .

٢

وانطلاقاً من هذه المبادئ ، يسمى حزب العمال الالمانى جهده ، بجميع الوسائل المشروعة ، الى تاسيس الدولة الحرة - و- المجتمع الاشتراكي ؛ الى انهاء نظام الاجرة مع قانون الاجور الحديدى - و- الى محو الاستثمار بجميع اشكاله ؛ الى القضاء على كل تفاوت اجتماعي وسياسي

سأعود فيما بعد الى الحديث عن الدولة والحرة ، وهكذا اذن ، ينبغي على حزب العمال الالمانى ان يؤمن ، من الآن وصاعداً ، «بقانون» لاسال والحديدي» ؛ ولأجل ايجاد

مكان له في البرنامج ، يتحدثون بسخافة عن «الغاء نظام الاجرة» (وكان ينبغي القول نظام العمل المأجور) مع «قانون الاجور الحديدي» فاذا الغيت العمل المأجور الغيت بالطبع قوانينه ايضا ، سواء آكالت من «الحديد» ام من الاسفنجة ولكن نضال لاسال ضد العمل المأجور يكاد يدور بوجه الحمر حول هذا القانون المزعوم وعليه ، من اجل البرهنة على ان زمرة لاسال هي الظاهرة ، ينبغي الغاء «نظام الاجرة» «مع قانون الاجور الحديدي» ، لا بدونه

ومن «قانون الاجور الحديدي» هذا ، لا شيء ، كما هو معروف ، يخص لاسال ، الا كلمة «الحديدي» المقتبسة من «القوانين الخالدة الحديدية الكبرى» التي قال بها غوته . ان كلمة «الحديدي» هي بمثابة لصقة يتعارف بها المؤمنون الحقيقيون ولكن ، اذا قبلت القانون وعليه خاتم لاسال ، وبالتالي ، بالمعنى الذي يقصده لاسال ، ترتب علي ايضا ان اقر بتعليل لاسال لهذا القانون فما هو هذا التعليل ؟ انه ، كما اوضح لانغه بعيد وفاة لاسال ، النظرية المالتوسية حول نمو السكان (١٥٨) (التي يروج لها لانغه بالذات) ولكن ، اذا كانت هذه النظرية صحيحة ، تعذر علي إطلاقا الغاء «القانون الحديدي» ، حتى ولو الغيت العمل المأجور مرة مرة ، لان هذا القانون لا يشمل حينذاك نظام العمل المأجور وحسب ، انما يشمل ايضا كل نظام اجتماعي وبلاستناد الى هذه النظرية علي وجه الدقة ، يحاول الاقتصاديون منذ خمسين سنة ونيف ان يشبثوا ان الاشتراكية لا يمكنها الغاء الفقر لأنه يحكم الطبيعة ، انما تستطيع فقط ان تعهيه ، وتنشره بالسوية علي كل سطح المجتمع !

ولكن كل هذا ليس بالأمر الرئيسي . فبصرف النظر إطلاقاً من خطأ لاسال في فهم هذا القانون ، يتجلى التراجع الذي يشير الاستياء حقاً فيما يلي

منذ وفاة لاسال ، انتشر في حزبنا هذا المفهوم العلمي القائل ان اجرة العمل ليست ما قبلو عليه ، اي قيمة (او ثمن) العمل ، بل هي فقط شكل مموه للقيمة (او ثمن) قوة العمل . وهكذا رمي مرة واحدة في سلة المهملات بالمفهوم البرجوازي حول اجرة العمل ، كما رمي في الوقت نفسه بكل الانتقاد الذي كان موجهاً ضد هذا المفهوم فيما مضى ، وكان من الواضح والثابت انه غير مسموح للعامل الاجير ان يشتغل لتأمين معيشته بالذات ، اي ، ان يعيش ، الا اذا اشتغل مجاناً بعض الوقت للرأسمالي (وايضاً لشركائه في ابتزاز القيمة الزائدة) ؛ وان المحور الذي يدور حوله كل نظام الانتاج الرأسمالي هو السعي الى زيادة هذا العمل المجاني باطالة يوم العمل او بزيادة انتاجية العمل ، اي بالمزيد من الجهد الذي تبذله قوة العمل ، الخ ؛ وان نظام العمل المأجور هو بالتالي نظام رق واستعباد ، وهو في الحقيقة استعباد تشتد وطأه بقدر ما تتطور قوى العمل الاجتماعية المنتجة ، مهما كانت عليه الاجرة التي يتقاضاها العامل ، سواء أكانت احسن ام اسوأ بعض الشيء . وبعد ما شرع هذا المفهوم العلمي ينتشر اكثر فاكثر في حزبنا ، يعودون الى عقائد لاسال ، في حين ينبغي لهم ان يعرفوا ان لاسال كان يجهل ما هي اجرة العمل ، وكان ، على غرار الاقتصاديين البرجوازيين ، يعتبر مظهر الشيء انه الشيء بالذات

فكان يقوم العبيد بثورة بعد ان يدركوا سر عبوديتهم ، ويعمد عبد غارق في لجة المفاهيم البالية ، ويسجل في برنامج

الثورة : ينبغي إلغاء العبودية لأن إعالة العبيد لا يمكن أن تتجاوز في نظام العبودية حداً أعلى معيناً قليل الارتفاع !
 أن مجرد كون ممثلي حزبنا قد استطاعوا أن يقرروا
 مثل هذا العدوان الفظيع على المفهوم الشائع بين جماهير حزبنا ،
 ليثبت بآية خفة إجرامية وإي انعدام في الوجدان عملوا في صياغة
 برنامج المساومة هذا !
 فبدلاً من الصيغة الغامضة التي تنتهي بها الفقرة والقضاء
 على كل تفاوت اجتماعي وسياسي ، كان ينبغي القول أنه مع
 إلغاء الفوارق الطبقية ، يزول من تلقاء نفسه كل تفاوت اجتماعي
 وسياسي ناجم عن هذه الفوارق

٢

ولأجل تهيئة السبيل إلى حل المسألة
 الاجتماعية ، يطالب حزب العمال الألماني
 بإنشاء جمعيات للإنتاج بمساعدة الدولة ،
 وتحت رقابة الشعب للتشغيل الديموقراطية
 وينبغي استشارة نشوء جمعيات الإنتاج في
 الصناعة والزراعة إلى حد أن ينجم عنها التنظيم
 الاشتراكي للعمل الإجمالي ،

بعد «قانون الأجور الحديدي» للأسال ، تروياق النبي
 نفسه وأنهم «ليمهدون السبيل» لهذا التروياق بطريقة لائقة
 فبدلاً من النضال الطبقي القائم ، يتحفوننا بجملة جديدة بصحاحي
 مبتذل «المسألة الاجتماعية» التي «تُمهد السبيل» من أجل
 «حلها» وبدلاً من أن «ينجم» والتنظيم الاشتراكي للعمل
 الإجمالي» عن عملية تحويل المجتمع تحويلاً ثورياً ، «ينجم»

من «مساعدة الدولة» ، من هذه المساعدة التي تمنحها الدولة لجمعيات الانتاج التي «تستثمر نشوءها» الدولة بالذات ، لا العمال ان لاسال وحده ، بفروره وخياله ، قادر على الاعتقاد انه من الممكن ، بواسطة منح الدولة ، بناء مجتمع جديد بنفس السهولة التي يبني بها خط حديدي جديد !

وبدافع من بقايا حس الحياء ، يصنعون «مساعدة الدولة»... تحت رقابة «الشعب الشغيل» الديمقراطية

لولا ، يتالف «الشعب الشغيل» مأكثريته في المانيا من فلاحين لا من بروليتايرين

ثانياً ، تعني كلمة «ديموقراطي» بالالمانية «بواسطة حكم الشعب» وفي هذه الحال ، ماذا تعني «رقابة الشعب الشغيل بواسطة حكم الشعب» ؟ وخصوصاً بالنسبة لشعب شغيل يتقدم من الدولة بمثل هذه المطالب ، ويعترف بالتالي بانه لا يتسلم زمام الحكم ولم ينضج لتسلم زمام الحكم !

ومن ناقل الكلام ان نتطرق هنا الى انتقاد الوصفة التي وصفها بوهيه في عهد لويس فيليب على النقيض من الاشتراكيين الفرنسيين والتي تبنها عمال «Atelier» ، (ولابليه) (١٥٩) الرجعيون . ولا تنحصر المصيبة الكبرى في ورود هذا العلاج العجائبي الخاص في البرنامج ، بل في التراجع على العموم من مفهوم الحركة الطبقة الى مفهوم الحركة الانعزالية

وعندما سعى العمال الى توفير شروط الانتاج الجماعي على نطاق المجتمع بأسره ، وفي بادى الامر ، على النطاق الوطني في بلادهم ، فان هذا يعني فقط انهم يناضلون في سبيل اجراء انقلاب في شروط الانتاج الحالية ؛ الامر الذي لا يمت بصلة الى انشاء جمعيات تعاونية بمساعدة الدولة . اما فيما يتعلق بالجمعيات

التعاونية الحالية ، فانها لا تتم باية قيمة الا بقدر ما تكون مؤسسات مستقلة ، من صنع العمال انفسهم ، ولا تتمم لا بحماية الحكومات ولا بحماية البرجوازية

٤

وانتقل الآن الى القسم الديمقراطي

١- «اساس حر للدولة»

اولا : وفقا لما جاء في الفصل الثاني ، يسعى حزب العمال الالمانى الى تحقيق «الدولة الحرة»
الدولة الحرة - ولكن ما هي ؟

ان جعل الدولة حرة ليس مطلقا هدف العمال الذين تحرروا من عقلية الخضوع والذل الضيقة المحدودة فان «الدولة» في الامبراطورية الالمانية تكاد تكون «حرة» كما هي عليه في روسيا . ان الحرية هي في تحويل الدولة من جهاز فوق المجتمع الى جهاز خاضع بكليته لهذا المجتمع ؛ وحق في ايماننا ، تتفاوت اشكال الدولة حرة بقدر ما تحد من «حرية الدولة»

ان حزب العمال الالمانى ، - اذا تبني هذا البرنامج على الاقل ، - يكشف مدى النقص في استيعابه الافكار الاشتراكية ؛ وهو ، بدلا من ان يعتبر المجتمع الحالي (وهذا القول يصح بالنسبة لكل مجتمع مقبل ايضا) «اساس» الدولة الحالية (او المجتمع المقبل اساسا للدولة المقبلة) ، يعتبر الدولة ، على العكس ، واقعا مستقلا له «اسسه الروحية والاخلاقية والحرية» الخاصة

ثم اي سوء استعمال فظ في البرنامج لكلمات «الدولة الحالية» ، «المجتمع الحالي» ، وكذلك اي سوء فهم ، اخشن ايضا ، لتلك الدولة التي يتقدم منها بمطالبه !

ان «المجتمع الحالي» ، انما هو المجتمع الرأسمالي القائم في جميع البلدان المتقدمة وقد تطهر الى هذا الحد او ذاك من عناصر القرون الوسطى وهدلته الى هذا الحد او ذاك خصائص التطور التاريخي في كل بلد من البلدان ، وتطور الى هذا الحد او ذاك . اما «الدولة الحالية» ، فانها ، على العكس ، تتغير مع الحدود . فهي في الامبراطورية البروسية الالمانية غيرها في سويسرا ، وهي في انجلترا غيرها في الولايات المتحدة ، والدولة الحالية» اذن مجرد وهم من الاوهام .

ومع ذلك فان مختلف الدول في مختلف البلدان المتقدمة تتصف جميعها بطابع مشترك ، رغم تنوع اشكالها ، هو انها تقوم في ارض المجتمع البرجوازي الحديث ، المتطور رأسمالياً الى هذا الحد او ذاك . ولذا فانها تشترك ببعض الصفات الجوهرية وبهذا المعنى يمكن الحديث عن «الدولة الحالية» خلافاً لدولة المستقبل حيث يزول المجتمع البرجوازي الذي تنبثق منه الآن .

ثم يوضع السؤال التالي اي تحول يطرا على الدولة في المجتمع الشيوعي ؟ وبعبارة أخرى اية وظائف اجتماعية مماثلة للوظائف الحالية للدولة تظل قائمة في المجتمع الشيوعي ؟ العلم وحده يستطيع الجواب عن هذا السؤال ؛ ولن ندفع القضية الى امام قيد شعرة ولو قرنا بالف طريقة كلمة «الشعب» بكلمة «الدولة»

بين المجتمع الرأسمالي والمجتمع الشيوعي ، تقع مرحلة تحول المجتمع الرأسمالي تحولا ثوريا الى المجتمع الشيوعي وتناسبها مرحلة انتقال سياسي لا يمكن ان تكون الدولة فيها سوى الديكتاتورية الثورية للبروليتاريا .

ولكن البرنامج لا يعالج قضية هذه الديكتاتورية ولا طبيعة الدولة المقبلة في المجتمع الشيوعي .

ان مطالب البرنامج السياسية لا تنطوي على غير الترداد الديموقراطي الذي يعرفه الجميع الاقتراح العام ، التشريع المباشر ، حقوق الشعب ، تسليح الشعب ، الخ وهي مجرد صدى لحزب الشعب البرجوازي ، لعصبة الحرية والسلام وهذه كلها مطالب قد تحققت ، بقدر ما لم يبالغ بها لحد الغرابة الا ان الدولة التي حققتها لا تقوم في داخل حدود الامبراطورية الالمانية ، بل في سويسرا ، والولايات المتحدة ، الخ ان هذا النوع من «دولة المستقبل» ، انما هو دولة حالية ، رغم انها تقوم خارج «نطاق» الامبراطورية الالمانية

ولكنهم نسوا امراً واحداً فيما ان حزب العمال الالمانى يعلن بصراحة ووضوح انه يعمل في داخل «الدولة القومية الحالية» وبالتالي في داخل دولته الخاصة ، الامبراطورية البروسية-الالمانية - وإلا كانت مطالبه ، بمعظمها ، خرقاء ، اذ لا يطالب المرء الا بما هو ليس بحاصل عليه - اذن ، كان عليه الا ينسى النقطة الرئيسية التالية ، وهي ان جميع هذه الاشياء الجميلة تفترض الاعتراف بما يسمى سيادة الشعب ، وانها لا تجد مكانها بالتالي الا في جمهورية ديموقراطية .

وبما انه لم تكن لديهم الشجاعة الكافية - وحسنا فعلوا ، لان الوضع يتطلب الحذر - للمطالبة بالجمهورية الديموقراطية كما فعل العمال الفرنسيون في برامجهم في عهد لويس فيليب ولويس نابوليون ، فقد كان عليهم اذ ذاك ايضا الا يلجؤوا الى هذه الحيلة التي ليست «شريفة» ولا لائقة ، اي الى المطالبة باشياء لا معنى لها الا في جمهورية ديموقراطية ، وذلك من دولة

ليست سوى استبداد عسكري ، مصنوع بطريقة بيروقراطية ومحاظ عليه بطريقة بوليسية ، مزين باشكال برلمانية ، متم بمزيج من العناصر الاقطاعية ، وخاضع في الوقت نفسه للتأثيرات البرجوازية وكان عليهم علاوة على ذلك الاّ يقتنموا مثل هذه الدولة ، بكل مهابة ورسانة ، بانهم ياملون الحصول منها على شيء مماثل «بوسائل شرعية» !

بل ان الديمقراطية المبتذلة ، التي ترى فردوسها الارضي في الجمهورية الديمقراطية والتي لا تظن ان النضال الطبقي يجب ان يجد حلا له بقوة السلاح في ظل هذا الشكل الاخير للدولة في المجتمع البرجوازي ، حتى هذه الديمقراطية بالذات اعلى بكثير من هذا الضرب من الديمقراطية المحصورة في نطاق ما يسمح به البوليس وما يحرمه المنطق

وبالفعل ، وسواء كان القصد من كلمة «الدولة» الالة الحكومية ام الدولة بوصفها تشكلا ، بسبب تقسيم العمل ، جهازا خاصا ، منفصلا عن المجتمع ، فان ذلك واضح من الكلمات التالية : «ان حزب العمال الالمانى يطالب بان يكون اساس الدولة الاقتصادي ضريبة موحدة تصاعديّة على الدخل» ، الخ فالضرائب هي الاساس الاقتصادي للالة الحكومية ، ولا اي شيء آخر وهذا المطلب يكاد يكون محققا في «دولة المستقبل» القائمة في سويسرا . فان ضريبة الدخل تفترض موارد للدخل تختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية ، اي انها تفترض بالتالي المجتمع الرأسمالي فلا عجب اذن اذا كان دعاة الاصلاح المالي في ليفربول - وهم جماعة من البرجوازيين على رأسهم اخو غلادستون - قد صاغوا نفس المطالب التي وردت في هذا البرنامج .

ب- وان حزب العمال الالمان يطالب
 بان يكون اساس الدولة قروحي والاخلاقي
 ١- الفرية الشخصية العامة المتساوية
 للجميع بواسطة الدولة لزامية ارباد
 المدرسة ، التعليم المجاني ،

الفرية الشخصية المتساوية للجميع ؟ ماذا يقصدون بهذه
 الكلمات ؟ ايظنون ان الفرية في المجتمع الحالي (ولا يقصد هنا
 الا هذا المجتمع) يمكن ان تكون متساوية بالنسبة لجميع
 الطبقات ؟ ام انهم يريدون اكراه الطبقات العليا بالقوة على ان
 تنطلق ايضا هذه الفرية المتواضعة ، اي المدرسة القصية ، التي
 تتلاءم وحدها ، لا مع لوائح العمال الاجراء الاقتصادية وحسب ،
 بل ايضا مع لوائح الفلاحين الاقتصادية ؟
 والزامية ارباد المدرسة ، التعليم المجاني ، ان الاول
 موجود حتى في المانيا ، والثاني في سويسرا والولايات المتحدة
 فيما يتعلق بالمدارس الشعبية . واذا كان التعليم في مؤسسات
 التعليم الثانوي في بعض الولايات من الولايات المتحدة ومجانياً
 ايضا ، فهذا يعني فعلا فقط ان الطبقات العليا تسدد نفقات
 تربيتهما من الضرائب المترتبة على الجميع . وعرضاً نقول ان الحال
 هي نفسها فيما يتعلق وبمجانية القضاء ، التي يطالب بها البند
 الخامس من الفصل أ . فالقضاء الجزائي مجاني في كل مكان ، اما
 القضاء المدني فان صلاحيته تشمل كلياً تقريباً النزاعات حول
 الملكية ، وهو بالتالي يتعلق تماماً تقريباً بالطبقات المالكة
 فهل تقترح عليها ان تلاحق قضايها على حساب اموال الشعب ؟
 ولقد كان يترتب على الفقرة المتعلقة بالمدارس ان تطالب على
 الاقل بالانشاء المدارس التقنية (النظرية والعملية) الى جانب
 المدارس الشعبية .

ان «التربية الشعبية بواسطة الدولة» لأمر غير مقبول إطلاقاً فان سن قانون عام يحدد نفقات المدارس الشعبية ، والكفاءات المطلوبة من المعلمين ، ومواد التعليم ، الخ .. ومراقبة تنفيذ هذه الاحكام القانونية بواسطة مفتشي الدولة كما في الولايات المتحدة ، انما هو أمر يختلف تماماً عن جعل الدولة مربية الشعب ! بل انه ينبغي ، بالعكس ، استبعاد المدرسة عن اي تأثير حكومي وديني و يقيناً ان الدولة في الامبراطورية الالمانية-الروسية (ولا يلجان احد الى هذا المهرّب التافه بان الحديث يدور حول «دولة المستقبل» فلقد رأينا ما يعني ذلك) هي التي تحتاج الى تربية قاسية جداً من قبل الشعب

وفضلاً عن ذلك ، فان البرنامج كله ، رغم كل قزقته الديموقراطية ، مشبع برمته بالايمان الذليل الذي تكنه الزمرة اللامسالية للدولة ، او بالايمان بالعجائب الديموقراطية - وهذا الايمان الاخير ليس خيراً من الاول - او انه بالاحرى عبارة عن شيء وسط بين هذين النوعين من الايمان بالعجائب ، وكل منهما غريب عن الاشتراكية نفس الغرابة

«حرية العلم» - هكذا جاء في احدى فقرات الدستور

البروسي . فلماذا اذن نراها هنا ؟

«حرية الضمير» ! اذا كان اريد بايام «الكولتوركامف»

(١٦٠) هذه ، تذكر الليبراليين بشعاراتهم القديمة ، فلم يكن بالامكان تحقيق هذه الرغبة الا على النحو التالي ينبغي ان يكون في وسع كل امرئ ان يلبي حاجاته الدينية والجسدية على السواء دون ان يحترق البوليس انفه في الموضوع . ولكنه كان على حزب العمال ان ينتهز هذه الفرصة ويعرب عن اقتناعه بان «حرية الضمير» البرجوازية لا تعني بالفعل سوى التساهل بجميع الانواع

الممكنة من «حرية المعتقد العميق» وان يعلن انه بالعكس يسمى جهده الى تحرير الضمائر من الاوهام والخرافات الدينية . ولكن بعضهم عندنا يمتنع عن تجاوز المستوى «البرجوازي»
 ها انا على وشك ان ابلغ النهاية ، لان الملحق المرفق
 بالبرنامج لا يشكل جزءاً جوهرياً منه . ولذا اكتفي هنا بملاحظات
 وجيزة .

٢ - «يوم العمل الطبيعي»

ان حزب العمال ، في اي بلد من البلدان ، لم يقتصر على طلب غامض كهذا الطلب ، انما عين دائماً بدقة ليوم العمل مدة يعتبرها طبيعية ، بالنظر الى الاحوال المعنية

٣ - والحد من عمل النساء ومنع عمل

الاطفال

ان تحديد يوم العمل يفترض الحد من عمل النساء ، باعتبار انه يتناول مدة يوم العمل ، وفترات الراحة ، الخ ، والا ، فان هذا التحديد لن يعني الا منع عمل النساء في الفروع الصناعية التي تضر خاصة بصحتهن او التي تفسد اخلاقهن من حيث انهن نساء . فاذا كان ذلك هو المقصود ، فقد كان ينبغي قوله
 «منع عمل الاطفال» ! كان من الضروري اطلاقاً تحديد
 العمر .

فان منع عمل الاطفال منعاً تاماً لا يتفق مع وجود الصناعة الكبيرة ، وهو بالتالي مجرد رغبة ساذجة لا شأن لها
 وتحقيق هذا المطلب - اذا كان ممكناً - يكون عملاً رجعياً
 اذ انه في حال تأمين تحديد دقيق لمدة العمل حسب الأعمار

وغير ذلك من التدابير لحماية الاطفال ، يكون تنسيق العمل المنتج مع التعليم في مرحلة العمر الباكر وسيلة من اقوى الوسائل لتحويل المجتمع الحالي

٤ - ورقابة الدولة على العمل في المصانع
والمشاغل والبيوت»

لما كان المطلب يتعلق بالدولة البروسية-الالمانية ، فقد كان ينبغي ان يطلب بكل دقة ووضوح ان تكون اقالة المفتشين في المصانع من صلاحية المحاكم وحدها ، وان يستطيع كل عامل مقاضاتهم امام المحاكم لتخلفهم عن القيام بواجباتهم ؛ وان يكونوا من ذوي التحصيل الطبي

٥ - تنظيم العمل في السجون»

انه لمطلب زهيد في برنامج عمالي عام . وفي مطلق الاحوال ، كان ينبغي القول بوضوح ان العمال لا يريدون ان يسمح بمعاملة مجرمي الحق العام معاملة المواشي ، خشية من مزاحمتهم ، ولا سيما ان يحرموهم من الوسيلة الوحيدة لاصلاحهم ، اي العمل المنتج . وبقينا ان هذا اقل ما كان يمكن توقعه من الاشتراكيين

٦ - قانون فعال حول المسؤولية»

كان ينبغي القول ما هو المقصود بقانون «فعال» حول المسؤولية

ملاحظة عابرة في الفقرة عن يوم العمل الطبيعي ، نسي القسم من تشريع المصانع الذي يتعلق بالانظمة الصحية ، والتدابير

الواجب اتخاذها لتجنب الطوارئ ، الخ فان القانون حول
المسؤولية يصبح ساري المفعول ما ان تخالف هذه الاحكام .
وبكلمة ، ان هذه الاضافة سيئة الصيغة ايضا .

*Dixi et salvavi animam meam.**

كتبه ماركس في نيسان (ابريل) - مطلع
ايار (مايو) سنة ١٨٧٥
ونشر ببعض الاختصارات في مجلة
Die Neue Zeit ، (ودي نويه زاييت) ،
المجلد ١ ، العدد ١٨ ،
١٨٩٠-١٨٩١

الجلس

رسالة الى بيبيل (١٦١)

لندن في ١٨-٢٨ آذار (مارس) ١٨٧٥

عزيزي بيبيل !

تلقيت رسالتك المؤرخة في ٢٣ شباط (فبراير) وقد سررت جداً لأنك في خير صحة وعافية تسألني رأينا في كل هذه الحكاية ، حكاية التوحيد ، ولكن نصيبنا من هذه الحكاية ، لسوء الحظ ، هو كنصيبك تماماً فلا ليكنخت ولا اي كان ابلغنا اي شيء ، ولذا فنحن ايضا لا نعرف الا ما تفيدنا الصحف ولكنها قبل نشر مشروع البرنامج ، منذ ثمانية ايام ، لم تنشر شيئاً وبالطبع اثار هذا المشروع بالغ دهشتنا .

فان حزبنا غالباً ما مد يده الى اللاساليين وعرض عليهم المصالحة او على الاقل التعاون ، وغالباً ما صده بوقاحة هازينكليفر وهاسلمان وتولكه ومن لف لفهم الى حد ان اي طفل كان بوسعه ان يستنتج انه اذا كان هؤلاء السادة ياتون اليينا عارضين المصالحة ، فلأنهم واقعون في مأزق . وبما ان طابع هؤلاء الجماعة اصبح معروفاً جيداً ، فانه من واجبنا ان نستغل المأزق الذي آلوا اليه ، لكي نحصل على جميع الضمانات الممكنة بصورة يستحيل معها على هؤلاء السادة ان يعزوا من جديد

مواقفهم المتزعزعة في عيون العمال على حساب حزبنا . ولذا كان ينبغي ان نستقبلهم بأشد ما يكون من البرودة والحدر ، وان نعلق قضية التوحيد على درجة الاستعداد التي يبذلونها للتخلي عن شعاراتهم الانعزالية وعن «مساعدة الدولة» ، ولقبول برنامج ايزيناخ لعام ١٨٦٩ بخطوطه الاساسية او لقبول طبعة جديدة من هذا البرنامج محسنة ومنطبقة على الوضع الراهن فمن الناحية النظرية ، اي فيما يتعلق بما هو حاسم بالنسبة للبرنامج ، ليس لحزبنا **اطلاقا** ما يتعلمه من اللاساليين ، اما اللاساليون فمن المفيد لهم ، طبعا ، ان يتعلموا من حزبنا فالشرط الاول للتوحيد كان ان يكفوا عن ان يكونوا انعزاليين ، اي لاساليين ؛ وهذا يعني انه ينبغي عليهم ، ان لم يتخلوا تماما عن هذا الترياق الشافي الشامل الذي يسمونه مساعدة الدولة ، ان يعتبروه على الاقل تديرا انتقاليا وثانويا ، بين كثير غيره من التدابير الممكنة ان مشروع البرنامج يثبت ان اصحابنا يتفوقون كثيرا على قادة اللاساليين من الناحية النظرية ، ولكنهم بالمقابل ، ليسوا اطلاقا في مستواهم من حيث حبك الحيل السياسية وهكذا فان «الشرفاء» • قد تلقوا هذه المرة ايضا درسا قاسيا من غير الشرفاء

اولا ، اقر هذا البرنامج جملة لاسال الطنانة ، ولكنها الغاطنة تاريخيا ، القائلة بانه ازاء الطبقة العاملة ، لا تشكل جميع الطبقات الاخرى سوى كتلة رجعية واحدة ان هذه الموضوعات غير صحيحة الا في بعض الحالات الاستثنائية ، مثلا ، في حال ثورة بروليتارية ككومونة باريس ، او في بلد ليست البرجوازية وحدها هي التي كيفت الدولة والمجتمع على صورتها ومثالها ، بل حيث

• اطلق اسم «الشرفاء» على الايزيناخيين . **الناشر** .

جاءت البرجوازية الصغيرة الديمقراطية بعدها وانتهت هذا التحويل حتى نتاجه الأخيرة . فإذا كانت البرجوازية الصغيرة الديمقراطية ، في ألمانيا مثلا ، من عداد هذه الكتلة الرجعية الواحدة ، فكيف استطاع حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي ان يسير طوال سنوات ، يدا بيد معها ، مع حزب الشعب ؟ وكيف استطاعت صحيفة « Volksstaat » (فولكسشتات) ان تستمد كل محتواها السياسي تقريبا من صحيفة « Frankfurter Zeitung » (فرانكفورتر زایتونج) (١٦٢) البرجوازية الصغيرة الديمقراطية ؟ وكيف حدث ان سبعة من مطالب هذا البرنامج بالذات ظهرت منطبقة ، كلمة كلمة ، مع برنامج حزب الشعب والديموقراطية البرجوازية الصغيرة ؟ واني اقصد بهذه المطالب المطالب السياسية السبعة المرقمة من ١ الى ٥ ومن ١ الى ٢ ، والتي ليس بينها مطلب غير برجوازي ديموقراطي (١٦٣)

ثانيا ، ان مبدأ اممية الحركة العمالية هو ، فعلا ، مبدأ مرفوض تماما في الوقت الحاضر ، مبدأ ينكره اناس كانوا ، طوال خمس سنوات وفي اصعب الاحوال ، يطبقون هذا المبدأ باروع ما يكون ان كون العمال الالمان يسرون اليوم على رأس الحركة الأوروبية اما يرتكز قبل كل شيء على الموقف الاممي حقا الذي وقفوه ابان الحرب (١٦٤) ؛ وليس ثمة بروليتاريا اخرى كان بوسعها ان تسلك مثل هذا السلوك القويم والان ، وقد اصبح العمال في البلدان الاجنبية يتمسكون في كل مكان بهذا المبدأ بنفس الحزم والقوة اللذين تسعى الحكومات بهما الى كبت كل محاولة لتحقيقه في منظمة من المنظمات ، يقترح عليهم الان ان يتخلوا عنه في هذا الوقت بالذات ! وما مساء ان يبقى اذن من اممية الحركة العمالية ؟ لن يبقى حتى ذلك

الأمل الضعيف بتعاون مقبل بين عمال أوروبا في النضال من أجل تحررهم ، لن يبقى على الأكثر سوى ذلك الأمل الضعيف «بتآخي الشعوب العالمي» في المستقبل ، و«بالولايات المتحدة الأوروبية» التي يقول بها برجوازيو عصبة السلام !

وبديهي انه لم يكن من الضروري التحدث عن الاممية بوصفها منظمة ولكنه كان ينبغي على الأقل عدم التراجع عن برنامج ١٨٦٩ ، والقول بهذا الصدد على النحو التالي تقريبا : «بالوغم من ان حزب العمال الالماني يعمل قبل كل شيء ضمن حدود الدولة (فليس من حقه ان يتحدث باسم البروليتاريا الأوروبية ، وليس من حقه بالاحرى ان يدلي بأراء خاطئة) ، فانه يدرك ، مع ذلك ، تضامنه مع عمال جميع البلدان وسيكون مستعداً على الدوام لأن ينفذ في المستقبل ايضا ، كما نفذ حتى الآن ، الواجبات الناجمة عن هذا التضامن ومثل هذه الواجبات موجودة حتى ولو لم يعلن الحروب نفسه عضواً في الاممية او يقل عن نفسه انه منتسب اليها . وهذه الواجبات هي مثلا تقديم المعونة ومنع كسر الاضرابات ، واتخاذ التدابير اللازمة لكي تطلع هيئات الحزب العمال الالمان على احوال الحركة في الخارج ، والتحريض ضد الحروب التي يشرها الملوك او قد يشرونها ، والتزام موقف ابان هذه الحروب كموقف العمال الالمان في ١٨٧٠ و ١٨٧١ ، الذي اصبح قدوة يقتدى بها الخ ..

ثالثا ، لقد سمح اصحابنا بان يفرض عليهم اللاساليون وقانون الاجور الحديدي» الذي يركز على مفهوم في الاقتصاد السياسي ولي هذه تماما ، ونعني به ذلك المفهوم القائل ان العامل لا يتلقى ، بوجه عام ، سوى الحد الأدنى من الاجرة وذلك بالضبط لأن ثمة دائما ايضا من العمال ، حسب النظرية المالتوسية لنمو

السكان (وتلك كانت حجة لاسال) ولكن ماركس قد اثبت بالتفصيل في «رأس المال» ان القوانين التي تحدد الاجور معقدة كثيراً وان هذا القانون او ذاك هو الذي يسود حسب الظروف ، وان هذه القوانين ليست حديدية اطلاقاً بل هي على العكس مطاطية جداً ، وانه يستحيل بوجه عام حل هذه المعضلة ببضع كلمات كما تصور لاسال ان المبررات الماتوسية للقانون الذي نقله لاسال من مالتوس وريكاردو (مع تحريف ريكاردو) كما وردت ، مثلاً ، في الصفحة ٥ من «كتاب القراءة للصالح» ، وهي مأخوذة من كراس آخر للاسال ، انما دحضها ماركس بالتفصيل في فصل «تراكم الرأسمال» . وهكذا فانهم يتبنون «القانون الحديدي» الذي قال به لاسال ، انما تبينوا فكرة خاطئة ومبررات خاطئة

رابعاً ، ان المطلب الاجتماعي الوحيد الوارد في البرنامج هو مساعدة الدولة التي قال بها لاسال ، وقد ورد باقل الاشكال تمشراً وكما سرقه لاسال من بوشيه . وهذا بعد ما اثبت براكه بروعة كل تفاحة هذا المطلب (١٦٥) ، بعد ما اضطر جميع خطباء حزبنا تقريباً او جميعهم بالضبط الى محاربة «مساعدة الدولة» هذه في غمرة نضالهم ضد اللاساليين ! حقاً ، لم يكن بوسع حزبنا ان يحقّر نفسه اكثر مما فعل . لقد هبط بالاممية الى مستوى اماند غيخ ، وبالاشتراكية الى مستوى الجمهوريه البرجوازية التي قال بها بوشيه الذي كان يحارص الاشتراكيين بهذا المطلب قصد محاربتهم !

وفي احسن الاحوال ، ليست «مساعدة الدولة» ، بالمعنى الذي يقصده لاسال ، سوى تقبير في جملة غيره من التدابير ، من اجل بلوغ الهدف الذي تعنيه هنا الكلمات المرجاء التالية : «تمهيد السبيل الى حل المسألة الاجتماعية» ، كالما لا تزال ثمة ، بالنسبة

الينا ، وفي المجال النظري ، مسألة اجتماعية لم تحل ! ولذا ، عندما يقال « ان حزب العمال الالمانى يرمى الى الغاء العمل المأجور ، وبالتالي الى محو الفوارق الطبقيه ، وذلك بتنظيم الانتاج الجماعى فى الصناعة والزراعة فى عموم البلاد وانه يؤيد كل تدبير من شأنه ان يسهم فى بلوغ هذا الهدف » - فلن يكون بمستطاع اى لاسالى ان يعارض هذا القول بوجه من الوجوه .

خامسا ، ليس ثمة اية اشارة الى تنظيم الطبقة العاملة ، بوصفها طبقة ، من طريق النقابات . وتلك نقطة جوهرية بالغة ، اذ ان هذه بالضبط منظمة طبقية حقيقية للبروليتاريا تخوض البروليتاريا فى صفوفها نضالاتها اليومية ضد الرأسمال ، وتكون لها بمثابة مدرسة ، منظمة لا تستطيع خنقها اية رجعية مهما بلغت مساوئها (كما هي الحال الآن فى باريس) . وبالنظر الى الاهمية التى تتخذها هذه المنظمة ايضا فى المانيا ، نرى من الضروري اطلاقا التنويه بها فى البرنامج ومنحها مكانا فى تنظيم الحزب بقدر الامكان .

ذلك ما فعله اصحابنا ارضاء للاساليين . ولكن مما تنازل هؤلاء ؟ ان حاصل هذا التنازل هو انه يبرز فى البرنامج عدد كبير من المطالب الديموقراطية الصرف المشوشة جدا التى تسب منها يرد لمجرد انه على الموضة ، « كالتشريع الشعبى » القائم ، مثلا ، فى سويسرا ، والذي قرره فى هذا البلد اكثر من غيره ، هذا اذا كان له اى تأثير بوجه عام . ولو انهم قالوا « ادلوة بواسطة الشعب » لكان لكلامهم معنى . ثم انه ليس ثمة اية اشارة الى الشرط الاول لكل حرية ولعنى به ان يكون كل موظف مسؤولا عن كل اعماله الرسمية ازاء كل مواطن امام المحاكم

العادية وطبقا للقانون العام . ولن اسهب في القول بان مطالب
كحرية العلم وحرية الضمير ترد في كل برنامج ليبرالي برجوازي
وانها تبدو هنا غريبة نوعا

ان الدولة الشعبية الحرة قد تحولت الى دولة حرة . والحال ،
ان الدولة الحرة ، بمعنى هاتين الكلمتين النحوي ، هي دولة حرة
لأزاء مواطنيها ، وبالتالي دولة تقوم فيها حكومة استبدادية
ولذا ينبغي الاقلاع من كل هذه الثروة حول الدولة ، ولا سيما
بعد كومونة باريس التي لم تكن دولة ، بمعنى الكلمة الاصلية
فلطالما انتقدنا الفوضويون بصدد «الدولة الشعبية» ، رغم ان
مؤلف ماركس ضد برودون * ثم «بيان الحزب الشيوعي» ..
قد اوضحنا صراحة ان الدولة مستنحل من تلقاء نفسها
(sich auflöst) وتزول ، عند اقامة النظام الاجتماعي الاشتراكي .
وبما ان الدولة ليست سوى منظمة مؤقتة تستخدم في النضال ،
في الثورة من اجل تحطيم الاعداء بالعنف ، فان من الخرق
والتناقض القول بدولة شعبية حرة وما دامت البروليتاريا
تحتاج الى الدولة ، فانها لا تحتاج اليها من اجل الحرية ، بل
لنقمع اعدائها ، وما ان يصبح بالامكان التحدث عن الحرية حتى
تزل الدولة بوصفها دولة . ولذا نقترح الاستعاضة في كل مكان
من كلمة «الدولة» بكلمة «المشاعة» (Gemeinwesen) وهي
كلمة المانية قديمة ملائمة تعادل كلمة Commune (كومونة)
الفرنسية .

* كاول ماوكس . وبؤس الفلسفة . جواب على وفلسفة البؤس ،
للسيد برودون . الثاني .
** راجع هذه الطبعة ، الجزء الاول ، ص ٤١-٩٦ . الثاني .

ان استعمال تعبير والقضاء على كل تفاوت اجتماعي وسياسي، بدلا من تعبير «الفاء جميع الفوارق الطبقة» يفسح المجال للتساؤل والشك فبين بلد وآخر ، بين اقليم وآخر ، وحتى بين محلة واخرى ، سيظل ابدا بعض التفاوت في ظروف المعيشة ، تفاوت قد يمكن تخفيفه الى الحد الأدنى ، ولكنه لن يمكن ابدا ازالته تماما . فان سكان جبال الألب ستختلف دائما ظروف معيشتهم عن ظروف معيشة سكان السهول . ان التفكير بان المجتمع الاشتراكي يعني سيادة المساواة انما هو تفكير فرنسي وحيد الجانب ، يركز على شعار «الحرية ، المساواة ، الاخاء» القديم ، وكان له ما يبرره في زمنه ومكانه ، لأنه كان يستجيب للموجة معينة من التطور ، ولكنه ينبغي الآن تجاوزه ، شأنه شأن كل المفاهيم الوحيدة الجانب التي قالت بها المدارس الاشتراكية السابقة ، لأنه لا يؤدي الا الى التشوش ولأنه توجد الآن اساليب ادق لبسط هذه المسألة

ساتوقف عن البحث ، رغم ان كل كلمة تقريبا في هذا البرنامج ، المكتوب علاوة على ذلك بلغة ركيكة ، تفسح المجال للانتقاد . ولقد صيغ بنحو لن نوافق معه إطلاقا ، ماركس وانا ، في حال اقراره ، على ان ننسب الى الحزب الشيوعي ، القائم على هذا الاساس ، فنفسطر الى التفكير حديا بالموقف الذي نتخذه منه (وعلمنا ايضا) . خذ علما انهم في الخارج ، يجعلوننا نحن مسؤولين عن جميع اقوال واعمال حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى . فهذا ما فعله باكونين مثلا في مؤلفه «الدولة والفوضى» حيث جعلنا مسؤولين من كل كلمة طائفة قالها او كتبها ليكننخت منذ تأسيس صحيفة Demokratisches Wochenblatt (ديموقراطيشيس فوغينبلات) (١٦٦) . ان الناس يتصورون اننا نملك من هنا بكل خيوط الحركة ،

في حين انك تعلم مثلي اننا لم نتدخل قط تقريباً في شؤون الحزب الداخلية ، واننا اذا كنا تدخلنا ، فقد كان ذلك لمجرد ان نصلح بقدر الامكان ما كنا نعتبره اخطاء ، الاخطاء النظرية فقط . انك سترى بنفسك ان هذا البرنامج هو نقطة انعطاف قد تحملنا بكل سهولة على ان نرفع عن انفسنا كل مسؤولية من الحزب الذي اقر هذا البرنامج .

ان البرنامج الرسمي لحزب من الاحزاب يتسم على وجه العموم ، باهمية اقل مما تتسم به اعماله ولكن البرنامج الجديد هو دائماً بمثابة راية ترفع امام انظار الجميع ، وعلى اساسها يرى العالم الخارجي الى الحزب ولذا ينبغي في مطلق الاحوال الا يكون البرنامج خطوة الى الوراء . اما مشروع البرنامج هذا فهو بالضبط خطوة الى الوراء بالنسبة لبرنامج ايزيناخ وكان ينبغي التفكير فيما سيقوله من هذا البرنامج عمال البلدان الاخرى وفي التأثير الذي سيحدثه استسلام البروليتاريا الاشتراكية الالمانية برومتها للاساليين

وغضلاً عن ذلك ، فاني مقتنع بان توحيداً على مثل هذا الاساس لن يدوم سنة واحدة . فهل يقبل خيرة رجال حزبنا بان يرددوا في خطبهم جمل لاسال حول قانون الاجور الحديدي ومساعدة الدولة ، تلك الجمل التي حفظوها من ظهر قلب ؟ اني لود ان اراك انت ، مثلاً ، منصرفاً الى هذا العمل ! واذا ما فعلوا ذلك ، فان سامعيهم سيصفرون لهم . والحال ، اني على ثقة بان الاساليين يصرون ، بالدقة ، على هذه النقاط من البرنامج كما كان المراهبي فيلوكه * يصر على رطله من اللحم البشري . ان

* شكسبير . وناجر البندقية ، الفصل الاول ، المشهد الثالث .

الانشقاق آت ، ولكننا نكون قد جعلنا هاسلمان وهارينكليفر وتولكه ومن لف لفهم في عداد «الشرفاء» من جديد ؛ وسنخرج من الانشقاق اضعف مما مضى ويخرج اللاساليون اقوى ؛ وسيفقد حزبنا نقاوه السياسية ، ولن يستطيع ابداً ان يناضل بتفان ضد جمل لاسال ، التي سجلها حزبنا ذاته على رايته لفترة من الزمن ؛ واذا ادعى اللاساليون اذ ذاك مرة اخرى انهم الحزب العمالي الوحيد الحقيقي وان انصارنا هم من البرجوازيين ، فان هذا البرنامج سيكون في متناولهم لدعم ادعاءاتهم ومزامهم ، فان جميع التدابير الاشتراكية الواردة في هذا البرنامج هي تدابيرهم ، اما حزبنا ، فانه لم يسهم فيه الا بمطالب الديموقراطية البرجوازية الصغيرة ، التي وصفها هو باللدات في نفس البرنامج بأنها جزء من «الكتلة الرجعية» .

لقد اجلت ارسال هذه الرسالة لك ، لاني كنت اعلم انه لن يخل سبيلك الا في اول نيسان (ابريل) ، على شرف عيد ميلاد بيسمارك ، ولم افأ ان اجازف بها واعرضها للمصادرة اثناء محاولة تهريبها لك . ولكنني تلقيت للتو رسالة من براكه يعرب فيها ، هو ايضا ، من فكوكه الكبيرة بصدد البرنامج ويريد ان يعرف رأينا في الموضوع . وبقصد التعجيل ، ارسل هذه الرسالة اليه ، لكي يقرأها هو ولكي لا اضطر الى تكرير كل الحكاية . واضيف قائلاً اني كتبت صراحة ايضا الى رام . اما ليكنخت ، فقد كتبت له بايجاز . واني لا استطيع ان اغفر له عدم كتابته لنا أية كلمة من كل الحكاية قبل ان يفوت الاوان نوحاً (في حين ان رام وغيره كانوا يعتقدون انه ابلغنا) . ولكن ليست تلك هي المرة الاولى التي يتصرف فيها على هذا النحو ، والدليل على ذلك الرسائل العديدة والمزعجة التي تبادلناها معه -

ماركس وأنا - غير انه تجاوز الحدود هذه المرة ، وعليه فاننا نرفض السير معه في هذه الطريق رفضاً قاطعاً .

اما انت ، فحاول ان تدبر الامور بصورة تستطيع معها المجيء الى هنا في هذا الصيف . وستحل ، بالطبع ، فيفا عليّ ، واذا ما سمح لنا الطقس ، مضينا لقضاء بضعة ايام على شاطئ البحر ، ولا شك انك ستفيد من هذه الراحة بعد ان قضيت وقتاً طويلاً في السجن .

مع تحيتي الودية
المخلص لك ف . ا .

لقد غيرَ ماركس شقيقته مؤخراً ؛ وعنوانه الجديد هو الآن التالي : ٤١ ، ميتليند بارك ، كريسينت ، نورد ويست ، لندن .

نشر للمرة الاولى في كتاب :
A. Bebel. « Aus meinem Leben » .
صدر حسب نص الكتاب
تمت الترجمة نقلاً من
المجلد ٢ ، شتوتغارت ،
الالمانية
عام ١٩١١

الجلس

مقدمة

«ديالكتيك الطبيعة» (١٦٧)

ان دراسة الطبيعة دراسة عصرية - وهي الدراسة الوحيدة التي ادت الى تطور علمي ، دائب ، منتظم ، شامل ، خلافا للفرضيات العبقورية التي تقدم بها الاقدمون في ميدان فلسفة الطبيعة ، وخلافا لاكتشافات العرب المهمة جداً ولكنها التي كانت عرضية ومتفرقة والتي زالت بمعظمها هباء وعشاً ، - ان دراسة الطبيعة دراسة عصرية ، شأنها شأن التاريخ الحديث كله ، بدأ من ذلك العهد العظيم الذي نسميه ، نحن الالمان ، بما كان يلزامنا آنذاك من تعاسة قومية ، بالاصلاح ، ويسميه الفرنسيون بالنهضة والايطاليون بال«تشينكفيتشنتو» * والذي لا يستنفذ مضمونه اي من هذه الاسماء انه ذلك العهد الذي بدأ منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر . فان الحكم الملكي قد استند الى سكان المدن وحطم بأس فئة النبلاء الاقطاعية وألغى ملكيات كبيرة ، مركزة اساساً على القوميات ، ملكيات شرعت تتطور فيها الامم الاوروبية العصرية والمجتمع البرجوازي العصري ؛ وبينما سكان المدن والنبلاء يواصلون الشجار فيما بينهم ، اشارت حرب الفلاحين الالمانية بصورة نبوية الى المعارك الطبقيّة العتيدة ، لان فمار هذه الحرب لم يخضه الفلاحون الثائرون وحدهم - ولم يكن في

* وتعني حرفياً : السنوات الخمسنة اي القرن السادس عشر .

ذلك اي شيء جديد ، - بل ظهر ايضا وراءهم اسلاف البروليتاريا الحديثة بالرايات الحمراء في ايديهم وبمطلب شيوعية الممتلكات على السنتهم . وفي المخطوطات التي اُنقذت عند سقوط بيزنطية ، وفي التماثيل القديمة المنبوشة من بين انقاض روما ، برز امام الغرب المدهول عالم جديد هو العصر الاغريقي القديم ؛ وامام روائع هذا العصر الوضاعة ، زالت اشباح القرون الوسطى ؛ وازدهر الفن في ايطاليا ازدهاراً لا نظير له كان بمثابة انعكاس لضياء العصر القديم الكلاسيكي ولم يتسن بعد ذلك بلوغ مثيل له . وفي ايطاليا وفرنسا والماليا البثق ادب جديد ، هو اول ادب حديث . واثرو ذلك بفترة قصيرة ، عاشت بريطانيا واسبانيا العصر الكلاسيكي من ادبهما . وهكذا تحطمت اطارات orbis terrarum * القديمة . والان فقط اكتشفت الارض ، حقاً وفعلًا ، وأُرسيت الاسس لاجل التجارة العالمية في المستقبل ولاجل انتقال الحرفة الى المايفاكتورة التي كانت بدورها نقطة انطلاق الصناعة الكبيرة العصرية . كذلك تم تحطيم الديكتاتورية الروحية التي كانت تمارسها الكنيسة ؛ ولقد خلعت الشعوب الالمانية باغليبيتها لير هذه الديكتاتورية من كواهلها مباشرة واعتنقت البروتستانتية ، بينا الفكر الحر المحيي الذي انتقل من العرب واقتبس من اكتشاف الفلسفة اليونانية الحديث ، والذي مهد السبيل امام مادية القرن الثامن عشر اخذ يترسخ ويمد جذوره اعمق فاهمق بين الشعوب الرومانية

كان هذا اعظم انقلاب تقدمي بين جميع الانقلابات التي عرفتھا البشرية حتى ذلك الوقت ، كان عصرًا احتاج الى عمالقة

* حرفيا دائرة الاراضي ؛ هكذا كان الرومانيون القدماء يسمون العالم ، الارض . **الانقراض .**

وولد عمالقة من حيث قوة الفكر والمشاعر والطبع ، ومن حيث تنوع المعارف وسعة الاطلاع والالمام العلمي ان اولئك الذين وضعوا اسس سيادة البرجوازية في العصر الحالي كانوا كل ما يمكن ان يكونوا ، باستثناء انهم لم يكونوا اناسا محدودين برجوازيا . بل بالعكس . فقد كانوا يتحلون ، بدرجات متفاوتة ، بروح مميزة لذلك الزمن ، بروح البهامة المقدامين عن المضامرات . فاندالك لم يكن قمة تقريبا اي رجل عظيم لم يتم باسفار بعيدة ولم يكن يتكلم باربع لغات او خمس ، ولم يلمح في بضعة من مجالات الابداع . ان ليوناردو دي فنشي لم يكن رساما عظيما وحسب ، بل ايضا رياضيًا وميكانيكيًا ومهندسا عظيما يعود اليه فضل اكتشافات هامة في اكثر فروع الفيزياء تنوعا . وقد كان البريخت دورر رساما ونقاشا ومثالا ومعماريا وفضلا عن ذلك اخترع نظاما للتحصين ينطوي على بضعة افكار تلففها من جديد ، بعد فترة طويلة ، مونتالمير واحدث المذاهب الالمانية في علم التحصين . وكان ماكيافيلي رجل دولة ومؤرخا وشاعرا ، وكان بالاضافة اول كاتب حربي في الازمنة الحديثة جديرا بالتذكير . وقد نظف لوتر اصطبلات اوجياس (١٦٨) ، لا في الكنيسة وحسب ، بل ايضا في اللغة الالمانية ، وانشأ النثر الالمانى الحديث ، ووضع نص ولحن ذلك النشيد المفهم ثقة بالنصر الذي كاتته «مارسليز» القرن السادس عشر (١٦٩) وابطال ذلك الزمن كانوا لم يصبحوا بعد عبدا لتقسيم العمل الذي يقيم الحدود ويؤدي الى ضيق الافق والذي نشاهد تأثيره في حالات كثيرة جدا عند اخلافتهم ولكن ما يتميزون به على الاخص ، اما هو كولهم جميعهم تقريبا يعيشون في قلب اهتمامات زمنهم بالذات ويشترون اشتراكا فعالا نشيطا في النضال العملي ويقفون

الى جانب هذا الحزب او ذاك ويكافحون ، بعضهم بالكلمة والريشة ، وبعض آخر بالسيف ، وبعض ثالث بهذا وبينك معا . ومن هنا ذلك الكمال وتلك القوة في الطبع اللذان يجعلان منهم اناسا كاملين . وأنداك كان علماء البرج العاجي ظاهرة استثنائية ؛ فقد كانوا اما اناسا من المرتبة الثانية او الثالثة ، واما تافهين فيقي الافق متحدرين ، لا يرغبون في حرق اصابعهم .

وقد جرت دراسة الطبيعة آنذاك في جو ثورة هامة وكانت هي نفسها مفعمة تماما بروح الثورة ؛ ذلك لانه كان لا يزال يتعين على هذه الدراسة ان تظهر لنفسها بحق الوجود . ومع الإيطاليين العظام الذين تبدأ الفلسفة الحديثة تاريخها منهم ، قدمت شهادها للمعارق ولأقضية محاكم التفتيش . ومما له دلالة ان البروتستانت تفوقوا الكاثوليك في قمع حرية دراسة الطبيعة . فقد احرق كلفين سرفيت عندما اوشك هذا الاخير ان يكتشف الدورة الدموية ، ناهيك بانه اجبر على حرقه حيا طيلة ساعتين ؛ اما محاكم التفتيش فقد اكتفت على الاقل بمجرد احراق جوردالو برونو .

ولقد كان اصدار المؤلف الخالد الذي تحدى به كوبرنيك - وان بوجل ، وفقط على سرير الموت ، اذا جاز القول - سلطة الكنيسة في قضايا الطبيعة (١٧٠) ، العمل الثوري الذي اعلنت به دراسة الطبيعة من استقلالها والذي كانما كورت به احراق لوتر للنشرة الباباوية . ومن هنا يبدأ تاريخ تحرر علم الطبيعة من اللاهوت ، رغم ان استجلاء بعض ادعاءاتهما المتبادلة امتد فيما بينهما حتى ايامنا هذه ، وانه في بعض الرؤوس ابعد من ان يكون قد انتهى حتى في الوقت الحاضر ايضا . ولكن تطور العلوم سار كذلك منذ ذلك بخطوات العملاقة ، واشتد ، اذا جاز التعبير ، بنسبة مربع البعد (في الزمن) من نقطة انطلاقه . فكانه

كان ينبغي تقديم البرهان للعالم انه يفعل فعله من الآن وصاعداً بالنسبة لنتاج المادة العضوية الاعلى ، بالنسبة للروح البشرية قانون للحركة معاكس لقانون حركة المادة غير العضوية

ان العمل الرئيسي في المرحلة الاولى من تطور علم الطبيعة ، البادئة الآن ، قد تلخص في دراسة المادة الموجودة . وفي اقلية الميادين ، تطلب الامر البدء من الالفباء بالذات فمن الازمنة القديمة بقي اقليدس ونظام بطليموس الشمسي ، ومن العرب نظام الحساب العشري ومبادئ الجبر والكتابة الحديثة للاعداد والسيمياء ، في حين ان القرون الوسطى المسيحية لم تبق شيئاً وفي مثل هذا الوضع ، كان من المحتم ان يشغل المرتبة الاولى علم الطبيعة الابتدائي ، اي ميكانيك الاجرام الارضية والسمائية ، وان يقوم الى جانبه وفي خدمته اكتشاف وترويق طرائق الرياضيات . وفي هذا الميدان تحققت اعمال كبيرة . وفي اواخر هذه المرحلة التي تميزت باسمي نيوتن ولينه ، نرى ان هذين الفرعين من العلم قد بلغا درجة معينة من النجاز . فقد تمت ، من حيث الخطوط الاساسية ، صياغة اهم طرائق الرياضيات الهندسية التحليلية ، - من قبل ديكارت بصورة رئيسية ، - واللوغارثما ، - من قبل نيبير ، وحساب التكامل والتفاضل - من قبل لينتير ، ولربما من قبل نيوتن ايضا . ويمكن قول الشيء نفسه عن ميكانيك الاجسام الصلبة ، الذي توضحت قوانينه الرئيسية بصورة نهائية . واخيراً اكتشف كبلر في علم الفلك المتعلق بالنظام الشمسي قوانين حركة الكواكب ، وصاغها نيوتن من وجهة نظر القوانين العامة لحركة المادة . وكانت الفروع الاخرى من علم الطبيعة بعيدة حتى من مثل هذا النجاز التمهيدي . ولم تبلغ دراسة ميكانيك الاجسام السائلة والغازية درجة ارقى بصورة ملحوظة

الا في اواخر المرحلة المنوه بها . ثم ان الفيزياء ، بمعنى الكلمة الخاص ، - هذا اذا لم نأخذ بالحسبان فرع البصريات الذي احرز نجاحات خارقة بفضل مقتضيات علم الفلك العملية - لم يكن قد تخطى بعد حدود درجات التطور الاولى بالذات ، الابتدائية وكانت الكيمياء قد تحررت للتو من السيمياء بواسطة نظرية الفلوغيستون (١٧١) ولم تكن البيولوجيا قد تجاوزت الطور الاولى من علم المعادن ولهذا لم يكن من الممكن بعد ان يظهر علم الاحياء . واخيراً ، كانوا لا يزالون في حقل البيولوجيا يهتمود اساساً بتكديس مادة ضخمة سواء في علم النبات وعلم الحيوان ام في علم التشريح وعلم الوظائف الصرف ، وبتبويبها الاولى ولم يكن بعد من الممكن تقريباً ان يتناول الكلام المقارنة بين اشكال الحياة ودراسة توزيعها الجغرافي وشروط وجودها المناخية وما الى ذلك من الشروط . وهنا قارب علم النبات وعلم الحيوان وحدهما على الاكتمال بفضل لينه .

اما ما يميز على الاخص المرحلة المعنية ، فهو وضع نظرة عامة اصيلة الى العالم محورها الفكرة القائلة بعلم تغير الطبيعة إطلاقاً . فان الطبيعة ، وفقاً لهذه النظرة ، قد بقيت على الدوام بلا تغير منذ ان ظهرت الى الوجود ، واياً كانت الطريقة التي انبثقت بها . وما ان اخذت الكواكب وتوابعها تتحرك بفعل والدفة الاولى السرية حتى واصلت الدوران حسب الخطوط الاهليلجية المرسومة لها على مدى الدهور لو ، على كل حال ، حتى نهاية جميع الاشياء . وهذات النجوم الى الابد بلا حركة في امكنتها ، مبقية بعضها بعضاً في هذا الوضع بواسطة «الجاذبية الكونية» . وبقيت

* ملاحظة على الهامش : «توريشيلي بالارتباط مع ضبط السيول الجبلية في الالب» . «الناشر» .

الارض منذ الازل او منذ يوم خلقها (حسب وجهة النظر) كما هي دون اي تغير . فان والقارات الخمس ، الحالية كانت موجودة على الدوام وكانت لها على الدوام الجبال والادوية والانهر ذاتها ، والمناخ ذاته والنباتات والحيوانات ذاتها ، عدا ما غيرته او نقلته يد الانسان ان انواع الحيوانات والنباتات قد تعددت مرة واحدة والى الابد عند ظهورها والنوع نفسه ولد على الدوام النوع نفسه ، وقد قام لينة بتنازل كبير عندما افترض انه امكن ، اغلب الظن ، ان تنشأ انواع جديدة في بعض الانحاء بفضل التهجين . وخلافا لتاريخ البشرية الذي يتطور في الزمان ، قيل من تاريخ الطبيعة انه يتطور في المكان فقط . وانكروا كل تغير ، كل تطور في الطبيعة . واذا علم الطبيعة ، الذي كان ثوريا للغاية في البدء ، يجد نفسه فجأة امام طبيعة محافظة مئة بالمئة لا يزال فيها كل شيء الآن ايضا كما كان عليه في البدء وكان ينبغي ان يبقى فيها كل شيء حتى نهاية العالم او مدى الدهور كما كان عليه منذ البدء .

وبقدر ما تفوق علم الطبيعة في النصف الاول من القرن الثامن عشر على علم الازمنة الاغريقية القديمة من حيث حجم معارفه وحتى من حيث تبويب المادة ، بقدر ما تأخر عنه من حيث الاستيعاب الفكري لهذه المادة ، من حيث المفهوم العام من الطبيعة . فبنظر الفلاسفة الاغريق ، كان العالم من حيث الجواهر اما شيئا ما البثق من الهول ، واما شيئا ما متطورا ، واما شيئا ما متكونا . اما بنظر علماء الطبيعة في المرحلة التي ندرسها ، فقد كان شيئا ما متحجرا ، لا يتغير ، وكان بنظر اغلبيتهم شيئا ما مخلوقا مرة واحدة . ان العلم لا يزال بعد يتورط عميقا في لجة اللاهوت . وهو يفتش في كل مكان ويجد في الدفعة من الخارج

التي لا تفسرها الطبيعة ذاتها السبب الاخر . واذا كانت الجاذبية التي سماها نيوتن بصورة فخمة بالجاذبية الكونية تُعتبر خاصة جوهرية من خواص المادة ، فاين هو اذن مصدر القوة المماسية غير المفهومة التي تحقق ، للمرة الاولى وحسب ، حركة الكواكب على المدارات ؟ كيف انبثقت الانواع التي لا عد لها من النباتات والحيوانات ؟ وكيف ، على الاخص ، ظهر الانسان الذي ثبت مع ذلك بروسوخ ويقين ، فيما يتعلق به ، انه لا يوجد منذ الازل ؟ وللاجابة عن جميع الاسئلة المماثلة ، اكتفى علم الطبيعة في احيان كثيرة اكثر من اللزوم بالقول ان خالق جميع الاشياء هو المسؤول عن كل هذا ففي بداية المرحلة التي ندرسها ، ينبد كوبرنيك اللاهوت (١٧٢) ؛ ويختتم نيوتن هذه المرحلة بمبدأ الدفعة الاولى الالهية المسلم به بدون برهان . واسمى فكرة تعميمية ارتفع اليها علم الطبيعة في المرحلة المعنية انما هي فكرة عقلانية النظم المقررة في الطبيعة ، وغائية فولف السطحية (١٧٣) التي تزعم ان القطط قد خلقت لكي تلتهم الفئران ، والفئران لكي تلتهمها القطط ، وان الطبيعة كلها قد خلقت لكي تبرهن على حكمة الخالق . ولا بد من الاعتراف بالمائرة العظمى التي اجترحتها الفلسفة آنذاك ، وهي انها لم تفضل السبيل رغم محدودية المعارف المعاصرة لها في ميدان علم الطبيعة ، وانها ، ابتداء من سبينوزا وانتهاء بالماديين الفرنسيين الكبار ، قد حاولت بالحاح ان تفسر العالم انطلاقا من العالم نفسه ، تاركة لعلم الطبيعة في المستقبل امر تحليل وتبرير ذلك بالتفصيل

واني اصنف في هذه المرحلة ماديي القرن الثامن عشر ايضا ، لانه لم يكن تحت تصرفهم اي مادة اخرى من علم الطبيعة غير المادة الموصوفة اعلاه . فان مؤلف كانط الذي شكل هذا ،

قد بقي سرّاً عليهم ، بينما جاء لابلاس بعدهم بزمان طويل (١٧٤) .
ولا ننس انه ، بالرغم من ان تقدم العلم قد زعزع تماماً هذا
المفهوم الشائع عن الطبيعة ، بقي النصف الاول كله من القرن التاسع
عشر مع ذلك خاضعاً لسيطرة هذا المفهوم * ، ولا يزالون ، من
حيث جوهر الامر ، يعلمونه الآن ايضاً في جميع المدارس * .

* ملاحظة على الهامش : وان الطابع المتحجر الذي يتسم به المفهوم
التقديم عن الطبيعة قد خلق التربة لاجل اعتبار علم الطبيعة كله ، بصورة
معقدة وجامعة ، ككل واحد الموسوعيون الفرنسيون (١٧٥) ، بشكل
آلي صرف - شيء بجوار آخر ؛ - ثم في الوقت نفسه سان-سيمون وفلسفة
الطبيعة الالمانية التي كملها هيغل ، التناظر .

* . اما كيف امكن ، حتى في عام ١٨٦١ ، ان يتمسك بهذه النظرات
بصلابة وبنات انسان قدمت اعماله العلمية كثرة من المواد القيمة لاجل
التغلب على هذه النظرات ، فتبينه الكلمات الكلاسيكية التالية :

وان آلية نظامنا الشمسي موجهة كلها ، بقدر ما نستطيع
تفهمها ، نحو الحفاظ على الموجود ، نحو استمرار وجوده بلا تغير
وكما ان اي حيوان او اي نبات في الارض لم يصبح ارقى مما كان عليه
او لم يتغير على العموم منذ اقدم الازمنة ، وكما اننا نجد في جميع
المضويات تعاقب الدرجات ، الواحدة منها قوب الاخرى فقط ، لا الواحدة
منها بعد الاخرى ، وكما ان نوعنا بالذات قد بقي على الدوام من الناحية
الجسمانية هو هو ، كذلك حتى التنوع الاعظم من الاجرام السماوية
الموجودة في الوقت نفسه لا يخولنا الحق في الافتراض بان هذه الاشكال
هي مجرد درجات مختلفة من درجات التطور ؛ بل الامر على العكس ؛
فان كل ما هو مخلوق هو كامل بعد ذاته بالافتقار لنفسه (مدلر ، وعلم
الفلك المبسط ، برلين ، عام ١٨٦١ ، الطبعة الخامسة ، ص ٢١٦) .

واول بكرة في هذا المفهوم المتحجر عن الطبيعة لم يشقها
 عالم الطبيعة ، بل الفيلسوف . ففي سنة ١٧٥٥ ظهر كتاب كانط
 «تاريخ الطبيعة العام ونظرية السماء» فقد أزيحت جانبا
 مسألة الدفعة الاولى . وظهرت الارض وكل النظام الشمسي كشيء
 متكون في الزمان . ولو ان الاغلبية الساحقة من علماء الطبيعة
 لم تشعر بالكبره للفكرة التي افصح عنها نيوتن بصورة تحذير
 ايتها الفيزياء ؛ احتريبي من الميتافيزياء ! (١٧٦) ، - لكانوا
 من كل بدّ قد استخلصوا من هذا الاكتشاف المبقرى الذي جاء
 به كانط ، استنتاجات كانت انقذتهم من الضلالات التي لا نهاية
 لها في السبل المتعرجة ، ووفرت عليهم ذلك القدر الهائل من
 الوقت والعمل ، الذي انفقوه في الاتجاه الخاطى ذلك ان
 اكتشاف كانط كان ينطوي على نقطة الانطلاق لكل الحركة
 اللاحقة الى امام . فاذا كانت الارض شيئا ما متكونا فلا بدّ ان
 تكون متكونة ايضا حالتها الجيولوجية والجغرافية والمناخية
 الراحنة ، ونباتاتها وحيواناتها ، ولا بدّ ان يكون لها تاريخ ،
 لا في المكان وحسب ، - بشكل وقوع شيء قرب آخر ، بل في
 الزمان ايضا ، - بشكل تعاقب شيء بعد آخر . ولو اخذوا
 يواصلون في الحال وبحزم البحث في هذا الاتجاه ، لكان علم
 الطبيعة تجاوز في الوقت الحاضر وضعه الراهن باشواط كثيرة
 ولكن ماذا كان بوسع الفلسفة ان تعطيه من صالح وايجابي ؟
 ان مؤلف كانط ظل بدون نتيجة مباشرة الى ان جاء لابلاس
 وهرشل بعد سنوات طويلة وطورا مضمونه وعلاؤه بمزيد
 من التفصيل ، فاعدا على هذا النحو للاعتراف تدريجيا وبالفرضية
 السديمية . ثم جاءت الاكتشافات التالية تحقق لها النصر في
 آخر الامر ؛ وكان اهمها : اثبات الحركة الذاتية للنجوم الثابتة ،

البرهان على وجود بيئة في ارحاب الكون تبدي مقاومة ، البرهان ،
بواسطة التحليل الطيفي ، على التماثل الكيماوي لمادة الكون وعلى
وجود كتل سديمية ملتهبة كالتي افترضها كانط .

ولكنه يجوز لنا ان نرتاب فيما اذا كانت اغلبية علماء
الطبيعة قد ادركت بعد حقبة وجيزة التناقض بين الفكرة القائلة
بتغير الارض وبين المذهب القائل بعدم تغير العضويات العائشة
فيها لو لم تات من جانب آخر مساعدة لمفهوم في سبيل الولادة
يقول ان الطبيعة لا توجد وحسب ، بل هي ايضا في عملية من
الصيرورة والزوال . فقد اثبتت الجيولوجيا ، ولم تكتشف وجود
طبقات جيولوجية متكونة الواحدة بعد الاخرى وواقعة الواحدة
فوق الاخرى وحسب ، بل اكتشفت كذلك في هذه الطبقات اصدافا
وهياكل حيوانات منقرضة ، وجلودها واوراقا وثمارا لنباتات
لم يعد لها وجود فكان لا بد من الاقدام على الاعتراف بان
الارض ، مأخوذة بمجملها وكليتها ، ليست هي وحدها التي لها
تاريخ ، وبان لسطحها الحالي وللنباتات والحيوانات العائشة
عليه ايضا تاريخا . في البدء اعترفوا بذلك كرها نوحا . ان نظرية
كوفيه بشأن الثورات التي عانتها الارض كانت ثورية قولا
ورجعية فعلا . فعوضا عن عملية الخلق الرباني الواحدة ، وضعت
سلسلة كاملة من عمليات الخلق المتكررة وجعلت من المعجزة
محرك الطبيعة الاساسي . الا ان لا يال وحده حمل الى الجيولوجيا

* ملاحظة على الهامش وان الاكتشاف الذي حققه كانط ايضا

والقائل بفعل المدود الكابح بالنسبة لدوران الارض لم يصبح مفهوما الا
الآن . . للتأخر .

فكرة صائبة باحلاله الفعل التدريجي لتحول الارض البطى محل الثورات المفاجئة ، الناجمة من تقلب اهواء الخالق .

وكانت نظرية لايال اقل تطابقاً مع القبول بدوام الانواع العضوية من جميع النظريات التي سبقتها فان الفكرة القائلة بتحول سطح الارض وجميع شروط الحياة عليه بصورة تدريجية قد ادت مباشرة الى المذهب القائل بتحول العضويات التدريجي وبتكيفها للبيئة المتغيرة ، ادت الى المذهب القائل بتغير الانواع . ولكن التقليد قوة جبارة ، لا في الكنيسة الكاثوليكية وحسب ، بل ايضاً في علم الطبيعة . فان لايال نفسه لم يلاحظ هذا التناقض خلال سنوات طويلة ، وبالاخرى تلامذته . ولا يمكن تفسير ذلك الا بتقسيم العمل الذي اصبح هو السائد آنذاك في علم الطبيعة والذي كان كل بحاة يقتصر بفضلته ، الى هذا الحد او ذاك ، على فرعه الخاص من المعرفة ولم يحتفظ غير عدد قليل جداً من البحاة بالقدرة على رؤية الكل .

وفي هذه الاثناء ، خطت الفيزياء خطوة هائلة الى الامام ، اوجز نتائجها في آن واحد تقريباً ثلاثة رجال مختلفين ، وذلك في عام ١٨٤٢ الذي يشكل عسراً في هذا الفرع من علم الطبيعة . فقد برهن ماير في هيلبرون وجوول في منشستر تحول الحرارة الى قوة ميكانيكية والقوة الميكانيكية الى حرارة ان اثبات معادل الحرارة الميكانيكي قد قضى على جميع الشكوك في هذا الصدد .

* ان مييب نظرة لايال - في شكلها الاولى على الاقل - يتلخص في كونه قد اعتبر القوى الفاعلة في الارض قوى دائمة ، - دائمة سواء من حيث التكيف ام من حيث الكم وينظره ، لا وجود لابتزاد الارض ، والارض لا تتطور في اتجاه معين ، بل تتغير بكل بساطة بحكم الصدفة ، وبغير ترابط والسجام .

وفي الوقت نفسه ، برهن غروف ، - ولم يكن عالم طبيعة محترفاً ، بل محامياً بريطانياً ، - بمجرد دراسة بعض النتائج الحاصلة في ميدان الفيزياء ، ان كل ما يسمى بالقوى الفيزيائية - القوة الميكانيكية ، الحرارة ، النور ، الكهربائية ، المغناطيسية ، وحتى ما يسمى بالقوة الكيماوية - يتحول بعضها الى بعض في ظروف معينة ، دون اي خسارة في القوة ، وعلى هذا النحو اثبت مرة اخرى ، بواسطة البحث الفيزيائي ، صحة موضوعه ديكارت القائلة ان كمية الحركة الموجودة في العالم لا تتغير . وبفضل هذا ، تحولت مختلف القوى الفيزيائية ، - التي هي ، اذا جاز القول ، « انواع » لا تتغير للفيزياء ، - بمختلف الصور الى اشكال متمايزة لحركة المادة ، ومتحولة بعضها الى بعض حسب قوانين معينة . وازيلت من العلم صدفية وجود هذه الكمية او تلك من القوى الفيزيائية ، لانه اقيم الدليل على صلتها المتبادلة وتحول بعضها الى بعض وقد توصلت الفيزياء ، فانها فان علم الفلك من قبل ، الى نتيجة اشارت بالضرورة الى دوران المادة المتحركة المرمدي باعتباره آخر استنتاجات العلم

وجاء تطور الكيمياء بسرعة مذهلة منذ عهد لافوازييه ولا سيما منذ عهد دالتون يهدم التصورات القديمة من الطبيعة من جهة اخرى ايضاً . وبفضل الحصول ، بالنسبيل غير العضوي ، على تركيبات كيماوية كانت لا تتولد قبل ذلك الا في العضوية الحية ، اقيم الدليل على ان لقوانين الكيمياء القوة ذاتها سواء بالنسبة للاجسام العضوية او بالنسبة للاجسام غير العضوية ، وتم املاء قسم كبير من تلك الهاوية بين الطبيعة العضوية وغير العضوية ، التي كان يقال انه يستحيل مدى الدهور تخطيها والتي اقر بها كانط في حينه واخيراً ، جاءت الاسفار والبحثات العلمية المنظمة منذ

اواسط القرن الماضي بصورة منهجية دائبة في ميدان البحوث البيولوجية ايضاً ، ودراسة المستعمرات الاورويية في جميع مناطق الدنيا بمزيد من الدقة من قبل الاختصاصيين العاشين هناك ، وبجاحات علم الاحاة وعلم التشريح وعلم الوظائف على العموم ولا سيما منذ استخدام المجهر بدأب وانتظام ومنذ اكتشاف الخلية ، - جاء كل هذا يكس من المواد ما جعل من الممكن - ومن الضروري في آن واحد - تطبيق طريقة المقارنة . فمن جهة ، تم استيضاح شروط حياة مختلف مجموعات النباتات والحيوانات بفضل الجغرافية الطبيعية المقارنة ؛ ومن جهة اخرى ، اجريت مقارنة بين مختلف العضويات من حيث اعضائها المتناظرة ، لا في حالة نضجها وحسب ، بل ايضاً في جميع مراحل طورها . وبقدر ما كان هذا البحث يتزايد دقة وعمقا ، بقدر ما كان النظام المتحجر الموصوف اعلاه ، القائل بثبات الطبيعة العضوية وعدم تغيرها يتزايد غموضاً وابهاماً امام بصر البحاة . فان الحدود بين مختلف انواع النباتات والحيوانات لم تتزايد غموضاً وابهاماً وحسب ، بل اكتشفت ايضاً حيوانات ، مثل امفيوكس وليبيدوسيرين (١٧٧) ، كالما سخرت من كل التصنيف . . الموجود قبل ذلك واخيراً وجدت عضويات كان من المستحيل حق القول عنها ما اذا كانت من عالم الحيوان او من عالم النبات . واخذ البياض في صفحات علم الاحاة يمتلأ اكثر فاكثراً ، مكرها حتى اشد الناس عناداً على الاعتراف بالتشابه المذهل القائم بين تاريخ تطور العالم العضوي بمجمله وتاريخ

* ملاحظة على الهامش : وعلم الاجنة ، الناشر

** ملاحظة على الهامش : والسيراتود ، والارخيوتيريكس ايضاً ،

الخ . ، (١٧٨) . الناشر .

تطور عضوية بمفردها ، والذي اعطى على هذا النحو خيطاً هادياً كان لا بدّ له ان يؤدي الى خارج المتاهة التي كان فيها علم النبات وعلم الحيوان يتيهان اكثر فاكثراً على ما يبدو . ومما له دلالة ان غ . ف . فولف قد شن في عام ١٧٥٩ اول هجوم على نظرية نبات الانواع ونادى بمذهب التطور (Evolution) (١٧٩) ، وذلك تقريباً في نفس الوقت الذي شن فيه كانط هجومه على مذهب سرمدية النظام الشمسي . ولكن ما كان عند فولف مجرد استباق عبقرى اكتسب شكلاً محدداً عند اوكن ولامارك وبيير ، وادخله داروين (١٨٠) بصورة مظفرة الى ميدان العلم بعد مرور مائة سنة بالضبط ، اي في عام ١٨٥٩ . وفي الوقت نفسه تقريباً ، اقيم الدليل على ان الجبلية والخلية اللتين كانتا تعتبران من قبل الجزئين المكوّنين الاخيرين في بنية جميع العضويات ، توجدان كذلك حيتين بصورة مستقلة بوصفهما شكلين عضويين ادبيين . وبفضل ذلك ، ضيّقت الى الحد الأدنى الهاوية بين الطبيعة العضوية وغير العضوية وازيلت في الوقت نفسه احدى العقبات الكاداء التي كانت تعترض المذهب القائل بمنشأ العضويات من طريق التطور . وهكذا اصبح المفهوم الجديد من الطبيعة جاهزاً بخطوطه الكبرى فان كل متحجر اصبح متغيراً ، وكل شيء غير متحرك اصبح متحركاً ، وكل شيء خاص كان يعتبر خالداً اصبح هائلاً ، واعطي البرهان على ان الطبيعة كلها تتحرك في سيل سرمدى ودوران سرمدى .

وها نحن قد عدنا من جديد الى رأي كبار مؤسسي الفلسفة الاغريقية ، القائل ان الطبيعة باجمعها ، من افعال الاجزاء الى اكبر الاجسام ، من حبة الرمل الى الشمس ، من البروتيست (١٨١) الى

الانسان ، هي في حركة دائمة من النشوء والاضمحلال ، هي في جريان لا ينقطع ، في حركة وتغير مستمرين ابديين ؛ ولكن مع فرق جوهري واحد هو ان ما كان عند الاغريق حدساً عقرياً ، هو عندنا نتيجة دراسة علمية دقيقة ، قائمة على الاختبار ، ولذا يتسم بشكل اوضح وادق بكثير . صحيح ان البرهان الاختباري على هذا الدوران لم يتحرر بعد كلياً من الثغرات ، ولكن هذه الاخيرة ضئيلة بالنسبة لما تم اثباته بيقين ورسوخ ؛ناهيك بانها تُسدّ اكثر فاكثّر سنة بعد سنة . ثم ، هل كان من الممكن ، يا ترى ، ان يخلو هذا البرهان من الثغرات فيما يتعلق بهذه او تلك من التفاصيل ، اذا اخذنا بالحسبان ان أهم فروع المعرفة - علم النجوم ، الكيمياء ، الجيولوجيا - ظهرت للوجود منذ مائة سنة او يكاد ، وان طريقة المقارنة في علم الوظائف ظهرت للوجود كعلم منذ ٥٠ سنة او يكاد ، وان الشكل الاساسي لكل تطور حياتي تقريباً ، اي الخلية ، قد اكتشف منذ اقل من اربعين سنة !

من السدوم الفازية الملتهبه الدائرة على نفسها كالاعصار ، - التي لن نكتشف ، اغلب الظن ، قوانين حركتها الا بعد ان تعطينا المراقبات في سياق بضعة قرون فكرة واضحة عن حركة النجوم بالذات - تطورت ، بفضل الانكماش والابتعاد ، شمس لا عدّ لها والانظمة الشمسية في جزيرتنا الكونية التي تحدها اقصى الحلقات النجمية في المجرة . ومن المؤكد ان هذا التطور لم يجر في كل مكان بالسرعة نفسها . ويضطر علم الفلك اكثر فاكثّر الى الاعتراف بوجود اجرام سوداء في نظامنا النجمي ، ليست كوكبية وحسب ، وهي بالتالي شمس منطفئة (مدلر) ؛ ومن جهة

اخرى (حسب سيكّي) ، يعود قسم من البقع السديمية الغازية ، بوصفها شمس لماً تكتمل ، الى نظامنا النجمي ، الامر الذي لا ينفي ان تكون سدوم اخرى ، كما يؤكد مدلر ، جوراً كوية مستقلة بعيدة ينبغي للمنظار الطيفي ان يثبت درجة تطورها النسبية .

لقد بينَ لابلان بطريقة مفصلة لا تعملوها حتى الآن اي طريقة اخرى ، كيف يتطور النظام الشمسي من كتلة سديمية منفردة ؛ وفيما بعد اكد العلم اكثر فاكثر صحة مجرى تفكيره . في الاجرام المنفردة المتكونة على هذا النحو - في الشمس والكواكب والاقمار ، - يسود في البدء ذلك الشكل من حركة المادة الذي نسميه بالحرارة اما التركيبات الكيماوية من العناصر ، فلا يمكن ان يتناولها الكلام حتى في حال الحرارة التي لا تزال الشمس تملكها حتى الآن ؛ وان عمليات مراقبة الشمس فيما بعد ستبين الى اي درجة تتحول الحرارة في هذه الحال الى كهرباء او الى مغناطيسية ؛ ولكنه يمكن القول الآن انه من المؤكد تقريباً ان الحركات الميكانيكية الجارية في الشمس تنجم بوجه الحصر من النزاع بين الحرارة والجاذبية

ان بعض الاجرام تبتد بسرعة تتزايد بقدر ما هي اصغر حجماً فتبتد اولاً الاقمار والنيازك والشهب مثلما خمد قمرنا من زمان بعيد وتبتد الكواكب بمزيد من البطء ، ويبتد الكوكب المركزي ابداً من الكل .

ومع تزايد الابتعاد ، يبدأ باحتلال المرتبة الاولى اكثر فاكثر التفاعل بين الاشكال الفيزيائية للحركة ، التي يتحول بعضها الى بعض ، حتى يبلغ في آخر الامر تلك النقطة التي تشرع فيها الالفة الكيماوية تعطي الادلة على وجودها ، وذلك عندما تالحد

العناصر الالامبالية كيماويا حتى ذلك تتمايز كيماويا الواحد تلو الآخر ، وتكتسب خواص كيماوية وتدخل في مركبات بعضها مع بعض وهذه المركبات تتغير باستمرار مع هبوط الحرارة الذي يؤثر بصورة مختلفة ، لا في كل عنصر وحسب ، بل ايضا في كل مركب بمفرده من العناصر ، مع ما يربط بهذا الابتزاد من انتقال قسم من المادة الغازية الى حالة سائل في بادى الامر ، ثم الى حالة جماد ، ومع الشروط الجديدة الناشئة من جراء ذلك . ان الوقت الذي يكتسب فيه الكوكب قشرة صلبة ويتراكم فيه الماء على سطحه يطابق الوقت الذي تبدأ منه حرارته بالذات تراجع اكثر فاكثر الى المؤخرة بالقياس الى الحرارة التي يتلقاها من الكوكب المركزي . ويصبح جوه مسرعا لظواهرات مزيولوجية بالمعنى الحديث لهذه الكلمة ، ويصبح سطحه مسرعا لتغيرات جيولوجية تأخذ معها الرواسب الناجمة عن الهواطل الجوية تتفوق اكثر فاكثر على التأثيرات التي تخف ببطء خارج نواة الكوكب الداخلية السائلة المتاججة

واخيراً اذا انخفضت الحرارة - على الاقل في قطاع كبير ما من السطح - الى درجة انها لا تتجاوز تلك الحدود التي يظهر ضمنها الاحين قادراً على الحياة ، واذا توفرت الشروط التمهيدية الكيماوية التلائمة الاخرى ، تشكلت جيلة حية . اما ما هي هذه الشروط التمهيدية ، فهذا ما لا نعرفه بعد في الوقت الحاضر ولا غرابة لأنه لم توضع بعد ايضا حتى الان وصفة الاحين الكيماوية ولاننا لا نعرف بعد عدد الاجسام الاحينية المختلفة كيماويا ، ولانه لم يصبح معروفاً الا منذ نحو عشرة اموام ان الاحين العديم الشكل تماماً يقوم بجميع الوظائف الجوهرية في الحياة : الهضم ، الافراز ، الحركة ، الانقباض ، رد الفعل على التهيج ، التكاثر .

وقد انقضت ، على الأرجح ، آلاف السنين قبل ان تنشأ الظروف التي غدت في ظلها الخطوة التالية الى الامام امراً ممكناً وقبل ان تنبثق الخلية الاولى من هذا الاحين المديس الشكل ، بفضل تشكل النواة والغلاف ولكن ، مع هذه الخلية الاولى ، اعطي ايضاً اساس لاجل تشكل العالم العضوي كله . في البدء ، تطورت ، كما يجب علينا افتراض هذا نظراً لجميع معطيات تاريخ الاحياء ، انواع لا عد لها من البروتيمستات غير الخلوية والخلوية ، التي وصل منها الينا *Eozoon canadense* (١٨٢) الوحيد والتي صار بعضها تدريجياً اولى النباتات وصار بعضها الآخر اولى الحيوانات ومن الحيوانات الاولى تطورت ، من طريق التمايز المستمر بصورة رئيسية ، ما لا يحصى من طوائف ورتب وفصائل واجناس واصناف الحيوانات ، وتطور ذلك الشكل الذي يبلغ فيه النظام العصبي اكمل نموه - في آخر المطاف ، اي الفقاريات على وجه الضبط ، ومن بين هذه الفقاريات ، تطور كذلك في آخر المطاف ذلك الفقاري الذي تتوصل فيه الطبيعة الى ادراك ذاتها بذاتها ، اي الانسان .

والانسان ينبثق بالتمايز ، وليس بنحو افرادي وحسب ، - بتطوره من خلية بيضوية واحدة وحيدة حق اعقد عضوية تنتجها الطبيعة ، - بل ايضاً بالمعنى التاريخي . وعندما تميزت اليد عن القدم في آخر المطاف ، بعد صراع دام آلاف السنين ، وثبتت المشية المستقيمة ، وانفصل الانسان عن القرد ، وأُرسى الاساس لاجل تطور النطق البين اللفظ ولاجل تطور الدماغ تطوراً قوياً ، وبفضل هذا ، اصبح من المستحيل مد ذاك تجاوز الهوة الفاصلة بين الانسان والقرد ان تخصص اليد يعني ظهور ادلة ، والاداة تعني النشاط البشري الصرف وتعني فعل الانسان

من جهته في الطبيعة فعلا محوِّلاً - أي أنها تعني الانتاج كذلك للحيوانات بمعنى الكلمة الضيق ادوات ، ولكن فقط بصورة اعضاء اجسامها : النمل ، النحل ، القندس ؛ والحيوانات تنتج ، ولكن فعلها الانتاجي في الطبيعة المحيطة صفر بالنسبة للطبيعة . الانسان وحده امكنه ان يختم الطبيعة بخاتمه : فهو لم يغير امكنة مختلف اصناف النباتات والحيوانات وحسب ، بل غيّر ايضاً مناخ محل اقامته ومظهره الخارجي ، بل غيّر النباتات والحيوانات ذاتها الى حد انه لا يمكن ان تزول نتائج نشاطه الا مع موات الكرة الارضية العام . وهذا ما توصل اليه في المقام الاول وبصورة رئيسية بواسطة اليد . فحق الآلة البخارية التي لا تزال حتى الآن اقوى اداة لديه لاجل تحويل الطبيعة ، تركز ، في آخر تحليل ، وبوصفها اداة على وجه التدقيق ، على نشاط اليد ولكن الرأس ايضاً تطور خطوة فخطوة مع تطور اليد ، ونشأ الومي ، -اولاً ، وهي شروط مختلف النتائج النافعة العملية ؛ وفيما بعد ، وعلى اساس هذا ، نشأ عند الشعوب العائشة في احوال اكثر ملائمة ، ادراك نوااميس الطبيعة ، التي تشترط هذه النتائج النافعة . ومع فهم قوانين الطبيعة المتنامي بسرعة ، تنامت ايضاً وسائل الفعل في الطبيعة ؛ ولو اكل الناس على مساعدة اليد وحدها ، ولو لم يكن دماغ الانسان يتطور مع اليد والى جانب اليد وبفضل اليد جزئياً وبنحو مناسب ، لما صنعوا يوماً الآلة البخارية

ومع الانسان ندخل ميدان التاريخ ان للحيوانات كذلك تاريخاً ، وهو بالضبط تاريخ نشوئها وتطورها التدريجي حتى حالتها الحاضرة ولكنها مواضع منفصلة في هذا التاريخ واذا ما اشتكت فيه بنفسها ، فان اشتراكها هذا يجري دون علم وقصد

منها . اما الناس ، فعلى العكس ؛ فبقدر ما يعتمدون من الحيوانات بمعنى الكلمة الضيق ، بقدر ما يصنعون تاريخهم بانفسهم ، من معرفة ووعي ، وبقدر ما يقل تأثير العواقب غير المتوقعة والقوى غير المراقبة في هذا التاريخ ، وبقدر ما تتطابق النتيجة التاريخية بمزيد من الدقة مع الهدف المقرر سلفاً . ولكن اذا تناولنا بهذا المعيار تاريخ البشر ، وحق تاريخ ارقى الشعوب في الوقت الحاضر ، لوجدنا انه لا يزال يوجد هنا مع ذلك قسط هائل من عدم التطابق بين الاهداف المقررة والنتائج الحاصلة ، ولا تزال الغلبة للعواقب غير المتوقعة ، والقوى غير المراقبة اقوى بكثير من القوى المحركة بطريقة منهجية . ولا يمكن ان يكون الحال آخر ما دام نشاط الناس التاريخي الجوهرى ولا اكثر ، اي النشاط الذي رفعهم من الحالة الحيوانية الى الحالة البشرية والذي يشكل الاساس المادي لجميع انواع نشاطهم على اختلافها - الانتاج الرامي الى تلبية مطالب الناس الحياتية اي الانتاج الاجتماعي في زمننا ، -خاصة بوجه خاص للعب الاعمى لفعل القوى غير المراقبة الذي لا يدخل في نواياهم ومقاصدهم ، وما دام الهدف المنشود لا يتحقق هنا الا بصورة استثنائية ، بل تتحقق في اغلب الاحوال نتائج معارضة لهذا الهدف . ففي ارقى البلدان الصناعية ، روعنا قوى الطبيعة ووضعناها في خدمة الانسان ؛ وبفضل هذا ، زدنا الانتاج الى ما لا قياس له بحيث ان الطفل يسج الان اكثر مما كان ينتجه من قبل مئات الراشدين ولكن ما هي عواقب هذا النمو في الانتاج ؟ نمو العمل الاضائي ، نمو فقر الجماهير ، وكل عشر سنوات ، افلاس هائل . ولم يخطر في بال داروين اي هجاء مر كتبه عن البشر ، وخاصة عن مواطنيه عندما برهن ان المنافسة الحرة ، والصراع من اجل البقاء ، اللذين يطريهما

الاقتصاديون بوصفهما اعظم منجزة تاريخية ، هما الحالة الطبيعية ، العادية في عالم الحيوانات . ان التنظيم الواعي للانتاج الاجتماعي هو وحده الذي يمكنه ، مع الانتاج المنهجي والتوزيع المنهجي ، ان يرفع الناس فوق سائر الحيوانات من الناحية الاجتماعية مثلما رفعهم الانتاج على العموم من الناحية البيولوجية الصرف . وان التطور التاريخي يجعل مثل هذا التنظيم ضروريا اكثر فاكثر يوما بعد يوم وممكنا اكثر فاكثر يوما بعد يوم . ومنه سيبدأ العهد التاريخي الجديد ، وفي هذا العهد سيحرز الناس انفسهم ، ومع الناس جميع فروع نشاطهم ، ولا سيما علم الطبيعة ، نجاحات يتضاءل حياؤها تماما كل ما تحقق حتى الان

ولكن «كل ما ينشأ جدير بالهلاك» . اغلب الظن انه ستتنقضي ايضا ملايين السنين ، وتولد مئات الآلاف من الاجيال وتموت وتدفن في القبور ، ولكنه يزحف بلا مرَد ذلك الوقت الذي لن يبقى فيه بمقدور الحرارة الشمسية النافذة ان تذيب الجليد الزاحف من القطبين ، والذي لن تجد فيه البشرية المتراكمة في منطقة خط الاستواء الحرارة الضرورية للحياة ، والذي سيؤول فيه تدريجيا آخر اثر للحياة العضوية ، والذي ستدور فيه الارض ، - ككرة متجمدة ، ميتة مثل القمر ، - في ظلام دامس على مدارات تقصر اكثر فاكثر حول الشمس الميتة ايضا ، وتسقط في نهاية المطاف على الشمس بالذات . ان هذا المصير سيحل ببعض الكواكب قبل الارض ، وبعض آخر بعد الارض ؛ وعوضا عن النظام الشمسي النير ، الدافئ المقسم تقسيما متناسقا متسقا ، لن يبقى غير كرة باردة ، ميتة تسير في طريقها وحيدة في الفضاء

* قوله . «فاوست» ، الفصل الاول ، المشهد الثالث (ومكتب فاوست) . **الناشر .**

الكوني . والمصير ذاته الذي سيؤول اليه نظامنا الشمسي ، لا بد ان يحل عاجلا ام آجلا بجميع الانظمة الاخرى في جزيرتنا الكونية وبانظمة جميع الجزر الكونية الاخرى التي لا عد لها ، بما فيها حتى تلك التي لن يبلغ النور منها الارض يوما ما دامت هناك عين بشرية عليها في وسعها ان ترى هذا النور .

ولكن ماذا سيحدث بعد ان ينجز مثل هذا النظام الشمسي سبيله الحياتي ويحل به مصير كل ما له آخرة ، اي الموت ؟ اتواصل جثة الشمس السير الى الابد بصورة جثة في الارحاب اللامتناهية ، وتتحول الى الابد جميع قوى الطبيعة ، المتمايزة والمتنوعة الى ما لا نهاية له من قبل ، الى شكل واحد وحيد للحركة ، الى جاذبية ؟

وام - كما يتساءل سيكّى (ص ٨١٠) - وتوجد في الطبيعة قوى بمقدورها ان تعيد النظام الميت الى حالته الاولى ، الى حالة سديم ملتهب ، وبمقدورها ان توقظه من جديد لاجل الحياة من جديد ؟ نحن لا نعرف هذا .

يقينا اننا لا نعرف هذا بالمعنى الذي نعرف به ان $2 \times 2 = 4$ او ان جاذبية المادة تتزايد وتقل بنسبة مربع المسافة . ولكنه يتأتى لنا احيانا كثيرة جدا في علم الطبيعة النظري الذي يؤحد قدر الامكان نظراته الى الطبيعة في كل واحد متناسق والذي يستحيل ان يستغني عنه في زمننا حتى اقل الاختباريين ذكاء وفطنة ، يتأتى لنا ان نجابه مقادير غير معروفة تماما ؛ وفي جميع الازمنة كان يتعين على انسجام الفكر ان يساعد المعارف غير الكافية بعد في مواصلة السير الى امام . ان علم الطبيعة الحديث مضطر الى ان يقتبس من الفلسفة الموضوعية

القائلة باستحالة زوال الحركة ؛ وبدون هذه الموضوعة ، لم يعد في وسع علم الطبيعة ان تقوم له الآن قائمة . ولكن حركة المادة ليست مجرد حركة ميكانيكية بسيطة ، وليست مجرد انتقال ؛ انما هي الحرارة والنور ، والجهد الكهربائي والمغناطيسي ، والتركييب الكيماوي والتفسخ الكيماوي ، والحياة ، واخيراً ، الوعي . ان القول بانه لم تتوفر للمادة طوال زمن وجودها اللامتناهي الا مرة واحدة وحيدة - وللحظة واحدة فقط بالقياس الى ازلية وجودها ، - الامكانية تمييز وتقسيم حركتها وبالتالي لعرض كل غنى هذه الحركة ، وانها قبل هذا وبعده تقتصر منذ الازل والى الابد على مجرد الانتقال البسيط ، ان القول بهذا يعني التاكيد ان المادة فانية والحركة عابرة ينبغي فهم استحالة زوال الحركة ، لا بمعنى الكم وحسب بل ايضا بمعنى الكيف فان المادة ، التي ينطوي انتقالها الميكانيكي على امكانية التحول في ظروف ملائمة الى حرارة وكهرباء وفعل كيماوي وحياة ، والتي لا تستطيع مع ذلك ان تخلق من نفسها هذه الظروف ، ان هذه المادة قد منيت بخصاصة معينة في حركتها ان الحركة التي فقدت القدرة على التحول الى مختلف الاشكال الملازمة لها لم تعد تملك *energeia* * رغم انها لا تزال تملك *dynamis* ** ، وبالتالي قضى عليها جزئياً ولكن هذا وذاك غير معقول

هناك ، على كل حال ، امر واحد لا ريب فيه ، هو انه كان زمن حوّل فيه مادة جزييرتنا الكونية الى حرارة قدراً من الحركة - لا نعرف بعد حتى الآن من اي نوع هي بالضبط - كبيراً

* - الواقع الناظر .

** - الامكانية . الناظر .

الى حد انه امكن ان تنشأ وتتطور من هنا الانظمة الشمسية التي
تخص على اقل تقدير (حسب مدلر) ١٠ مليون نجم ، والتي
لا ريب كذلك باضمحلالها تدريجيا . كيف جرى هذا التحول ؟
نحن قلنا نعرف هذا مثلما قلنا يعرف الاب سيكّي ما اذا كان
caput mortuum * المقبل لنظامنا الشمسي سيتحول ذات يوم
من جديد الى خامه لاجل انظمة شمسية جديدة ، ولكننا مضطرون
هنا اما الى الاستنتاج بالخالف ، ولما الى استخلاص الاستنتاج
القاتل ان الخامه الملتهمه لاجل الانظمة الشمسية في جريرتنا
الكونية قد انبثقت بصورة طبيعية ، بواسطة تحولات الحركة التي
تلازم بحكم طبيعتها المادة المتحركة والتي لا بد للمادة بالتالي
ان تبحث ظروفها وشروطها من جديد ، وان بعد مرور ملايين
وملايين السنين ، بصورة صدفية الى هذا الحد او ذاك ، ولكن
بحكم ضرورة ملازمة داخليا للصدفة ايضا .

والآن فرحوا يقولون اكثر فاكثر باحتمال هذا التحول ،
ويقنعون بان مصير الاجرام السماوية الاخير انما هو تساقط
بعضها على بعض ، ويعسبون حتى مقدار الحرارة الذي لا بد
ان ينشأ في مثل هذه الاصطدامات ان ظهور النجوم الجديدة
الفجائي ، والتزايد الفجائي بالقدر نفسه في سطوع النجوم
المعروفة من زمان بعيد ، - هذا التزايد الذي ينبئنا به علم
الفلك ، - يُفْتَران على ايسر نحو بمثل هذه الاصطدامات
يجب الا يغيب عن البال عند ذلك ان مجموعتنا الكوكبية تدور

* حرفيا الراس الميت ؛ بالمعنى المجازي الباقياس الميتة ،
النفائات بعد التسخين والتفاعل الكيماوي ، الخ والمقصود هنا الشمس
المنطفئة مع الكواكب الخالية من الحياة والواحدة عليها . للتأخر .

حول الشمس وان شمسنا تتحرك داخل جزيرتنا الكونية ، وليس هذا وحسب ، بل ان كل جزيرتنا الكونية ايضا تتحرك في الارحاب الكونية موجودة في توازن نسبي مؤقت مع سائر الجزر الكونية ، لأن حق التوازن النسبي للأجرام العائمة بحرية لا يمكن ان يقوم الا في حال حركة مشروطة بصورة متبادلة ؛ وعلاوة على ذلك ، يفترض بعضهم ان الحرارة في الارحاب الكونية ليست واحدة في كل مكان ، واخيراً ، نحن نعرف ان حرارة الشمس التي لا عد لها في جزيرتنا الكونية ، باستثناء قسم ضئيل للغاية منها ، تزول في الارحاب ، محاولة عبثاً ان ترفع حرارة الارحاب الكونية ، وان لجزء من مليون جزء من الدرجة المئوية فماذا يحدث لكل هذه الكمية الهائلة من الحرارة ؟ هل تهلك الى الابد في محاولة منها لتدفئة الارحاب الكونية ، وهل تزول عملياً من الوجود ، محتفظة نظرياً فقط بواقع ان الارحاب الكونية قد سخنت جزءاً من درجة يُعبَّرُ عنه بكسر عشري يبدأ بعشرة اصفار او اكثر ؟ ان هذه الفرضية تنكر استحالة زوال الحركة ؛ وهي تعتبر ان من الممكن ان تتحول الحركة الميكانيكية الموجودة كلها ، عن طريق تساقط الاجرام السماوية بعضها على بعضها بصورة مستمرة ، الى حرارة تشع في الارحاب الكونية ، الامر الذي من شأنه ان يوقف على العموم كل حركة ، رغم «استحالة زوال القوة» (والمناسبة نقول انه يتبين هنا ان تعبير «استحالة زوال القوة» المستعمل عوضاً عن تعبير «استحالة زوال الحركة» غير موفق ابداً) . وعليه نصل الى استنتاج يقول انه لا بد ان تتوفر للحرارة المشعة في الارحاب الكونية امكانية التحول بسبيل ما - سبيل سيترتب ذات يوم على علم الطبيعة اثباته - الى شكل آخر للحركة تستطيع فيه ان تتركز من جديد وتبدأ العمل

بنشاط . وعلى هذا النحو تزول الصعوبة الرئيسية التي تعترض طريق الاعتراف بتحول الشمس البائدة الى سديم ملتهب
ثم ان تعاقب العوالم الذي يتكرر ابدأ ودائماً بشكل متواصل في الزمن اللامتناهي ليس غير اضافة منطقية الى وجود عوالم لا عد لها في آن واحد في الارحاب اللامتناهية ؛ وهذه الموضوعية اضطر الى الاعتراف بضرورتها الالزامية حق اليانكي دريبر بدماغه المعادي للتفكير النظري .

هذا هو الدوران السرمدي الذي تتحرك فيه المادة ، - الدوران الذي لا ينجز سبيله الا في حقبات من الزمن لا يمكن ان تقوم سنتنا الارضية بدور وحدة قياس كافية بالنسبة لها ؛ الدوران الذي كان فيه زمان التطور الاعلى ، وزمان الحياة العضوية ، وبالاخرى زمان حياة الكائنات التي تدرك ذاتها وتدرك الطبيعة ، ضئيلاً بقدر ضالة ذلك المكان الذي توجد الحياة والادراك ضمن حدوده ؛ الدوران الذي فيه كل شكل نهائي لوجود المادة - سواء اكان الشمس ام السديم ، حيواناً بمفرده لو النوع الحيواني ، التركيب الكيماوي ام الانحلال الكيماوي ، - هابر ، والذي لا شيء فيه ابدى غير المادة المتفجرة ابدأ ، المتحركة ابدأ وغير قوانين حركتها وتغيرها ولكن مهما تكرر هذا الدوران في الزمان وفي المكان ، ومهما اشتدت ضرارته ؛ ومهما نشأت الشمس والاراضي وهلكت بالملايين والملايين ؛ ومهما استطال الزمن قبل ان تنشأ في نظام شمسي ما وفي كوكب واحد فقط الشروط والظروف لاجل

• وان كثرة العوالم في الارحاب اللامتناهية تؤدي الى فكرة تعاقب العوالم باستمرار في الزمن اللامتناهي (دريبر ، وتاريخ تطور الفكر ، المجلد الثاني ، ص ٢٢٥) .

الحياة العضوية ؛ ومهما كثرت الكائنات العضوية التي لا بدّ ان تنشأ وتهلك قبل ان تنبثق وتتطور من بينتها حيوانات تملك دماغاً قادراً على التفكير وتجد في أجل قصير الظروف الملائمة لأجل حياتها لكي يقضى عليها فيما بعد بلا شفقة ولا رحمة ، - فاننا على يقين بان المادة تبقى هي هي الى الابد ، رغم جميع تحولاتها ، وانه لا يمكن لها ابدأ ان تفقد اياً من صفاتها ، وانه لا بدّ لها لهذا السبب من ان تبحث من جديد اسمى زهورها اي الروح المفكرة في مكان آخر وفي زمان آخر ، وذلك بنفس الضرورة المحتمة التي ستقضي بها ذات يوم في الارض على هذه الزهرة

كتبها المجلس في ١٨٧٥-١٨٧٦
صدرت للمرة الاولى بالالمانية والروسية تمت الترجمة نقلاً من
في دارشيف ماركس والمجلس ،
الكتاب الثاني ، عام ١٩٢٥

ملاحظات

١ - ان مؤلف كارل ماركس ومساهمة في نقد الاقتصاد السياسي، يسجل مرحلة هامة في تأسيس الاقتصاد السياسي الماركسي وقبل كتابة هذا المؤلف ، امضى ماركس خمسة عشر عاما في اعمال البحث العلمي ، فدرس طائفة ضخمة من المطبوعات ووضع اسس مذهبه الاقتصادي وكان ينوي عرض نتائج عمله في بحث اقتصادي كبير وفي آب- ايلول (اغسطس- سبتمبر) ١٨٥٧ ، فرغ ينسق ويرتب المادة التي جمعها ، ورسم الخطوط الاولى لمشروع هذا المؤلف وفي الاشهر التالية ، وضع ماركس مشروعه بالتفصيل ، وقرر اصدار المؤلف المنشود اساما ، كل قسم بطبعة على حدة . وعقد اتفاقية تمهيدية مع الناشر البرليني دولكر ، وانكب على تحضير الطبعة الاولى فصدرت في حزيران (يوليو) ١٨٥٩

واثر الطبعة الاولى ، اعتراف ماركس ان يصدر على الفور الطبعة الثانية التي كان لا بد ان تنعكس فيها قضايا الراسمال . ولكن الدراسات اللاحقة حملت ماركس على تعديل مشروعه الاول لمؤلفه الكبير فعوضا من الطبعة الثانية وما يليها ، اعد ماركس والراسمال وفيه ادرج ايضا الموضوعات الاساسية لكتابه ومساهمة في نقد الاقتصاد السياسي، بعد تعديلها وتنقيحها . - ص ٥

٢ - المقصود هنا والمقدمة في المنجزة التي ادها ماركس لمؤلف اقتصادي كبير . - ص ٥

٢ - «Rheinische Zeitung für Politik, Handel und Gewerbe» (والجريدة الرينانية في شؤون السياسة والتجارة والصناعة) ، جريدة

يومية صدرت في كولونيا من اول كانون الثاني (يناير) ١٨٤٢ الى ٢١ آذار (مارس) ١٨٤٢ ابتداء من نيسان (ابريل) ١٨٤٢ ،
 ماون ماركس في الجريدة ، وابتداء من تشرين الاول (اكتوبر) من
 السنة ذاتها ، اصبح احد محرريها .- ص ٦

٤- «Allgemeine Zeitung» (والجريدة العامة) ، جريدة رومية
 يومية ألمانية ؛ تأسست في ١٧٩٨ نشرت افكار الشيوعية الطوبوية
 والاشتراكية الطوبوية بصورة مزيفة ، ففضحها ماركس في مقالته
 والشيوعية و «Allgemeine Zeitung» الاوغسبورغية .- ص ٦

٥- «Deutsch-Französische Jahrbücher» (والحولية الألمانية
 الفرنسية) ، صدرت باللغة الألمانية في باريس بتحرير ماركس وروغه .
 ولم يصدر منها غير عدد واحد مزدوج ، وذلك في شهر شباط (فبراير)
 ١٨٤٤ . وقد احتوى مؤلفات لماركس والجلس تسجل انتقالهما لهايا
 الى المادية والشيوعية اما السبب الرئيسي لوقف اصدار المجلة فهو
 الخلافات المبدئية بين ماركس وروغه الراديكالي البرجوازي .- ص ٧

٦- المقصود هنا ثورة شباط (فبراير) عام ١٨٤٨ في
 فرنسا .- ص ١٠

٧- «رابطة العمال الالمان ببروكسل» ، اسمها ماركس والجلس في اواخر
 آب (اغسطس) ١٨٤٧ من اجل تنوير وتثقيف العمال الالمان المقيمين في
 بلجيكا سياسيا ، ومن اجل ترويج افكار الشيوعية العلمية بينهم
 بقيادة ماركس والجلس وانصارهما ، غدت الرابطة مركزا علميا لتوحيد
 البروليتاريين الثوريين الالمان في بلجيكا انضمت خيرة عناصر الرابطة
 الى محفل مصبة الشيوعيين في بروكسل بعد ثورة شباط (فبراير)
 البرجوازية في فرنسا في عام ١٨٤٨ بفترة وجيزة توقف نشاط رابطة
 العمال الالمان ببروكسل نظرا لاعتقال ونفي اعضائها من قبل البوليس
 البلجيكي .- ص ١٠

٨- «Neue Rheinische Zeitung. Organ der Demokratie»

(والجريدة الرينانية الجديدة . لسان حال الديموقراطية) ، صدرت يوميا

في كولومبيا بتحرير ماركس من اول حزيران (يونيو) ١٨٤٨ الى ١٩ ايار (مايو) ١٨٤٩ كان المجلس عضواً في هيئة تحريرها .- ص ١٠

٩- «New-York Daily Tribune» (نيويورك دايلي تريبيون) -
ومنبر لنيويورك اليوم) ، جريدة برجوازية تقدمية صدرت من ١٨٤١ الى ١٩٢٤ من آب (اغسطس) ١٨٥١ الى آذار (مارس) ١٨٦٢ ،
عاون ماركس وانجلس في الجريدة .- ص ١١

١٠- هذا العمل هو نص تقرير تلاه ماركس في جلسات المجلس العام للاممية الاولى في حزيران (يونيو) ١٨٦٥ وفيه عرض ماركس هنا للمرة الاولى اسس نظريته عن القيمة الزائدة كان التقرير موجها مباشرة ضد النظرات الخاطئة التي كان يروجها عضو الاممية ويسطن ، والزاعم ان زيادة الاجرة لا يمكنها ان تحسن وضع العمال وانه ينبغي بالتالي اعتبار نشاط التريديونيون ضاراً ؛ وفي الوقت نفسه ، سدد التقرير ضربة الى البرودونيين وكذلك الى اللاساليين الذين كانوا يقفون موقفاً سلبياً من نضال العمال الاقتصادي والنقابات وقد حمل ماركس في تقريره حملة قوية على دعوة البروليتاريين الى السكوت والتسليم حيال استثمار الرأسمال لهم ، وعلل نظرياً دور نضال العمال الاقتصادي واهميته ، و اشار الى ضرورة اخضاعه لهدف البروليتاريا النهائي ، وهو القضاء على نظام العمل الماجور بقى نص التقرير بشكل مخطوطة نشرت ايليونور ابنة ماركس التقرير للمرة الاولى في لندن في ١٨٩٨ باسم «Value, price and profit» (القيمة والسعر والربح) ، مع مقدمة بقلم زوجها ، الاشتراكي البريطاني ايفلينغ . في المخطوطة ، كانت المقدمة والفصول الستة الاولى بدون عناوين ، فوضع ايفلينغ لها العناوين وقد بقيت جميع هذه العناوين ، باستثناء العنوان العام ، في هذه الطبعة .- ص ١٢

١١- جمعية التشغيل العالمية (الاممية الاولى) ، اول منظمة عالمية جماهيرية للبروليتاريا ؛ عملت بقيادة ماركس وانجلس (من ١٨٦٤ الى ١٨٧٦) . اوصلت الاممية الى وهي العمال الطليعيين في أهم البلدان

الراسمالية افكار الاشتراكية العلمية ووارست اساس تنظيم العمال العالمي من اجل اعداد الهجوم الثوري على الراسمال» (لينين) - ص ١٢

١٢- قام نضال الطبقة العاملة في بريطانيا من اجل تحديد يوم العمل بعشر ساعات قانونا منذ اواخر القرن الثامن عشر وفند اوائل الثلاثينيات من القرن التاسع عشر ، وفشل جماهير واسعة من البروليتاريا . في ٨ حزيران (يوليو) ١٨٤٧ ، اقر البرلمان قانونا بتحديد يوم العمل بعشر ساعات بالنسبة للاحداث والنساء فقط . ومع ذلك ، تجاهل كثيرون من الصناعيين في الواقع هذا القانون - ص ٢٢

١٢- في مرحلة الثورة البرجوازية الفرنسية ، اقرت الكونفاسيون الليقوبية في عامي ١٧٩٢ و ١٧٩٤ حدوداً قصوى ثابتة لاسعار جملة من سلع الضرورة الاولى ، الى جانب حد أقصى ثابت للاجور - ص ٢٤

١٤- الجمعية البريطانية للمساعدة على تنظيم العلم ، أسست في ١٨٢١ ، ولا تزال قائمة في الوقت الحاضر يقصد ماركس خطاب نيومارنش (ولقد اخلا ماركس كتابة كنيته) في اجتماع الفرع الاقتصادي للجمعية في ايلول (سبتمبر) ١٨٦١ - ص ٢٥

١٥- راجع R. Owen. «Observations on the Effect of the Manufacturing System». London, 1817, p. 76 (روبرت اوين - ملاحظات حول تأثير النظام الصناعي» لندن ، ١٨١٧ ، ص ٧٦) - ص ٢٥

١٦- المقصود هنا حرب القرم في ١٨٥٢-١٨٥٦ - ص ٢٧

١٧- في اواسط القرن التاسع عشر لعب دورا معينا بارذاً في ازدياد عدم المساكن بالجملة في الاماكن الريفية والحق ان مقدار الضريبة لمصلحة الفقراء ، التي كان يدفعها الملاك العقاري ، كان يتعلق الى حد بعيد بعدد الفقراء الذين يعيشون في اراضيهم . وقد كان الملاكون العقاريون يدمرون من قصد ووعي هذه المساكن التي لم يكونوا هم أنفسهم بحاجة اليها ، ولكن التي كان من الممكن ان تكون ماوى لسكان القرى والفالسين» - ص ٢٧.

١٨- جمعية الفنون والعرف (Society of Arts) ، جمعية برجوازية خيرية وثقافية ، تأسست في لندن في ١٧٥٤ وتلا جون تشارلمرس مورتون ، ابن جون مورتون، المرجع المنوه به .- ص ٢٧

١٩- ان ما يسمى بقوانين الحبوب ، الموجهة الى تحديد او الى منع استيراد الحبوب من الخارج ، قد طبقت في بريطانيا في مصلحة كبار ملاكي الاراضي في عام ١٨٢٨ ، أسس الصناعيان كوبدن وبرايث من مالمستر عصبة مكافحة قوانين الحبوب طالبت العصبة بحرية التجارة حرية تامة وسعت الى إلغاء قوانين الحبوب بغية تخفيض اجور العمال واضعاف المواقع الاقتصادية والسياسية للارستقراطية العقارية . وبنتيجة هذا الانفصال ، صدر قانون في عام ١٨٤٦ بإلغاء قوانين الحبوب ، فكان انتصاراً للبرجوازية الصناعية على الارستقراطية المقارية .- ص ٢٨

٢٠- الحرب الاهلية في الولايات المتحدة الاميركية (١٨٦١-١٨٦٥) نشبت بين ولايات الشمال الصناعية وبين ولايات الجنوب التي يسود فيها نظام الرق والتي قامت بفتنة ولقت الطبقة العاملة في بريطانيا ضد سياسة البرجوازية البريطانية التي دعمت المزارعين مالكي العبيد ، وحالت دون تدخل بريطانيا في الحرب الاهلية في الولايات المتحدة الاميركية - ص ٢٨

٢١- الفيزيوقراطيون ، اتجهوا من اتجاهات الاقتصاد السياسي الكلاسيكي البرجوازي ظهر في الخمسينيات من القرن الثامن عشر في فرنسا كان الفيزيوقراطيون يناصرون قطعاً الملكية الرأسمالية الكبيرة للاراضي ، وإلغاء الامتيازات الطبقة الاقطاعية ، وإلغاء الحماية الجمركية ادرك الفيزيوقراطيون ضرورة القضاء على النظم الاقطاعية ولكنهم ارادوا ان يجري ذلك من طريق التحويلات السلمية ، دون الاضرار بالطبقات السائدة ونظام الحكم المطلق . اقترب الفيزيوقراطيون بنظرائهم الفلسفية من المنورين البرجوازيين الفرنسيين في القرن الثامن عشر في عهد الثورة البرجوازية الفرنسية ، تحققت جملة من التحويلات الاقتصادية التي اقترحها الفيزيوقراطيون .- ص ٥٠ .

٢٢ - A. Smith. «An Inquiry into the Nature and Causes of

the Wealth of Nations», Vol. I, Edinburgh, 1814, p. 93.

وبحث في طبيعة واسباب ثروة الشعوب ، المجلد الأول ، ايدنبورغ ،
١٨١٤ ، ص ٩٣ . - ص ٥١

٢٣ - المقصود هنا الحروب التي شنتها إنجلترا ضد فرنسا في زمن

الثورة البرجوازية الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر ايسان هذه
الحروب اقامت الحكومة الانجليزية في البلاد نظاما ارحاميا شرسا ضد
جماهير الشفيلة . وعلى وجه التخصيص ، قمعت في المرحلة المشار اليها جملة
من الانتفاضات الشعبية واتخذت قوانين تحظر اتحادات العمال . - ص ٧٢

٢٤ - يقصد ماركس كرامس مالتوس «An Inquiry into the

Nature, and Progress of Rent, and the Principles by which it is
regulated», London, 1815 (ودراسة في طبيعة الريع ونموه ، وفي مبادئ

تنظيمه ، لندن ، ١٨١٥) . - ص ٧٢

٢٥ - دور العمل ، ظهرت في بريطانيا في القرن السابع عشر

بموجب وقانون الفقراء الذي سنّ في عام ١٨٢٤ ، غدت دور العمل
الشكل الوحيد لمساعدة الفقراء كانت دور العمل تتميز بنظام كنظام
سجون الانخال الشاقة ؛ وقد وصفها الشعب بانها وباستلالت الفقراء ،
- ص ٧٤

٢٦ - جاغار ناؤوت (جاغاناتج) ، احد اقانيم الاله الهندي فيشنو

تميزت عبادة جاغار ناؤوت بفخامة الطقوس الخارقة ، وكذلك بالقى
التمصب الاعمى الديني الذي يتجل باقدام المؤمنين على جلد انفسهم وعلى
الانتحار . وفي ايام الاحتفالات الكبيرة ، كان بعض المؤمنين يرمون بانفسهم
تحت دواليب مربة عليها صنم فيشنو-جاغار ناؤوت . - ص ٧٦

٢٧ - بموجب قوانين الفقراء ، التي كانت سارية المفعول في إنجلترا منذ

القرن السادس عشر ، كانت تجبى من كل دائرة كنيسية ضريبة خاصة
لمصلحة الفقراء وكان السكان الذين لا يكفيهم ايرادهم هم وعائلاتهم
يحملون على معونات من صندوق مساعدة الفقراء . - ص ٨١ .

D. Ricardo. «On the Principles of Political Economy. - ٢٨

and Taxation», London, 1821, p. 479. (دافيد ريكاردو) وفي أسس

الاقتصاد السياسي والنظام الضرائبي، لندن، ١٨٢١، ص ٤٧٩)

- ص ٨٢

٢٩- «الراسمال» ، مؤلف ماركسي عبقري عمل ماركس على

وضع مؤلفه الرئيسي هذا خلال اربعة عقود من السنين ، ابتداء من اوائل

الاربعينيات من القرن التاسع عشر حتى اواخر حياته

في اواخر ١٨٤٣ شرح ماركس في باريس يدرس الاقتصاد السياسي

بدأ بانتظام وقد انعكست اول دراساته في هذا المضمار في عدد من

مؤلفاته ، بينها «المخطوطات الاقتصادية والفلسفية لعام ١٨٤٤»

و«الايدولوجية الالمانية» و«بؤس الفلسفة» و«العمل المجاور والراسمال»

و«بيان الحزب الشيوعي» وفي هذه المؤلفات ، كشف أسس الاستثمار

الراسمالي ، والتضاد المستعصي بين مصالح الراسماليين والعمال الاجراء ،

وطابع جميع العلاقات الاقتصادية التنافسي والرائل في ظل الراسمالية

بعد انقطاع تسببت به ثورة ١٨٤٨-١٨٤٩ ، استطاع ماركس

ان يواصل دراساته الاقتصادية ، ولكن في لندن فقط ، الى حيث اضطر ان

يهاجر في آب (اغسطس) ١٨٤٩

في ١٨٥٧ و ١٨٥٨ ، وضع ماركس مخطوطة يزيد حجمها على

٥٠ ملزمة طباعية ، وكانت بمثابة مسودة لكتابه المقبل «الراسمال»

(من ١٩٢٩ الى ١٩٤١ نشر معهد الماركسية-اللينينية لدى اللجنة المركزية

للحزب الشيوعي السوفييتي المخطوطة للمرة الاولى باللغة الاصلية تحت عنوان

«Grundrisse der Kritik der politischen Oekonomie» (والسمات

الاساسية لنقد الاقتصاد السياسي» . وفي الوقت نفسه ، وضع الخطوط

الاولى لمشروع المؤلف كله ببجملة ، ثم وضع تفاصيله في الاشهر التالية ؛

وفي نيسان (ابريل) ١٨٥٨ ، قرر عرض كل مؤلفه في ٦ كتب . ولكنه

سرعان ما قرر الشروع باصدار مؤلفه اقساما كل قسم بطبعة على حدة

في عام ١٨٥٨ ، بدأ يعد الطبعة الاولى واسماها ومساهمة في نقد

الاقتصاد السياسي . صدر الكتاب في عام ١٨٥٩ . واتناء اعداد الاقسام

التالية ، وضع من عام ١٨٦١ الى عام ١٨٦٢ مخطوطة ضخمة يبلغ حجمها زهاء ٢٠٠ ملزمة طباعية تتألف من ٢٢ دفترًا وكان عنوانها كعنوان كتاب ١٨٥٩ ومساهمة في نقد الاقتصاد السياسي ، ان القسم الاكبر من المخطوطة (من الدفتر السادس الى الخامس عشر والدفتر الثامن عشر) يعالج تاريخ المذاهب الاقتصادية وقد اعده للطبع واصدره باللغة الروسية بمهد الماركسية-اللينينية لدى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي تحت اسم ونظرية القيمة الزائدة (المجلد الرابع من «الراسمال») اما الدفاتر الاخرى فانها تتناول الى هذا الحد او ذاك قضايا جميع مجلدات «الراسمال» الثلاثة

وثناء مواصلة العمل ، عدل ماركس مشروعه الاول . فقد استعان من مشروع الكتب الستة بمشروع اربعة مجلدات «الراسمال» ومن ١٨٦٢ الى ١٨٦٥ ، وضع مخطوطة ضخمة جديدة تألف اول صيغة موضوعية بالتفصيل لمجلدات «الراسمال» النظرية الثلاثة وبعد كتابة الكتاب كله (كانون الثاني -يناير ١٨٦٦) فرع ماركس يضع الصيغة النهائية لاجل الطبع ، مع العلم انه لولا عند نصيحة المجلس ، قرر ان يهيئ لولا المجلد الاول من «الراسمال» ، لا الكتاب كله دفعة واحدة وقد وضع ماركس هذه الصيغة النهائية بفائق الدقة والعناية ، فجاءت من حيث جوهر الامر صيغة جديدة اخرى للمجلد الاول من «الراسمال»

بعد صدور المجلد الاول من «الراسمال» (ايلول -سبتمبر ١٨٦٧) ، واصل ماركس العمل على المجلد الاول نظراً لاعداد طبعات جديدة له باللغة الالمانية وترجمته الى اللغات الاجنبية . وادخل تعديلات كثيرة في الطبعة الثانية (عام ١٨٧٢) ، واعطى توجيهات جوهرية بصدور الطبعة الروسية التي صدرت في بطرسبورغ في عام ١٨٧٢ وكانت اول ترجمة اجنبية «الراسمال» ، وعدل كثيراً وحرر الترجمة الفرنسية التي صدرت بطبعات خاصة من ١٨٧٢ الى ١٨٧٥

ومن جهة اخرى ، واصل ماركس ، بعد صدور المجلد الاول من «الراسمال» ، العمل على اعداد المجلدات التالية ، معتمداً انجاز الكتاب كله في القرب وقت . ولكنه لم يتمكن من ذلك . فان نشاطه المتنوع

الجواب في المجلس العام للاممية الاولى كان ينتزع منه وقتاً كثيراً ناهيك بانه كان يضطر اكثر فاكثراً الى وقف العمل بسبب سوء حالته الصحية بعد وفاة ماركس ، اعدّ انجلس المجلدين التاليين من «الراسمال» للطبع واصدرهما ، الثاني في ١٨٨٥ والثالث في ١٨٩٤ وبذلك اسهم المجلس بقسط يفوق التقدير في كنز الشيوعية العلمية عند نشر مقطع من الفصل الرابع والعشرين من المجلد الاول من «الراسمال» في هذه الطبعة ، حوفظ على الترتيب الذي اعطاه ماركس نفسه للملاحظات في اواخر الصفحات .- ٨٧

٢٠- يقصد ماركس الفصل الاول (والبضاعة والنقد) من الطبعة الالمانية الاولى للمجلد الاول من «الراسمال» ويقابله القسم الاول في الطبعة الثانية والطبعات التالية الالمانية لهذا المجلد .- ٨٧

٢١- المقصود هنا الفصل الثالث من المؤلف الذي وضعه لاسال ، وعنوانه : Herr Bastiat-Schulze von Delitzsch, der ökonomische Julian, oder: Kapital und Arbeit (السيد بستيا شولتسمديلتش ، Berlin, 1864. يوليان الاقتصادي او «الراسمال والعمل» . برلين ، ١٨٦٤) .- ص ٨٨ .

٢٢- الحرب من اجل استقلال مستعمرات بريطانيا في امريكا الشمالية (١٧٧٥-١٧٨٢) عند السيادة البريطانية نجمت من طموح الامة البرجوازية الاميركية بسبيل التكون الى الاستقلال والى القضاء على الحواجز التي تحول دون تطور الرأسمالية ونتيجة لانتصار الاميركيين الشماليين ، انشئت دولة برجوازية مستقلة هي الولايات المتحدة الاميركية .- ص ٩١

٢٣- الكنيسة السامية ، اتجه في الكنيسة الانجليكانية كان انصاره على الاغلب من اوساط الارستقراطية حافظ هذا الاتجاه على الطقوس الفخمة القديمة مفسراً بذلك الى استمرار صلته بالكاثوليكية .- ص ٩٢

٢٤- الكتب الزرقاء (Blue Books) ، اسم جامع لمطبوعات مواد البرلمان البريطاني والوثائق الدبلوماسية لوزارة الخارجية ، اُسِّمَتْ بهذا الاسم نظراً لخلعها الأزرق . تصدر في بريطانيا منذ القرن السابع عشر . وهي

المصدر الرسمي الاساسي لتاريخ البلد الاقتصادي والدبلوماسي والكتاب
الازرق المنوه به - ومراسلات مع بعثات صاحبة الجلالة في الخارج في
مسائل الصناعة والتريديونيونات - صدر في لندن عام ١٨٦٧ . - ص ٩٢

٢٥ - C. Pecqueur. «Théorie nouvelle d'économie sociale et po-
litique, ou Etudes sur l'organisation des sociétés». Paris, 1842, p. 435.
(ق) بيكور ونظرية جديدة في الاقتصاد الاجتماعي والسياسي ، او
دراسات في تنظيم الشركات ، باريس ، ١٨٤٢ ، ص (٤٢٥) . - ص ٩٥

٢٦ - حلل انجلس في المقدمة التي كتبها في شباط (فبراير)
١٨٧٠ لاجل الطبعة الثانية لمؤلفه وحرب الفلاحين في المانيا ، من
انتفاضة الفلاحين الالمان ضد الاقطاعيين في القرن السادس عشر ، التفريعات
التي طرأت في حياة البلد الاقتصادية والسياسية منذ عام ١٨٤٨ ودور
مختلف الطبقات والاحزاب في هذه المرحلة من تاريخ المانيا وفي هذه
المقدمة ، طور انجلس وصاغ بصورة دقيقة ملموسة اهم استنتاج نظري
وسياسي كان قد استخلصه ماركس وانجلس في جملة من
مؤلفاتهما ، بالاستناد الى تجربة ثورات ١٨٤٨-١٨٤٩ حول ضرورة
اتحالف بين البروليتاريا والفلاحين وقد بين انجلس انه من الضروري
اتخاذ موقف مختلف من مختلف فئات الفلاحين ، و اشار الى فئات الفلاحين
التي يمكنها ان تصبح حليفة للبروليتاريا في النضال الثوري ، وحلل
الاسباب التي تحملها على ذلك وفي ١٨٧٤ عندما اعد انجلس الطبعة
الثالثة لكتاب وحرب الفلاحين في المانيا ، اضاف الى مقدمة ١٨٧٠
ملاحظات فائقة الاهمية حول دور النظرية في الحركة الاشتراكية والعمالية ،
ولوه على الاخص بضرورة تربية الجماهير بروح الاممية البروليتارية ،
واعطى توجيهات نظرية بالغة الشأن بصدد طابع ومهام والشكل نضال
الطبقة العاملة وحزبها . - ص ٩٩

٢٧ - «Neue Rheinische Zeitung. Politisch-Ökonomische Revue»

(والجريدة الرينانية الجديدة عرض سياسي واقتصادي) ، مجلة ،
لسان الحال النظري لعصبة الشيوعيين ، اسسها ماركس وانجلس . صدرت

من كانون الاول (ديسمبر) ١٨٤٩ الى تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٥٠
صدر منها ستة اعداد فقط .- ص ٩٩

٢٨ - كتاب زيمرمان *Allgemeine Geschichte des großen Bauern Kriege* (وتاريخ حرب الفلاحين الكبرى) ، صدر في شتوتغارت من
١٨٤١ الى ١٨٤٨ بثلاثة اقسام .- ص ٩٩

٢٩ - المقصود هنا الجناح اليساري المتطرف في الجمعية الوطنية
لعامة المانيا التي انعقدت في مدينة فرانكفورت على الماين ابان ثورة
١٨٤٨-١٨٤٩ كان هذا الجناح يمثل على الاغلب مصالح البرجوازية
الصغيرة ، ولكنه كان يحظى ايضا بتأييد قسم من العمال الالمان . كانت
المهمة الرئيسية التي تواجه الجمعية تتلخص في تصفية نجو المانيا
السياسي ووضع دستور لعامة المانيا ولكن الجمعية ، لجباة الاغلبية
الليبرالية وتردداتها ، خافت ان تاخذ في يدها السلطة العليا في البلد ولم
تستطع ان تتخذ موقفا حازما في المسائل الاساسية المتعلقة بالثورة
الالمانية في ٣٠ ايار (مايو) ١٨٤٩ ، اضطرت الجمعية الى نقل
مقرها الى شتوتغارت في ١٨ حزيران (يونيو) ١٨٤٩ ، ففرقتها
القوات المسلحة .- ص ٩٩

٤٠ - الحرب النمساوية البروسية في ١٨٦٦ ، انتهت بانتصار
بروسيا ، ووضعت حداً للتنافس الذي دام سنوات طويلة بين هاتين
الدولتين ، وقررت سلفاً امر توحيد المانيا بزعامة بروسيا اشترك عدد
من الدويلات الالمانية في هذه الحرب الى جانب النمسا ، وتحالفت بروسيا
مع ايطاليا بموجب معاهدة الصلح المعقودة في براغ ، تنازلت النمسا
لبروسيا من حقوقها في فليسفيغ وغولشتين ، ودفعت لها غرامة صغيرة
واحالت الى التاج الايطالي مقاطعة البندقية وزال من الوجود الحلف
الالمان الذي انشأ في عام ١٨١٥ في مؤتمر فيينا ، والذي كان يضم اكثر
من ٣٠ دولة المانية ، وعوضاً عنه انشأ حلف المانيا الشمالية بدون
مشاركة النمسا وتحت زعامة بروسيا . وبنتيجة الحرب الحقت كذلك

بروسيا بها مملكة هانوفر وامارة هيسن-كاسل ، ودوقية ناساو الكبرى ، ومدينة فرانكفورت على الماين الحرة

ونظراً للازمة السياسية التي اشتدت بعد الهزيمة ، ونظراً لتنامي حركة التحرر الوطني ، اضطرت الاوساط الرجعية النمساوية الى اقدام ، من جهة ، على الاتفاق مع المجر حول تأسيس مملكة ثنائية - هي النمسا-المجر - ومن جهة اخرى ، على عدد من التنازلات السياسية في صالح البرجوازية . وسع الدستور الذي سن في عام ١٨٦٧ صلاحيات الهيئة التمثيلية - الريخسرات - وافر مسؤولية الوزراء ، والخدمة العسكرية الاوامية العامة ، ومركزية الادارة . اشترك الليبراليون البرجوازيون في الحكومة الى جانب ممثلي الارستقراطية . - ص ١٠٢

٤١- الليبراليون-القوميون ، حزب للبرجوازية الالمانية تالف في خريف ١٨٦٦ كان هدف الليبراليين-القوميين الاساسي توحيد الدولات الالمانية تحت زعامة بروسيا . حكمت سياستهم استسلام البرجوازية الالمانية الليبرالية امام بيسمارك . - ص ١٠٢

٤٢- حزب الشعب الالمانى ، تأسس في عام ١٨٦٥ وكان يضم العناصر الديمقراطية من البرجوازية الصغيرة وجزئاً من البرجوازية ولا سيما في الدولات الالمانية الجنوبية . عارض الحزب فرض زعامة بروسيا في المانيا وذاد عن مشروع ما يسمى «المانيا الكبرى» التي كان ينبغي ان تشمل بروسيا والنمسا على السواء . روج لفكرة دولة المانية اتحادية ، وعارض توحيد المانيا بشكل جمهورية ديموقراطية مركزية موحدة - ص ١٠٤

٤٣- في اواسط الستينيات من القرن التاسع عشر ، اُقر في بروسيا ، بالنسبة لعدد من فروع الصناعة ، نظام ادونات (امتيازات) خاصة لا يمكن بدون الحصول عليها ممارسة النشاط الصناعي . فادى هذا التشريع الصناعي نصف القروسطي الى تضيق المجال امام تطور الرأسمالية . - ص ١٠٤ .

٤٤- المقصود هنا الحركة من اجل اصلاح حق الاقتراع الذي اقره مجلس العموم البريطاني في عام ١٨٣١ تحت ضغط الجماهير الشعبية والذي صادق عليه مجلس اللوردات بصورة نهائية في حزيران (يونيو) ١٨٣٢ وكان الاصلاح موجها ضد الاحتكار السياسي للارستقراطية العقارية والمالية ، وافسح الطريق لوصول ممثلي البرجوازية الصناعية الى البرلمان اما البروليتاريا والبرجوازية الصغيرة اللتان كانتا القوة الرئيسية في النضال من اجل الاصلاح فقد خدعتهما البرجوازية الليبرالية ولم تحصلا على الحقوق الانتخابية . - ص ١٠٥

٤٥- انتفاضة حزيران ، انتفاضة باسلة قام بها عمال باريس من ٢٣ الى ٢٦ حزيران (يوليو) ١٨٤٨ ، وقمعتها البرجوازية الفرنسية بضراوة خارقة كانت هذه الانتفاضة اول حرب اهلية كبيرة في التاريخ بين البروليتاريا والبرجوازية . - ص ١٠٦

٤٦- اليونكو ، بمعنى الكلمة الضيق ، طبقة النبلاء ملاكي الاراضي في بروسيا الشرقية بالمعنى الواسع ، طبقة الاقطاعيين العقاريين الالمان . - ص ١٠٧

٤٧- معركة سادوفا (ومعروفة ايضا في التاريخ بمعركة كوليفغريتس - حاليا غراديتس - كراوف) جرت في ٣ تموز (يوليو) ١٨٦٦ في بلاد التشيك وكانت المعركة الفاصلة في الحرب النمساوية-البروسية في عام ١٨٦٦ . - ص ١٠٧

٤٨- Hypothèque ايپوتيك ، الرهن العقاري ، قرض برهن الاموال غير المنقولة في المدينة او القرية ، ولا سيما الارض وكذلك البيوت . - ص ١٠٩

٤٩- المقصود هنا مؤلف بال ، الذي عقده الاممية من ٦ الى ١١ ايلول (سبتمبر) ١٨٦٩ والذي اتخذ في ١٠ ايلول القرار التالي في مسألة ملكية الارض ، بناء على اقتراح من انصار ماركس :

١- يحق للمجتمع ان يلغي الملكية الخاصة للأرض ويحولها الى ملكية عامة

٢- ينبغي إلغاء الملكية الخاصة للأرض وتحويلها الى ملكية عامة .
كذلك اتخذ المؤتمر قراراً بتوحيد النقابات على الصعيد الوطني
والعالمي وجملة من القرارات بتوطيد الامهية على الصعيد التنظيمي
وبتوسيع صلاحيات المجلس العام . - ص ١١٠

٥٠- في معركة سيهلفن التي جرت في ٢ ايلول (سبتمبر) ١٨٧٠
ابان الحرب الفرنسيةالبروسية (١٨٧٠-١٨٧١) هزمت القوات الالمانية
الجيش الفرنسي وامرته مع نابليون الثالث ومن ٥ ايلول ١٨٧٠ الى
١٩ آذار (مارس) ١٨٧١ ، فرضت الالقمة الجبرية على الامبراطور
نابليون الثالث وهيئة اركانه في ولهمسميو (بجوار كاسل) ، قصر الملوك
البروسيين جعلت كارثة سيدان في الهيار الامبراطورية الثانية وادت الى
اطلان الجمهورية في فرنسا في ٤ ايلول ١٨٧٠ وتشكلت حكومة جديدة
اسميت بحكومة الدفاع الوطني . - ص ١١٢

٥١- في سياق الكلام عن والامبراطورية الالمانية المقدسة للامة
البروسية ، يحور المجلس اسم الامبراطورية الرومانية المقدسة للامة
الالمانية في القرون الوسطى (راجع الملاحظة رقم ٧٦) بويشير بذلك
الى ان توحيد المانيا ، اي تأسيس الامبراطورية الالمانية في عام ١٨٧١
اثر الانتصار على فرنسا ، قد جرى تحت زعامة بروسيا ورافقه ضم
الاراضي الالمانية الى بروسيا . - ص ١١٢

٥٢- حلف المانيا لشمالية الذي كانت ترأسه بروسيا وكان يضم
١٩ دويلة و٢ مدن حرة في المانيا الشمالية والوسطى ، تأسس في ١٨٦٧
بناء على اقتراح من بيسمارك . كان تاليف الحلف احدى المراحل الحاسمة
في توحيد المانيا تحت زعامة بروسيا . في كانون الثاني (يناير) ١٨٧١
زال الحلف من الوجود نظراً لتأسيس الامبراطورية الالمانية . - ص ١١٢ .

٥٣- المقصود هنا انضمام بافاريا وبادن وفورتمبرغ وهيسن- دارمشتادت الى حلف المانيا الشمالية في ١٨٧٠ . - ص ١١٢

٥٤- في معركة شبيخون (اللورين) انزلت القوات المسلحة البروسية الهزيمة بالوحدات الفرنسية في ٦ آب (اغسطس) ١٨٧٠ وفي المطبوعات التاريخية ، تسمى معركة شبيخون ايضا بمعركة فورباخ في معركة ماوسلاتور (المسماة ايضا بمعركة فونفيل) افلحت القوات المسلحة الالمانية في ١٦ آب ١٨٧٠ في وقف انسحاب جيش الراين الفرنسي من مدينة ميتز ثم في قطع سبل التراجع عليه . - ص ١١٦

٥٥- «Der Volkstaat» (والدولة الشعبية) - ودر فولكشتات ، لسان الحال المركزي لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى (الايريناخيين) صدرت من ٢ تقريرين الاول (اكتوبر) ١٨٦٩ الى ٢٩ ايلول (سبتمبر) ١٨٧٦ في ليبزيغ اشرف ليكنخت على ادارة الجريدة العامة ، واشرف بيبل على طبعها هاون ماركس وانجلس في الجريدة ، وساعدا دائما في تحريرها حتى عام ١٨٦٩ صدرت الجريدة باسم «Demokratisches Wochenblatt» . - ص ١١٧

٥٦- في انتخابات الريخستاغ في ١٠ كانون الثاني (يناير) ١٨٧٤ نجح الاشتراكيون-الديموقراطيون الالمان في انتخاب ٩ نواب منهم وبين هؤلاء كان بيبل وليكنخت اللذين كانا آنذاك في السجن . - ص ١١٨

٥٧- «الحرب الاهلية في فرنسا» ، من اهم مؤلفات الشيوعية العلمية بالاستناد الى خبرة كومونة باريس ، طور الموضوعات الاساسية في المذهب الماركسي من النضال الطبقي والدولة والثورة وديكتاتورية البروليتاريا كتب بشكل نداء من المجلس العام للاممية الى جميع اعضاء الاممية في اوروبا والولايات المتحدة ؛ وكان القصد منه تسليح الطبقة العاملة في جميع البلدان بلهم جوهر واهمية نضال الكومونيين البطولي ، وجعل خبرة هذا النضال التاريخية العالمية في منال البروليتاريا باسرها في هذا البحث ، اكد ماركس وطور الموضوعة التي اوردها في مؤلفه والثامن عشر من برومير لويس بوناپرت (راجع هذه الطبعة ،

الجزء الاول من ص ١٤٨-٢٩٩) والتي تقول انه ينبغي على البروليتاريا ان تحطم آلة الدولة البرجوازية وقد خلص ماركس الى القول وان الطبقة العاملة ليس في وسعها ان تضع يدها ببساطة على الاداة الحكومية الجاهزة وان تسيّرهما لمقاصدها الخاصة (راجع هذا الكتاب ، ص ١٨٦) ، بل ينبغي عليها ان تحطمها وتستمضي عنها بدولة من طراز كومونة باريس ان هذا الاستنتاج الذي توصل اليه ماركس حول دولة من طراز جديد - ، من طراز كومونة باريس - بوصفها شكلا لدولة ديكتاتورية البروليتاريا هو المضمون الاساسي لهذا القسط الجديد الذي اسهم به ماركس في النظرية الثورية

انتشر مؤلف ماركس والحرب الاهلية في فرنسا انتشاراً واسعاً. وفي ١٨٧١-١٨٧٢ ، ترجم الى عدد من اللغات ونشر في مختلف بلدان اوروبا وفي الولايات المتحدة الاميركية . في ١٩٠٥ ، صدر مؤلف ماركس باللغة الروسية في اوديسا بتحرير لينين . - ص ١٢٢

٥٨ - كتب المجلس هذه المقدمة لاجل الطبعة الالمانية البيوبيلية الثالثة لمؤلف ماركس والحرب الاهلية في فرنسا التي صدرت في ١٨٩١ بمناسبة الذكرى السنوية العشرين لكومونة باريس اشار المجلس في هذه المقدمة الى الاهمية التاريخية لكومونة باريس وإلى تميمات ماركس النظرية لخبرتها في مؤلفه والحرب الاهلية في فرنسا ، واورد كذلك جملة من الاضافات تتعلق بتاريخ كومونة باريس ، ولا سيما بنشاط البلاكيين والبرودونيين الذين اشتركوا في الكومونة وقد ادرج المجلس في هذه الطبعة النداء الاول والثاني اللذين كتبهما ماركس باسم المجلس العام لجمعية الشغيلة العالمية حول الحرب الفرنسية-الروسية واللذين كانا يصدران عادة في الطبقات اللاحقة بمختلف اللغات مع والحرب الاهلية في فرنسا . - ص ١٢٢

٥٩ - المقصود هنا حرب التحرر الوطني التي خاضها الشعب الالمانى ضد سيطرة نابليون في سنتي ١٨١٣ و١٨١٤ . - ص ١٢٢ .

٦٠- من القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين في ألمانيا في ٢١ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٧٨ كان هذا القانون يمنع جميع منظمات الحزب الاشتراكي-الديمقراطي ومنظمات العمال الجماهيرية والصحف العمالية ؛ وصودرت المطبوعات الاشتراكية تعرض الاشتراكيون-الديمقراطيون للملاحقات وتحت ضغط الحركة العمالية الجماهيرية انفي القانون في أول من تشرين الأول عام ١٨٩٠ .- ص ١٢٢

٦١- في العشرينيات من القرن التاسع عشر كانوا يطلقون اسم الديماغوجيين على المثقفين الألمان ممن اشتركوا في حركة المعارضة ووقفوا ضد النظام الرجعي في الدويلات الألمانية وطالبوا بتوحيد ألمانيا تعرض الديماغوجيون لملاحقات قاسية من جانب السلطات الألمانية - ص ١٢٢

٦٢- المقصود هنا ثورة تموز (يوليو) عام ١٨٢٠ .- ص ١٢٥

٦٣- المقصود هنا الشرعيون (الليجيتيميون) والأورليانيون والبونابرتيون ، انصار سلالة بونابرت .- ص ١٢٦

٦٤- ٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٥١ ، يوم الانقلاب المعادي للثورة الذي قام به لويس بونابرت وانصاره في فرنسا .- ص ١٢٧

٦٥- المقصود هنا معاهدة الصلح التمهيدية بين فرنسا وألمانيا التي وقعها في فرساي في ٢٦ شباط (فبراير) ١٨٧١ كل من تيير وفافر من جهة ، وبيسمارك من جهة أخرى بموجب شروط هذه المعاهدة ، تنازلت فرنسا لألمانيا عن الألزاس واللورين الشرقية ودفعت غرامة قدرها ٥ مليارات فرنك عقدت معاهدة الصلح النهائية في فرانكفورت على الماين في ١٠ ايار (مايو) ١٨٧١ .- ص ١٢٩

٦٦- في تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٧٠ استسلم الجيش الفرنسي في ميتز بقيادة المارشال بازان للقوات المسلحة الألمانية التي كانت تحاصر المدينة .- ص ١٣٢ .

٦٧- المقصود هنا كتاب يرودون *Idée générale de la Révolution* ،
ou XIX siècle، Paris, 1851 (والفكرة العامة للثورة في القرن التاسع
 عشره . باريس (١٨٥١) . ان نظرات يرودون المعروضة في هذا الكتاب ،
 قد انتقدتها ماركس في رسالته الى انجلس بتاريخ ٨
 آب (اغسطس) ١٨٥١ وانتقد انجلس في موافقه وتطيل نقدي لكتاب
 يرودون والفكرة العامة لثورة في القرن التاسع عشره ، (ولريف
 ماركس وانجلس ، المجلد ١٠ ، ص ص ١٢-١٧) . - ص ١٢٦

٦٨- الامكانيون ، تيار اتملازي في الحركة الاشتراكية الفرنسية ،
 ترأسه يروس ومالون وغيرها ممن استثاروا في ١٨٨٢ انشقاقا في
 صفوف حزب العمال في فرنسا . نادى زعماء هذا التيار بالبدا الاسلامي
 القائل بالتوصل الى الممكن ، (possible) فقط ، ومن هنا اسمهم :
 الامكانيون . - ص ١٢٦

٦٩- عند نشر مقدمة انجلس في مجلة «Neue Zeit» (دلويه
 زايت) Bd. II ، العدد ٢٨ ، ١٨٩٠-١٨٩١ ، طلت هيئة التحرير
 النصى فقد استعاضت في الفترة الاخيرة من نصير . والثافه الضيق الافق
 الاشتراكي-الديموقراطي ، الوارد في المخطوطة بتصير . والثافه الضيق
 الافق الالمانى . ويتبين من رسالة فيشر الى انجلس بتاريخ ١٧ آذار
 (مارس) ١٨٩١ ان انجلس اعرب عن استيائه من هذا التعديل الاعتيادي ،
 ولكنه حافظ ايضا على الكلمات المعدلة في الطبعة المنفردة ، وذلك ، على
 ما يبدو ، لرغبته في المحاولة دون الاختلافات في طبعات لمؤلفه تصدر في
 آن واحد . وفي هذا الكتاب ، اعيد النصى الاولى الاصلي . - ص ١٤٠

٧٠- القاء الاول من موقف الاممية من الحرب الفرنسية-البروسية
 الذي كتبه ماركس بتكليف من المجلس العام بعد بداية الحرب على الفور ،
 وكذلك القاء الثاني الذي كتبه في ايلول (سبتمبر) ١٨٧٠ يعكسان
 موقف الطبقة العاملة من العسكرية والحرب ونضال ماركس وانجلس
 ضد حروب الفتح ، ومن اجل تطبيق مبادئ الاممية البروليتارية على
 ماركس بصورة مقنعة اهم موضوعات المذهب الماركسي في الاسباب

الاجتماعية لحروب الفتح التي تشنها الطبقات السائدة خدمة لمصالحها الجسمة ، ويبين ان حروب الفتح تستهدف كذلك قمع الحركة الثورية للبروليتاريا وافكار بوجه الخاص الى وحدة مصالح العمال الالمان والفرنسيين ودعاهم الى النضال المشترك ضد سياسة الفتح التي تنتهجها الطبقات الحاكمة في البلدين

وببصرة نفاذة خارقة ، علل ماركس في النداء الاول الاستنتاج القائل ان اقامة سلطة البروليتاريا يؤدي الى القضاء على جميع الحروب ايا كانت وان السلام بين الشعوب يصبح احد المبادئ الاممية الكبرى في المجتمع الشيوعي المقبل . - ص ١٤١

٧١- الاستفتاء (الاقتراع الشعبي العام) قام به نابليون الثالث في ايار (مايو) ١٨٧٠ بدعوى التاكيد من موقف الجماهير الشعبية من الامبراطورية وقد صيغت مسائل الاستفتاء بصورة جعلت من المتعذر على المرء ان يعرب من معارضته لسياسة الامبراطورية الثانية دون ان يعلن في الوقت ذاته انه ضد جميع الاصلاحات الديموقراطية وقد فضحت فروع الاممية الاولى في فرنسا هذه المناورة الديماغوجية واقترحت على اعضائها الامتناع عن الاقتراع عشية الاستفتاء ، اعتقل اعضاء الاتحاد الباريسي بتهمة التآمر على اغتيال نابليون الثالث استغلت الحكومة التهمة لأجل تنظيم حملة واسعة من الملاحقات واعمال القمع والاضطهاد ضد اعضاء الاممية في مختلف مدن فرنسا واثناء محاكمة اعضاء الاتحاد الباريسي التي جرت من ٢٢ حزيران (يوليو) الى ٥ تموز (يوليو) ١٨٧٠ ، انفضح كليا كذب التهمة بالتآمر ولكنه حكم على عدد من اعضاء الاممية بالسجن لمجرد التساير الى جمعية الشغيلة العالمية (الاممية الاولى) استثارت ملاحقة الاممية في فرنسا موجة من الاحتجاجات الجماهيرية من جانب الطبقة العاملة . - ص ١٤١

٧٢- في ١٩ تموز (يوليو) ١٨٧٠ بدأت الحرب الفرنسية البروسية . - ص ١٤٢

٧٣- «Le Réveil» (واليقظة) ، جريدة فرنسية لسان حال الجمهوريين اليساريين . صدرت بتحرير ديليكولز في باريس من تموز

(يوليو) ١٨٦٨ الى كانون الثاني (يناير) ١٨٧١ نشرت الجريدة
ووافق الاممية ومواد عن الحركة العمالية .- ص ١٤٢

٧٤- «Le Marseillais» (ومارسيليز) ، جريدة يومية فرنسية ،
لسان حال الجمهوريين اليساريين صدرت في باريس من كانون الاول
(ديسمبر) ١٨٦٩ الى ايلول (سبتمبر) ١٨٧٠ نشرت الجريدة مواد
عن نشاط الاممية والحركة العمالية .- ص ١٤٢

٧٥- المقصود هنا عصاية العاشر من كانون الاول (ديسمبر) -
وهي جمعية بونابرتية سرية تالفت على الاغلب من العناصر المتفكخة
طبقيا ومن المخاضرين السياسيين ، ومن ممثلي الطغمة العسكرية ، الخ
اسم اعضاؤها في انتخاب لويس بونابرت رئيسا للجمهورية الفرنسية
في ١٠ كانون الاول ١٨٤٨ (ومن هنا اسم العصاية) .- ص ١٤٤

٧٦- المقصود هنا الامبراطورية الرومانية المقدسة للامه الالهائية ،
امبراطورية قروسطية (من القرون الوسطى) تأسست في عام ٩٦٢
وشملت اراضي ألمانيا وقسما من ايطاليا فيما بعد ، دخلت ايضا في
قوام الامبراطورية بعض الاراضي الفرنسية وبلاد التشيك والنمسا وهولنده
وسويسرا وبلدان اخرى . لم تكن الامبراطورية دولة مركزية وكانت عبارة
عن اتحاد وامن بين امارات القطاعية ومدن حرة تعترف بسلطة الامبراطور
العليا زالت الامبراطورية في عام ١٨٠٦ عندما اضطر آل هابسبورغ ،
بعد هزيمتهم في الحرب ضد فرنسا ، الى التخلي عن لقب اباطرة الامبراطورية
الرومانية المقدسة .- ص ١٥٠

٧٧- في ١٦١٨ ، اتحدت اماره براندنبورغ مع دوقية بروسيا
(بروسيا الشرقية) التي تشكلت في مستهل القرن السادس عشر من ممتلكات
جمعية الرهبان التوتونيين المتجندين التي كانت تابعة لجميعية القطاعية لبولونيا .
ظل امير براندنبورغ بوصفه دوقا بروسيا تابعا لبولونيا حتى عام
١٦٥٧ ، اذ انه استغل آنذاك مصاعبها في حربها ضد اسوج وحظي على
الاعتراف له بحقوق السيادة على الممتلكات البروسية .- ص ١٥٠ .

٧٨- المقصود هنا معاهدة صلح بال ، التي عقدها بروسيا بصورة منفردة مع الجمهورية الفرنسية في ٥ نيسان (ابريل) ١٧٩٥ ، وكانت بروسيا قد اشتركت في اول حلف للدول الاوروبية ضد فرنسا - ص ١٥٢

٧٩- معاهدة تلمسيت ، عقدت في ٧-٩ تموز (يوليو) ١٨٠٧ بين فرنسا النابوليونية وبين المشتركين في الحلف الرابع ضد فرنسا ، روسيا وبروسيا اللتين منيتا بالهزيمة في الحرب . كانت شروط الصلح في منتهى القساوة بالنسبة لبروسيا ، وسلبتها قسماً كبيراً من اراضيها لم تتحمل روسيا اي خسائر في الاراضي ، ولكنها اضطرت الى الاعتراف بفسوخ مركز فرنسا في اوربوا والى المشاركة في حصار بريطانيا (المسمى بالحصار القاري) ادى صلح تلمسيت للصومسي الذي املاه نابليون الاول الى استياء السكان الواسع في ألمانيا ، واعدت بالتالي التربة لاجل قيام حركة التحرر الوطني ضد السيطرة النابوليونية في عام ١٨١٣ . - ص ١٥٣

٨٠- التوتوليون ، قبائل قديمة ، ألمانية الاصل على ما يبدو ، سمي بها احياناً الألمان على العموم . يلمح ماركس هنا بسخرية الى استعمال هذه الكلمة من قبل القوميين الألمان . - ص ١٥٣

٨١- يقصد ماركس انتصار الرجعية الاقطاعية في ألمانيا بعد انهيار السيطرة النابوليونية . بقي التجزؤ الاقطاعي في ألمانيا ، وتوطد النظام الاقطاعي المطلق في الدويلات الألمانية ، ودامت جميع امتيازات النبلاء ، واهتد استثمار الفلاحين فيه الاقطاعي . - ص ١٥٥

٨٢- المقصود هنا قصر التوتولري في باريس ، وهو مقر نابليون الثالث في عهد الامبراطورية الثانية . - ص ١٥٦

٨٣- الاودليانيون ، انصار دوقات اورليان الذين هم الفرع الأصغر من سلالة بوربون الذي تسلم زمام الحكم منذ ثورة تموز (يوليو) ١٨٣٠ ؛ والذي اسقطته ثورة ١٨٤٨ ؛ عبروا عن مصالح اريستقراطية المال والبرجوازية الكبيرة . - ص ١٥٦ .

٨٤- يقصد ماركس حركة العمال البريطانيين من اجل الاعتراف بالجمهورية الفرنسية التي اقيمت في ٤ ايلول (سبتمبر) ١٨٧٠ . فابتداء من ٥ ايلول ، جرت في لندن وغيرها من المدن الكبيرة اجتماعات حاشدة ومظاهرات طالب المشتركين فيها في قراراتهم وعرائضهم من الحكومة البريطانية بالاعتراف فوراً بالجمهورية الفرنسية اشترك المجلس العام للاممية اشتراكا مباشراً في تنظيم الحركة من اجل الاعتراف بالجمهورية الفرنسية .- ص ١٥٧

٨٥- يلمح ماركس الى اشتراك بريطانيا اشتراكا نشيطا في انشاء حلف الدول الاقطاعية ذات الحكم المطلق التي شنت في ١٧٩٢ الحرب على فرنسا الثورية ، كما يلمح الى ان الطغمة الحاكمة البريطانية كانت في لوروبا اول من اعترف بالنظام البونابرتي الذي قام في فرنسا اثر انقلاب لويس بوناپرت في ٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ .- ص ١٥٨ .

٨٦- «Journal Officiel de la République Française» (والجريدة الرسمية للجمهورية الفرنسية) ، صدرت من ٢٠ آذار (مارس) الى ٢٤ ايار (مايو) ١٨٧١ وكانت لسان الحال الرسمي لجمهورية باريس احتفظت باسم الجريدة الرسمية لحكومة الجمهورية الفرنسية التي صدرت في باريس ابتداء من ٥ ايلول (سبتمبر) ١٨٧٠ (في عهد كومونة باريس ، صدرت في فرساي بهذا الاسم نفسه جريدة حكومة تير) صدر عدد ٢٠ آذار باسم «Journal Officiel de la Commune de Paris» (والجريدة الرسمية لجمهورية باريس) .- نشرت الجريدة رسالة سيمون في ٢٥ نيسان (ابريل) ١٨٧١ .- ص ١٦١

٨٧- في ٢٨ كانون الثاني (يناير) ١٨٧١ ، وقع بيسمارك وممثل حكومة الدفاع الوطني فافر واتفاقية الهدنة واستسلام باريس ، كان الاستسلام المخزي يعني خيانة المصالح الوطنية لفرنسا وعند توقيع الاتفاقية ، وافق فافر على المطالب المذلة التي تقدم بها البروسيون : دفع غرامة قدرها ٢٠٠ مليون فرنك في مدة اسبوعين ، تسليم القسم الاكبر من حصون باريس ، تسليم مدفعية الميدان واحتياطيات جيش باريس الحربية .- ص ١٦١ .

٨٨ - **Capitalards** (الاستسلاميون) ، نعت ازدراء واحتقار اطلق على الصار استسلام باريس اثناء حصارها في عامي ١٨٧٠ و ١٨٧١ فيما بعد ، دخل النعت في اللغة الفرنسية لنعت الاستسلاميين على العموم . - ص ١٦٢

٨٩ - **L'Etendard** « (والراية) » ، جريدة فرنسية يولابرتية الاتجاه صدرت في باريس من عام ١٨٦٦ الى عام ١٨٦٨ توقفت الجريدة عن الصدور نظراً لاكتشاف عمليات اختلاس واحتيال كانت مصدر تمويل الجريدة . - ص ١٦٢

٩٠ - المقصود هنا **Société Générale du Crédit Mobilier** (والشركة العمومية للتسليفات على الممتلكات المنقولة) ، مصرف مساهم فرنسي كبير تأسس في ١٨٥٢ . كانت المضاربة بالاوراق المالية مصدر مداخيله الرئيسي كان المصرف على صلة وثيقة بالاوساط الحاكمة في الامبراطورية الثانية . في ١٨٦٧ افلس المصرف ، وفي ١٨٧١ تمت تصفيته . - ص ١٦٢ .

٩١ - **L'Electeur libre** « (والناخب الحر) » ، جريدة فرنسية ، لسان حال الجمهوريين اليمينيين صدرت في باريس من عام ١٨٦٨ الى عام ١٨٧١ في ١٨٧٠-١٨٧١ كانت مرتبطة بوزارة المالية في حكومة الدفاع الوطني . - ص ١٦٢

٩٢ - في ١٤ و ١٥ شباط (فبراير) ١٨٢١ ، اقدم الجمع المحتشد في باريس على هدم كنيسة سان جيرمين-لوسبروا وقصر رئيس الاساقفة كولان ، وذلك احتجاجاً على مظاهرة «الشرعيين» (الليجيتيميين) اثناء القداس على نفس الدوق ييري وقد شهد تيير بنفسه هدم الكنيسة وقصر رئيس الاساقفة ولكنه اقنع رجال الحرس الوطني بعدم التعرض لاحمال الجمهور .

في ١٨٢٢ ، اعتقلت ، بناء على امر تيير الذي كان آنذاك وزيراً للداخلية ، ام الطامح «الشرعي» (الليجيتيمي) بالعرش الفرنسي ، الدوق فامبور ، الدوقة ييري ، ثم اخضعت لفحص طبي مدل بغية فضح زواجها السري ، وبالتالي بغية التشهير بها سياسياً . - ص ١٦٥ .

٩٢- يقصد ماركس الدور القدر الذي اضطلع به تيير (وكان آنذاك وزير الداخلية) في تحطيم انتفاضة الجماهير الشعبية في باريس ضد نظام ملكية تموز في ١٢ و ١٤ نيسان (ابريل) ١٨٢٤ رافقت قمع هذه الانتفاضة اعمال وحشية اقترفتها الطغمة العسكرية التي فتكت مثلا بسكان احد البيوت في شارع ترانسون .

قوانين ايلول ، قوانين رجعية ضد الصحافة سنتها الحكومة الفرنسية في ايلول (سبتمبر) ١٨٢٥ ، ولصت على عقوبة السجن وعلى غرامات نقدية كبيرة جزاء المنشورات ضد الملكية وضد نظام الدولة القائم - ص ١٦٥

٩٤- في كانون الثاني (يناير) ١٨٤١ ، قدم تيير في مجلس النواب مشروعا بانشاء استحكامات عسكرية حول باريس اعتبرت الاوساط الديمقراطية الثورية هذا المشروع تدبيراً تمهيدياً لقمع الحركات الشعبية كان مشروع تيير ينص على بناء حصون قوية جداً في جوار احياء العمال . - ص ١٦٥

٩٥- في كانون الثاني (يناير) ١٨٤٨ ، عمدت القوات المسلحة النابولية التابعة للملك فرديناند الثاني الذي لقب فيما بعد بلقب الملك القنبلة اثر قصف مدينة ميسينا بالمدفعية قصفا وحشيا في خريف السنة ذاتها ، ولصفت باليرمو بالمدفعية ، سميا منها الى خنق الانتفاضة الشعبية التي كانت بمثابة اشارة للثورة البرجوازية في الدولات الايطالية في ١٨٤٨ و ١٨٤٩ . - ص ١٦٥

٩٦- في نيسان (ابريل) ١٨٤٩ ، نظمت فرنسا بالتحالف مع النمسا ونابولي التدخل المسلح ضد جمهورية روما بغية قمعها وبعث سلطة البابا الديويو قسفت القوات المسلحة الفرنسية روما قسفا وحشيا وقد اطيح بجمهورية روما رغم مقاومتها البطولية ، واحتلت القوات المسلحة الفرنسية روما راجع ايضا في هذا الصدد مؤلف كارل ماركس «الثامن عشر من برومير لويس بوناپرت» (هذه الطبعة ، الجزء الاول ، ص ص ١٤٨-٢٩٩) . - ص ١٦٦ .

٩٧- حزب النظام ، كان حزب البرجوازية المحافظة الكبيرة الذي تأسس في عام ١٨٤٨ ، يمثل ائتلاف فرمي انصار الملكية في فرنسا الليجيتيميين (الشرعيين) والاورليانيين ؛ منذ عام ١٨٤٩ حتى انقلاب ٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ ، احتل مركزاً قيادياً في الجمعية التشريعية للامبراطورية الثانية .- ص ١٦٧

٩٨- في ١٥ تموز (يوليو) ١٨٤٠ ، وقعت بريطانيا وروسيا وبروسيا والنمسا وتركيا ، بدون فرنسا ، اتفاقية في لندن بشأن تقديم العون للسلطان التركي ضد الحاكم المصري محمد علي الذي كانت تدعمه فرنسا . ومن جراء عقد الاتفاقية ، نجم خطر نشوب الحرب بين فرنسا وحلف الدول الأوروبية ؛ ولكن الملك لويس فيليب لم يقدم على الحرب ورفض دعم محمد علي .- ص ١٦٨

٩٩- رغبة في تعزيز جيش فرساي لأجل قمع ثورة باريس ، طلب تيير من بيسمارك السماح له بزيادة مجموعة القوات المسلحة من اسرى الحرب الفرنسيين ولا سيما من رجال الجيوش التي استسلمت في سيدان وميتز .- ص ١٦٨

١٠٠- الليجيتيميون (الشرعيون) ، انصار سلالة بوربون «Legitime» (والشرعية) التي اسقطت في عام ١٨٣٠ وكانت تمثل مصالح الملكية المقارية الكبيرة الوراثية وفي الصراع ضد سلالة اورليان الحاكمة (١٨٣٠-١٨٤٨) والمعتمدة على الارستقراطية المالية والبرجوازية الكبيرة ، لجأ قسم من الشرعيين في احيان كثيرة الى الديماغوجية الاجتماعية مصورين انفسهم بصورة المدافعين من الشفيلة دون البرجوازيين المستثمرين .- ص ١٧٠

١٠١- «Chambre introuvable» (والمجلس الذي لا نظير له) مجلس نواب في فرنسا في ١٨١٥ و ١٨١٦ (الستين الاوليين من عهد مودة الملكية) كان يتألف من غلاة الرجعيين .- ص ١٧١

١٠٢- «مجلس الملاكين المطارين» ، «جمعية الفلاحين» . لقب ازدراء وسخرية لُقب به الجمعية الوطنية لعام ١٨٧١ التي كانت تعقد

جسماها في مدينة بورجو والتي كانت تتألف بأغلبيتها من الملكيين الرجعيين ،
والملاكين العقاريين في الأقاليم ، والموظفين ، واصحاب الريع ، والتجار ،
المنتخبين في الدوائر الانتخابية الريفية . كانت الجمعية تضم ٦٢٠ نائبا بينهم
زهاء ٤٢٠ ملكيا .- ص ١٧١

١٠٢- في ١٠ آذار (مارس) ١٨٧١ اقرت الجمعية الوطنية
قانونا بتأجيل تسديد الديون النقدية ، المعقودة بين ١٢ آب (اغسطس)
و ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٧٠ . ولكن القانون لم ينص على تأجيل
تسديد الديون المعقودة بعد ١٢ تشرين الثاني وهكذا سدد القانون
ضربة قاسية الى العمال وفئات السكان الفقيرة ، وادى ايضا الى الفلاس
الكثيرين من صغار الصناعيين والتجار .- ص ١٧٢

١٠٤- *Décembriseur* ، المشترك في الانقلاب البونابرتي الذي
جرى في ٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ ، ونصير التصرف بروح هذا
الانقلاب .- ص ١٧٢

١٠٥- افادت الصحف انه كان من المقرر ان ينال تيير وسائر
اعضاء حكومته اكثر من ٢ مليون فرنك بصورة (عمولة) من القرض
الداخلي الذي قررت حكومة تيير عقده . وقد اقر قانون القرض في ٢٠
حزيران (يونيو) ١٨٧١ بعد قمع كومولة باريس .- ص ١٧٢

١٠٦- *كاييوتا* ، مدينة في غوايانا الفرنسية (اميركا الجنوبية)
منفى للمحكومين السياسيين ومكان لتنفيذهم عقوبة الاشغال الشاقة
.- ص ١٧٥

١٠٧- *«Le National»* (والجريدة الوطنية) ، جريدة يومية
فرنسية ، صدرت في باريس من ١٨٢٠ الى ١٨٥١ . لسان حال الجمهوريين
للبرجوازيين المعتدلين كان ماراست وباستيد وغارنييه-باجيس ابرز ممثلي
هذا الاتجاه في الحكومة المؤقتة .- ص ١٧٧

١٠٨- في ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٧٠ ، علم عمال باريس
والقسم الثوري من الحرس الوطني بقرار حكومة الدشاع الوطني الفروع

بمفاوضات مع البروسيين ، فقاموا بانتفاضة واستولوا على مبنى البلدية وانشاوا هيئة للسلطة الثورية هي لجنة الانقاذ العام برئاسة بلانكي تحت ضغط العمال ، اضطرت حكومة الدفاع الوطني الى الوعد بالاستقالة وتعيين الانتخابات الى الكومونة في اول تشرين الثاني (نوفمبر) ولكن الحكومة استغلت النقص في تنظيم القوى الثورية في باريس والخلافات بين البلانكيين قادة الانتفاضة وبين الديموقراطيين اليقابلة البرجوازيين الصغار ، فاستولت على مبنى البلدية بمساعدة كتائب الحرس الوطني التي ظلت الى جانبها ، وبعثت سلطتها . - ص ١٧٨

١٠٩- «البريتانيون» ، حرس وطني سيار (احد اصناف التشكيلات العسكرية في فرنسا ابان الحرب الفرنسية-البروسية ١٨٧٠-١٨٧١) من اقليم بريطانيا ، استخدمه تروفسو كقوة درك لاجل قمع الحركة الثورية في باريس
الكومسيكيون ، كانوا يشكلون في ظل الامبراطورية الثانية قسما كبيرا من الدرك . - ص ١٧٨

١١٠- بمبادرة من البلانكيين قامت بروليتاريا باريس والحرس الوطني ، في ٢٢ كانون الثاني ١٨٧١ بمظاهرة ثورية طالبوا فيها باسقاط الحكومة وتاليف الكومونة بامر من حكومة الدفاع الوطني ، اطلق رجال الحرس الوطني السيار البريتانيون الذين كانوا يحمون مبنى البلدية ، النار على المتظاهرين بعد قمع الحركة الثورية بالارهاب ، شرعت الحكومة تهيب لاستسلام باريس . - ص ١٧٩

١١١- *Sommations* (الانذارات) ، ينص القانون في عدد من الدول البرجوازية على توجيه السلطات الى الجمع ثلاثة اندارات بالتفرق ، وبعد ذلك يمكن اللجوء الى القوة المسلحة
القانون بصدد **المخالفات** (*Riot act*) وضع موضع التنفيذ في بريطانيا في عام ١٧١٥ وكان يمنع جميع «تجمعات الغضب» من اكثر من ١٢ شخصا . في حال مخالفة القانون كان ممثلو السلطة ملزمين

بإعلان الانذار الخاص وباستعمال القوة اذا لم يتفرق المجتمعون في
خلال ساعة .- ص ١٨٠

١١٢- اثناء حوادث ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) (راجع الملاحظة
رقم ١٠٨) حال فلورانس دون اطلاق النار على اعضاء حكومة الدفاع
الوطني ، الذي دعا اليه احد المشتركين في الانتفاضة .- ص ١٨٢

١١٣- المرسوم الذي اشار اليه ماركس بصدد الرهائن القوة
الكومونة في ٥ نيسان (ابريل) ١٨٧١ (يورخ ماركس المرسوم بتاريخ
نشره في الصحافة البريطانية) بموجب هذا المرسوم ، كان جميع الافراد
المتهمين بالاتصال مع فرساي يعتبرون رهائن في حال ثبوت التهمة
وبهذا التدبير ارادت كومونة باريس ان تحول دون اعدام الكومونيين
رمياً بالرصاص من قبل الفرسانيين .- ص ١٨٢

١١٤- «The Times» (والتايمس) - (والازمنة) ، جريدة يومية
بريطانية كبيرة ذات اتجاه محافظ تصدر في لندن منذ ١٧٨٥
- ص ١٨٤

١١٥- التمييز الهراقي ، نظام تمييز الموظفين يتميز بتبعية من
هم ادنى مرتبة في سلم المراتب تبعية تامة حيال من هم اهل مرتبة
- ص ١٩٢

١١٦- الجيرولنديون ، كتلة سياسية للبرجوازية في عهد الثورة
البرجوازية الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر كان الجيرولنديون يعبرون
من مصالح البرجوازية المعتدلة فتأرجحوا بين الثورة والحركة المعادية
لثورة وساروا في طريق المساومة مع الملكية اطلق عليهم هذا الاسم
نسبة الى محافظة الجيرولند التي كان عدد كبير من قادة هذه الكتلة يمثلها
في الجمعية التشريعية والكولفانسيون .- ص ١٩٢

١١٧- «Kladderadatsch» (وكلاديراداتش) ، مجلة اسبوعية
مهاجرة مصورة ، تصدر في برلين منذ عام ١٨٤٨
«Punch, or the London Charivari» (بانش) او شاريفاري

لندن) - (الفاريفاي - ضجة شديدة بواسطة القدور والصحون ، الخ ، مصحوبة بصيحات استقباح يحدثها بعض الناس امام بيت شخص اثار استياءهم) ، مجلة فكاهية اسبوعية بريطانية ذات اتجاه برجوازي ليبرالي .
تصدر في لندن منذ ١٨٤١ . - ص ١٩٤

١١٨ - المقصود هنا مرسوم كومونة باريس بتاريخ ١٦ نيسان (ابريل) ١٨٧١ بتقسيم الديون خلال ثلاث سنوات وبالفناء الفوائد المثوية عنها . - ص ١٩٨

١١٩ - يقصد ماركس رفض الجمعية التأسيسية في ٢٢ آب (اغسطس) ١٨٤٨ لمشروع قانون والاتفاقات الحبية ، الذي كان ينص على تأجيل دفع الديون للدائنين من جراء هذا الرفض اصيب قسم كبير من البرجوازية الصغيرة بالخراب التام ووقع في قبضة الدائنين من البرجوازية الكبيرة . - ص ١٩٨

١٢٠ - «Frères Ignorantins» (والاخوة الجهلة) لقب رهبنة تأسست في مدينة ريمس عام ١٦٨٠ ، وكان اعضاءها يلتزمون بتعليم اولاد الفقراء وكان التلامذة يتلقون اساساً في مدارس الجمعية التعليم الديني ومعارف قليلة جداً في الميادين الاخرى ويلمح ماركس بهذا التعبير الى انخفاض مستوى التعليم الابتدائي في فرنسا البرجوازية والى طابعه الكلييريكي . - ص ١٩٨

١٢١ - اتحاد المحافظات الجيهودي ، منظمة سياسية تتألف من ممثلي فئات البرجوازية الصغيرة ، المتحدرين من مختلف المقاطعات الفرنسية ، والمقيمين في باريس دعت الى انفضال ضد حكومة فرساي والجمعية الوطنية الملكية والى دعم كومونة باريس في جديح المحافظات . - ص ١٩٩

١٢٢ - يقصد ماركس قانون ٢٧ نيسان (ابريل) ١٨٢٥ حول دفع تعويضات للمهاجرين السابقين من ممتلكاتهم المصادرة في عهد الثورة البرجوازية الفرنسية . - ص ١٩٩ .

١٢٢ - مسلة فنقوم ، اقيمت في باريس في اعوام ١٨٠٦-١٨١٠ تخليداً لانتصارات فرنسا النابليونية وقد صنعت من برونز مدافع الاعداء . وكالت تنتهي في اعلاها بتمثال نابليون في ١٦ ايار (مايو) ١٨٧١ ، جرى نقل مسلة فنقوم بناء على قرار من كومونة باريس ؛ في عام ١٨٧٥ ، نصبتها الرجمية من جديد . - ص ٢٠٢

١٢٤ - بعد التحريات في دير بيكبوس ، اكتشفت حالات من حبس الراهبات في الصوامع سنوات طويلة ، كما وجدت ادوات للتعذيب وفي كنيسة سان لوران وجدت مقبرة سرية كانت دليلاً على الجرائم المقترفة نشرت الكومونة هذه الوقائع في جريدة «Mot d'Ordre» (وكلمة السر) في ٥ ايار (مايو) ١٨٧١ ، وكذلك في كراس «Les Crimes des congrégations religieuses» (وجرائم الرهبانيات) . - ص ٢٠٤

١٢٥ - المتفهبون (من كلمة «absent» - وغائب) ، كبار ملاكي الاراضي ممن لا يعيشون عادة في اراضيهم ويديرونها بواسطة وكلاء زراعيين او يؤجرونها لل مزارعين وسطاء يؤجرونها بدورهم بشروط جائرة من صغار المستأجرين . - ص ٢٠٥

١٢٦ - في ٢٠ حزيران (يونيو) ١٧٨٩ ، رد نواب الطبقة الثالثة (البرجوازية) الذين اجتمعوا في صالة (جودي-يوم) (لعب الكرة) في فرساي على محاولة حكومة لويس السادس عشر احباط انعقاد جلسة مجلس طبقات الامة الذي اعلن نفسه الجمعية الوطنية ، بان اقساموا بعدم التفرق حق وضع الدستور . كان القسم في صالة لعب الكرة احد الاحداث التي كانت مقدمة للثورة البرجوازية الفرنسية في لواخر القرن الثامن عشر . - ص ٢٠٦

١٢٧ - France-fleurs (حرفيا والهاربون الاحرار) ، لقب ساخر اطلق على البرجوازيين الباريسيين ممن هربوا من المدينة ابان الحصار وقد اكتسب هذا اللقب طابعه السطري من تعبير france-tireurs (والرماة الاحرار) المشابه من حيث اللفظ ، الذي

اطلق على الانصار الفرنسيين الذين اشتركوا بنشاط في النضال ضد البروسيين .- ص ٢٠٧

١٢٨- كوبلنتز ، مدينة في ألمانيا كانت في عهد الثورة البرجوازية الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر مركزا للمهاجرين النبلاء الملكيين ولاعداد التدخل المسلح ضد فرنسا الثورية وكانت كوبلنتز مقر حكومة المهاجرين برئاسة الرجعي الضاري دي كالون ، الوزير السابق للملك لويس السادس عشر .- ص ٢٠٨

١٢٩- «الشوالن» ، اطلق الكومونيون هذا الاسم على فصيلة ملكية النزعة من جيش فرساي ، جرى تجنيد رجالها في مقاطعة بريتانيا ، تشبيها بمن اشتركوا في الفتنة المعادية للثورة في فرنسا الشمالية الغربية في عهد الثورة البرجوازية الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر .- ص ٢٠٨

١٣٠- فوج الحرس البابوي المنظم والمدرّب حسب نظام «الزواف» اي سلاح المشاة الخفيف الفرنسي ، والمكتمل بشباب من النبلاء الفرنسيين بعد تصفية سلطة البابا الزمنية في ايلول (سبتمبر) ١٨٧٠ ، نقل «الزواف» البابويون الى فرنسا واشتركوا في الحرب الفرنسية-البروسية وعند انتهاء الحرب ، اشترك الفوج في قمع كومونة باريس .- ص ٢٠٩

١٣١- بتاتير الثورة البروليتارية في باريس ، التي ادت الى نشوء كومونة باريس ، قامت حركات ثورية في ليون ومرسيليا غايتها اعلان الكومونة ولكن القوات المسلحة الحكومية قمعت بقساوة نضالات الجماهير الشعبية .- ص ٢١٠

١٣٢- بموجب قانون اصول المحاكمات العسكرية الذي قدمه دوفور الى الجمعية الوطنية ، كان ينبغي البت بالدعوى وتنفيذ الحكم الصادر بها خلال ٤٨ ساعة .- ص ٢١٢

١٣٣- المقصود هنا المعاهدة التجارية بين انجلترا وفرنسا ، الموقعة في ٢٣ كانون الثاني (يناير) ١٨٦٠ بموجب هذه المعاهدة تخلت فرنسا عن سياسة الحماية الجمركية واستعاضت عنها بفرض

الرسوم الجمركية ادى عقد هذه المعاهدة الى اشتداد المنافسة في السوق الداخلية الفرنسية بسبب تدفق البضائع من بريطانيا ، الامر الذي اثار استياء الصناعيين الفرنسيين .- ص ٢١٤

١٢٤- لثولور (من الكلمة اللاتينية *insurgens* -الثائر) ،
المشتركون في الانتفاضة المسلحة ضد الحكومة .- ص ٢١٥

١٢٥- المقصود هنا جو الارهاب واعمال القمع الدامية في روما القديمة في مختلف اطوار ازمة جمهورية روما الاستعبادية في القرن الاول قبل الميلاد ديكتاتورية سولا (٨٢- ٧٩ قبل الميلاد) الثالوثان الرومانيان الاول والثاني (٦٠- ٥٢ و ٤٢- ٢٦ قبل الميلاد) ، ديكتاتورية القادة العسكريين الرومانيين ، لولا ، بومبايوس وقيسر وكراسوس ، نانيا ، لوكتافيوس وانطوليوس وليبيد .- ص ٢١٧

١٢٦- *Journal de Paris* (وجريدة باريس) ، جريدة اسبوعية صدرت في باريس ابتداء من عام ١٨٦٧ كانت ذات نزعة ملكية اورليانية .- ص ٢١٨

١٢٧- ابان الحرب بين بريطانيا والولايات المتحدة الامركية ، استولت القوات البريطانية على واشنطن ، فحرقت في آب (اغسطس) ١٨١٤ الكايتول (مبنى الكونغرس) والبيت الابيض وغيرهما من المباني العامة في العاصمة

وابان حرب بريطانيا وفرنسا ضد الصين ، نهبت القوات الانجلو-فرنسية في تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٦٠ ثم حرقت بلدة القصصور الصينية في ضواحي بيكين ، وكانت عبارة عن مجموعة فائقة الغنى في كنز المعمار الصيني والفن الصيني .- ص ٢٢٠

١٢٨- في خريف ١٨١٢ ، احرق سكان موسكو ، ابان الحرب الوطنية ، قسما كبيراً من المدينة التي احتلها الجيش الفرنسي بقيادة نابليون الاول ، لكي يحرموا قوات العدو من المساكن الشتوية المريحة ومن احتياطات المأكولات .- ص ٢٢١ .

١٢٩ - البريتوريون - في روما القديمة كانوا يسمون بهذا الاسم الحرس الخاص بالمنزل للقائد العسكري او الامبراطور . اشترك البريتوريون على الدوام في الفتن الداخلية ، وغالبا ما نصبوا صنائعهم على العرش والمقصود هنا عصاة ١٠ كانون الاول (ديسمبر) . - ص ٢٢٢

١٤٠ - يسمى ماركس مجلس النواب البروسي «chambre introuvable» (ومجلس لا نظير له) تشبيها بالمجلس الفرنسي كانت الجمعية التي انتخبت في كانون الثاني (يناير) وشباط (فبراير) ١٨٤٩ تتألف من ومجلس السادة الارستقراطي المنز ومن المجلس الثاني الذي كان لا يحق ان يشترك في الانتخابات غير المباشرة اليه الا من يسمون وبالبروسيين المستقلين . انتخب بيسمارك في المجلس الثاني ، وكان فيه احد زعماء كتلة اليونكر اليمينية المتطرفة (الاطاعين البروسيين) . - ص ٢٢٣

١٤١ - «The Daily News» (وذي دايلي نيوز) - والاخبار اليومية) ، صحيفة انجليزية ليبرالية ، لسان حال البرجوازية الصناعية ؛ صدرت بهذا الاسم في لندن من عام ١٨٤٦ الى عام ١٩٢٠ - ص ٢٢٨

١٤٢ - «Le Temps» (والزمان) ، صحيفة يومية فرنسية ذات لزمة محافظة ، لسان حال البرجوازية الكبيرة ؛ صدرت في باريس من عام ١٨٦١ الى عام ١٩٤٣ . - ص ٢٢٨

١٤٣ - «The Evening Standard» (وذي ايفينغ ستاندرد) - (راية المساء) ، الطبعة المسائية من الصحيفة المحافظة الانجليزية «Standard» (وستاندرد) صدرت في لندن من ١٨٥٧ الى ١٩٠٥ - ص ٢٢٨

١٤٤ - هذه الرسالة كتبها ماركس والمجلس . - ص ٢٢٩

١٤٥ - حلف الديموقراطية الاشتراكية ، منظمة أسسها باكونين في جنيف في عام ١٨٦٨ . نادي اعضاء الحلف في برنامجهم بالمساواة بين

الطبقات وبإلغاء الدولة وانكروا ضرورة النضال السياسي من أجل الطبقة العاملة لكي برنامج الحلف الفوضوي البرجوازي الصغير التأييد في المقاطعات الضعيفة التطور من الناحية الصناعية في إيطاليا وسويسرا واسبانيا وغيرها من البلدان في ١٨٦٩ ، تقدم الحلف من المجلس العام بطلب قبوله في الاممية فوافق المجلس العام على قبول فروع الحلف شرط تحله كمنظمة مستقلة اما في الواقع ، فان اعضاء الحلف الذين انضموا الى الاممية حافظوا على تنظيمهم السري داخل جمعية الشفيلة العالمية (الاممية الاولى) ، وناضلوا برئاسة باكونين ضد المجلس العام وقد اشتد نضال الحلف ضد الاممية بعد قمع كومونة باريس عندما عارض باكونين وانصاره معارضة قوية جداً فكرة ديكتاتورية البروليتاريا وتوطيد حزب الطبقة العاملة السياسي المستقل ، القائم على مبادئ المركزية الديمقراطية . وفي ايلول (سبتمبر) ١٨٧٢ ، اتخذ مؤتمر الاممية الاولى المنعقد في لاهاي ، بأغلبية الاصوات الساحقة ، قراراً بفصل زعيمى الحلف باكونين وغلبيوم من الاممية - ص ٢٢٠

١٤٦ - «The Spectator» («سبكتاتور» - «المتفرج») ، صحيفة اسبوعية الانجليزية ليبرالية الاتجاه . صدرت في لندن ابتداء من ١٨٢٨ - ص ٢٢١

١٤٧ - انعقد مؤتمر لندن للاممية الاولى من ١٧ الى ٢٢ ايلول (سبتمبر) ١٨٧١ . وقد انعقد في جو من اعمال القمع القاسية التي انتهت على اعضاء الاممية بعد هزيمة كومونة باريس ، فكان خيفاً نسبياً من حيث قوامه فقد اشترك في اعماله ٢٢ مندوباً بصوت تقريبي ١٠ مندوبين بصوت استفساري تمثلت البلدان التي لم تستطع ارسال مندوبين عنها الى المؤتمر بامنامعراصلي المجلس العام ومثل ماركس في المؤتمر العالييا ، ومثل المجلس ايطاليا

كان مؤتمر لندن مرحلة هامة في نضال ماركس والمجلس من أجل انشاء حزب بروليتاري . اتخذ المؤتمر قراراً وبسلوك الطبقة

العاملة السياسي» ، ادرج قسمه الاساسي ، بناء على قرار مؤتمر الاممية في لاهاي ، في دستور جمعية الشفيلة العالمية صاغ المؤتمر في عدد من القرارات اهم المبادئ التكتيكية والتنظيمية لحزب البروليتاريا ، وسدد ضربة الى الانعزالية والاصلاحية اضطلع مؤتمر لندن بدور كبير جداً في قضية انتصار مبادئ الحزبية البروليتارية على الانتهازية الفوضوية .- ص ٢٢٢

١٤٨- ان كتاب «نقد برنامج غوت» الذي كتبه ماركس في عام ١٨٧٥ هو عبارة عن ملاحظات انتقادية على مشروع برنامج حزب العمال الالمانى المتحد العتيد كان هذا المشروع ينطوي على اخطاء خطيرة وتنازلات مبدئية امام اللاسالية استحسن ماركس واجلس واقع انشاء حزب اشتراكي موحد في ألمانيا ولكنهما عارضا المساومة الفكرية مع اللاسالية وانتقدا اللاسالية انتقاداً حاداً وفي الوقت نفسه ، صاغ ماركس في مؤلفه هذا جملة من الافكار في المسائل الجدلية لنظرية الشيوعية العلمية : يصعد الثورة الاشتراكية ، وديكتاتورية البروليتاريا ، ومرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية ، وطوري المجتمع الشيوعي ، وانتاج وتوزيع المنتج الاجتماعي في ظل الاشتراكية ، والسماة الاساسية للشيوعية ، والاممية البروليتارية وحزب الطبقة العاملة

يشكل هذا المؤلف خطوة جديدة في تطوير مذهب الماركسية بشأن الدولة وديكتاتورية البروليتاريا فقد أثبت ماركس موضوعه فائقة الاهمية تقول ان من المحتم تاريخياً ان يقع طور خاص في سياق الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية يناسبه شكل خاص للدولة هو والديكتاتورية الثورية للبروليتاريا (راجع هذا الكتاب ، ص ٢٦١) كتب لينين عن «نقد برنامج غوت» يقول «والاهمية الكبرى لمشروع ماركس تلخص في كونه قد طبق بالسجام في هذه النقطة ايضا الديالكتيك المادي ، لنظرية التطور ، ناظرأ الى الشيوعية كشيء ينشأ عن الرأسمالية فبدلاً من التعاريك الكلامية المختلفة والمختزعة» والنقاش العميق حول الكلمات (ما هي الاشتراكية وما هي الشيوعية) يعطي ماركس تحليلًا لما يمكن

سميته درجات نضج الشيوعية اقتصاداً ، (لينين . والدولة والثورة)
ص ٢٣٥

١٤٩- كتب انجلس هذه المقدمة لمناسبة نشره في عام ١٨٩١
مؤلف ماركس ونقد برنامج غوتاء قصد انجلس من نشر هذه الوثيقة
البرنامجية الفاتكة الالهية ان يسدد ضربة الى العناصر الانتهازية المتنشطة
في الاشتراكية الديمقراطية الالمانية ، الامر الذي كان على جانب خاص من
الاهمية في مرحلة كان يترتب فيها على الحزب ان يبحث ويقر في مؤتمر
لوفورث برنامجاً جديداً عوضاً عن برنامج غوتاء . وعند نشر ونقد برنامج
غوتاء ، اضطر انجلس ، الذي كان يلقى المعارضة من جانب قادة
الاشتراكية الديمقراطية الالمانية وكذلك من جانب نادر مجلة
«Die Neue Zeit» (دي نويه زايت) ديتز والمحرر كاوتسكي ، الى ادخال
بعض التعديلات وطب بعض الفقرات في النص استقبل السواد الاظم
من اعضاء الحزب الالمان واشتراكيو البلدان الاخرى برضى وارتياح
مؤلف ماركس واعتبروه وثيقة برنامجية لاجل الحركة الاشتراكية العالمية
ومع ونقد برنامج غوتاء اصدر انجلس كذلك رسالة ماركس الى براكه
بتاريخ ٥ ايار (مايو) ١٨٧٥ ، التي لها علاقة مباشرة
بهذا الكتاب

في حياة انجلس ، لم يصدر ونقد برنامج غوتاء ومقدمته مرة
اخرى وفي عام ١٩٢٢ صدر ونقد برنامج غوتاء بنصه الكامل للمرة
الاولى في الاتحاد السوفييتي .- ص ٢٣٥

١٥٠- في مؤتمر غوتاء الذي انعقد من ٢٢ الى ٢٧ ايار (مايو)
١٨٧٥ ، جرى توحيد اتجاهين في الحركة العمالية الالمانية هما حزب
العمال الاشتراكي الديمقراطي (الايليناخيون) برئاسة بيبيل وليبنكخت ،
 واتحاد العمال الالمان العام للاصالي اتخذ الحزب الموحد اسم حزب
العمال الاشتراكي الالمان . وبذلك امكن تدليل الانشقاق في صفوف
الطبقة العاملة الالمانية . ان مشروع البرنامج الذي قدمه الحزب الموحد في
مؤتمر غوتاء والذي انتقله ماركس وانجلس التقاداً حاداً ، اقره المؤتمر
بعد ادخال تعديلات طفيفة عليه .- ص ٢٣٥ .

١٥١- مؤتمر الاشتراكية-الديموقراطية الألمانية في هاله ، الذي انعقد من ١٢ الى ١٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٩٠ ، اتخذ قراراً باعداد مشروع برنامج جديد لمؤتمر الحزب المقبل في ارفورت وبشره قبل انعقاد المؤتمر بثلاثة اشهر بضية مناقشته في المنظمات الحزبية المحلية وفي الصحف .- ص ٢٢٥

١٥٢- انعقد مؤتمر جمعية الشغيلة العالمية (الاممية الاولى) في لاهاي من ٢ الى ٧ ايلول (سبتمبر) ١٨٧٢ وقد حضره ٦٥ مندوباً من ١٥ منظمة وطنية اشرف ماركس واجلس على عمل المؤتمر في المؤتمر بلغ النضال الذي خاضه ماركس واجلس وانصارهما طوال سنوات عديدة ضد الانعزالية البرجوازية الصغيرة بجميع صورها في الحركة العمالية ، غايته فقد شجب المؤتمر نشاط الفوضويين الانشقاقين وفصل زعماءهم من الاممية . اُرست قرارات مؤتمر لاهاي الاساس لانشاء احزاب سياسية مستقلة للطبقة العاملة في مختلف البلدان .- ص ٢٢٦

١٥٣- تأسس حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى المعروف فيما بعد باسم حزب الايريناخيين في المؤتمر العام للاشتراكيين-الديموقراطيين في ألمانيا والنمسا وسويسرا في ٧-٩ آب (اغسطس) ١٨٦٩ في مدينة ايريناخ كان البرنامج الذي اتخذه المؤتمر يتفق ككل مع روح مطالب الاممية .- ص ٢٢٧

١٥٤- المقصود هنا كتاب باكولين والفوضوية وكيان الدولة ، الصادر في سويسرا في عام ١٨٧٣ .- ص ٢٢٧

١٥٥- Post festum - بعد العيد اي بعد فوات الاوان انعقد مؤتمر غوتا التوحيدي من ٢٢ الى ٢٧ ايار (مايو) ١٨٧٥ ؛ وانعقد مؤتمر اللاساليين قبل هذا الموعد ، في ايار ؛ وانعقد مؤتمر الايريناخيين في هامبورغ في ٨ حزيران (يوليو) .- ص ٢٢٨

١٥٦- عصبة الحرية والسلام ، منظمة مسالمة برجوازية اسسها في سويسرا في سنة ١٨٦٧ الجمهوريون والليبراليون البرجوازيون الصغار .

كانت المعصبة ، اذ تنشر التصريحات القائلة انه من الممكن انهاء الحرب من طريق النساء والولايات المتحدة الاوروبية ، تنشر الاوامر الكاذبة بين الجماهير وتصرف البروليتاريا من النضال الطبقي . - ص ٢٥٤

١٥٧ - «Norddeutsche Allgemeine Zeitung» (والجريدة الشمالية الالمانية العامة) - ولورد دوتشه الجيمينه زيتونغ ، جريدة رجعية يومية صدرت في برلين من ١٨٦١ الى ١٩١٨ . في العقد السابع والثامن والتاسع من القرن التاسع عشر ، لسان الحال الرسمي لحكومة بيسمارك . يقصد ماركس المقالة المنقورة في الجريدة في ٢٠ آذار (مارس) ١٨٧٥ . - ص ٢٥٥

١٥٨ - زم مالتوس في مؤلفه «An Essay on the Principle of Population» (ودراسة في مبدأ السكان) ان فقر الجماهير الكادحة ينجم من ان تكاثر الناس يجري حسب متواليه هندسية بينما كمية سلع الاستهلاك لا يمكن ان تتكاثر في احسن الاحوال الا حسب متواليه حسابية . - ص ٢٥٦

١٥٩ - «L'Atelier» (ولاتيليه) - والمشفل ، مجلة فرنسية شهرية صدرت في باريس من ١٨٤٠ الى ١٨٥٠ لسان حال الحرفيين والعمال المتأثرين بالفكر الاشتراكية المسيحية . - ص ٢٥٩

١٦٠ - «الكولتور كالمبف» (والثقافة) ، اسم اطلقه الليبراليون الرجوازيون على مجموعة الاجراءات التشريعية التي اتخذتها حكومة بيسمارك في السبعينيات من القرن التاسع عشر وتحققت تحت راية النضال من اجل الثقافة العلمانية . في الثمانينيات انفى بيسمارك قسماً كبيراً من هذه الاجراءات بغية رص صفوف القوى الرجعية . - ص ٢٦٥

١٦١ - ان رسالة المجلس الى بوبل بتاريخ ١٨-٢٨ آذار (مارس) ١٨٧٥ الوثيقة الصلة من حيث مضمونها بكتاب ماركس ونقد برنامج هوتاء قد اهرقت عن رأي ماركس والمجلس معا فيما يتعلق بمشروع برنامج حزب العمال الاشتراكي-الديمقراطي الموحد الالمانى المقبل .

انتقد انجلس في هذه الرسالة انتقاداً حاداً مشروع البرنامج المفعم بروح المساومة ، اي كل مجموعة العقائد الجامدة اللاسالية التي يتضمنها ، والموضوعات الانتهازية في مسألة الدولة ، والتخلي من مبدأ الاممية البروليتارية - ص ٢٦٩

١٦٢ - «Frankfurter Zeitung und Handelsblatt» (وجريدة فرانكفورت والنشرة التجارية) ، جريدة يومية ذات اتجاه ديمقراطي برجوازي صغير صدرت من عام ١٨٥٦ (بهذا الاسم ابتداء من عام ١٨٦٦) حتى عام ١٩٤٢ . - ص ٢٧١

١٦٢ - يتناول الكلام المطالب التالية في مشروع برنامج غونا وان حزب العمال الالمانى يطالب بان يكون الاساس الحر للدولة

١ - الاقتراح العام ، المتساوي ، المباشر ، السري في جميع الانتخابات في الدولة والكومونات لجميع الرجال ممن بلغوا ٢١ سنة من العمر ٢ - التصريح الشعبي المباشر مع الحق في تقديم الاقتراحات ورفضها ٣ - التدريب العسكري العام الميليشيا الشعبية بدلا من الجيش الدائم منح الجمعية الشعبية الحق في البت بمسألة الحرب والسلام ٤ - إلغاء جميع القوانين الاستثنائية وخصوصا القوانين المتعلقة بالصحافة والجمعيات والاجتماعات . ٥ - المحاكم الشعبية ومجالية ادارة القضاء .

ان حزب العمال الالمانى يطالب بان يكون اساس الدولة الروحي والاخلاقي

١ - التربية الشعبية العامة المتساوية للجميع بواسطة الدولة الزامية ارباد المدرسة ، التعليم المجاني . ٢ - حرية العلم . حرية الضمير ، - ص ٢٧١

١٦٤ - المقصود هنا الحرب الفرنسية البروسية في ١٨٧٠ و ١٨٧١ - ص ٢٧١

١٦٥ - راجع براكه «Der Lassallesche Vorschlag». Braun- schweig, 1873. (اقتراح لاسال . براونشفيغ ، ١٨٧٢) . - ص ٢٧٢ .

١٦٦ - «Demokratisches Wochenblatt» (والجريدة الاسبوعية الديمقراطية)، جريدة عمالية المانية صدرت بهذا الاسم في ليبزيغ ابتداء من كانون الثاني (يناير) ١٨٦٨ حتى ايلول (سبتمبر) ١٨٦٩ بتحرير ليكنخت. اضطلمت بدور كبير في انشاء حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي الالماني اعلن مؤتمر ايزيناخ في ١٨٦٩ الجريدة لسان الحال المركزي لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي وغير اسمها باسم «Volksstaat» (وفولكسشتات)، - (دولة الشعب) عاون ماركس وانجلس في الجريدة. - ص ٢٧٦

١٦٧ - «ديالكتيك الطبيعة»، احد مؤلفات انجلس الرئيسية وفيه اعطى مصميما دياكتيكيا ماديا لأهم منجزات العلوم الطبيعية في لواسط القرن التاسع عشر، وطور للدialektik المادي، وانتقد المفاهيم الميتافيزيائية والمثالية في علوم الطبيعة في حياة انجلس، لم تنشر المصاد التي تتعلق وبديالكتيك الطبيعة، صدر وديالكتيك الطبيعة، للمرة الاولى بنصه الكامل في الاتحاد السوفييتي في عام ١٩٢٥ باللغة الالمانية بمحاذاة لترجمة الروسية ص ٢٨٠

١٦٨ - تقول الاساطير اليونانية القديمة انها اصطبلات هائلة لاجياس ملك اليدا ظلت سنوات طويلة دون تنظيف حتى جاء البطل هرقل ونظفها وحقق هذه الماثرة في يوم واحد وتعبير واصطبلات لوجياس، يعني تراكم مختلف الاوساخ والاقذار او الحد الاقصى من الاعمال والغوضى في الامور. - ص ٢٨٢

١٦٩ - يقصد انجلس التنفيذ الديني الذي وضعه لوثر «Ein feste Burg ist unser Gott» (والرب سندنا الحقيقي) سمى حينه هذا التنفيذ وبمارسليخ عهد الإصلاح، في كتابه ومساهمة في تاريخ الدين والفلسفة في المانيا، الكتاب الثاني. - ص ٢٨٢.

١٧٠ - تلقى كوبرنيك في يوم وفاته - ٢٤ ايار (مايو) ١٥٤٢ -
نسخة من كتابه وفي دوران الحلقات السماوية الذي مرض فيه نظامه
القاتل ان الشمس مركز العالم . - ص ٢٨٢

١٧١ - وفقا للنظرات السائدة في الكيمياء في القرن الثامن عشر
كانوا يعتبرون ان عملية الاحتراق مشروطة بوجود مادة خاصة في الاجسام
هي الفلوفيستون التي تنفوز من الاجسام اثناء الاحتراق اثبت العالم
الكيمائي الفرنسي البارز لافوازيه بطلان هذه النظرية ووضح بصورة
صحيحة عملية الاحتراق بوصفها تفاعل بين المادة القابلة للاحتراق
والاوكسيجين . - ص ٢٨٥

١٧٢ - اللاهوت - Théologie (تعني حرفيا نقلا عن اليونانية ،
التعليم من الاله) ، تعليم ديني يرمي الى بناء منهج من الاخلاق الدينية
والمعتقدات والطقوس وتعليقه وعلميا . - ص ٢٨٧

١٧٣ - ان المذهب المثالي المنالي للعلم الذي يزعم ان كل تطور
هو تحقيق لهدف مقرر سلفا ، كان ولا يزال بمثابة ميرر نظري للنظرة
الدينية الى العالم . - ص ٢٨٧

١٧٤ - المقصود هنا كتاب كانط «Allgemeine Naturgeschichte und Theorie des Himmels»
(وتاريخ السماء الطبيعي العام ونظرية
السماء) ، الصادر بصورة مغفلة في عام ١٧٥٥ وفيه عرض كانط
لفرضيته في تكون العالم التي تقول ان النظام الشمسي قد نشأ من سديم اولي .
اما فرضية لابلاس حول تكون النظام الشمسي ، فقد وردت للمرة الاولى
في الفصل الاخير من كتابه «Exposition du système du monde» (وعرض
نظام العالم) المجلدان الاول والثاني ، باريس ، ١٧٩٦
- ص ٢٨٨

١٧٥ - الموسويون ، ايديولوجيو البرجوازية الفرنسية عشية
الثورة البرجوازية في القرن الثامن عشر ، ممن اتفوا لاصدار والموسوعة

او القاموس المعلل للعلوم والفنون والحرف (ومن هنا اسم الموسوعيين)
كان الفيلسوف المادي ديدرو يرأسهم رغم بعض الخلاف في النظرات
السياسية والفلسفية ، كان المعاولون في الموسوعة مجمعين في موقفهم
السلبى من الاقطاعية وفي الدفاع عن حقوق المربة (الطبقة) الثالثة
برئاسة البرجوازية ، وفي الحقد على الفلسفة الكلامية القروسطية والكنيسة
الكاثوليكية وصف المجلس نشاط الموسوعيين في مؤلفه والاشتراكية
الطوبوية والاشتراكية العلمية (راجع الطبعة الحالية ، الجزء الثالث)
- ص ٢٨٨

١٧٦ - المقصود هنا الفكرة التي افصح عنها نيوتن في مؤلفه
والمبادئ الرياضية لفلسفة الطبيعة ، الكتاب الثالث ، التعليم العام
قصد هيزل فكرة نيوتن هذه في مؤلفه وموسوعة العلوم الفلسفية ،
الباب ١٨٨ ، الاضافة الاولى ، فاشار الى ان ونيوتن ... حذر الفيزياء صراحة
من السقوط في الميتافيزياء ... - ص ٢٨٩

١٧٧ - ليفيوكس ، حيوان صغير من نوع السمك يمثل شكلا
انتقاليا من الحيوانات غير الفقارية الى الحيوانات الفقارية يعيش في
عدد من البحار والمحيطات
ليفيفوسيين ، حيوان من صنف الاسماك الثنائية التنفس التي
لها رتتان وخيطوم . يعيش في أمريكا الجنوبية . - ص ٢٩٢

١٧٨ - صيالاتود ، سمك ثنائي التنفس ، يعيش في أستراليا
لوخيوپتيريكس ، حيوان فقاري متحجر ، من اقدم ممثلي طبقة
الطيور ويتصف في الوقت نفسه ببعض سمات الزواحف
- ص ٢٩٣

١٧٩ - المقصود الطروحة لولف «Theoria generationis» (ونظرية
الولادة) المنشورة في عام ١٧٥٩ . - ص ٢٩٤

١٨٠ - في ١٨٥٩ صدر كتاب داروين (في اصل الاجناس) .
- ص ٢٩٤ .

١٨١- البروتيسست ، حسب تصنيف هيككل ، فئة كبيرة من أبسط العضويات (الوحيدة الخلية وبلا-خلية) شكلت الى جانب مملكتي الكثيرات الخلايا (النباتات والحيوانات) مملكة خاصة تالسة ، هي مملكة الطبيعة العضوية . - ص ٢٩٤

١٨٢ - *Eozoön canadense* (وايزوون كانادلس) ، كائن متحجر وجد في كندا ويعتبر بقية عضويات بدائية قديمة في ١٨٧٨ ، دحض عالم الحيوانات الالمانى موبىوس الراي القائل بالاصل العضوي لهذا الكائن المتحجر . - ص ٢٩٨

دليل الاسماء

آفر ديني اوغوست (١٧٩٣-١٨٤٨) - كاهن فرنسي ، رئيس اساقفة باريس (١٨٤٠-١٨٤٨) اعدمه جنود القوات الحكومية رميا بالرصاص اثناء التفافضة حيزران (يوليو) ١٨٤٨ . - ص ٢٢٢

آوير اغناس (١٨٤٦-١٩٠٧) - اشتراكي-ديموقراطي الماني احد قادة الحزب الاشتراكي-الديموقراطي ؛ انتخب غير مرة نائبا في الريخستاغ ؛ فيما بعد انتقل الى مواقف الاصلاحية . - ص ص ٢٣٥ ، ٢٣٧

اسبابويو بالدومير (١٧٩٣-١٨٧٩) - جنرال وسياسي اسباني ، وصي العرش الاسباني (١٨٤١-١٨٤٣) ؛ رئيس حكومة (١٨٥٤-١٨٥٦) وزعيم حزب التقدميين . - ص ١٦٦

الكليس (اواخر القرن الرابع - اوائل القرن الثالث قبل الميلاد) - عالم رياضيات افريقي بارز . - ص ٢٨٤

الكسندر الثاني (١٨١٨-١٨٨١) - امپراطور روسي (١٨٥٥-١٨٨١) - ص ١٥٤

الكسندرا (١٨٤٤-١٩٢٥) - بنت كريستيان التاسع ، ملك الدانمارك ، تزوجت عام ١٨٦٣ من امير ويلز - الذي صار في عام ١٩٠١ ملك بريطانيا باسم ادوارد السابع . - ص ١٧٩ .

انجلس فرديريك (١٨٢٠-١٨٩٥) - ص ص ٩ ، ٩٩ ، ١٠١ ،
١٢٢ ، ٢٣٥-٢٣٩ ، ٢٦٩ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨

لودكوت دافيد (١٨٠٥-١٨٧٧) - دبلوماسي بريطاني قائد وكاتب
سياسي رجمي موال لتركيا من ١٨٤٧ الى ١٨٥٢ ، عضو
في البرلمان - ص ٢٨

لوديل دي بالادين لويس جان باتيست دي (١٨٠٤-١٨٧٧) - جنرال
فرنسي اكاديمي النزعة في آذار (مارس) ١٨٧١ ، آمر
الحرس الوطني في باريس نائب في الجمعية الوطنية في ١٨٧١
- ص ص ١٧٣ ، ١٧٦

لودليان - سلالة ملكية في فرنسا (١٨٣٠-١٨٤٨) - ص ص ٢٠٣ ،
٢١١

لودليان ، دوق - راجع لويس فيليب

لوسيان جورج لوجين (١٨٠٩-١٨٩١) - سياسي فرنسي بونايرتي
مدير محافظة السين (١٨٥٣-١٨٧٠) اشرف على اعمال اعادة
بناء باريس - ص ص ٢٠٣ ، ٢٢٠ ، ٢٢١

لوكين لورنس (١٧٧٩-١٨٥١) - عالم طبيعيات وفيلسوف طبيعي
الماني - ص ٢٩٤

لوين روبرت (١٧٧١-١٨٥٨) - اشتراكي طوبوي الانجليزي كبير
- ص ص ٢٥ ، ١١٩

لوك اميل ديورن فرانسوا (١٨٤٣-١٨٨٨) - ثوري فرنسي من انصار
بلانكي جنرال في الحرس الوطني وعضو كومونة باريس بعد
قمع الكومونة هاجر الى سويسرا ثم الى بريطانيا بعد هودنه
الى فرنسا (بموجب العفو العام الصادر في ١٨٨٠) احد منظمي
لجنة البلانكيين الثورية المركزية - ص ١٣٢ .

بانون جون (اواخر القرن الثامن عشر - اوائل القرن التاسع عشر) -
اقتصادي بريطاني ممثل الاقتصاد السياسي البرجوازي الكلاسيكي .
- ص ٨٤

باكونين ميخائيل الكسندروفيتش (١٨١٤-١٨٧٦) - ديمقراطي روسي ،
كاتب سياسي اشترك في ثورة ١٨٤٨-١٨٤٩ في ألمانيا من
ايدولوجي الفوضوية برز في الاممية الاولى هدوا لدودا
للماركسية ؛ في مؤتمر لاهاي عام ١٨٧٢ ، فصل من الاممية
الاولى لنشاطه الانشقافي . - ص ص ١١٩ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ،
٢٧٦

باليكو - راجع كوزانمونتوبان

براكه ولهم (١٨٤٢-١٨٨٠) - اشتراكي-ديمقراطي ألماني من مؤسسي
(١٨٦٩) وقادة حزب العمال الاشتراكي-الديمقراطي (الايروناخين) .
كان مقربا الى ماركس وانجلس ناضل ضد الاسالية . - ص ص
٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٨

برايت جون (١٨١١-١٨٨٩) - صناعي بريطاني من انصار حرية
التجارة احد مؤسسي عصبة مكافحة قوانين الحبوب ابتداء من
اواخر الستينيات احد زعماء الحزب الليبرالي (حزب الاحرار)
شغل عدة مناصب وزارية في الحكومات الليبرالية . - ص ١٠٥

برجيه جول فكتور (١٨٢٩-١٩٠٥) - قائد في كومونة باريس . جنرال
في الحرس الوطني ثم مهاجر . - ص ١٨١

بروفون بيب جوزيف (١٨٠٩-١٨٦٥) - كاتب سياسي فرنسي
اقتصادي وعالم اجتماعي ، ايدولوجي البرجوازية الصغيرة من
مؤسسي الفوضوية . - ص ص ١٠ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ٢٧٥

برولو جوردانو (١٥٤٨-١٦٠٠) - مفكر ايطالي كبير مادي وملحد
حرقته محاكم التفتيش لامتناعه عن التنكر لافكاره . - ص ٢٨٢ .

برونيل الطوان ماغلوار (ولد عام ١٨٢٠) - ضابط فرنسي . من النصارى
بلانكي ، عضو اللجنة المركزية للحرس الوطني وعضو كومونة
باريس في ايار (مايو) عام ١٨٧١ جرحه جنود فرساي جرحاً
خطيراً . - ص ٢٢٨

بطليموس كلوديوس (القرن الثاني) - عالم رياضيات افريقي وفلكي
وجغرافي وضع المذهب القائل ان الارض هي محور الكون وانها
لا تتحرك وان الفلك يدور حولها . - ص ٢٨٤

بلاشه ستانيسلا (كنيته الحقيقية بوريل) (ولد في عام ١٨٢٢) -
راهب فرنسي . عميل للبوليس . اصبح عضواً في كومونة باريس
ثم فضحه واعتقله . - ص ٢٠٤

بلانكي لويس لوفست (١٨٠٥-١٨٨١) - ثوري فرنسي شيوعي
طوبوي ابان ثورة ١٨٤٨ ، وقف في اقصى الجناح اليسر من
الحركة الديمقراطية والبروليتارية في فرنسا حكم عليه غير مرة
بالسجن . - ص ص ١٢٢ ، ١٧٢ ، ٢٢٢

بوشيه فيليب (١٧٩٦-١٨٦٥) - سياسي ومؤرخ فرنسي جمهوري
برجوازي احد ايدولوجي الاشتراكية المسيحية . - ص ص
٢٥٩

بوتابوت - راجع نابليون الثالث

بوميركيتيه اغوستن توما (١٨٢٠-١٨٩١) - من كبار اصحاب المعامل
الفرنسيين ومن رجال السياسة ، وزير المالية (١٨٧١-١٨٧٢)
- ص ص ١٧٢ ، ١٧٣ ، ٢١٣

بيا فيلكس (١٨١٠-١٨٨٩) - كاتب سياسي فرنسي ديمقراطي
برجوازي صغير افتكر في ثورة ١٨٤٨ مهاجر ابتداء من
عام ١٨٤٩ خلال عدة سنوات ، شن حملة من الافتراءات ضد
ماركس والاممية ، مستغلاً لهذا الغرض الفرع الفرنسي للاممية
في لندن . عضو كومونة باريس . - ص ٢٣٤ .

بيبل لوغست (١٨٤٠-١٩١٣) - قائد بارز في الحركة العمالية العالمية والالمانية ابتداء من عام ١٨٦٧ ، قاد اتحاد جمعيات العمال الالمان عضو الاممية الاولى ابتداء من عام ١٨٦٧ ، نائب في الريخستاغ احد مؤسسي وزعماء الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية صديق ماركس وانجلس ورفيقهما في النضال قائد في الاممية الثانية . - ص ص ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٦٩ - ٢٧٩

بيير كارل ارلست (كارل مكسيموفيتش) (١٧٩٢-١٨٧٦) - عالم روسي بارز في الطبيعيات مؤسس علم الاجنة عمل في المانيا وروسيا - ص ٢٩٤

بييري ماريا كارولينا فرديناندا لويز ، دوقة (١٧٩٨-١٨٧٠) - ام الكونت شامبور ، المدمي اليجيتيمي بعرض فرنسا ؛ في عام ١٨٣٢ حاولت اثارة التفاضة في فائده قصد اسقاط لويس فيليب - ص ١٦٥

بيسمارك اوتو ، امير (١٨١٥-١٨٩٨) - رجل دولة وديبلوماسي بروسي والمانى ممثل اليونكر البروسي وزير-رئيس بروسيا (١٨٦٢-١٨٧١) ، مستشار الامبراطورية الالمانية (١٨٧١-١٨٩٠) . - ص ص ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٤٤ ، ١٥٤ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٩٤ ، ٢٠٤ ، ٢٠٨ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٣١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٧٨

بيك جول - صحافي فرنسي ، بونايرتي ، مدير مسؤول لجريدة Etendard ، . - ص ١٦٢

بيكغو ارلست (١٨٢١-١٨٧٧) - محام وسياسي فرنسي جمهوري برجوازي معتدل ، وزير المالية في حكومة الدفاع الوطني (١٨٧٠-١٨٧١) ، وزير الداخلية في حكومة تيير (١٨٧١) من جلادي الكومونة . اخو بيكار اوجين ارنور . - ص ص ١٦٣ ، ١٧٣ ، ١٨٢

بيكغو لوجين ارمور (ولد عام ١٨٢٥) - سياسي فرنسي ورجل بورصة ،
جمهوري يرجوازي معتدل اخو ارلست بيكار . - ص ١٦٢

بيكغو يرنلود (١٨٢٦-١٨٩١) - كاتب سياسي ومؤرخ الماني لاسالي
فيما بعد انضم الى الايرينناخيين . - ص ٢٣٩

بيكغو قسطنطين (١٨٠١-١٨٨٧) - اقتصادي فرنسي . اشتراكي طوبوي .
- ص ٥٦

بيله شارل (١٧٩٥-١٨٧٨) - رب عمل وسياسي فرنسي عضو
الاممية برودوني عضو لجنة المالية في كومونة باريس
بوصفه مندوبا الى مصرف فرنسا ، انتهج سياسة ترمي الى الامتناع
من تأميمه والى عدم التدخل في شؤونه الداخلية . - ص ١٦٩

بين هنري دي (١٨٣٠-١٨٨٨) - صحافي فرنسي ، ملكي ، احد منظمي
التمرد المعادي للثورة في باريس في ٢٢ آذار (مارس) ١٨٧١
- ص ١٨٠

بيوتي جوزيف ماري (١٨٢٠-١٩٠٢) - سياسي فرنسي ، بوناپرتي
مدير فرقة باريس (١٨٦٦-١٨٧٠) . - ص ص ١٤٤ ، ٢٠٩

تاليفيس (بولبيوس كوريليوس تاليفيس) (حوالي ٥٥ - حوالي ١٢٠)
- مؤرخ روماني كبير جداً له «الحوليات» و«التواريخ» و«اخلاق
الجرمانيين» . - ص ٢١٨

تامييه فرانسوا لوران الفونس (١٨٠٩-١٨٨٠) - جنرال وسياسي
فرنسي ، جمهوري ؛ قائد الحرس الوطني في باريس (ايلول -
سبتمبر - تشرين الثاني - نوفمبر عام ١٨٧٠) نائب في الجمعية
الوطنية في عام ١٨٧١ - ص ١٧٨

تروشو لويس جول (١٨١٥-١٨٩٦) - جنرال وسياسي فرنسي
لوردلياني رئيس حكومة الدفاع الوطني ، قائد عام قوات باريس
المسلحة (ايلول - سبتمبر عام ١٨٧٠ - كانون الثاني - يناير

عام (١٨٧١) ، مرقل الدفاع من المدينة نائب في الجمعية الوطنية في عام ١٨٧١ . - ص ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ٢٢١

تودتتون وليم توماس (١٨١٢-١٨٨٠) - اقتصادي برجوازي بريطاني - ص ٨٠

توريتشميلي ايفاجيلستا (١٦٠٨-١٦٤٧) - فيزيائي ورياضي ايطالي كبير . - ص ٢٨٥

توك توماس (١٧٧٤-١٨٥٨) - اقتصادي برجوازي بريطاني انضم الى المدرسة الكلاسيكية انتقد نظرية ريكاردو بشأن النقود . - ص ٢٥ ، ٥١

تولكه كارل ولهم (١٨١٧-١٨٩٢) - اشتراكي-ديموقراطي الماني ، من زملاء اتحاد العمال الالمان العام الالساوي . - ص ٢٥ ، ٥٠

تولين هنري لويس (١٨٢٨-١٨٩٧) - عامل نقاش فرنسي برودوني يميني احد قادة الفرع الباريسي للاممية مندوب الى مؤتمر لندن (١٨٦٥) وعدد من مؤتمرات الاممية نائب في الجمعية الوطنية في ١٨٧١ في اثناء كومونة باريس انتقل الى جانب الفرنسيين وطرد من الاممية . - ص ١٨٤

توماس كليمان (١٨٠٩-١٨٧١) - سياسي فرنسي ، جنرال جمهوري برجوازي معتدل اشترك في قمع انتفاضة حويران (يوليو) عام ١٨٤٨ في باريس ؛ قائد الحرس الوطني لباريس (تشرين الثاني - نوفمبر ١٨٧٠ - شباط - فبراير ١٨٧١) ؛ مرقل الدفاع من المدينة اعدمه الجنود الثائرون رميا بالرصاص في ١٨ آذار (مارس) عام ١٨٧١ . - ص ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٥ ، ٢١١-٢١٥

تيفير - اشترك في عمليات النصب المتعلقة باصدار جريدة « Etendard » ، البونابرية . - ص ١٦٢ .

تيمور (تيمورلنك) (١٣٢٦-١٤٠٥) - قائد وفلاح عسكري من
آسيا الوسطى أسس دولة مترامية الأطراف في الشرق
- ص ١٨٢

تيمورلنك - راجع تيمور .

تيير ادولف (١٧٩٧-١٨٧٧) - مؤرخ ورجل دولة برجوازي فرنسي
نائب في الجمعية التشريعية (١٨٤٩-١٨٥١) ، لورياني رئيس
الجمهورية (١٨٧١-١٨٧٣) ، جلد كومونة باريس . - ص ص
١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٤٢ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٣ - ١٧٦ ،
١٧٩ - ١٨٥ ، ١٩٠ ، ١٩٩ - ٢٠٤ ، ٢٠٧ - ٢١٧ ، ٢٢٠ -
٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦

جاكيه - كاهن فرنسي في عام ١٨٤٨ الوكيل العام لرئيس الاساقفة
في باريس . - ص ٢٢٢

جوير ايبوليت فرانسوا ، كوت (١٧٩٨-١٨٧٤) - سياسي فرنسي
ملكي ، وزير الاطفال العامة (١٨٤٠) نائب في الجمعية الوطنية
في عام ١٨٧١ . - ص ٢٢٥

جونس ريشارد (١٧٩٠-١٨٥٥) - اقتصادي برجوازي بريطاني تمكس
اماله انهيار وتفسخ المدرسة الكلاسيكية في الاقتصاد السياسي
تفوق على ريكاردو في عدد من قضايا الاقتصاد السياسي
- ص ٨٤

جول جيمس بريسكوت (١٨١٨-١٨٨٩) - فيزيائي بريطاني متهور
قام بابحاث في المغناطيسية الكهربائية ولي الحرارة . - ص ٢٩١

فلوروا جورج (١٨١٣-١٨٧١) - لاهوتي فرنسي رئيس اساقفة
باريس منذ عام ١٨٦٣ . في ايار (مايو) ١٨٧١ اعدمته الكومونة
رميا بالرصاص كرهينة . - ص ص ١٣٣ ، ٢٢٢ .

والثون جون (١٧٦٦-١٨٤٤) - كيمائي وفيزيائي بريطاني بارز
طور الفكر الذرة في الكيمياء . - ص ٢٩٢

والثته اليغيري (١٢٦٥-١٣٢١) - شاعر ايطالي كبير . - ص ص ١٢ ،
٩٣

دور البريخت (١٤٧١-١٥٢٨) - رسام الماني كبير في عهد النهضة
- ص ٢٨٢

دوفال اميل فكتور (١٨٤١-١٨٧١) - قائد في حركة العمال الفرنسية
سكاب عضو الامية عضو اللجنة المركزية للحرس الوطني
ولكومونة باريس جنرال في الحرس الوطني التابع للكومونة
في ٤ نيسان (ابريل) ١٨٧١ أسره الفرنسيون واعدموه رميا
بالرصاصة . - ص ١٨٢

دوفور جول ارمان ستانيسلا (١٧٩٨-١٨٨١) - محام ورجل دولة
فرنسي اورلياني وزير الداخلية (عام ١٨٤٨ وعام ١٨٤٩) ،
وزير العدلية (١٨٧١-١٨٧٣ ، ١٨٧٥-١٨٧٦ ، ١٨٧٧-
١٨٧٩) احد جلادي كومونة باريس رئيس مجلس الوزراء
(١٨٧٦ ، ١٨٧٧-١٨٧٩) . - ص ص ١٧٢ ، ١٨١ ، ٢٠٩ ،
٢١١

دوميروفسكي ياروسلاف (١٨٢٦-١٨٧١) - ديموقراطي ثوري بولوي
اشترك في حركة التحرر الوطني في بولونيا في الستينيات من القرن
التاسع عشر جنرال في كومونة باريس ابتداء من اوائل ايار
(مايو) ١٨٧١ ، القائد العام لجميع قواتها المسلحة استشهد
على المتاريس . - ص ٢٠٢

دويه فيلكس (١٨١٦-١٨٧٩) - جنرال فرنسي أسره الالمان في
سيدان احد جلادي كومونة باريس . احد أمري جيش
الفرساليين . - ص ٢١٦ .

ويكوت رينه (١٥٩٦-١٦٥٠) - فيلسوف فثاني ، عالم رياضيات وطبيعيات
فرنسي بارز . ص ٢٩٢

ويماو - ضابط دركي فرنسي ، قتل فلورانس . - ص ١٨٢

ولم - جرمان - اشتراكي-ديموقراطي الماني في ١٨٧٥ عضو في هيئة
تحرير جريدة « Volkstaat » ، (صوت الشعب) . - ص ٢٧٨

وصي جورج (١٨٠٠-١٨٧١) - اقتصادي بريطاني احد اواخر
ممثلي الاقتصاد السياسي البرجوازي الكلاسيكي . - ص ٨٤

ويستيجر ماكسيميليان (١٧٥٨-١٧٩٤) - قائد بارز في الثورة
البرجوازية الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر زعيم اليقابلة
رئيس الحكومة الثورية (١٧٩٣-١٧٩٤) . - ص ٢٤

ويينه جان فرانسوا اوجين (١٨٢٥-١٨٩٩) - مؤرخ فرنسي . وضعي .
رئيس بلدية احدى دوائر باريس ابان حصار ١٨٧٠-١٨٧١
- ص ٢٢٥

ويو جان جاك (١٧١٢-١٧٧٨) - منور فرنسي بارز ديموقراطي ،
ايدولوجي البرجوازية الصغيرة ، فيلسوف مؤله طبيعي
- ص ٢٤٢

ويوز جورج (١٧٤٤-١٨١٨) - رجل دولة بريطاني من حزب
التوري (المحافظين) مستشار الخزنة (وزير المالية) (١٧٨٢-
١٧٨٣ و ١٧٨٤-١٨٠١) . - ص ٨٠

ويكرو دافيد (١٧٧٢-١٨٢٣) - اقتصادي للجلزي من ابرز ممثلي
الاقتصاد السياسي البرجوازي الكلاسيكي . - ص ٤١ ، ٨٢ ،
٢٧٣ ، ٨٤

زيمرمان ولهم (١٨٠٧-١٨٧٨) - مؤرخ الماني ديموقراطي برجوازي
صغير . اشترك في ثورة ١٨٤٨-١٨٤٩ . نائب في الجمعية

الوطنية في فرانكفورت انهم الى الجناح اليساري ونسج كتاب
وتاريخ حرب الفلاحين في ألمانيا، الذي صدر في ١٨٤١-١٨٤٣
ص ٩٩

سان-سيمون هنري (١٧٦٠-١٨٢٥) - اشتراكي طوبوي فرنسي كبير
ص ص ١١٩ ، ٢٨٨

سبينوزا باروخ (١٦٣٢-١٦٧٧) - فيلسوف مادي هولندي بارز ،
ملحد . - ص ٢٨٧

سرفيت ميغل (١٥١١-١٥٥٣) - عالم اسباني بارز من عهد النهضة
طبيب من حيث المهنة حقق اكتشافات هامة في ميدان دراسة
الدورة الدموية . - ص ٢٨٣

سميث آدم (١٧٢٣-١٧٩٠) - اقتصادي انجليزي من اكبر ممثلي
الاقتصاد السياسي البرجوازي الكلاسيكي . - ص ص ٤١ ، ٤٩

سوزان لويس (١٨١٠-١٨٧٦) - جنرال فرنسي شغل منصب مدير
مصلحة المدفعية في وزارة الحربية مؤلف جملة من الابحاث في
تاريخ الجيش الفرنسي . - ص ١٦١

سوللا (لوسي كوريلي سوللا) (١٣٨-٧٨ قبل الميلاد) - قائد
مصري ورجل دولة روماني ، قنصل (٨٨ قبل الميلاد) ،
ديكتاتور (٨٢-٧٩ قبل الميلاد) . - ص ص ١٦٩ ، ٢١٧

سيمونوفي جان شارل ليونار سيموند دي (١٧٧٣-١٨٤٢) - اقتصادي
سويسري ناقد برجوازي صغير للرأسمالية . - ص ص ٨٤ ،
٩٦

سيمه جان (١٨١٠-١٨٧٩) - اميرال وسياسي فرنسي ملكي
أمر الحرس الوطني في باريس (٢٠-٢٥ آذار - مارس ١٨٧١)
حاول ان يوحد قوى الرجعية لاجل قمع الثورة البروليتارية في
١٨ آذار . نائب في الجمعية الوطنية في ١٨٧١ . - ص ١٨١ .

سيكسي انجلو (١٨١٨-١٨٧٨) - فلكي ايطالي ، معروف بأبحاثه من الشمس والنجوم يسومي . - ص ص ٢٩٦ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤

سيهون جول (١٨١٤-١٨٩٦) - رجل دولة فرنسي ، جمهوري برجوازي معتدل وزير المعارف العامة (١٨٧٠-١٨٧٣) احد المحررين على النضال ضد الكومونة رئيس مجلس الوزراء (١٨٧٦-١٨٧٧) . - ص ١٧٣

شابر فون - احد ممثلي البيروقراطية الرجعية البروسية الرئيس الاول لاقليم الراين (١٨٤٢-١٨٤٥) . - ص ٦

شافلوتيه نقولا آن ميودون (١٧٩٣-١٨٧٧) - جنرال وسياسي برجوازي فرنسي ملكي بعد حزيران (يونيو) ١٨٤٨ ، امير الحامية والحرس الوطني في باريس اشترك في تفريق مظاهرة ١٣ حزيران ١٨٤٩ في باريس . - ص ١٨١

شروبله انطوان ايلزه (١٧٩٧-١٨٦٩) - اقتصادي سويسري من اتباع سيسموند . - ص ٨٤

شكسبير وليم (١٥٦٤-١٦١٦) - كاتب انجليزي كبير . - ص ص ٨١ ، ٢٧٧

شولتس-فولفغانغ فرمان (١٨٠٨-١٨٨٣) - سياسي الماني اقتصادي برجوازي مبتدل . في ١٨٤٨ نائب في الجمعية الوطنية البروسية في الستينيات احد زعماء حزب التقدميين البرجوازي . حاول صرف العمال من النضال الثوري بتنظيم الجمعيات التعاونية . - ص ٨٨
شاليفه فاستون الكسندر اوغست ، مركز دي (١٨٣٠-١٩٠٩) - جنرال فرنسي من جلادي كومونة باريس . - ص ص ١٨٢ ، ٢٢٧ ، ١٨٤

شامبيتا ليون (١٨٢٨-١٨٨٢) - رجل دولة فرنسي جمهوري برجوازي عضو في حكومة الدفاع الوطني (١٨٧٠-١٨٧١) . - ص ١٦١

غانيسكو غريغوري (حوالي ١٨٣٠-١٨٧٧) - صحفي فرنسي ، اصله روماني في عهد الامبراطورية الثانية ، يولايوتي ثم من انصار حكومة تيير . - ص ٢٠١

غلادستون روبرت (١٨١١-١٨٧٢) - تاجر بريطاني صالح خير برجوازي . ابن هم وليام غلادستون . - ص ٢٦٣

غلادستون وليام يوارت (١٨٠٩-١٨٩٨) - رجل دولة بريطاني في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، احد زعماء الحزب الليبرالي (حزب الاحرار) مستشار الخزانة (وزير المالية) (١٨٥٢-١٨٥٥ و ١٨٥٩-١٨٦٦) ورئيس وزارة (١٨٦٨-١٨٧٤) ، ١٨٨٠-١٨٨٥ ، ١٨٨٦ ، ١٨٩٢-١٨٩٤) . - ص ٢٦٣

غليوم الاول (١٧٩٧-١٨٨٨) - امير بروسي ملك بروسيا (١٨٦١-١٨٨٨) ، امبراطور ألمانيا (١٨٧١-١٨٨٨) . - ص ص ١٤٩

غوته يوهان وفغانغ (١٧٤٩-١٨٣٢) - كاتب ومفكر ألماني كبير - ص ص ٢٥٦ ، ٢٥٨

غورتشاكوف الكسندر ميخائيلوفيتش ، امير (١٧٩٨-١٨٨٣) - رجل دولة ودبلوماسي روسي ، سفير في فيينا (١٨٥٤-١٨٥٦) . وزير الخارجية (١٨٥٦-١٨٨٢) . - ص ١٥٤

غيبب اوغست (١٨٤٢-١٨٧٩) - اشتراكي ديمقراطي ألماني تاجر كتب في هامبورغ عضو اتحاد العمال الالمان العام اشترك في مؤتمر ايزنناخ (١٨٦٩) احد مؤسسي حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي خازن الحزب (١٨٧٢-١٨٧٨) ، عضو الرئيستاغ (١٨٧٤-١٨٧٧) . - ص ص ٢٣٥ ، ٢٣٧

غينو فرانسوا بيسار غيوم (١٧٨٧-١٨٧٤) - مؤرخ ورجل دولة برجوازي فرنسي من عام ١٨٤٠ حتى ١٨٤٨ ، افرغ عمليا على السياسة الداخلية والخارجية في فرنسا . - ص ص ٧ ، ١٦٦ ، ١٦٧ .

غيغ امندوس (١٨٢٠-١٨٩٧) - صحفي الماني ديموقراطي برجوازي صغير في ١٨٤٩ عضو الحكومة المؤقتة في بادن بعد هزيمة الثورة هاجر من المانيا في السبعينيات انضم الى الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية . - ص ٢٧٢

غيو ادولف سيمون (ولد عام ١٨٠٥) - جنرال فرنسي رئيس للمدفعية اثناء حصار باريس في ١٨٧٠-١٨٧١ . - ص ١٦١

فالتر جول (١٨٠٩-١٨٨٠) - محام وسياسي فرنسي احد زعماء الجمهوريين البرجوازيين المعتدلين وزير الخارجية (١٨٧٠-١٨٧١) ؛ اجرى مفاوضات حول استسلام باريس وعقد الصلح مع المانيا جلاد كومونة باريس واحد ملهمي النضال ضد الاممية . - ص ص ١٤٢ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٨ ، ٢٠٤ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢٣٠-٢٣٤

فالنتين لويس ارلست - جنرال فرنسي ، بوناپرتي ، قام بوظيفة مدير الشرطة في باريس عشية انتفاضة ١٨ آذار (مارس) عام ١٨٧١ - ص ص ١٧٢ ، ٢٠٩

فرايكل ليو (١٨٤٤-١٨٩٦) - قائد بارز في حركة العمال المجرية والعالمية عضو كومونة باريس ترأس لجنة العمل والتبادل عضو المجلس العام للاممية (١٨٧١-١٨٧٢) احد مؤسسي حزب العمال المجري العام رفيق ماركس والجنس في النضال - ص ٢٠٢

فرايكلين پنجامين (١٧٠٦-١٧٩٠) - سياسي اميركي بارز عالم وديپلوماسي ديموقراطي برجوازي اشتراك في حرب الاستقلال في اميركا الشمالية . - ص ٤٥

فريدناند لثاني (١٨١٠-١٨٥٩) - ملك نابولي (١٨٢٠-١٨٥٩) ؛ اطلق عليه اسم الملكة القنبلة لقصفه بالمدفعية ميسينا في عام ١٨٤٨ . - ص ١٦٥ .

فروبلينسكي فاليري (١٨٢٦-١٩٠٨) - ديموقراطي ثوري بولوني جنرال في كومونة باريس عضو المجلس العام للاممية والامين المراسل من بولونيا (١٨٧١-١٨٧٢) اشترك بنشاط في النضال ضد الباكوليين . - ص ٢٠٢

فلورانس غوستاف (١٨٣٨-١٨٧١) - ثوري وعالم طبيعيات فرنسي من انصار بلانكي احد قادة انتفاضة باريس في ٣١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٧٠ وفي ٢٢ كانون الثاني (يناير) ١٨٧١ عضو كومونة باريس في ليسان (ابريل) ١٨٧١ ، اغتاله الفرساليون بوحشية . - ص ص ١٧٢ ، ١٧٨ ، ١٨٣

فوغت كارل (١٨١٧-١٨٩٥) - عالم طبيعيات الماني ، مادي مبتدل ديموقراطي برجوازي صغير اشترك في ثورة ١٨٤٨-١٨٤٩ في المانيا . في الخمسينيات والستينيات ، عميل سري ماجور للويس بوناپرت في المهجر . - ص ١٦٣

فولتير فرانسوا ماري (كنيته الحقيقية اروييه) (١٦٩٤-١٧٧٨) - منور فرنسي بارز فيلسوف مؤله طبيعي (يعترف بوجود الاله بوصفه واجب الوجود وينكر الوحي) كاتب ساخر هجاء . مؤرخ - ص ١٨٣

فولف غاسبار فريدريك (١٧٣٣-١٧٩٤) - سالم طبيعيات بارز احد مؤسسي مذهب تطور العضويات عمل في المانيا وروسيا - ص ٢٩٤

فولف غريستيان (١٦٧٩-١٧٥٤) - فيلسوف مثالي الماني . ميتافيزيائي . - ص ٢٨٧

فيري جول فرانسوا كميل (١٨٣٢-١٨٩٣) - محام فرنسي صحفي وسياسي احد زعماء الجمهوريين البرجوازيين المعتدلين عضو حكومة الدفاع الوطني رئيس بلدية باريس (١٨٧٠-١٨٧١) ناضل بنشاط ضد الحركة الثورية . رئيس مجلس الوزراء (١٨٨٠-

١٨٨١ - ١٨٨٢ - ١٨٨٥) انتهج سياسة الفتوحات الاستعمارية .
- ص ١٦٤ .

لبنوا جوزيف (١٨٠٠-١٨٨٠) - جنرال فرنسي بولابرتي اشترك
في انقلاب ٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ ابتداء من ٢٢
كانون الثاني (يناير) ١٨٧١ ، حاكم باريس احد جلادي
الكومونة آمر جيش الفرسان الاحتياطي . - ص ١٧٢ ،
١٧٩ ، ١٨٢

كابه ايتيان (١٧٨٨-١٨٥٦) كاتب سياسي فرنسي اشترك في حركة
البروليتاريا السياسية في الثلاثينيات والاربعينيات ممثل بارز
للشيوعية الطوبوية المسالمة . واضع كتاب (رحلة الى ايكاريا)
- ص ٢٣٠

كالفيناك لويس اوجين (١٨٠٢-١٨٥٧) - جنرال وسياسي فرنسي
جمهوري برجوازي معتدل من ايار (مايو) ١٨٤٨ ، وزير
الحربية تمع بقساوة عارقة انتفاضة عمال باريس في حزيران
(يوليو) رئيس السلطة التنفيذية (حزيران - يوليو) - كانون
الاول - ديسمبر ١٨٤٨) . - ص ٢٢٢

كالفين جان (١٥٠٩-١٥٦٤) - قائد بارز في عهد الاصلاح مؤسس
احد تيارات البروتستانتية ، تيار الكالفينية الذي كان يعبر عن
مصالح البرجوازية في مرحلة التراكم البدائي للرأسمال . -
ص ٢٨٢

كالون شارل الكسندر دي (١٧٢٤-١٨٠٢) - رجل دولة فرنسي
من قادة المهجر المعادي للثورة اثناء الثورة البرجوازية الفرنسية
في اواخر القرن الثامن عشر . - ص ٢٠٨

كانف عمانوئيل (١٧٢٤-١٨٠٤) - مؤسس الفلسفة الكلاسيكية الالمانية ،
مثالي . - ص ص ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ .

كبلر يوهان (١٥٧١-١٦٣٠) - فلكي الماني بارز ، كشف قوانين حركة الكواكب . - ص ٢٨٤

كوبرنيك نيقولا (١٤٧٣-١٥٤٣) - فلكي بولوني كبير ، مؤسس المذهب القائل بان الشمس مركز العالم . - ص ٢٨٣ ، ٢٨٧

كوتلوفون لويس شارل عمانوئيل ، كونت دي (١٨١٤-١٨٨٦) - موظف فرنسي بوناپرتي احد منظمي الانتفاضة المعادية للثورة في باريس في ٢٢ آذار (مارس) ١٨٧١ . - ص ١٨٠

كودبون كلود انثيم (١٨٠٨-١٨٩١) - سياسي فرنسي ، جمهوري نائب في الجمعية التأسيسية (١٨٤٨-١٨٤٩) ، فيما بعد رئيس بلدية في احدى دوائر باريس ؛ نائب الجمعية الوطنية في عام ١٨٧١ . - ص ١٦٠

كوزلسموتوبان شارل غيوم ماري ابولينير انطوان ، كونت دي باليكاو (١٧٩٦-١٨٧٨) - جنرال فرنسي بوناپرتي في ١٨٦٠ ، آمر بعثة القوات الانجلوفرنسية في الصين وزير الحربية ورئيس الحكومة (آب - ايلول - اغسطس - سبتمبر ١٨٧٠) . - ص ١٧٢

كوفيه جورج (١٧٦٩-١٨٣٢) - عالم طبيعيات فرنسي كبير واضح النظرية المثالية المعادية للعلم المسماة بنظرية الكارثة . - ص ٢٩٠

لابلاس بييار سيمون (١٧٤٩-١٨٢٧) - فلكي ورياضي وفيزيائي فرنسي بارز طور بصورة مستقلة من كالط وعلل رياضيا فرضية نشوء النظام الشمسي من سديم غازي . - ص ٢٨٨ ، ٢٨٩

لامال لرديناند (١٨٢٥-١٨٦٤) - كاتب سياسي برجوازي صغير الماني محام . في ١٨٤٨ و ١٨٤٩ اشترك في الحركة الديمقراطية في اقليم الراين . في مستهل الستينيات ، التحق بالحركة

العمالية احد مؤسسي اتحاد العمال الالمان العام (١٨٦٢)
 دعم سياسة توحيد المانيا (من فوق) برعامة بروسيا ارمى
 بداية الاتجاه الانتهازي في الحركة العمالية الالمانية . - ص ٨٨ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٢٤٣-٢٤٦ ، ٢٥٢-٢٥٩ ، ٢٧٠-
 ٢٧٤ ، ٢٧٧

لافولازيه الطوان لوران (١٧٤٣-١٧٩٤) - كيماوي فرنسي بارز
 دحض فرضية وجود الفلوفيستون درس كذلك قضايا الاقتصاد
 السياسي والاحصاء . - ص ٢٩٢

لافيت جاك (١٧٦٧-١٨٤٤) - صيرلي وسياسي فرنسي كبير ، لورلياني .
 - ١٦٥

لاموك جان باتيست بيار انطوان (١٧٤٤-١٨٢٩) - عالم طبيعيات
 فرنسي بارز . واضح اول نظرية تطورية متكاملة في البيولوجيا
 سلف داروين . - ص ٢٩٤

لافه فريدريك بيرت (١٨٢٨-١٨٧٥) - فيلسوف برجوازي الماني ،
 كائني جديد عدو المادية والاشتراكية . - ص ٢٥٦

لايال شارل (١٧٩٧-١٨٧٥) - عالم بريطاني مشهور جيولوجي
 - ٢٩١

لوتر هاوتن (١٤٨٢-١٥٤٦) - من رجال الإصلاح البارزين . مؤسس
 البروتستانتية (اللوترية) في المانيا ايديولوجي البرجوازية الالمانية
 - ص ٢٨٢ ، ٢٨٣

لويس السادس عشر (١٧٥٤-١٧٩٣) - ملك فرنسي (١٧٧٤-١٧٩٢)
 اعدم زمن الثورة البرجوازية الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر
 - ص ١٣١

لويس بولابرت - راجع نابليون الثالث .

لويس فيليب (١٧٧٣-١٨٥٠) - دوق اورليان ، ملك فرنسا (١٨٣٠-١٨٤٨) . - ص ص ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٧ ، ١٩٤ ، ٢١١ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢

لويس نابليون - راجع نابليون الثالث

ليبنكسخت ولهم (١٨٢٦-١٩٠٠) - من رجال الحركة العمالية الالمانية والعالمية البارزين اشترك في ثورة ١٨٤٨-١٨٤٩ عضو عصبة الشيوعيين والاممية الاولى . احد مؤسسي وزعماء الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية . صديق ماركس والجلس ورفيقهما في النضال . - ص ص ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨

ليبنيتز غوتفريد ولهم (١٦٤٦-١٧١٦) - رياضي ألماني كبير . فيلسوف مثالي . - ص ٢٨٤

ليفلو ادولف عمانوئيل شارل (١٨٠٤-١٨٨٧) - جنرال وسياسي فرنسي ممثل حزب النظام . في عهد الجمهورية الثانية ، نائب في الجمعية التأسيسية والجمعية التشريعية . - ص ص ١٧٩ ، ١٨٤

ليكوفت كلود مارتان (١٨١٧-١٨٧١) - جنرال فرنسي في ١٨ آذار (مارس) ١٨٧١ ، اعدمه رميا بالرصاص الجنود الثائرون بعد فشل محاولة حكومة تيير الاستيلاء على مدفعية الحرس الوطني - ص ص ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٥ ، ٢١١-٢١٥

لينه كارل (١٧٧٨-١٧٠٧) - عالم طبيعيات اسوعي بارز واضع نظام تصنيف النباتات والحيوانات . - ص ص ٢٨٤ ، ٢٨٦

ليوناردو دي فننشي (١٤٥٢-١٥١٩) - رسام ايطالي كبير عالم موسوعي ومهندس في عهد النهضة . - ص ٢٨٢

ملوا جان بول (١٧٤٣-١٧٩٣) - كاتب سياسي قائد بارز في الثورة البرجوازية الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر . احد زعماء المعارضة . - ص ٢٥٣ .

ملوكسي كارل (١٨٨٣-١٨١٨) - ص ص ٥ ، ٧ ، ١٠ ، ١١ ،
١٣ ، ٢٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،
١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٦٩ ، ٢٧٦ - ٢٧٩

ملوكوفسكي - وكيل الحكومة القيصريّة الروسية في فرنسا ، من رجال
تيير في عام ١٨٧١ - ص ٢٠١

ماتيهامون ماري ادم باتريس مسوريس (١٨٠٨-١٨٩٣) - سياسي
وعسكري ديمى فرنسي . بولايوتي . من جلادي كومونة باريس
رئيس الجمهورية الثالثة (١٨٧٣-١٨٧٩) - ص ص ٢١٥ ،
٢٢٢ ، ٢٢٣

ماكيايالي ييقولو (١٤٦٩-١٥٢٧) - سياسي ايطالي مؤرخ وكاتب
- ص ٢٨٢

ماتكوس توماس روبرت (١٧٦٦-١٨٣٤) - كاهن بريطاني اقتصادي
مروج نظرية بشأن نمو السكان تنم عن كره البشر . - ص ص ٧٢ ،
٢٥٦ ، ٢٧٢

ماتينيوس اغريبا (توفي في ٤٩٣ قبل الميلاد) - نبيل روماني
- ص ١٨

ماهر يوليوس روبرت (١٨١٤-١٨٧٨) - عالم طبيعيات ألماني بارز
احد اوائل من اكتشفوا قانون بقاء الطاقة وتحولها . - ص ٢٩١
مفلر يوهان هنريخ (١٧٩٤-١٨٧٤) - فلكي ألماني . - ص ص ٢٨٨ ،
٢٩٦ ، ٣٠٤

مورتون جون تشالرس (١٨٢١-١٨٨٨) - مهندس زراعي بريطاني
وضع عددا من البحوث في قضايا الزراعة . - ص ٢٧

مونتالمبير شارل (١٨١٠-١٨٧٠) - صحفي فرنسي . في عهد الجمهورية
الثانية ، نائب في الجمعية التأسيسية والجمعية التشريعية . اورلياني
تراس الحزب الكاثوليكي . - ص ٢٨٢ .

مونتزود توماس (حوالي ١٤٩٠-١٥٢٥) - ثوري الماني كبير ، زعيم
وايديولوجي معسكر الفلاحين والعامّة في عهد الاصلاح وحرب
الفلاحين في عام ١٥٢٥ ؛ روج لافكار الشيوعية الطوبوية السوانية
- ص ٩٩

مونتسكيو شارل (١٦٨٩-١٧٥٥) - عالم اجتماعي برجوازي فرنسي
بارز اقتصادي وكاتب ممثل حركة التنوير البرجوازية في القرن
الثامن عشر ، نظري النظام الملكي الدستوري . - ص ١٩٣

ميرابو اولوره غبريل (١٧٤٩-١٧٩١) - قائد بارز في الثورة
البرجوازية الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر افصح عن مصالح
البرجوازية الكبيرة والنبلاء المتبرجين . - ص ١٦٦

ميلر جوزيف (جو) (١٦٨٤-١٧٢٨) - ممثل هزلي بريطاني مشهور
- ص ١٦٢

ميليهو جان باتيست (١٨١٧-١٨٧١) - صحفي فرنسي برودوني
يساري اعدمه الفرنسيون رميا بالرصاص في ايار (مايو)
عام ١٨٧١ . - ص ص ١٦٢ ، ٢٢١

نابليون الاول بوناپرت (١٧٦٩-١٨٢١) - امبراطور فرنسا (١٨٠٤)
- ١٨١٤ و ١٨١٥) . - ص ص ١٣١ ، ١٣٧ ، ١٤٧ ، ١٥٣ ،
١٦٨ ، ٢٠٠

نابليون الثالث (لويس نابليون بوناپرت) (١٨٠٨-١٨٧٣) - ابن
اخي نابليون الاول ، رئيس الجمهورية الثانية (١٨٤٨-١٨٥١) ،
امبراطور فرنسا (١٨٥٢-١٨٧٠) . - ص ص ١٠٥ ، ١٢٣ ،
١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ،
١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٧-١٧١ ، ١٧٥-١٧٧ ، ١٨٧ ، ١٩٤ ،
٢٠٠-٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ، ٢٦٢ .

نهر جون (١٥٥٠-١٦١٧) - رياضي اسكتلندي مخترع اللوغاريتم
- ص ٢٨٤

نيوتن اسحق (١٦٤٢-١٧٢٧) - فيزيائي بريطاني كبير فلكي ورياضي .
مؤسس الميكانيك بوصفه علما . - ص ٢٨٤-٢٨٩

نيومولوتشي وليام (١٨٢٠-١٨٨٢) - اقتصادي واحصائي برجوازي
بريطاني . - ص ٢٥

نيومن فرنسيس وليام (١٨٠٥-١٨٩٧) - راديكالي برجوازي بريطاني
وضع عددا من الابحاث في قضايا الدين والسياسة والاقتصاد
- ص ٢٥

هاريونكلينغر ولهم (١٨٢٧-١٨٨٩) - اشتراكي-ديموقراطي الماني
لاسالي ، رئيس اتحاد العمال الالمان العام (١٨٧١-١٨٧٥)
- ص ص ٢٦٩ ، ٢٧٨

هاسلمان ولهم (ولد في ١٨٤٤) - احد زعماء اتحاد العمال الالمان
العام اللاسالي من ١٨٧١ الى ١٨٧٥ ، محرر في «Neuer So-
zial-Demokrat» (نويزر سوسيال-ديموقراط) - الاشتراكي-
الديموقراطي الجديد) ابتداء من ١٨٧٥ ، عضو في الحزب
الاشتراكي-الديموقراطي الالمان في ١٨٨٠ ، طرد من الحزب
كفوضوي . - ص ص ٢٥٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧٨

هوفل وليام (١٧٢٨-١٨٢٢) - فلكي بريطاني مشهور . - ص ٢٨٩

هرلي ادولر (١٨٢٥-١٨٩٩) - صحفي فرنسي واحد من مؤسسي
ورئيس تحرير جريدة «Journal de Paris» (وجورنال دي
باري) لبيروالي برجوازي ، بعد سقوط الامبراطورية الثانية
ورلياني . - ص ٢١٨ .

هكسلي توماس هنري (١٨٢٥-١٨٩٥) - عالم طبيعيات بريطاني من القرب وفاق داروين بالفكر ومن مروجي تعاليمه . في حقل الفلسفة مادي غير منسجم . - ص ١٩٧

هكسلي جورج شارل دانتس ، البارون دي (١٨١٢-١٨٩٥) - سياسي فرنسي قتل بوفكين الشاعر الروسي الكبير منذ عام ١٨٤٨ بونايرتي احد منظمي العصيان المعادي للثورة في باريس في ٢٢ آذار (مارس) عام ١٨٧١ - ص ١٨٠

هوراسيوس (كوينت هوراسيوس فلاك) (٦٥-٨ قبل الميلاد) - شاعر روماني بارز . - ص ٨٩

هوبس توماس (١٥٨٨-١٦٧٩) - فيلسوف بريطاني بارز ممثل المادية الميكانيكية . - ص ٥٤

هونزولترن - سلالة من الامراء اليراندبورغين (١٤١٥-١٧٠١) ، والملوك البروسيين (١٧٠١-١٩١٨) ، والاباطرة الالمان (١٨٧١-١٩١٨) . - ص ١٤٥ ، ٢٠٣

هيجل غيورغ ولهم فريدريك (١٧٧٠-١٨٣١) - اكبر مثلي الفلسفة الكلاسيكية الالمانية مثالي موضوعي . - ص ٧

هيجل جون (ولد في ١٨٢٩) - قائد في حركة التريديوليونات البريطانية عضو المجلس العام للاممية (١٨٦٦-١٨٧٢) وامينه انضم الى عصبة الاصلاح ، عصبة الارض والعمل ابتداء من لوانل عام ١٨٧٢ ، ترأس الجناح الاصلاح في المجلس الاتحادي البريطاني داخل ضد ماركس وانصاره ، وسمى الى الاستيلاء على قيادة تنظيم الاممية في بريطانيا . - ص ٢٢١

وايد بنجامين فرنكلين (١٨٠٠-١٨٧٨) - سياسي اميركي ، من الجناح اليساري في الحزب الجمهوري نائب رئيس الولايات المتحدة الاميركية (١٨٦٧-١٨٦٩) . - ص ٩٢ .

ويستحق جون - قائد في حركة العمال البريطانية . من الصار اوين . عضو
المجلس العام للاممية (١٨٦٤-١٨٧٢) . مندوب في مؤتمر لندن
لعام ١٨٦٥ عضو المجلس الاتحادي البريطاني عضو اللجنة
التنفيذية لعصبة الاصلاح احد قادة عصبة الارض والعمل
- ص ص ١٢-١٨ ؛ ٢١-٢٥ ، ٢٨-٤٠ ، ٨٢

ويلز ، اميرة - راجع الكسندرا .

يود اندريو (١٧٧٨-١٨٥٧) - كيماوي بريطاني اقتصادي مبتدل
- ص ٢٤ .

الشخصيات الادبية والاسطورية

ايوب - شخصية من التوراة رمز الفقير الذي يكابد عذابات كثيرة
ويكافئه الرب لقاء استكائه ووداعته . - ص ١٦٨

بورسونياك - الشخصية الرئيسية في مسرحية مولير الهولية **والسيد دي
بورسونياك** رمز النبيل الاقليمي البليد والجاهل . - ص ١٧١

بيستول - شخصية من مسرحيات شكسبير **والملك هنري الرابع**،
و**حياة الملك هنري الخامس**، و**ولقلقات** و**ندسور المرحه** ؛
محتال في القمار وجبان وفشار . - ص ٢٢٨

داموقليس - تقول اسطورة يونانية قديمة ان داموقليس كان من
بطانة الطاغية ديونيسيوس (القرن الرابع قبل الميلاد) من سيراكوس .
دهاء ديونيسيوس يوما الى وليمة ؛ ورغبة في اقناع داموقليس ، الذي
كان يحسد ديونيسيوس ، يوهن الازدهار البشري ، اجلسه على عرشه ،
وعلق بشجرة فوق داسه سيفاً قاطعاً واصبح تعبير وسيف
داموقليس ، رمزاً للخطر الرهيب الدائم ، القريب . - ص ١٢٤

شاميلوك - شخصية من مسرحية شكسبير **وتاجر البندقية** الهولية ،
مراب قاس ؛ طالب ، حسب شروط الدين ، بقص لييرة من لحم
مدينه العاجز من تسديد الدين . - ص ١٧١

فالستاف - شخصية من مسرحيتي شكسبير **ولقلقات** و**ندسور المرحه**،
و**والملك هنري الرابع** . فشار وجبان وسكير ومزاح .
- ص ١٦٢ .

- فرسولوس - في الاساطير الاغريقية القديمة ، ابن الاله زوس من دانايا
اجترح جملة من المآثر ، منها انه قطع رأس ميدوزا . - ص ٩١
- كلولوس دون - ابن الملك الاسباني فيليب الثاني (١٥٤٥-١٥٦٨) جعلته
جملة من المؤلفات الادبية مثالا ورمزا تعرض للملاحظات بسبب
معارضته لوالده وتولي في السجن . - ص ١٦٧
- ميدوزا - في الاساطير الاغريقية القديمة ، مسخة كالت بنظرها تحول
الناس الى حجر . - ص ٩٠
- ميشرة - في الاساطير الاغريقية القديمة ، احدى الالهات المنتقمات
ثلاث رمز الغضب والكراهة بالمعنى المجازي امرأة شريرة
شكسة . - ص ٢١٩
- هرقل - بطل واسع الشهرة في الاساطير الاغريقية القديمة ، معروف
بقوته الخارقة ومآثره البطولية . - ص ١٥٧
- يشوع بن نون - بطل في التوراة هدم اسوار مدينة اريحا على اصوات
الابواق المقدسة وصيحات جنوده . - ص ١٨٠

محتويات

١٢-٥	ماركس . مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي
١٢-٥	المقدمة
٨٦-١٣	ماركس الاجور والاسعار والارباح
١٤-١٣	ملاحظات تمهيدية
١٧-١٤	١ الانتاج والاجور .
٢٩-١٧	٢ الانتاج والاجور والارباح .
٢٥-٢٩	٣ الاجور والنقود
٢٨-٢٥	٤ العرض والطلب
٤١-٢٨	٥ الاجور والاسعار .
٥٢-٤١	٦ القيمة والعمل
٥٦-٥٢	٧ قوة العمل
٥٩-٥٦	٨ . انتاج القيمة الزائدة
٦١-٥٩	٩ قيمة العمل
٦٢-٦١	١٠ الارباح تحقق لدى بيع البضائع بقيمتها
٦٧-٦٢	١١ مختلف الاجراء التي تتوزع عليها القيمة الزائدة
٧٠-٦٧	١٢ النسبة العامة بين الارباح والاجور والاسعار
٧٨-٧٠	١٣ اهم حالات النشال في سبيل زيادة الاجور او تد تخفيضها

١٤	الصراع بين الراسمال والعمل ونتائجه	٧٨-٨٦
	ماركس . مقدمة للطبعة الالمانية الاولى من المجلد الاول من	
	«الراسمال»	٨٧-٩٣
	ماركس . الراسمال . الفصل الرابع والعشرون .	٩٤-٩٨
	٧ - الاتجاه التاريخي للتراكم الراسمالي .	٩٤-٩٨
	انجلس . مقدمة لكتاب «حرب الفلاحين في المانيا»	٩٩-١٢١
	مقدمة الطبعة الثانية الصادرة في عام ١٨٧٠	٩٩-١١١
	ملحق لمقدمة ١٨٧٠ لأجل الطبعة الثالثة الصادرة	
	في ١٨٧٥	١١٢-١٢١
	ماركس . الحرب الاهلية في فرنسا .	١٢٢-٢٢٢
	مقدمة بقلم فريدريك انجلس عام ١٨٩١	١٢٢-١٤٠
	التداء الاول من المجلس العام لجمعية الشغيلة	
	العالمية حول الحرب الفرنسية-الروسية .	١٤١-١٤٧
	التداء الثاني من المجلس العام لجمعية الشغيلة العالمية	
	حول الحرب الفرنسية-الروسية .	١٤٨-١٥٨
	الحرب الاهلية في فرنسا . نداء المجلس العام لجمعية	
	الشغيلة العالمية	١٥٩-٢٢٦
		١٥٩-١٧٣
		١٧٣-١٨٥
		١٨٥-٢٠٨
		٢٠٨-٢٢٦
	ملحقان	٢٢٧-٢٢٢
		٢٢٧-٢٢٨
		٢٢٩-٢٣٢

الجلس	بصدد نشاط الطبقة العاملة السياسي	كلمة
الجلس ، كما سجلها بنفسه ، في جلسة مؤتمر لندن		
لجمعية الشغيلة العالمية ، ٢١ ايلول ١٨٧١	٢٢٣-٢٢٤	
ماركس	نقد برنامج غوتا	٢٢٥-٢٦٨
مقدمة لفريدريك الجلس		٢٢٥-٢٢٦
رسالة الى براكه	٥ ايار ١٨٧٥	٢٢٧-٢٢٩
ملاحظات على برنامج حزب العمال الالمانى		٢٤٠-٢٦٨
١		٢٤٠-٢٥٥
٢		٢٥٥-٢٥٨
٣		٢٥٨-٢٦٠
٤		٢٦٠-٢٦٨
الجلس	رسالة الى بيبيل ١٨-٢٨ آذار ١٨٧٥	٢٦٩-٢٧٩
الجلس	مقدمة «ديالكتيك الطبيعة»	٢٨٠-٣٠٧
ملاحظات		٣٠٩-٣٥١
دليل الاسماء		٣٥٢-٣٧٦
الشخصيات الادبية والاسطورية	٣٧٧-٣٧٨

Подписано к печати 22/II-74. Формат 84x109/16. Бум. л. 6.
Печ. л. 20,16. Уч.-изд. л. 23,43. Изд. № 16391. Заказ 1329.
Цена 1р. 5 к. Тираж 15 600 экз.

Издательство «Прогресс» Государственного комитета
Совета Министров СССР по делам издательства, полиграфии
и книжной торговли,
Москва Г-21, Зубовский бульвар, 21

Ордена Трудового Красного Знамени Калининский
полиграфический комбинат Союзполиграфпрома при
Государственном комитете Совета Министров СССР по делам
издательства, полиграфии и книжной торговли,
г. Калинин, пр. Ленина, 5.

الى القراء

ان دار التقدم تكون شاكرة لكم اذا تفضلتم
وابديتم لها ملاحظاتكم حول ترجمة الكتاب ،
وفسكل مرضه ، وطباعته ، وامر بتم لها من
رغبانكم

العنوان : زوبوفسكى بولفار ، ٢١ .

موسكو - الاتحاد السوفيتى

HX 39

.5

.A212

1975

vol. 2

Orien

Arab